

العدد الاول

آذار ١٩٧٣

المجلد الثاني

المورد



رئيس التحرير

عبدالحسين العلوي



المورد

المجلد الثاني

آذار ١٩٧٣

العدد الاول

دار الحرية للطباعة
مطبعة الحكومة - بغداد
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م



مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الأعلام - الجمهورية العراقية

رئيس التحرير

عبد الحميد العلوي

الاشتراكات

بدل الاشتراك السنوي

١ـ	دينار	داخل العراق
٢ـ	دينار	خارج العراق

ثمن العدد

٢٥٠	نلس	في العراق
٥٠٠	نلس	خارج العراق

عنوان المجلة

مجلة المورد

وزارة الاعلام - بغداد

الجمهورية العراقية

خِدْمَةُ الْأُمَّةِ نَتِيجَةُ لِلْفَارِثَةِ الْمُتَوَخَّاةِ مِنَ الْكُتُبِ
الَّتِي تَحْفَظُ التُّرَاثَ وَتَبْعَثُ بِمَجْدِ الْأَجْدَادِ .

اكرم من ابكر



دعوة... وبرفاج

عبد الحميد العلوي

رئيس تحرير • المورد •

قلنا ، وقد أصبح معروفا ، ان المورد مجلة ذات رسالة ..
شاء لها الحكم الثوري التقدمي في العراق أن تكون معقد
ارتباط بالتراث ، وجسراً يوثق حاضر العرب بماضيهم ،
ومنبراً يشدّ جديد العراق بقديمه .. وقد حفزت هذه
المشيئة الخيرة وزارة الاعلام على رعاية « المورد » ، وتعزيز
مكانها الراهن في تاريخ الصحافة العراقية .

وبعد أن اجتازت هذه المجلة سنتها الاولى .. أصبحت
قادرة على توفير أسباب الالتحام بين أمجاد الاصول وحضارة
الفروع . وهي لذلك - كما قلنا في غير هذا الافتتاح - سعيدة
بتوجيه الدعوة الى ذوي الخبرة والاختصاص من العلماء
والادباء والمؤرخين والفنانين للتعاون معها على تنسيق الخطط
ورسم المناهج .. لتستوعب بحق المشاركة البارعة في
مضامير المعرفة تحقيقاً للانسجام بين موجبات الفكر وموجبات
الحياة^(١) .

والمورد اذ تفتح نوافذها للكلمة التي تنفع الناس ..
تمقت الوتائر الشكولة والمسارد الرتيبة ، وتلحن الحيات في
مواجهة التطور ، وتستردل الشتيمة ، وتستذنب العدوان ،
ولن تجنح الى الأراجيف . وهي بهذا السلوك الحميد ستعصم
رسالتها من الاستجمام طويلاً في المهابط والمحطات ، وستحقق
أهدافها غير حافلة بنعيب أو نقيق .

ومن هنا بهجتها بترحيل الدعوة الى رجال الفكر ، أينما

(١) المورد ١ (١٩٧١) ج ١ - ٢ ، ص ٦ .

كانوا ، وحيثما يمكن ، وعراقيين وعرباً ومستشرقين ،
للاسهم في تحريرها ، وتأييدها بالمحاولة المنهجية والبحث
الرصين والدراسة الموضوعية . . ضمن برنامج قوامه :

- ١ - الرصيد الثوري في التراث العربي .
- ٢ - التعريف بالمخطوطات العربية .
- ٣ - الرسائل التراثية المحققة تحقيقاً علمياً .
- ٤ - التعريف بخزائن الكتب الحافلة بالآثار الخطية
العربية .
- ٥ - الببليوغرافيات الخاصة بالتراث .
- ٦ - فهرس المخطوطات العربية .
- ٧ - الأبحاث الشاملة عن الوراقين والنسّاخ ، وأنواع
الحبر والكاغد والأقلام .
- ٨ - الآثار المجموعة التي ضاعت أصولها .
- ٩ - النصوص العربية الباقية في بعض المعالم الحضارية .
- ١٠ - نقد المخطوطات العربية المطبوعة .
- ١١ - الأبحاث الفنية المتعلقة بتحديد أعمار المخطوطات
وترميمها ، وأنواع الخطوط ، والتجليد ،
والتذهيب ، والتصوير .
- ١٢ - الدراسات الأكاديمية المترامية على الحضارة
العربية .
- ١٣ - المطارحات والمقابسات التراثية .
- ١٤ - الترجمات العربية لأرصن النتاج الاستشراقي .
- ١٥ - الوثائق التراثية على اختلاف منازعها .

وحيال هذا البرنامج سترحب « المورد » بنفائس
الدراسات والأبحاث والرسائل المحققة والوثائق التي تفصح
عن الجهد الصادق والمثابرة الجادة لدى جهابذة الفكر في
العراق والوطن العربي والمعاهد الاستشراقية والجامع
العلمية ، وهي بأزاء ذلك لن تضنّ بشواب ، بل تعاهد
التراثيين على الانطلاق قدماً من الحسن إلى الأحسن ، ومن
النافع إلى الأنفع ، ومن الوثبة إلى الطفرة . وأملها راسخ على
العون والمؤازرة والتوفيق والسداد .

الأبحاث والدراسات

أغربة العرب

بقلم الدكتور

محمد باقر علوان

استاذ الادب العربي في جامعة اندبانا
الولايات المتحدة

/ ٨٨٩ م (٦) ، والآلوسي (١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧ م -
١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م) (٧) .

ولكن ابا عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ هـ /
٧٢٨ م - ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م) ، على الرغم من انه
أكد ثلاثية عددهم ، اثبت اسماء يختلف شيئا ما
عن الاسماء التي اوردها ابن الكلبي . فقد جعل
ابو عبيدة الثلاثة : عنزة ، والسليك ، وعبدالله
بن خازم (٨) .

الا ان ابا جعفر محمد بن حبيب البغدادي
(ت ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م) احتج على ادخال عبدالله
بن خازم في صفوف اغربة العرب قائلا : « عبدالله
بن خازم اسلامي لا يعد من اغربة العرب ، ولو
عدناه لوجدنا مثله في الاسلام كثيرا » (٩) . ومن
هذا نستطيع ان نستنتج ان اغربة العرب ، في نظر
ابن حبيب البغدادي ، ينبغي لهم ان يكونوا جاهليين .
هذا ، وقد حدد عددهم باربعة ، كلهم من الجاهليين .
وهم : عنزة ، والسليك ، وخفاف ، والمنشتر بن
قاسط الباهلي (١٠) . ومن القريب جدا ان ابن
حبيب البغدادي الذي ذكر ستين رجلا من ابناء
الحبشيات في كتابه المحبر لم يذكر المنشتر الباهلي

مما لاشك فيه ان « اغربة العرب » كاصطلاح
ادبي يعني اولئك الشعراء والاعيان الذين ترجع
اصولهم الى العرق الزنجي . ومما لاشك فيه ان
كلمة « اغربة » (مفردا غراب) اشارة الى لونهم
الاسود (١) . وقد اختلف الكتاب العرب في عدد
واسماء هؤلاء السودان اختلافا كبيرا ، كما اوضح
ذلك ابو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ هـ / ٧٢٨ م
- ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م) في كتابه الموسوم بالنقائض (٢)
وفي هذا المقال نود ان نستقصي جميع الاخبار
الواردة في شأن اغربة العرب لمعرفة سبب تسميتهم
بهذا الاسم وعددهم واسمائهم على شيء من اليقين .

ان اقدم اشارة وصلتنا عن هؤلاء الاغربة
هي اشارة ابن الكلبي (ت ١٤٦ هـ / ٨٦٣ م) التي
ذكرها ابو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م -
٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) في كتابه الاغانى (٣) ، حيث قال
ان اغربة العرب ثلاثة وهم : عنزة بن شداد ، وامه
زبيبة ، وخفاف بن عمير الشريدي ، من بني سليم .
وامه ندبة (٤) ، والسليك بن السليكة السعدي ،
وامه السليكة واليها ينسب . وقد تبع ابن الكلبي
في هذا الامر ابو عمرو الشيباني (١٩٤ هـ / ٧١٣ م
- ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) ، حسب ما ذكر ابو عثمان
سعدان بن المبارك (ت ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) (٥) ،
وتبعه كذلك ابن قتيبة (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م - ٢٧٦ هـ

(٦) الشعر والشعراء ٢٥١ ، ٢٤١ ، ٢٦٥ .

(٧) بلوغ الارب ٢ : ١٢٦ .

(٨) النقائض ١ : ٢٧٢ .

(٩) نفس المصدر السابق .

(١٠) هكذا ورد اسمه في النقائض ١ : ٢٧٢ ، ولكننا لا نعرف
بين اغربة العرب منشتر بن قاسط . ومن الاكيد ، كما
سنرى ، ان للمنشر هنا هو المنشتر بن وهب بن مغلان
بن سلامة الباهلي .

(١) الشعر والشعراء ٢٥١ ، ٢٤١ ، ٢٦٥ .

(٢) النقائض ١ : ٢٧٢ ، وراجع ايضا : شعر خفاف بن
ندبة ٨ .

(٣) الاغانى (دار الكتب) ٨ : ٢٤٠ .

(٤) ندبة بفتح النون ويقال بضمها .

(٥) النقائض ١ : ٢٧٢ .

هذا ، ولا منتشر آخر (١١) . ومن الأكيد ان المخطوط الذي نشر عنه هذا الكتاب ناقص في مادته ، ودليلنا على هذا هو البياض الموجود في هذا المكان من الكتاب بالذات (١٢) .

اما رأي ابن الاعرابي (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م - ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) الوارد في نوادره فقد وصلنا في روايتين : الاولى عن طريق ابن سيده (٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م - ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) في المحكم فابن منظور (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م - ٧١١ هـ / ١٣١١ م) في لسان العرب (١٣) ، والزبيدي (١١٤٥ هـ / ١٨٢٢ م - ١٢٠٥ هـ / ١٧٠٩ م) في تيساج العروس (١٤) . والثانية عن طريق السيوطي (٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م - ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) في الزهر (١٥) . وبين الروايتين اختلاف يسير ، لكنه مهم جدا ، فقد وضع ابن سيده في نقله تأبط شرا والسنفري بين الاسلاميين ، بينما وضعهما السيوطي بين الجاهليين . ونحن نعرف من عشرات الاشارات ان تأبط شرا والسنفري جاهليان ، ولا يعقل ان يعتبرهما ابن الاعرابي من الاسلاميين ، وهذا هو السيوطي الذي نقل عن نوادر ابن الاعرابي راسا يؤكد ورودهما هناك على انهما جاهليان . فابن الخطا اذن ؟ وكيف حدث ؟

يظهر لنا ان الخطا قد وقع في نص المحكم لابن سيده . وهذا قد يرجع الى سببين : الاول ، تلاعب الناسخ او النساخ في اصل كلام ابن سيده ، والثاني ، ابن سيده نفسه ، سهوا او عمدا (على الاكثر سهوا) قد نقل ، خاطئا ، كلام ابن الاعرابي . ايا كان الامر ، فاذا جعلنا تأبط شرا والسنفري بين الجاهليين تكون رواية ابن الاعرابي عن اغربة العرب كما يلي :

- ١ - الجاهليون : عنتره ، وخفاف ، وابوعمر بن الحباب ، والسليك ، وتأبط شرا ، والسنفري .
- ٢ - المخضرمون : هشام بن عقبة بن ابي معيط .
- ٣ - الاسلاميون : عبدالله بن خازم ، وعمر بن ابي عمير بن الحباب ، وهمام بن مطرف التغلبي ، والنتشر بن وهب الباهلي ، ومطر بن اوفى المازني ، وحاجز الازدي .

ولكن يظهر لنا ان الكتاب اللين كتبوا في هذا الشأن بعد ابن الاعرابي قد استكثروا هذا العدد . فالتمالي (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م - ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) لا يذكر الا اربعة منهم ، وهم : عنتره ، وخفاف ، والسليك ، وعبدالله بن خازم (١٦) ، بينما يذكر عبدالقادر البغدادي (١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م - ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م) خمسة اغربة ، وهم : عنتره ، والسليك ، وابو عمير بن الحباب ، وخفاف ، وهشام بن عقبة بن ابي معيط (١٧) .

فهذا ما ذكره الاقدمون عن اغربة العرب ، ولكنه من الجدير بالذكر ان المبرد (٢١٠ هـ / ٨٢٦ م - ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) هو الوحيد الذي سمى هذه المجموعة من الشعراء العرب « غربان العرب » (١٨) لا « اغربة العرب » . ومن الواضح ان هذه التسمية الجديدة كانت تجاوزا منه . فالعرب قد فرقوا ، الى حد ما ، بين كلمة « غربان » وكلمة « اغربة » ، فأصبحت « غربان » (جمع غراب) تعني هذا النوع المشهور من الطيور ، وأصبحت كلمة « اغربة » (التي هي جمع قلة للغراب) تعني هذه المجموعة من الشعراء الزنوج اللين تكلمنا عليهم ، وبهذا أصبح للكلمة مدلول ادبي خاص ، كما ذكرت القواميس العربية .

ولا يسعنا ، ونحن نتحدث عن « اغربة العرب » ، الا ان نستغرب ان الجاحظ (١٦٣ هـ / ٧٨٠ م - ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) ، الذي اهتم بالزئوج واشعارهم وعدد سبعة وعشرين شخصا منهم في كتابه « فخر السودان على البيضان » ، لا يذكر هذا الاصطلاح الادبي في كتبه .

من كل ما تقدم نستطيع ان نقول ، وبشيء من اليقين ، على ان الاصطلاح « اغربة العرب » كان اصطلاحا ادبيا اطلق على أشهر أبناء الحبشيات من الشعراء والاعيان في البداية ، ثم تطور الى شمله شعراء آخريين من الدرجة الثانية ، وبهذا أخذ التعبير يضم مجموعة لا بأس بها من الشعراء اللين يتصفون باشياء مشتركة من بينها سواد لونهم . وبقي التعبير محصورا في هؤلاء الشعراء دون غيرهم من أبناء الحبشيات . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فنحن نستطيع ان نتأكد على ان تسرب اللون الاسود الى هؤلاء الشعراء قد جاء عن طريق

(١٦) نمار القلوب ١٥٩ - ١٦٠ .
(١٧) خزنة الادب ٢ : ٤٧٣ .
(١٨) الكامل ١ : ٢٤١ ، ٢ : ١١٨ .

(١١) المعبر ٢٠٦ - ٢٠٩ .
(١٢) المعبر ٢٠٩ .
(١٣) راجع فيه مادة (غرب) .
(١٤) راجع فيه مادة (غرب) ، وراجع ايضا رغبة الامل ٢ : ٦٦ .
(١٥) الزهر ٢ : ٢٣١ .

امهاتهم (١٩) ، اللواتي كن اماء . وقد اثبتنا في
الجدول التالي اغربة العرب مع ذكر امهاتهم
وعصرهم حسب التسلسل الابجدي :

الشاعر	امه	عصره
ابو عمر بن الحباب السلمي	غير معروفة	جاهلي
تابط شرا	اميمة	جاهلي
حاجز الازدي	غير معروفة	اسلامي
خفاف بن ندبة السلمي	ندبة	مخضرم
الليك بن السلعة السعدي السلعة		جاهلي
الشنفرى	غير معروفة	جاهلي

(١٩) الشعر والشعراء ٢٧٤ ، ثمار القلوب ١٥٩ - ١٦٠ ، رغبة
الامل ٢ : ٦٦ ، لسان العرب (غرب) ، تاج العروس
(غرب) ، الشعراء الصعاليك ١٠٨ - ١١٤ .

الشاعر امه عصره

عبدالله بن خازم	عجلى	اسلامي
عمر بن ابي عمر بن		
الحباب السلمي	غير معروفة	اسلامي
عنتر بن شداد	زبيبة	جاهلي
مطر بن اوفى المازني	غير معروفة	اسلامي
المنشور بن وهب الباهلي	غير معروفة	اسلامي
هشام بن عقبة بن ابي معيط	غير معروفة	مخضرم
همام بن مطرف التغلبي	غير معروفة	اسلامي

هذه مقدمة قصيرة عن اغربة العرب ، نتمنى
اننا سنستطيع القاء اضواء جديدة على شخصياتهم
ومميزات الشعرية والادبية والاجتماعية في
المستقبل .

مصادر البحث :

- ١ - الاغانى لابي الفرج الاصفهاني . القاهرة :
دار الكتب ، ١٩٢٧/١٣٤٥ .
- ٢ - بلوغ الارب في معرفة احوال العرب للالوسي .
تحقيق محمد بهجة الاثري . الطبعة الثالثة .
القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، د.ت .
- ٣ - تاج العروس في شرح جواهر القاموس
للزبيدي . القاهرة ، المطبعة الخيرية .
١٣٠٦ - ١٣٠٧ .
- ٤ - تاج العروس للزبيدي . تحقيق عبدالستار
احمد فراج وآخرين . الكويت ، مطبعة
حكومة الكويت ، ١٩٦٥/١٣٨٥ - ١٣٩٠ /
١٩٧٠ .
- ٥ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للشعالبي .
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ،
دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٣٨٤ /
١٩٦٥ .
- ٦ - خزانة الادب ولب لباب لسان العرب لعبد
القادر البغدادي . القاهرة ، بولاق ، ١٢٩٩ .
- ٧ - رغبة الامل من كتاب الكامل للمرصفي .
القاهرة ، مطبعة النهضة ، ١٩٢٧/١٣٤٦ -
١٩٢٩/١٣٤٨ .

- ٨ - شعر خفاف بن ندبة السلمي . تحقيق نوري
حمودي القيسي . بغداد ، مطبعة المعارف .
١٩٦٨ .
- ٩ - الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق احمد
محمد شاكر . القاهرة ، دار المعارف ،
١٩٥٨ .
- ١٠ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ليوسف
خليف . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ .
- ١١ - الكامل للمبرد ، تحقيق محمد ابو الفضل
ابراهيم والسيد شحاته . القاهرة ، مطبعة
نهضة مصر ، ١٩٥٦ .
- ١٢ - لسان العرب لابن منظور . القاهرة ، بولاق ،
١٣٠٠ - ١٣٠٨ .
- ١٣ - المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي . تحقيق
ايلزه ليختن شتير . حيدر آباد الدكن ،
١٩٤٢ / ١٣٦١ .
- ١٤ - المزهري في علوم اللغة وانواعها للسيوطي ،
تحقيق محمد احمد جاد المولى وعلي محمد
البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم .
القاهرة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ،
د.ت .
- ١٥ - نقائض جرير والفرزدق . تحقيق بيفان .
لايدن ، بريل ، ١٩٠٥ - ١٩١٢ .

دراسة تحليلية للغة صر المعمارية والزخرفية والكتابية

لمحراب المصلى في الجامع النوري بمدينة الموصل

بقلم

نجاة الحاج يوسف الترنوي

ماجستير في الآثار الإسلامية - بغداد

الصلاة ، وهذا المحراب مؤرخ ويرجع تاريخه لسنة ٥٤٣ هـ وقد حفر عليه اسم صانعه وهذا التاريخ لا يناسب بناء الجامع لانه ابتدا في بنائه سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م وكمل سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م . نلاحظ ان اتجاه القبلة في هذا الجامع منحرف نحو الجنوب الغربي بمقدار ١٠° بينما اتجاه القبلة الحقيقي في مدينة الموصل ٩° غربي الجنوب (شكل ١) .

الشكل الحالي للمحراب :

بني المحراب من عدة قطع من الرخام الازرق وقد وضع الجص كمادة لاصقة بينها ، والمحراب الان مطلي باللونين الذهبي والفضي . ولم يكن قديما مثل ما هو عليه في الوقت الحاضر ، فمن مقارنته بالصورتين (١ ، ٢) ظهر لنا ان بعض الاجزاء اصلية وبعضها مضافة ثم انتزعت منه فيما بعد .

ولدراسة هذا المحراب في هاتين الصورتين (الاولى اخذت قبل ترميمه الاخير ، والاخرى على ما عليه الآن) نلاحظ ان شكل تجويف المحراب عبارة عن شبه مستطيل (شكل ٢) وعمقه الكلي ٥٢ سم (شكل ٣) وشكل واجهاته عبارة عن ثلاثة مستطيلات متتابة ، المستطيل الخارجي ارتفاعه ٢٠ و ٤٠ م وعرضه ٤٠ و ٢ م ، وارتفاع المستطيل الوسطي ٣ م وعرضه ٦٦ و ١ م ، وارتفاع المستطيل الداخلي ٢ م وعرضه ٨٧ سم . (شكل ٤) .

وقد احتوى المستطيل الخارجي على شريط كتابي عرضه ٣٧ سم يحف بالمحراب من ثلاث جهاته مسجل عليه بالخط الكوفي المعروف آية من القرآن

محراب (١) المصلى :

يقع هذا المحراب اليوم في مصلى جامع النوري (٢) بمدينة الموصل في منتصف جدار القبلة وهو يواجه الداخل من الباب الوسطي (الباب الرئيسي) ويعرف بمحراب الشافعية لانه كان مبنيا في الجانب المخصص لمصلى مذهب الشافعية في بيت

(١) المحراب : اخذت لفظة محراب على ما اعتقد من شبه الجزيرة العربية وقد جاءت هذه اللفظة خمس مرات في القرآن الكريم ، وفي كثير من آيات الشعر الجاهلي . اما اصل المحراب المجوف ، فقد ذكر بعض المستشرقين انه اشتق اما من الكنائس المسيحية او من الهياكل اليهودية او من المذابح القبطية ، وقد اشار الدكتور احمد فكري الى ان حاجة المسلمين له دفعتهم الى ابتكار المحراب المجوف ، وان فائدته انما هي لدخول الامام فيه اثناء اقامة الصلاة ليركض المجال لصف كامل لمصلي الصلاة داخل المصلى عوضا عن صلاتهم في الفناء ، حيث صعوبة الحر والبرد . انظر مقالة الدكتور احمد فكري : بدعة المحارب في مجلة الكاتب المصرية المجلد الرابع العدد ١٤ ص ٢٠٦ - ٢٢٠ و كتابه (مسجد القيروان) ص ٥٤ . واعتقد ان الفائدة الثانية للمحراب هي لتحديد اتجاه القبلة ، والوظيفة الثالثة لتضخيم صوت الامام اثناء تاديت الصلاة لكي يسمعه كافة المصلين .

(٢) امر بانشاء هذا الجامع السلطان نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي والسبب في انشائه انه شاهد بنفسه ما يعانيه المصلون من الازدحام والضيق اثناء اقامة الصلاة في الجامع الاموي ، ولم يكن في الموصل جامع غيره فقرر على انشاء هذا الجامع .

انظر كتاب ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٤٧ ، وابن الاثير : الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٥٤ ، وابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٩ ، والعمرى : منية الادباء ص ٢٠٤ ، وسليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢١٨ .

الكريم (سورة ١) ويبدأ هذا الشريط من الجانب الايمن للمتجه نحو المحراب وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى قلبك وجهك في السماء) . وفي القسم العلوي : (فلنولينك قبلة ترضاها فول) وفي الجانب الايسر (وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (٣) (شكل ٤) .

واسفل القسم العلوي من الشريط الكتابي شريط كتابي آخر عرضه ٥٤ سم ، عليه الآية التالية (كلما دخل عليها زكريا المحراب) (٤) . اما المستطيل الاوسط ففي داخله عقد زخرفي مدبب مسطح ارتفاعه ٥٧ سم وسعة فتحته ٨٨ سم وقد حفرت عليه زخارف نباتية بارزة عن سطح المحراب بنسب متفاوتة بين ٣-٦ سم والزخارف المحفورة عليه هي فروع نباتية ووريقات صغيرة ، ويحيط بالمعقد من ثلاث جهاته اطار زخرفي ارتفاعه ٨٨ سم وقد حفرت عليه زخارف نباتية تشبه زخارف العقد ولكنها اقل بروزا منها حيث يتراوح البروز بين السنتيمتر الواحد الى الثلاثة سنتيمترات (صورة ٢) ويستقر العقد على عمودين مضلعين ارتفاع كل منهما ١٢٣ سم .

اما المستطيل الداخلي : فيتمثل في تجويف المحراب وقد تألف من لوحة مستطيلة واقعة في صدر التجويف ويحيط بهذه اللوحة شريط كتابي عرضه ٥١ سم مكتوب بالخط النسخي وقد سجل عليه البسمة والآية ١٨ من سورة التوبة وسنة صنعه واسم صانعه ، وهذا الشريط يحيط بمعقد زخرفي مدبب ارتفاعه ٢٣ سم وسعة فتحته ٢٦ سم ويرتكز على اعمدة مستديرة ارتفاعها ١٤٠ سم وتيجانها وقواعدها ناقوسية ولكن الاخيرة وضعيا معكوس . ويحيط بالمعقد اطار حفر عليه وعلى المعقد زخارف نباتية تشبه زخارف العقد الخارجي والاطار المحيط به ، ولكن زخارف العقد والاطار الداخلي متفرقة اكثر من الخارجي وتمتد هذه الزخرفة بين العمودين الى اسفل اللوحة .

وعلى جانبي التجويف لوحتان مستطيلتان عرض كل واحدة منهما ٣٤ سم وارتفاعها ٢٠ سم ويتوسط اللوحتين شريط زخرفي عرضه ١٩ سم حفرت عليه زخارف هندسية تمثل اشكالا نجمية (صورة ٣) .

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٢ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٢٧ .

المحراب قبل ترميمه الاخير :

المحراب في الوقت الحاضر يختلف كثيرا عما كان قبل الصيانة ، فنلاحظ عوضا عن الشريط الكتابي الذي يحيط بالمحراب من ثلاث جهاته ، انه كان يتألف من عدة لوحات رخامية تختلف كل واحدة بزخارفها عن الاخرى وهذه اللوحات غير منسجمة مع بعضها ، ففي الجانب الايمن للمتجه نحو المحراب نلاحظ اللوحة السفلى (المرقمة ١) من (الشكل ٥) و (الصورة ٤) قد سجلت عليها البسمة بالخط الكوفي المورق ويعلوها عدة قطع من الرخام غير متناسقة مع (اللوحة ١) ويعلو هذه اللوحة مباشرة (لوحة ٢) وقد حفرت عليها زخارف نباتية بشكل وريقات صغيرة وفروع نباتية متصلة مع بعضها وفوق هذه اللوحة قطعة رخامية اخرى عليها شريطان من الكتابة يبدأ الشريط الخارجي من اللوحة (رقم ٣) من الاعلى الى الاسفل (٥) والشريط الداخلي (رقم ٤) يتجه بعكس الشريط السابق ، وهذه القطع غير كاملة ومن اجزاء مختلفة ومتفرقة من آيات قرآنية (٦) .

اما القسم العلوي من الاطار فقد تألف من عدة لوحات ، ثلاث منها مزخرفة (رقم ٦ ، ٧ ، ٨) والباقية خالية من الزخرفة ، فاللوحة المرقمة (٦) احتوت على مربع حلي بزخارف نباتية ، اما اللوحة الوسطية المرقمة (٧) فقد حفر عليها اطار مستطيل حفر في داخله زخارف نباتية ، وهذا الاطار يحيط بعمود حلزوني يعلوه تاج ناقوسي وقد حفر عليه ورقة واحدة وفروع نباتية . اما اللوحة (المرقمة ٨) فقد حفر عليها شكل عقد زخرفي مدبب حفر في داخله اشكال مقرنصات . ويستقر هذا العقد الزخرفي على عمودين زخرفيين والمسافة بينهما ملئت بفروع نباتية ، واما باقي اللوحات فقد زالت زخارفها .

واسفل هذه اللوحة شريط كتابي (المرقم ٦) سجل في الجهة اليمنى منه جزء من آية قرآنية (٧) .

(٥) الشريط الخارجي كتب عليه جزء من آيات متفرقة هنا نصها : (الذين يعلمون) .. (الكتاب يعرفون) . ومن سورة الانعام الآية ٢٠ وهذا نصها (الذين آتيناها الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم .. وان فريقا منهم) . ومن سورة البقرة الآية ١٢٦ وهذا نصها : (وان فريقا منهم ليكنتمون الحق وهم يعلمون) .

(٦) الآية ١٢٠ من سورة البقرة وهذا نصها (وما الله بغافل عما تعملون) وتكملة الشريط (الذين افتوا لله ...) .

(٧) على الجهة اليمنى من الشريط بعض الكلمات زائلة اما تكملة الآية القرآنية الكريمة فهي (يعلمون .. وآتيناها ... يعلمون) .

ويشتمل هذا الشريط في الجهة اليسرى من المحراب بشريط أصفر حجما وقد سجل عليه جزء من آية قرآنية ولكنها بشكل معكوس (٨) .

أما الجانب الأيسر من المحراب فالقسم العلوي احتوى على شريطين من الكتابة بينهما فراغ ، وقد تألف كل شريط من عدة قطع عليها بعض الأجزاء المتفرقة من الآيات القرآنية الكريمة ، فالشريط الخارجي (اللوحة ١٤) تبدأ قراءته من الأسفل إلى الأعلى (٩) أما الشريط الداخلي (اللوحة ١٣) فأتجه الكتابة من الأعلى إلى الأسفل بعكس الشريط السابق (١٠) (صورة ٤) . وأسفل هذين الشريطين لوحة مستطيلة (المرقمة ١٥) تشبه اللوحة الزخرفية (المرقمة ٢) على الجانب الأيمن ولكن الأخيرة أكبر حجما من الأولى ، وأسفل هذه اللوحة لوحة أخرى مستطيلة الشكل (المرقمة ١٦) سجل عليها بالخط الكوفي المورق ما هذا نصه (ما وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

نلاحظ أن هذه اللوحات في الإطار الخارجي قد انتزعت من مكانها وأكمل الشريط الكتابي المسجل بالخط الكوفي المورق كما هو واضح في (الصورة ١) أما باقي أجزاء المحراب فلم يحدث به أي تغيير .

الأجزاء الأصلية في المحراب :

أن الأجزاء الأصلية للمحراب التي يرجع زمنها لسنة ٥٤٣ هـ وكما في (الشكل ٦) هي :-

١ - اللوحة المستطيلة الواقعة في صدر تجويف المحراب أحيط بها شريط كتابي مسجل بالخط النسخي ، ويبدأ من الجانب الأيمن للمتجه نحو المحراب وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإني أعظم مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة) ويمتد الشريط في القسم العلوي من اللوحة (فعلى أولئك أن

(٨) وينتهي هذا الشريط في الجهة اليسرى بشريط أصفر حجما والكتابة غير واضحة ماعدا (المسند الحر ...) .

(٩) الشريط الخارجي : الكلمات غير متفرقة وغير واضحة (جلل من العلم يكبل أيدهما - اتبعوا فلك الله مع الظ) .

(١٠) الشريط الداخلي : المعنى غير واضح والكلمات متفرقة وهذا نصه (المن - الظالمين - الذين - لسنة - تابع - قبلتهم) واعتقد أن هذا الشريط كان من عدة قطع تم جمعت ولكن بدون إعطاء أي معنى له .

يكونوا من المهتدين) (١١) ، ويستمر الشريط الكتابي على الجانب الأيسر (عملت هذه القبلة في جمدي الأول سنة ثلث وأربعين وخمس مائة صنعه د... د البغدادي) (صورة ٥٥) .

وفي القسم العلوي من اللوحة نلاحظ عقداً زخرفياً مديباً ، يحيط به إطار حفر عليه فروع نباتية ووريقات صغيرة جداً ويستقر العقد على عمودين زخرفيين ويعملو بدن كل منهما تاج ناقوسي وقاعدة ناقوسية ولكن وضع الأخيرة معكوسة ، انظر الصورة السابقة .

٢ - العقد الخارجي والإطار المحيط به وقد وصفته قبل قليل .

الأجزاء المضافة للمحراب :

١ - تكلمة الإطار الكتابي الخارجي المسجل بالخط الكوفي المورق ، وقد انتزعت القطع الرخامية غير المنسجمة من هذا المحراب (انظر صورة ٤) .

٢ - العمودان الخارجيان اللذان ارتكز عليهما العقد الخارجي وشكل كل واحد منهما مضلع له خمسة أوجه عرض كل وجه ١٠ سم وقد حفر على كل وجه وريقات صغيرة وفروع نباتية وهذه الفروع شبه بيضوية .

٣ - اللوحتان المستطيلتان الواقعتان على جانبي التجويف ، وقد حفر على كل منهما أشكال معينة متقاطعة مع أشكال نجمية وفي داخل كل منهما نقط وخطوط وهاتان اللوحتان تختلف بزخارفهما عن باقي أجزاء المحراب القديمة . (صورة ٣) .

ويتضح لنا من هذا العرض أن بعض اللوحات التي كانت تشغل الإطار الخارجي للمحراب قبل ترميمه الأخير كثيرة الشبه بزخارفها مع الأجزاء الأصلية من المحراب - أي اللوحة الواقعة في صدر التجويف والعقد الخارجي والإطار المحيط به - ويحتمل أن اللوحتين الرخاميتين الموجودتين على جانبي المحراب (اللوحتان ٢ ، ١٥ من الشكل ٥) حفرتا في عهد بناء الأجزاء القديمة من المحراب ، واعتقد أنهما نقلتا من الجامع الأموي كذلك أثناء نقل المحراب .

أما الأشرطة الكتابية (اللوحات ٣ و ٤

(١١) سورة التوبة : الآية ١٨ .

و ١١ و ١٣ و ١٤ من الشكل ٥) والتي وضمت لتكملة الاطار الخارجي فانها غير منسجمة مع الاجزاء الاخرى من المحراب وهي عبارة عن اجزاء صغيرة حفرت عليها آيات متفرقة من القرآن الكريم وهذه الاشرطة لم تصنع خصيصا لهذا المحراب لان وضعها غريب وتختلف عن الشريط الخارجي المكتوب بالخط الكوفي المورق .

اما اللوحات الثلاث الزخرفية الواقعة في القسم العلوي من الاطار الخارجي (المرقم ب ٧ و ٨ و ٩ من الشكل السابق) فاعتقد انها ترجع الى عهد بناء المحراب لتشابهها في الزخرفة .

واما الشريط الكتابي الخارجي المكتوب بالخط الكوفي المشجر الذي احتوى على جزئين (الرقم ١ و ١٦ من الشكل السابق) جزء كتبت عليه البسمة ، وآخر يقع في الجانب الايسر عليه جزء من آية قرآنية هذا نصها : (.. م وحيث ما كنتم فولوا وجوه ..) ، ويلاحظ ان هذا الشريط نقل من مكان آخر ووضع فيه جزءان غير ملتئمين الان ، لان القسم الاسفل من اللوحة اليسرى مقصوص والآية غير كاملة وكلمة (وجوهكم) مشطوبة وناقصة وكذلك في الجانب الايمن حرف (الباء) من كلمة (بسم) قد قطعت . اما العمودان الخارجيان الواقعان على جانبي التجويف فتختلف زخارفهما عن الاجزاء القديمة وهما غير منسجمين مع باقي اجزاء المحراب مما يدل على انهما قد جلبا

من محل آخر ، والدليل على ذلك ان قاعدتي العمودين مقصوستان وقد وضع فوق التاجين قطعتان غير مزخرفتين من الرخام لاستكمال طول العمود حتى يصل الى قاعدة عقد المحراب فهذه الاعمدة كانت معدة لرفع عقد آخر لا لرفع هذا العقد .

ونلاحظ ان الزخارف المحفورة على القاعدتين والتاجين تختلف عن بدن العمودين ، فالزخارف كثيرة الشبه مع الاجزاء القديمة من المحراب . مما يرجح انهما من عصر واحد وان العمودين احدث عهدا منهما .

ونشاهد من الشريط الكتابي المحيط بصدر تجويف المحراب ان الفنان اغفل فقرة من الآية وهي (واقام الصلاة وآتى الزكاة) ثم اصلح خطاه فيما بعد مما اضطره الى وضعها فوق عبارة (الاخر ولم يخش) .

اما اسم الصانع فقد بقي حرفان منه وهما د .. د وقد قراهما الاستاذ الديوهجي سنقر (١٢) ومنهم من قراهما سيف (١٣) اما في ملف مديرية الآثار فقد سجل الاسم على انه داود (١٤) ، وانني ارجح الرأي الاخير لان المافة بين د .. د لا تستوعب اكثر من حرفين .

(١٢) و (١٣) الديوهجي : جوامع الموصل ص ٢٢ .

(١٤) ملف مديرية الآثار رقم ٢٥/٢٢ .

الوجدان العربي في شعر الفتح الأموي

بقلم

عبد الجبار دار البصري

رئيس تحرير مجلة الاقلام - بغداد

طيلة القرون التي سبقت الاسلام ولكنه كان مجتمعا عوامل توحيده اكثر من عوامل تمزقه .. هنالك شعب واحد هم العرب وينقسمون الى العرب العاربة والعرب المستعربة ، وهنالك لغة واحدة ، رغم الفروقات الطفيفة في اللهجات ، وعادات وتقاليد واحدة ، وعقيدة دينية واحدة تنحدر اصنامها من رحم واحد ، ومن حين لآخر يضمهم اطار سياسي واحد من أقصى الجزيرة الى أقصاها فقد قيل أن شعر يرفع من ملوك حمير وطى أرض العراق وفارس وخراسان وفتح مدائنهم وحرب مدينة صفد وراء نهر جيحون ثم بنى مدينة هناك عرفت باسمه هي مدينة سمرقند ، وقيل أن أبا كرب وهو من ملوك حمير أيضا غزا الديرجان وهزم ملك الفرس وقتل ملك سمرقند وعسائت جيوشه في بلاد الصين وعادت محملة بالفنائم كما حاصرت جيوشه رومة وادت له القسطنطينية الجزية (١) .

ويبدو أن تمزق هذا المجتمع كان يقع من حين لآخر بسبب الصراع السياسي بين الكتلتين الفارسية والرومانية اللتين تتنافسان على ضمهما الى مناطق نفوذهما . فالجزء الملاق للدولة البيزنطية كان امانة عربية « الفساسنة » مهمتها حراسة حدودها والقيام بدور الحاجز ، والجزء الملاق للدولة الفارسية كان امانة عربية « المائدة » مهمتها مهمة اختها .. والجدير بالذكر ان الصهاينة يريدون ان يلعبوا مع عرب فلسطين نفس اللعبة القديمة . وكما يستفيد المستعمرون اليوم من البعثات التبشيرية لاغراض التجسس والتدخل بالشؤون الداخلية كذلك كان صنع اسلافهم ففي كتب التاريخ ان ملوك الروم كانوا يصلون اسقف نجران ويهبونه الاموال ويتراسلون معه وقد بنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات (٥) وقد تعرفت نجران ذات يوم لما تكره لفر احداهم حاملا معه نسخة محروقة من الانجيل الى بيزنطة فكانت مناسبة تنتظرها لتوقع الى امر الحبشة المسيحية وهو من الكتلة البيزنطية للهجوم على اليمن ، ومثل هذه الحادثة حوادث حفظ التاريخ بعضها واضاع بعضها الاخر .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمعا اميا بحضره وبدوه بل كان

التعريف بالوجدان العربي في شعر الفتح الاموية يفترض العلم ب : أولا : المجتمع العربي الاموي الذي انتج الشعر وهو مرتبط باصوله وفي حالة صيرورة .. ثانيا : الفتح .. طبيعتها وتعدد جبهاتها وشعرها .. ثالثا : الموهبة المطاء التي تفاعلت مع الفتح . ومن هنا يجيء انقسام هذه الدراسة الى ثلاث صنف ..

الصحيفة الاولى - العروبة

١ - عروبة الجاهلية :

لا يصح اعتبار المجتمع العربي قبل الاسلام مجتمعا همجيا تعيش قبائله على النهب والسلب وتربط بين هؤلاء الاعتبار وبين عبادة الاصنام والاولئان ونيرر احدهما بالآخر ، لان مجتمعات اخرى كانت وثنية ولكنها لم تكن بالضرورة متوحشة كالافريق . وان الاصنام والاولئان لا تعكس بالضرورة عقلية قائمة معاصرة لها فمن المحتمل ان يكون هبل ، ومناة «القدر» ، واللات «ربة الشمس» ، والعزى «نجمة الصباح» (١) ونسرا ، وسواها رواسب عقلية سابقة ويظن انها متبقيات من عصور الديانة الطوطمية حيث كان لكل قبيلة رمز مستمد من الطبيعة تنسب له وتعرف به ، وحتى قريش انما جاء اسمها نسبة للقرش الذي يظن انه كان طوطمها (٢) . وقد ذكر نفر من المؤرخين ان العرب كانوا قوة من القوى العظمى على الارض طوال الالف سنة التي سبقت الاسلام ، ولم ينشأ وهم الناس في همجية العرب قبل ظهور محمد عن سكوت التاريخ فقط بل نشأ ايضا عن عدم التفريق بين اهل البدو واهل الحضرة من العرب - والاعراب قبل محمد وبعده اجلاف كاجلاف الامم الاخرى الذين لم يكن لهم تاريخ ولا حضارة (٣) .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمعا ممزقا وقبائل متنافرة

- (١) حضارة الاسلام - جوستاف جرونباوم - ترجمة عبد العزيز جاويد ص ٩٥ .
- (٢) محاضرات في تاريخ العرب - د . صالح احمد الملسي ط ٢ ص ١٠٤ .
- (٣) حضارة العرب - جوستاف لوبون - ترجمة عادل زمير ط ٢ ص ٨٨ .

- (٤) تاريخ الاسلام - د. حسن ابراهيم حسن ج ١ ص ٢٠ ط ٢ .
- وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧ .
- (٥) لجر الاسلام - احمد امين ص ١٢٠ .

سكان المدن على حظ لا بأس به من الثقافة وقد تسربت اليهم المديتات المجاورة من خلال ثلاثة مسارب : التجارة وامارات التخوم والديانة اليهودية والنصرانية (٦) . وقد كانت دول معين وسبأ وحمر تعرف القراءة والكتابة ، والمناذرة كانوا يشتغلون بتعليم القراءة والكتابة (٧) وكانت مكة مدينة مثقفة بدليل ان الرسول عهد الى اسرى بدر الذين عجزوا عن دفع الفداء ان يعلم كل منهم عشرة من ابناء المسلمين (٨) . ويروى عن ابي عمرو بن العلاء قوله : ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا افله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمع لصوص وقطاع طرق ولكنه كان مجتمعا تجاريا في جانب منه ، واقطاعيا عبوديا في جانب اخر ، وقبليا شبه اقطاعي في جانب ثالث . فهو بحكم موقعه كان يسيطر على طرق المواصلات بين كلتي الروم والفرس من ناحيتي البر والبحر وهذا الموقع فرض على قسم من العرب ان يكونوا تجارا وان يكونوا حلقة وصل بحيث لا يصح القول انهم كانوا امة منزلة يحصرها البحر من جانب والصحراء من جانب ويجعلانها منقطعة عن غيرها (٩) . وكانت المعرفة بطرق المواصلات وتملك وسائل النقل البرية « القوافل » كقيلة بان تبوء صاحبها اعلى درجات السيادة والشرف فقرش لم تفرض سيادتها على العرب الا بسبب رحلتى الصيف والشتاء ، وبنو عبد مناف الاربعة لم يفرضوا هيبتهم على قرش الا بسبب التجارة فلقد كان هاشم يتوجه الى الشام ، وعبد شمس الى الحبشة ، والمطلب الى اليمن ، ونوفل الى فارس (١٠) . وقد جاء في بعض كتب التاريخ « كان الملوك تجارا يبيعون ويشتررون » وكان رؤساء المعابد تجارا يتاجرون باسم معابدهم ويكسبون من الضرائب التي تقدم لمعابدهم كبا قاحشا ، وكان اصحاب الاملاك ورؤساء المشائر تجارا كذلك يتاجرون بما يقدمه اليهم من هو دونهم في المنزلة من حاصل وغلة (١١) .

وتحدثنا كتب التاريخ ان هذا المجتمع كان يحكم حكما مزدوجا دينيا ودنيويا فكان الحاكم كاهنا يحكم الارض باسم السماء ولهذا كانت دار الحكومة ممبدا تقام فيها الاحتفالات والطقوس وتقدس الالهة وتقدم القرابين والاضاحي لها (١٢) . كما امتلكت المعابد ارضين واسعة استغلتها باسم الالهة ودرت عليها ارباحا طائلة وكانت لها مخازن كبيرة تخزن فيها الحاصلات والنور ثم تباع او توزع على الموظفين وكثرا ما اجرت المعابد اراضيها للاسر الكبيرة من سادة القبائل .

وقد عرفت دول المدن العربية وراثة المهد فكانت المشيخة او الامارة تنتقل الى الابناء ويتولاها الابن الاكبر في الغالب (١٣) . وكانت هذه المشيخة مقيدة بمجلس مدينة بحيث لا ينفرد الحاكم بحكمه ولا تشد عن ذلك حتى مكة فلقد كان قصي الذي تأسر عليها بعد تغلبه على خزاعه يستعين على ادارتها بدار الندوة وهو الذي امر ببناء الدور حول الكعبة والمصلى بعد ان كانت

خياما وهو الذي استن سنة تسليم اللواء وحين كبر ورق عظمه اورثها ابنه عبدالدار بقوله : اما والله يا بني لالحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له ولا يعقد لقرش لواء لحربها الا انت بيدك تعقده ، ولا يشرب احد بمكة الا من سقابتك ولا ياكل احد من اهل الموسم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قرش امرا من امورها الا في دارك (١٤) .

ولم تكن مجالس المدن منتخبة ، وليس للشعب رأي في عضويتها ولكن العضوية فيها تأتي بقوة بسبب نراء الفرد او رئاسته العشائرية او انه من اهل العقل والساد (١٥) . اما عن الاقطاع في المناطق الصالحة للزراعة فلقد كان للاقطاعيين قصور ضخمة وفلاع مشيدة ولعل ما يعرف بالخورنق وغمدان والحضر وسواها انما هي بعض فلاعهم . وكان اكثر الفلاحين لا يملكون ارضا وانما كانوا يؤجرونها ويكثرونها من الحكومة او المعابد والاقبال (١٦) وسادات القبائل وقد تسبب اشتطاط اصحاب الاملاك وتصفهم بالكثيرين واستغلالهم في قسمة الحاصل وتوزيعه الى وقوع حوادث مؤسفة (١٧) وكان للسيد حق فرض اية عقوبة يراها على من يرفض العمل ويخلع طاعته . وقد بلغ الامر باحدهم ان جعل حمايته تشمل كل انواع الوحش حتى كان يقول : وحش ارض كذا في جوارى فلا يصاد . . واصبح الناس لا يرعون ابلهم مع ابله ولا يوفدون نارا مع ناره ولا يجزؤ احد ان يمر بين بيوتهم (١٨) .

وكانت الاقطاعيات تمنح باحد الاساليب التالية كان تعيين الحدود بجري فرس ، او برمية سهم من قوس ، او بمقدار ما يسمع منه عواء كلب وقى على ذلك (١٩) .

وكانت نظرة السيد الى الفلاحة نظرة ازدراء وقلة تقدير ولذلك كانت طبقة الفلاحين تضم العناصر المسحوقة في الغالب وهم فقراء الحضر ، والعبيد الرقيق ، والاجراء (٢٠) .

وبالنسبة لسكان البادية القبليين كانت موارد المياه حي سر حياتهم واكسرها فكانت المياه تجمعهم وتفرقهم ، تقربهم وتقضيهم ولذلك قدسوا الانهار والابار وربما عبدوها ولعل ارتفاع منزلة السقاية بالنسبة لاشراف مكة سببها ما يكنه العرب البداة من تقديس للماء وللقائمين على شؤونهم ، وكانوا يصلون للمطر ويقدمون له الهدايا والقرابين ويدعونه « غيثا » . وتعتبر الابار مصدرا من مصادر الثروة لملكها يبيعون ماءها للناس وقد تضمن بعض القبائل بآبارها على غيرها فتجعل لها فتحات تسد بالحجارة لا يمكن للغرباء الوقوف عليها فاذا داهمهم عدو او ارادوا النقلة اخفوا معالها (٢١) وقد فعلت جرهم بشر زمزم كذلك حين ظعنوا من مكة الى ان اعاد حفرها عبدالمطلب بن هاشم (٢٢) ولهذه البئر قداسة في الجاهلية والاسلام .

(١٤) سيرة ابن هشام - تحقيق مصطفى السقا ورتبته - ص ١٢٩-١٣٠ ج ١ .

(١٥) جواد علي - ج ٨ ص ٢٨ .

(١٦) الاقبال : امراء اليمن واقطاعبيده .

(١٧) المرجع السابق - ص ٢٢٥ .

(١٨) تاريخ الاسلام - حسن ابراهيم حسن - ص ٥٥ ج ١ .

(١٩) جواد علي - ص ٢٣٨ .

(٢٠) المرجع السابق - ص ٢٨٩ .

(٢١) المرجع السابق - ص ٢٢٥ .

(٢٢) سيرة ابن هشام - ص ١١١ ج ١ .

(٦) فجر الاسلام - ص ٢٩ .

(٧) تاريخ الاسلام - د. حسن ابراهيم حسن - ص ٢٥ ج ١ .

(٨) المرجع السابق - ص ٦٩ .

(٩) فجر الاسلام - ص ١٢ .

(١٠) تاريخ الاسلام - حسن ابراهيم حسن - ج ١ ص ٦٦ .

(١١) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي - ج ٨ ص ٦٥ .

(١٢) المرجع السابق - ج ٨ ص ١٠ .

(١٣) المرجع السابق - ص ٢٥ .

ولكون الماء رأس مال البدو كانت جميع مظاهر حياتهم منسوبة اليه حتى حروبهم واياهم المشهورة .
ولم تكن قبائل البادية متنافرة دائما فكثرا ما عقدت بينها احلافا واتحدت ، وكان لكل قبيلة شيخ ترشحه عرافة الاحل وكبير السن ومواهب الشخصية وكان لكل شيخ مجلس مؤلف من المسنين يتعاون معه (٢٢) .
وقد استطاعت مملكة « كندة » ان تبسط نفوذها على القبائل حينما من الدهر ونوحدتهم تحت لوائها .

٢ - الاسلام والعروبة :

معجزة الاسلام الكبرى انه استطاع ان يحول الامة العربية بحضرها وبدوها وعلى اختلاف بناها الاقتصادية بشكل لا نظير له في تاريخ المجتمعات البشرية الى طبقة اجتماعية واحدة .
وقد اعتمدت عملية الصهر ثلاث وسائل اساسية هي : العقيدة والجهاد والتنظيم .. واصبحت هذه الوسائل بعد اشتداد ساعد الدعوة هي الوسائل المعتمدة في انتاج القوت وتوليس اسباب الحياة ليس للعرب المسلمين فحسب بل لكل الراغبين في الحياة الحرة الكريمة .

وقد بدأت عملية التحول من امة الى طبقة بشكل فردي ذي وجهين .. الوجه الاول : حين خرج العبيد والارقاء والمستضعفون على تقاليدهم الطبقية ونحدوا اسيادهم كعمار بن ياسر وبلال الحبشي ، والوجه الاخر خروج الاسياد على تقاليد طبقتهم كابي بكر وعمر وعثمان ومصعب . ثم بعد البيعة الاولى والثانية اتخذت عملية التحول شكلا جماعيا حين آمن بالرسول الاوس والخزرج وبعد فتح مكة جاءت وفود القبائل تباعا لنبايع الرسول وتنضوي تحت لوائه .

وبسبب تحول الامة الى طبقة في ظل الاسلام انفتحت العروبة على الداخل والخارج .

وبدو الانفتاح على الداخل في رفض الاسلام لطبقية المجتمع الجاهلي وعصبية القبيلة حين ساوى بين السيد الاقطاعي وبين فلاحه العبيد ، وبين الصليبة والوالي ، والحر والرفيق ، والعرب وغير العرب .. وقد ورد في القرآن الكريم : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير (١) .

وجاء في خطبة الوداع : انما المؤمنون اخوة ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وادم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى . وقد اخبر الرسول اصحابه غير مرة بان العنق وفك الرقاب من اجل العبادات واقربها قبولا عند الله ، وان العنق كفارة لعدد كبير من الخطايا والحث في الايمان . وبالنسبة للنظم والاجهزة الاجتماعية الاخرى فقد اقر الاسلام كثيرا منها ولكنه ملاها بمضامين جديدة واجرى عليها بعض التعديلات . فلم يكن للعرب قوانين معروفة وانما كانوا يرجعون الى رؤسائهم يستفتونهم فيما ينشأ بينهم من خلاف وفي ظل الاسلام خضعوا لقانون سماوي تتمتع بنصوصه بثبات دائم لانه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولذلك كانت المدارس الفقهية التي نشأت فيما بعد مدارس للشرح على المتون فقط .

وبقي شكل الحكم دينيا ونيويا معا فلقد كان الرسول النبي والمشرع والحاكم والقائد والقاضي الاعلى ورئيس الادارة كلها وكان خلفاؤه الراشدون من بعده يجمعون الصفتين كذلك وقد حل المسجد النبوي محل « المعبد القديم » فكان مكانا للطقوس الدينية ولتصريف شؤون الحكم معا وكان لكل مدينة او قبيلة مسجدها الخاص وان كبار موظفي الدولة وعملها في المدن او كبار رجال القبائل هم الذين يقومون بامامة الناس في الصلاة (٢) .

واستبدلت دارة الندوة او مجلس القبيلة بهيئة الشورى وتتكون من كبار الصحابة واعيان المدينة وزعماء البدو الوافدين اليها وكانت تعقد جلساتها في المسجد وهي جلسات مفتوحة يحق لكل من يحضر للصلاة ان يدلي برأيه فيها .. وكان للنبي كنية يتقاسمون اعمال السلطة ولعلمهم كانوا نواة للوزارة التي عرفت فيما بعد فقد تولى علي وعثمان كتابة الوحي ، والزيبر بن العوام وجهيم بن الصلت كتابة اموال الصدقات ، وحذيفة بن اليمان تقديرات الدخل من النخيل ، والمغيرة بن شعبة والحسن بن نمر كتابة المداينات والمعاملات بين الناس، وعبدالله بن الارقم والعلاء بن عتبة مسك سجلات القبائل والمياه ، وزيد بن ثابت مراسلة الملوك والامراء ، ومعيقيب بن ابي فاطمة تسجيل دخل الدولة وغنائم رسول الله ، وعهد الى حنظلة بن الربيع بخاتم النبي (٣) .

وبعد وفاة الرسول لم يلجأ المسلمون الى نظام الوراثة برغم ثقة بعض الفرق الاسلامية به وكونه معروفا عند العرب من قبل وانما لجأوا الى نظام الخلافة وانتخاب الخليفة انتخابا ديمقراطيا مشروطا بان يكون قرشيا ، وكان الخوارج اعنف معارضي هذا الشرط فيما بعد .

وقد اتخذ الحكم الراشدي في صدر الاسلام اساليب رادعة للقضاء على النظام العبودي وتحركات الاقطاعيين ومواصلة تحويل الامة الى طبقة مقاتلة عليا حيث اضطلع ابو بكر باعباء حروب الردة وكانت حروبا دوافعها اقتصادية ووراءها كبار الاقطاعيين ، ثم جاء عمر بن الخطاب فلم يعترف بنظام الاقطاع الروماني في الشام او العراق واعطى الارض لمن يزرعها كما انه لم يوافق على تحويل المقاتلين في ارض السواد الى اقطاعيين، وفاسم ولاته نصف اموالهم (٤) بالاضافة الى الضرائب التصاعدية التي فرضت للتقليل من الفوارق الطبقية ومنها الزكاة ، والصدقة والمشر ، والكفارات ، والنذور ، والاصاحي . وكانت الموارد العامة كالابار والانهار والاحياء والمراعي مؤمنة وكان الرسول قد شجع الاترياء على شراء ابار مملوكة لافراد ووضعها في خدمة المجموع .

وفي الميدان الاخلاقي هذب الاسلام من السلوك الاقطاعي القبلي ، ونظم الحياة الجنسية التي عرفت انواع التزيجات واعتبر الاسلام اخلاق الجاهلية موضوعة وتبين مقالة جعفر بن ابي طالب للنجاحي مقدار هذا التحول الخلقي : « ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة وناتي الفواحش ونقطع الارحام ونسئ الجوار وياكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده

(٢) الادارة العربية - حسيني ص ٦٠ .

(٣) المرجع السابق - ص ٤٧-٤٨ .

(٤) اشتراكية الاسلام - د. مصطفى الباعلي ط ٢ ص ١٠٢ .

(٢٢) الادارة العربية - ص ١٠٠ ق. حسيني ترجمة د. ابراهيم

احمد المدوي ص ٢٢ .

(١) سورة الحجرات .

ونعبد ونخلع ما كنا نعبد واباؤنا من دونه من الحجارة والاثان وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات .. الخ (٥) .

وبفضل دعوة التوحيد حرر الاسلام العقلية العربية من الاوهام والخرافات والعقائد التي كانت ميدان ارتزاق لسادة القبائل والاقطاعيين وكهان المعابد ، وكانت مبررا لتدخل الروم او الفرس بشؤون العرب الخاصة .

وهذه الامة التي تحولت الى طبقة مقاتلة عليا كان امامها امران .. الامر الاول ان تطور مجتمعا عسكريا لا طبقيًا كاستان المسط في حدود المربع والاحياء والبوادي العربية والامر الثاني ان تبحث عن منافذ جديدة تحقق فيها تفوقها .. ولم تكن ظروف الجزيرة وامكاناتها والمستوى الحضاري يومئذ قبل ألفي سنة صالحا لاحتضان مجتمع لا طبقي وهضمه ولم تكن الاصوات المخلصة التي ارتفعت فيما بعد كصوت ابي ذر الغفاري ذات قدرة على تحويل مجرى التاريخ خلافا لشروطه الموضوعية ومن هنا كان الامر الثاني اقرب الى طبيعة العصر وشروط التطور الموضوعية فوجدت « الامة - الطبقة » منفذها في التفتح على الخارج ونجد جنود هذا الانفتاح في الكتب التي بعثها الرسول الى الملوك والامراء خارج الجزيرة العربية .. فقد ارسل دحية بن خليفة الكلبي الخرجي الى هرقل امبراطور الروم ، وعبدالله بن حنيفة السهمي الى كسري فارس ، وعمرو بن امية الضمري الى النجاشي وحاطب بن ابي بلتعة اللخمي الى المقوقس عامل هرقل على مصر ، وسليط بن عمرو العامري الى هولة بن علي الحنفي امير بلاد اليمامة وشجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن ابي شمر الفساني والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوي صاحب البحرين (٦) .

٣ - عروبة الامويين :

حين تولى الخلافة عثمان بن عفان كانت الامة العربية قد اخذت مكانها كطبقة مقاتلة عليا في الدولة الاسلامية من شمال افريقيا الى اواسط آسيا وبقيت المربع والاحياء والبوادي العربية مستودعات لتكوين النجوش بالوارد البشرية، وان تكوين الجيش العربي في خراسان مثلا من (٧٠٠٠) مقاتل من بكر بن وائل ، و (١٠٠٠) مقاتل من تميم و (٢٠٠) مقاتل من عبد القيس و (١٠٠) مقاتل من الازد و (٩٠٠) مقاتل من البصرة والعالية و (٧٠٠) مقاتل من الكوفة لو دلالة عميقة على حقيقة التحول الكبير (١) .

ويبدو لدارسي التاريخ ان العصر الاموي الذي بدأ باستغلال قميص عثمان كان موزعا بين تيارين .. التيار الاول : تيار يفتت هذه « الامة - الطبقة » ويلحق ما يقطع منها الى الطبقات المحكومة ، وكانت اول شريحة اقتطعت من « الامة - الطبقة » طائفة الشيعة التي تحولت بعد استشهاد

الامام من كونها طائفة مقربة الى كونها طائفة مشردة مفضوباعليها ثم تبع ذلك انسلاخ الخوارج وانفرادهم بنظرية سياسية معينة وعرضهم لحروب عنيفة طاحنة ، ثم دارت الدائرة بعد مقتل ابي الزبير على انصارها واضيفوا الى قافلة المحكومين وبسبب نصارع ابناء امية على ولاية العهد وتحزب بعض القادة لهذا الامر دون ذلك تفتت « الامة - الطبقة » المقاتلة اكثر واكثر حتى كانت الفئة الحاكمة في آخر حكم الامويين جزءا من سلالة .

واما التيار الثاني فهو تيار يحول الطبقة المقاتلة وهي تنفتت قطعة قطعة الى طبقة اقطاعية تقيم نفوذها على اساس تملك الارض واستغلال العبيد والفلاحين واسرى الحرب .. واول موجة من امواج هذا التيار ان الارض التي جلا عنها أهلها في اعقاب الفتوح او كانت تابعة للملوك والمرازمة السابقين والتي عرفت في زمن عمر بن الخطاب « بالصوافي » وضمت الى بيت مال المسلمين ارتأى الخليفة عثمان ان اقطاعها للأفراد او لفر لفلتها ففرت « بالقطائع » (٢) وقد تضخمت ظاهرة التملك والتملك هذه بحيث بلغ الامر ان الخلفاء الامويين مثل معاوية وعبد الملك والوليد وهشام وولاتهم الاقوياء مثل الحجاج ومسلمة وخالد القسري كانوا اعظم ملاك الاراضي في الدولة وكان هشام بن عبد الملك وواليه خالد القسري يحكمان في أسعار المواد الغذائية وحركة البيع والشراء بسبب احتكارهما كميات هائلة من الحبوب (٣) .

وتبع تحول المقاتل الى ملاك ارض تحول خلافة الرسول الجمهورية الى ملكية مطلقة قائمة على اساس الوراثة والتعيين واخذ البيعة اكراها ، واضمححل مجلس الشورى وانفصل المسجد عن دار الامارة واصبحت دار الامارة بلاطا .

وبالرغم من ان الضرائب والواردات والرسوم في العهد الاموي احتفظت شكليا بكونها ضرائب حربية مرتبطة بالقتال « الجزية ، الفئام ، الخراج ، المشر ، الفئ .. » الا انها كانت في الواقع ضرائب فقدت صلتها بالحرب لانها كانت تجبي حتى من الذين اسلموا والمفروض ان تسقط عنهم وكان بقاؤها اداة وتمويلا للطبقة الحاكمة التي لم تعد راغبة بالحرب مقدار رغبتها بالارض وتتضع هذا بجلاء في تحول المسكرات ودور الهجرة الاولى الى مجتمعات اقطاعية مستقرة كالبصرة والكوفة والفسطاط والقروان .

وقد حاول الخليفة عمر بن عبدالعزيز انتزاع ملكية الارض من المفتشين وبدا بنفسه فرد ضياعه ومجوهرات زوجه لبيت المال ومزق وثائق ملكيتها ثم استدعى اعضاء الاسرة الحاكمة وحضهم على اعادة الثروات المنصبة فاجابوه : طالما لم تفصل رؤوسنا عن اجسادنا فلن تعود تلك الضياع والله لن نتم آباءنا واجدادنا بالكفر وكذلك لن ندفع باطفالنا الى التربة (٤) . ولقد كان منطق الحقائق والشروط الموضوعية لحركة التاريخ اقوى من عمر بن عبدالعزيز فتأمروا عليه ودسوا له السم وتخلصوا منه .

(٢) الخراج في الدولة الاسلامية - محمد نبي الدين الرئيس ص ١٤١ .

(٣) الادارة العربية - حبيبي - ص ١٢٩ .

(٤) المرجع السابق - ص ١٤٠-١٤٢ .

(٥) سيرة بن هشام - ص ٢٢٦ ج ١ .. وراجع كذلك محاضرات في تاريخ العرب ج ١ بخموس الحياة الجنسية الجاهلية .

(٦) تاريخ الاسلام - ج ١ ص ١٦٥ .

(١) تاريخ الاسلام - حسن ابراهيم حسن ج ١ ص ٢٢٥ .

الصحيفة الثانية - الفتوح والشعر

١ - الفتوح :

الحرب كارتة ثاني على الزرع والنسل والعمران ، والفكر الحديث يفرق بين حرب عادلة وحرب غير عادلة من طريق الربط بينها وبين البنيان الاجتماعي والاقتصادي والقرار التناسب بين اساليبها ومستوى تطور الانتاج . فالحرب العادلة هي التي تصدى لتحطيم اشد المؤسسات ضررا ورجمية واشد الانظمة المستبدة اغراقا في الجور والوحشية ، والحرب غير العادلة هي التي يشريها مالكو العبيد من اجل تقوية العبودية واستعباد الامم واطالة عمر الاستعمار (١) .

ومن هذا الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب تبدو حتمية الحرب في المجتمع الطبقي الذي يساعد على نشوء الجيوش المحترفة ويضع في قيادتها كبار رجال المال والاحتكارات ، اما الحروب التي تخوضها الاشتراكية فالمفروض انها لحماية مكاسب الانسان والدفاع عن الحضارة والسلام (٢) .

ومن هذا الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب يبدو صواب النظرية التي ترى الحرب استمرارا للسياسة بوسائل اخرى ، اي بوسائل العنف (٣) . ولا تنحصر سياسة الدولة في وضع الاهداف فقط وانما تحاول خلق الأوضاع المواتية لتحقيق الاهداف . ففي وسع السياسة ان تميل الى أقصى حد ممكن الموارد المالية والبشرية لتأمين عمليات القوات المسلحة (٤) .

ومن الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب نكتشف ان الصراعات في البلاد الرأسمالية بين الشعب والحكومة وبين الشعب والجيش وبين الحكومة والجيش تأتي على اهم عناصر النصر وهو الروح المعنوية ولذلك تلجأ هذه الدول الى اجهزة الاعلام لتأجيج الروح المعنوية بشعارات مزيفة خداعة ، وليس من قبيل الصدفة ان الجيش الذي يستند الى خلفية تتميز بالوحدة الطبقية يبرز فيه في استقرار الروح المعنوية ويحافظ على المستوى المطلوب طيلة الحرب (٥) .

وقد خاض العرب عدة حروب في جاهليتهم واسلامهم ولم يشع على الستهم مصطلح الحرب - غالبا - الا وهو مقتدرن بقربنة تدل على سلوك اخلاقي غير مشرف ففي جاهليتهم وصفوا بعض معاركهم بحرب الفجار ، وفي اسلامهم وصفوا بعضها بحروب الردة ، ويقال : يحاربون الله ورسوله اي يصونه .

اما المعارك التي يفخرون بها فعرفت في جاهليتهم « بايام العرب » ويعنون بالايام « الوقائع » وانما خصوا الايام دون ذكر الليالي لان حروبهم كانت نهارا . . ومنها البسوس وناحس والفراء والنفراة ورحرhan واليعمرية والهباءة وشواحف ويوم ذي طلوح . الخ (٦) .

وعرفت معارك الرسول بالمغازي او الغزوات ، والغزوة

وحقيقة الاقطاع في عهد الامويين انه لم يكن صورة طبق الاصل من الاقطاع العبودي في الجاهلية ، ولا من الاقطاع الذي كان سائدا في فارس وبيزنطية قبل الفتوح فلقد قضى المسلمون على كثير من مفاصد الاقطاع الصارخة لانهم تمسكوا بالمساواة النابعة من روح الاسلام ، كما خلفت كثير من الاعباء المالية الملقاة على عاتق الاقنان والعبيد وفي مقدمتها « السخرة » وفتحت امامهم اكثر من باب واحد لكي يشترروا حريتهم ويتجاوزوا واقعهم وحتى نظام الاخصاء على عيوبه كان خطوة للقضاء على العبودية لان الخصيان لا يمكن ان يساهموا في استمرار سلسلة العبيد والارقاء وديمومة نظام الرق عن طريق الانجاب . ولم يعد الفلاحون مرتبطين بالارض يباعون معها اذا بيعت وانما هم مخيرون بالعمل مع المالك الجديد او البحث عن وسيلة رزق اخرى وبذلك يعتبر الاقطاع الاموي رغم مساوئه خطوة تقدمية بالنسبة لعبودية الجاهلية .

وفي عهد بني امية اتسعت رقعة الدولة الاسلامية فبلغت غربا سواحل الاطلسي وبلغت شرقا سور الصين وادركوا شمالا سواحل الخزر ، ومن مآثرهم تعريب الدواوين وسك العملة العربية واستصلاح الارض وتطوير الزراعة وتشجيع العمران وحركة البناء .

وقد تعاقب على الحكم الاموي بعد معاوية (٦٠-٦٨هـ) يزيد بن معاوية (٦٨-٦٩هـ) ومعاوية الثاني (٦٩-٦٩هـ) وسروان بن الحكم (٦٩-٦٩هـ) وعبد الملك بن مروان (٦٩-٨٦هـ) والوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) وسليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) وعمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ) ويزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) وهشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) والوليد بن يزيد (١٢٥هـ) ويزيد بن الوليد (١٢٦هـ) ثم مروان بن محمد (١٢٧-١٢٢هـ) (٥) .

وفي نهاية الحكم الاموي لم يعد المجتمع العربي امة عربية لغتها واحدة ، ودينها واحد ، وخالها واحد كما كان في عهد الرسول بل كانت جملة امم وجملة نزعات وجملة لغات متمازة فقد امتزجت العادات الفارسية والرومانية بالعادات العربية ، وقانون الفرس والقانون الروماني بالاحكام الاسلامية وفلسفة الفرس والروم بحكمة العربي وآدابه ، ونمط السياسة والحكم الفارسي والرومي بنمط السياسة والحكم العربي (٦) بضاف الى كل هذا ان نظام الرق والولاء الذي جعل لكل جندي عربي عددا من العبيد يستخدمهم في حوائجه وعددا من الائمة يستولدهن ان شاء جعل البيت العربي مختلطا دخلته عناصر اخرى فارسية ورومانية وبربرية (٧) .

وفي هذا المجتمع الجديد انزلت الطبقة الحاكمة وتوقفت على ذاتها كما تقدم بيانه واعطيت الفرصة للمحكومين عربا وموالي لان يتكلموا ضدها ويعملوا على اسقاطها فكانت الثورة العباسية . . وهي ثورة اقتصادية عقائدية تستهدف نظام حكم اصبح في اخريات ايامه معزولا عن الشعب قبل ان تكون لورة موالى تستهدف العروبة كما يصورها بعض المؤرخين وكانت نقطة اندلاعها ارض الفتوحات .

(٥) تاريخ الاسلام - حسن ابراهيم حسن ص ٢٠٠ .

(٦) فجر الاسلام - ص ٩٢-٩٦ ط ٩ .

(٧) المرجع السابق .

(١) راجع كتاب الاشتراكية والحرب - لنين ص ١٢٠ ، ص ١٢١ .

(٢) راجع كتاب الاستراتيجية العسكرية السوفياتية -

سوكولونسكي - ترجمة خيرى حماد ص ٨٠ .

(٣) الاشتراكية والحرب - ص ١٢٢ .

(٤) الاستراتيجية العسكرية السوفياتية - ص ٩٠ .

(٥) المرجع السابق - ص ٨٦، ٨٨، ٩٠ .

(٦) المقد الفريد - الجزء السادس - تحقيق محمد سعيد

المرينان ص ١١-١٢ .

هو القصد ومنه المفزى : المعنى المقصود . اما المعارك التي جرت بين العرب والفرس او بينهم والروم فعرفت بالفتوح .. الفتح كلمة تدل على الخصوبة والخير عند العرب . فالفتح النهر او الماء الجاري فيه والفتح اول المطر الوسمي او هو المطر ، والفتح النصر ويستعمل فعل الفتح حين يدور الحديث عن الامال الكبيرة فيقال تفتح لهم ابواب السماء ، وتفتح لهم ابواب الرحمة ، وتفتح لهم ابواب الجنة (٧) .. ويخيل الي ان كلمة الفتح تدل على علاقة تعاطف وتراض بين من وراء الابواب ومن امامها ولعل الفتوح الاسلامية كانت تتضمن هذه العلاقة فسميت كذلك .

وقد فهم المسلمون في ضوء توجيهات القرآن الكريم بانها جهاد في سبيل الله :

* اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير (٨) .

* قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين (٩) .

* واقتلوه حيث تقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم (١٠) .

* الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا (١١) .

وتبدو حقيقة الفتوح الاسلامية حين تربط بالبيان الاجتماعي والاقتصادي حروبا تقدمية عادلة ، وان عوامل نجاحها كامنة في طبيعة المجتمع العربي الاسلامي نفسه . فمما لاشك فيه ان الفتوح الاسلامية استمرار للسياسة الاسلامية وان تقدميتها وعدالتها نابعة من تقدمية الاسلام وعدالته فهو ثورة تحررية الفت الفوارق الطبقية ووحدت العرب وقضت على الوثنية والشوفينية ، وكانت انباء هذه الثورة تسبق الفتوح الى الدول المحيطة وتخلق امام الجيوش العربية الظروف المواتية للظفر .. ومن عدالة الفتوح العربية انها ادت الى تحرير الشعوب المضطهدة في فارس وبيزنطة وحطمت اشرس قلعتين من قلاع الرجعية والاستغلال كانتا تتنافسان من اجل نهب العالم واقتسام العبيد .

ومن عوامل نجاح الفتوح ارتفاع الروح المعنوية عند العربي الذي جعله الاسلام فارسا يحلم بعالم اخر اكثر اشراقا ونبلا في الوقت الذي كان فيه المحارب الفارسي او البيزنطي عديم الثقة بالحرب التي يخوضها وسيء الظن بقادته .

ومن عوامل نجاح الفتوح ان اقتصاد الدولة العربية كان اقتصادا ناميا بسبب التحسينات التي ادخلت على الزراعة ، وحل مشكلة الارض بشكل يحقق اولر غلة مما هيا مستوى انتاجيا قادرا على تغطية الجيوش مقابل الازمات المالية الخائفة التي كانت تثقل كاهل العدو وتحد من فعالياته .

(٧) راجع مادة فتح في لسان العرب واقرّب الوارد والمتجد والقاموس المحيط .

(٨) سورة الحج - ٢٩ .

(٩) سورة التوبة - ٣٦ .

(١٠) البقرة - ١٩٠ .

(١١) النساء - ٧٦ .

ومن عوامل نجاح الفتوح العربية تفتح القادة على الحركة العلمية واستفادتهم من التطور الحضاري ففي الوقت الذي لم يالف العرب فيه ركوب البحر كان عمر بن الخطاب يعارض رغبة معاوية في منازلة خصومه في البحر ولكن معاوية بعد ان تمكن من تجهيز اسطول بحري استطاع ان يحقق رغبته وان يهاجم قبرص ثم يتجاوزها للهجوم على القسطنطينية .

وبلاحظ ان تدهور الحياة العسكرية العربية وتنشأ الفتوح كان خطا موازيا لتدهور الاقتصاد العربي واتقام المجتمع العربي الى طبقات متعادلة .. اي ان تفتت « الامة الطبقة » ادى الى تمزق الجيوش وتفتتها واكبر الهزات التي منيت بها انتقام سليمان بن عبدالمك من قادة الفتح ولي مقدمتهم قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير .. وانعكس كذلك تحول الفئة الحاكمة المقاتلة الى طبقة اقطاعية على الجيش فلم يعد الحكام والولاة قادة مقاتلين في شخصيات الخلفاء المتأخرين وانما تحولوا الى شعراء غزليين ماجنين امثال الوليد بن يزيد .. والاهداف التحررية الكبيرة التي شغلت قادة الجيوش الزاحفة لم تعد في نهاية الحكم الاموي اهدافا كبيرة وشغلتهم اهداف اصغر منها كأمين البيعة لاه ضد اخيه وتقديم رؤوس الابطال الفاتحين نيائين لسادة البلاط وبالتالي لم تعد روحية الشاعر الذي حارب في القادسية توازي روح المقاتل في معركة مرج راحط .

٢ - الشعر في الجبهة الشرقية :

كانت بداية انفتاح الامة العربية على العالم الخارجي كما ذكرنا الكتب والبعوث التي ارسلها الرسول للدول المجاورة ، وقبيل وفاته ابدى رغبته بتجهيز حملة عسكرية بقيادة اسامة بن زيد لقتال الروم وقد حقق ابو بكر تلك الرغبة ، وكان النصر الذي احرزه اسامة اول نصر يحرزه الاسلام على اعدائه من غير العرب وكانت توصيات الخليفة لجيش اسامة اروع تشريع لاداب القتال يظهر الوجدان العربي بجلاء وصفاء فقد اوصاهم ان لا يخونوا ولا يغدروا ، ولا يفلو ولا يضلوا ، ولا يقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا يقرؤوا نخلا ولا يحرقوه ولا يقطعوا شجرة مثمرة ، ولا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لملكه ولا يتعرضوا لاصحاب الصوامع ولا ياكلوا ما لم يذكر عليه اسم الله .

وفد التزم المسلمون بهذه الوصايا وكانت في مقدمة اسلحتهم التي فتحوا بها البلدان .. فقد جاء في كتاب « حضارة العرب » لفوستاف لوبون قوله :

لم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر اقل رفقا .. فقد عرض على المصريين حرية دينية تامة ، وعدلا مطلقا واحتراما للاموال وجزية سنوية لا تزيد على خمسة عشر فرنكا عن كل رأس بدلا من ضرائب القياصرة الباهظة فرضي المصريون طائعين شاكرين بهذه الشروط دافعين للجزية سلفا وقد بالغ العرب في الوقوف عند حد هذه الشروط والتقيّد بها فاحبهم المصريون الذين ذاقوا الامر من ظلم عمال القياصرة وقبلوا على اعتناق دين العرب ولفهم ايما اقبال (١) .

وجاء في « الدعوة الى الاسلام » لسيرتوماس و . ارنولد قوله :

كان الاضطهاد الواقع على الشعب الفارسي علة ذلك الانتصار الذي خالف الفتح العربي وجعله يظهر في صورة تخليص

(١) ص ١٢ ط ٢ ترجمة عادل زعبيتر .

الاهلين مما اصبحوا فيه ، وما ان تم للمسلمين ما ارادوا على هذا الوجه حتى تنفس الفرس انفسهم الصمداء ورحبوا بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام اولا ورغبة في اغنائهم من الخدمة العسكرية ثانيا ثم املا في تمتعهم بالحريّة الدينية في آخر الامر (٢) .

ثم توالى انتصارات العروبة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد انتصر سعد بن ابي وقاص في معركة القادسية (١٥هـ) وتم بعد ذلك فتح جلولا (١٦هـ) واصبهان (١٩هـ) ونهاوند (٢١هـ) والاهواز وطبرستان ورجستان (٢٢هـ) وقتل يزدرج في خراسان (٢١هـ) .

وحينما تأسست الدولة الاموية لم يكن امامها الا ان تتوسع في فتوح ما وراء النهر ، وازدهرت هذه الفتوح في خلافة الوليد بن عبد الملك بصورة خاصة حين ولى الحجاج بن يوسف قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان (٨٦هـ) وكانت بلغ اول جهة قصدها قتيبة ثم عبر نهر جيحون الى بلاد الصفانيان فطلبوا وده ، وفي سنة (٨٧هـ) غزا بيكند وفتح (٨٨هـ) كرمينه وسار الى بخارى وفتحها بعد عناء ومشقة وفي (٩٢هـ) فتحت مدن خوارزم صلحا وسمرقند بعد قتال شديد وحاول (٩٦هـ) اقتحام الصين .

ومن جهة اخرى عهد الحجاج الى محمد بن القاسم بغزو الهند فسار اليها سنة (٨٩هـ) حتى بلغ نهر السند .

اما المهلب بن ابي صفرة فقد اشتهر بقتاله للخوارج واستعادة وحدة الارض اضافة الى غزواته في بلاد فارس .

وقد سجل الشعراء الذين رافقوا الفتوح في هذه الجبهة وقائما وكانت الحصيلة الشعرية في هذه الجبهة اغنى من غيرها .. وتمتاز هذه الحصيلة اولا بظاهرة التسجيل الوائلي وسرد قصص المعارك والتعبير عن فرحة العربي بالنصر الذي يأخذه عنوة من خصم يضاهيه بالبطولة والشجاعة والقوة دون ان يبخل حقه أو يطفف ميزانه كقول الشاعر :

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
شبت لنا ولهم نارا لها شرر
تلقى مسامير ابطالا كأنهم
جن نثارهم ما مثلهم بشر
نسقى ونسقيهم سما على حنق
متانفي الليل حتى اسفر السحر
قتلى هنالك لا عقل ولا قود
منا ومنهم نساء سفكها هدر
حتى تنحوا لنا عنها توقهم
منا ليوث اذا ما ادموا جبروا
لم يبق عنهم غداة التل كيدهم
عند الظمان ولا المكر الذي مكروا
بانست كتابنا نردى مومة
حول المهلب حتى نور القمر (٣)

وقد صور شعراء الفتوح سلوك الجندي العربي واخلاقيته فهو داعية للنور يفرج الظلماء ، وهو صابر متاس لا يجزع من الهول ، وهو شجاع لا ينبو ولا يجبن وهو ثابت لا يتزعزع وحتى خيولهم ومطاباهم التي يمتطونها لها ما لهم من الثبات والصبر على الكاره والدماء :

واتركه تعلم اذا لاقى جموعهم
ان لقد لقوه شهابا يفرج الظلما
بفتية كاسود الفباب لم يجدوا
غير التاسي وجر الصبر متمصا
تري شرائح نفسي القوم من علق
ولا ارى تبسوة منهم ولا كرمنا
ونحتهم قرح يركبن ما ركبوا
من الكريهة حتى يتلمعن دما
في حاة الموت حتى جن ليلهم
كلا الفريقين ما ولى ولا انهزما (٤)

ومدح شعراء الفتوح قادة المعارك وابطالها وكان المديح لا يصب على ذواتهم الشخصية بمقدار ما يتوجه اليهم باعتبارهم يمثلون امة او قبيلة او يمثلون فيمة من القيم العليا التي تستثير الاعجاب :

تري ذا الفنى والفقر من كل معشر
عصائب شتى يتتوون « المفصلا » (٥)
فمن زائر يرجو فوافل سيبه
واخر يقضي حاجة لند ترحلا
اذا ما انتوبنا غير ارضك لم نجد
بها متوى خيرا ، ولا متصلا
اذا ما عدنا الاكرمين ذوى النهى
ولقد قدموا من صالح كنت اولا
لعمري لقد صال المفصل صولة
اباحت « بشومان » المناهل والكل (٦)

وقال شاعر آخر يمدح قتيبة بن مسلم الباهلي :

ابلس ابا حفص قتيبة مدحتي
واقرا عليه تحيتي وسلامي
باسيف ابلغها فان ثأرها
حسن وانك شاهد لمقامي
يسمو فتضع الرجال اذا سما
لقتيبة الحامي حمى الاسلام
لافسر منتجب لكل عزيمة
نحر يباح بها العدو ، لهام
يمضي اذا هاب الجبان واحمشت
حرب تسر نارها بفكرام
تروي القناسة مع اللواء امامه
تحت اللوامع ، والنحور دوام
والهام تغريبه السيوف كانه
بالقاع حين تراه قبض نمام
وترى الجياد مع الجياد صوامرا
بفنائيه لحواث الايسام
وبهن انزل « نيزكا » من شاهر
و « الكرز » حيث يروم كل مرام
واخاه « شقرانا » سقيت بكاسه
وسقيت كاسهما « اخا بادام »
ونزلت « صولا » حين صال مجندلا
يركبشه بدوابسر وحسوام (٧)

(٤) المرجع السابق - ص ١٦٠ والشعر لكعب الاشعري .

(٥) الفضل : بن محمد احد قادة فتح خراسان .

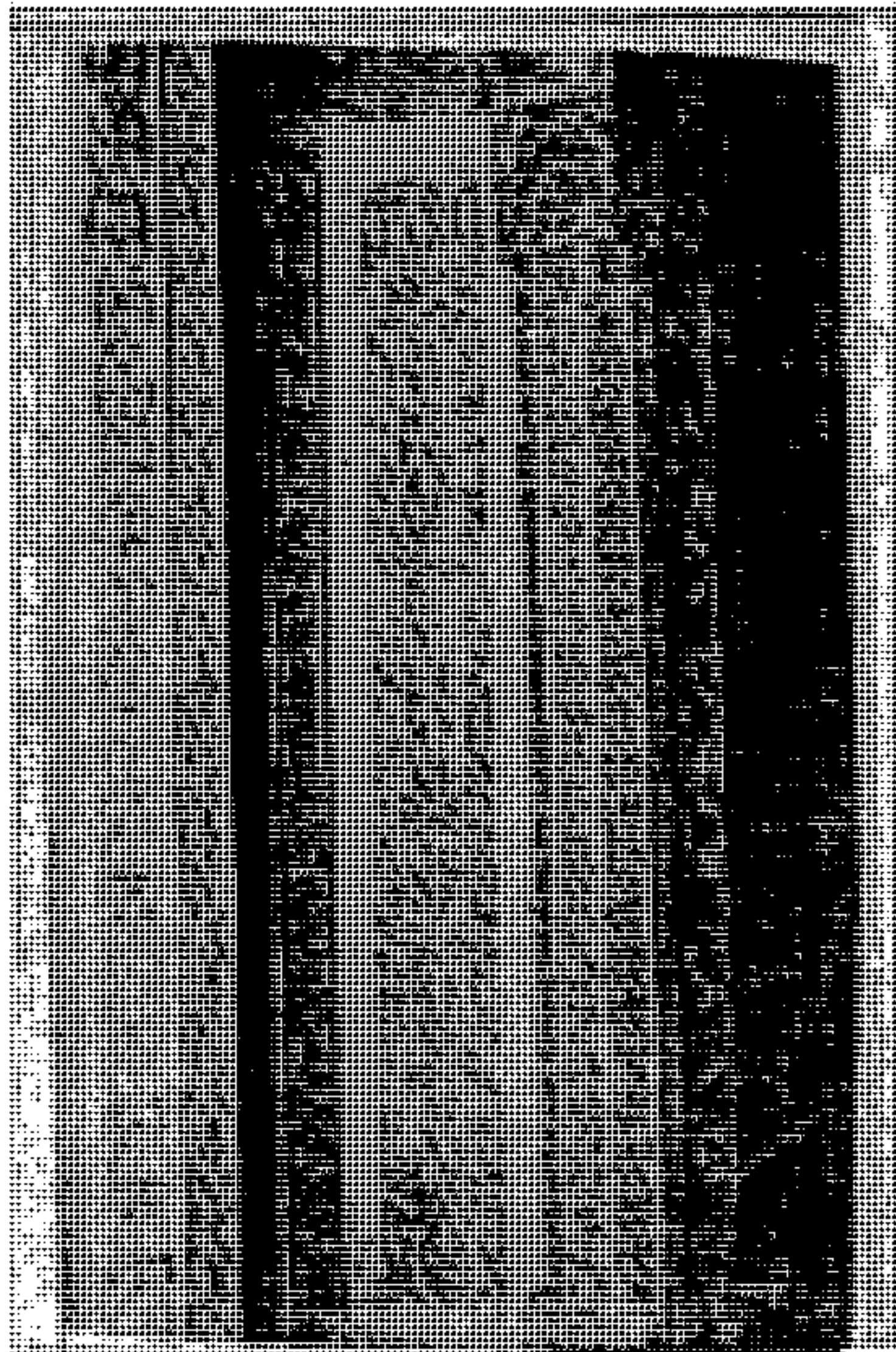
(٦) المرجع السابق ص ١٩٥ .

(٧) المرجع السابق - ص ٢٤٠ شعر الخيرة بن حبناء .

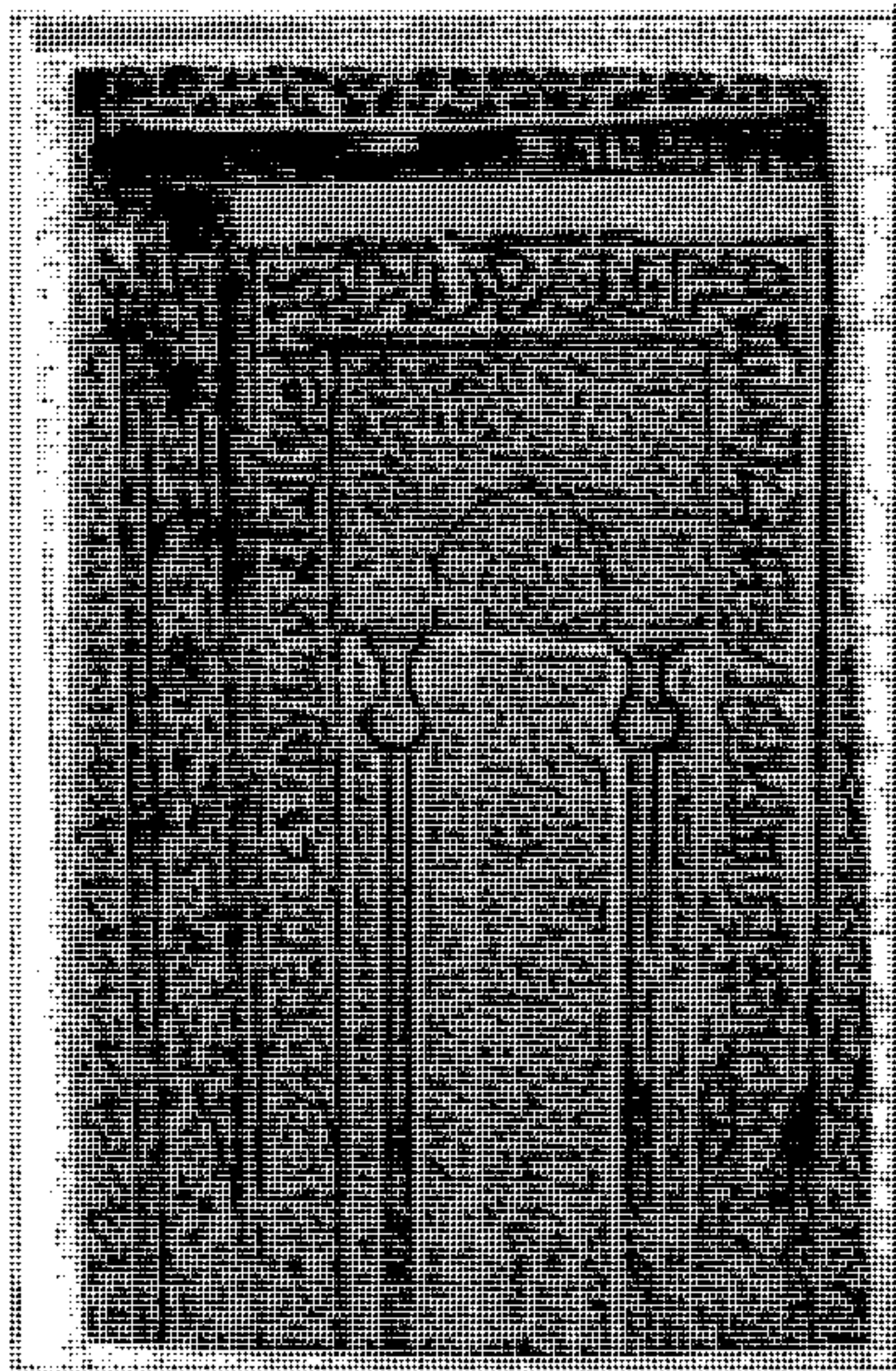
(٢) ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد الجيد عابدين ط ٢
ص ٢٢٥-٢٢٦ .

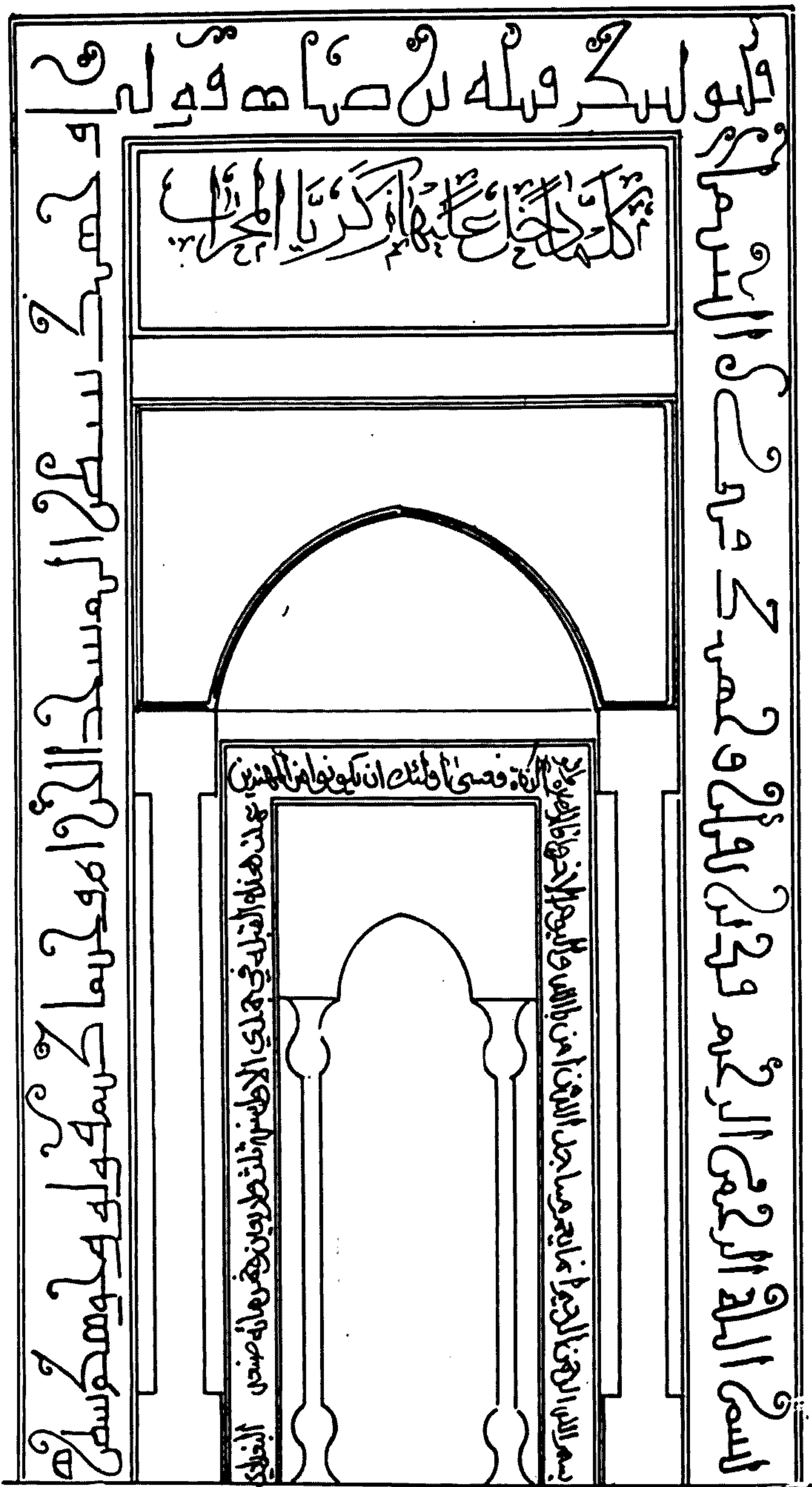
(٣) الطبري - ص ١٢٤ جده والشعر لكعب الاشعري .

«صورة ٤»
اللوحة الجانبية في داخل تجويف الحراب



«صورة ٥»
اللوحة السفلية في صدر تجويف الحراب

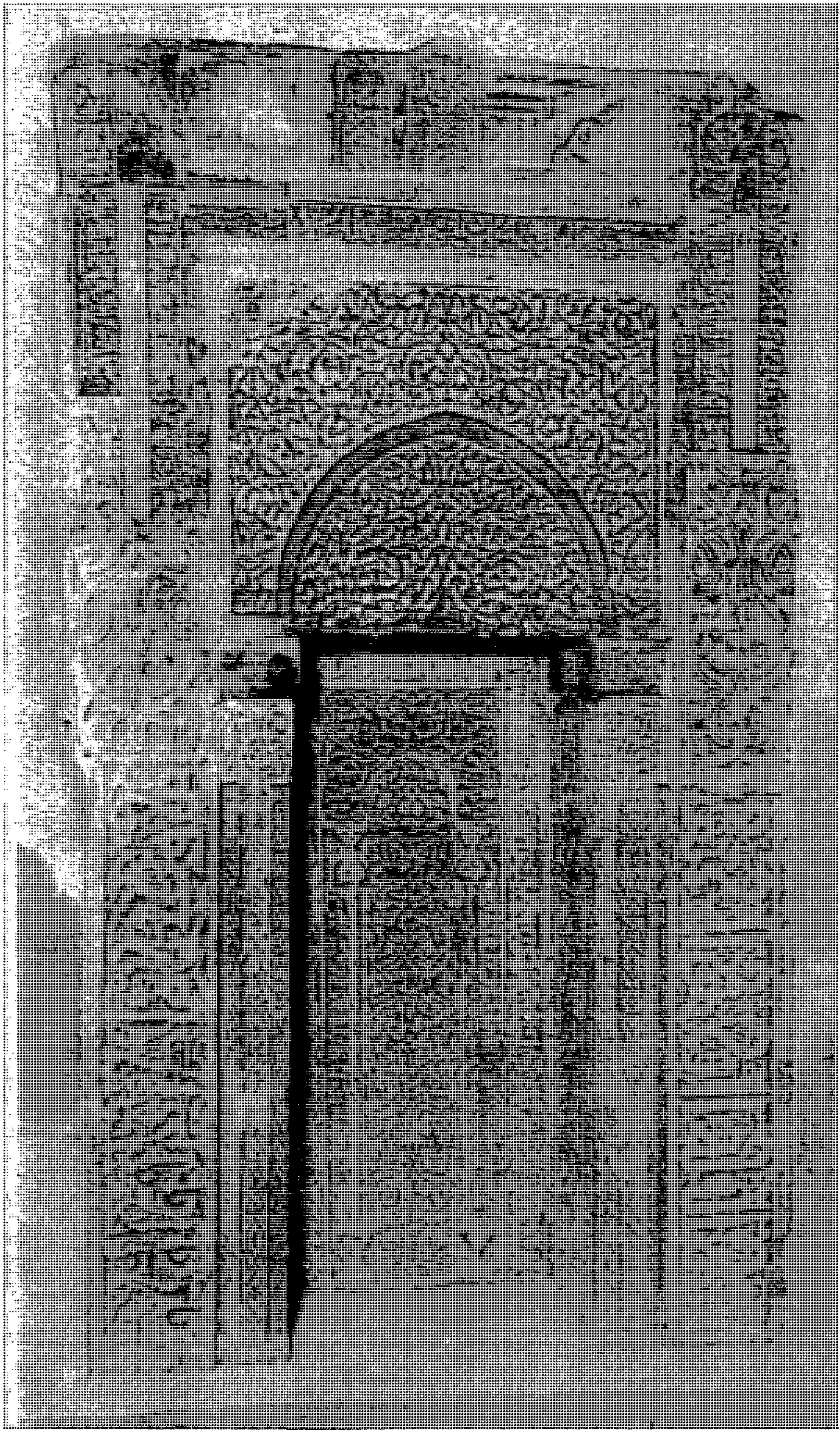




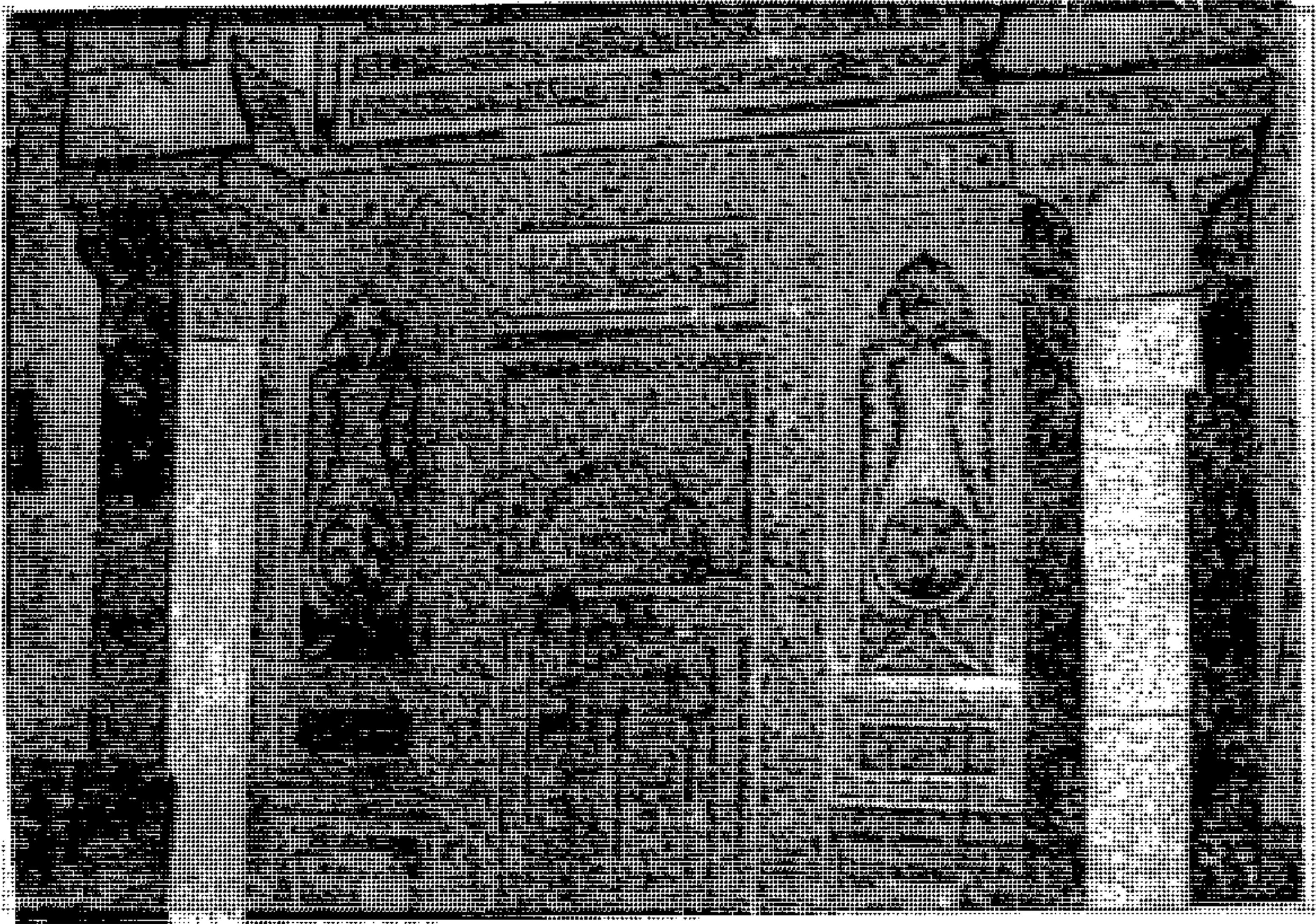
(شكل ١)

واجهة محراب الشافعية في جامع النوري بعد الترميم

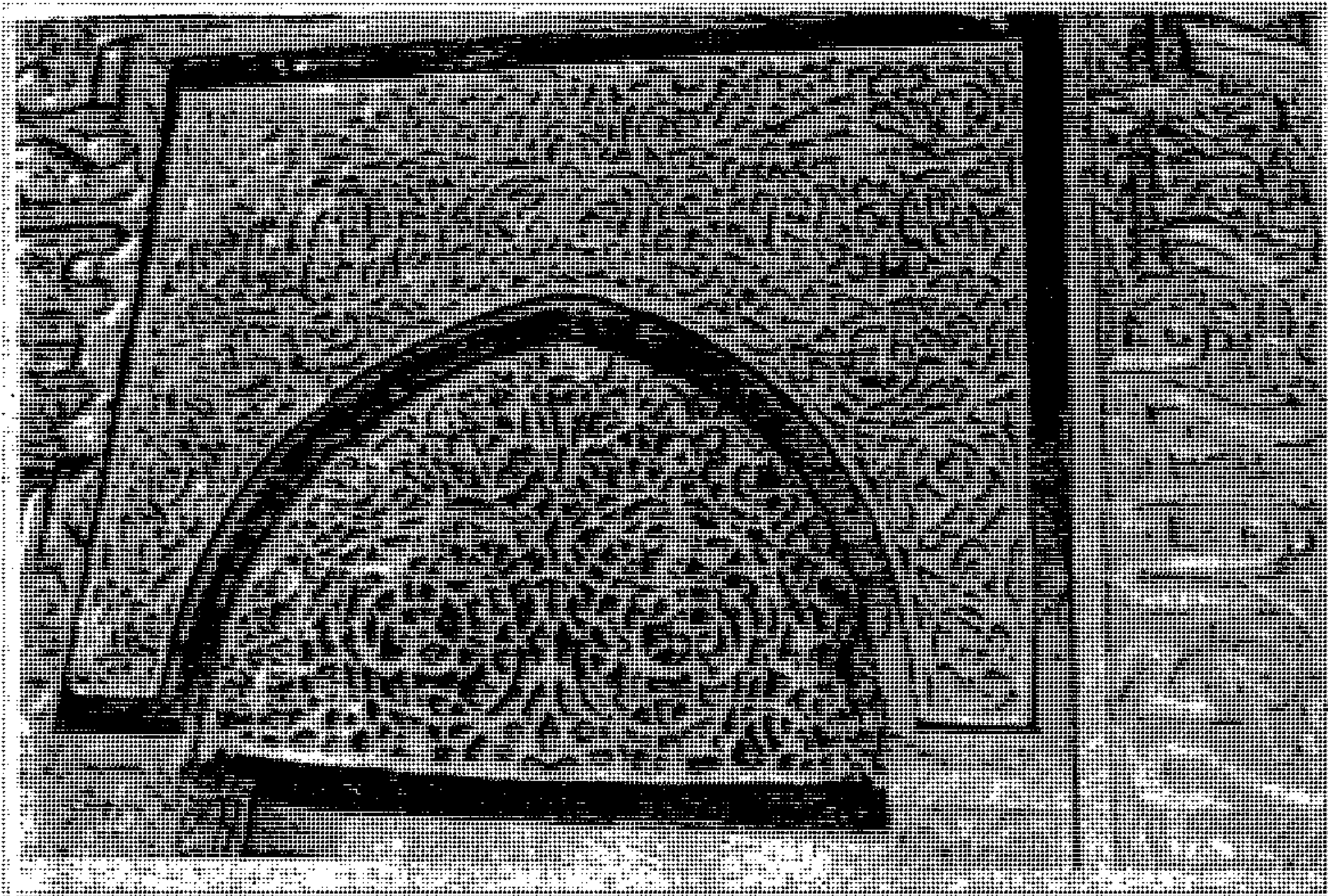
مقياس الرسم ١:٢٠ ١:٣٠ ١:٥٠ ١:٦٠ ١:٨٠ ١:٩٠ ١:١٠٠



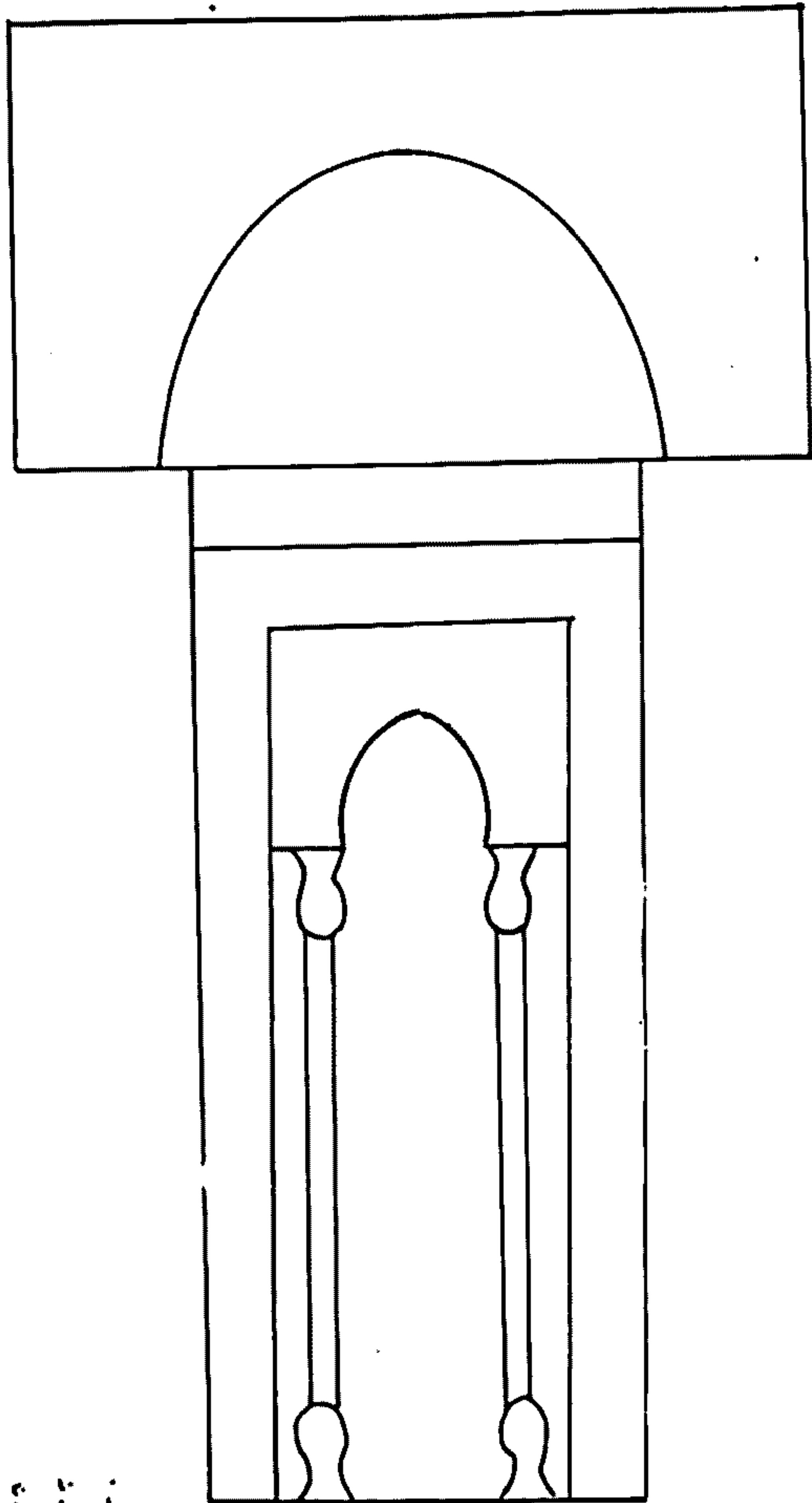
(صورة ١)
محراب الشافعية في جامع النوري قبل ترميمه الاخير .



(صورة ١)
 واجهة المحراب بعد الصيانة



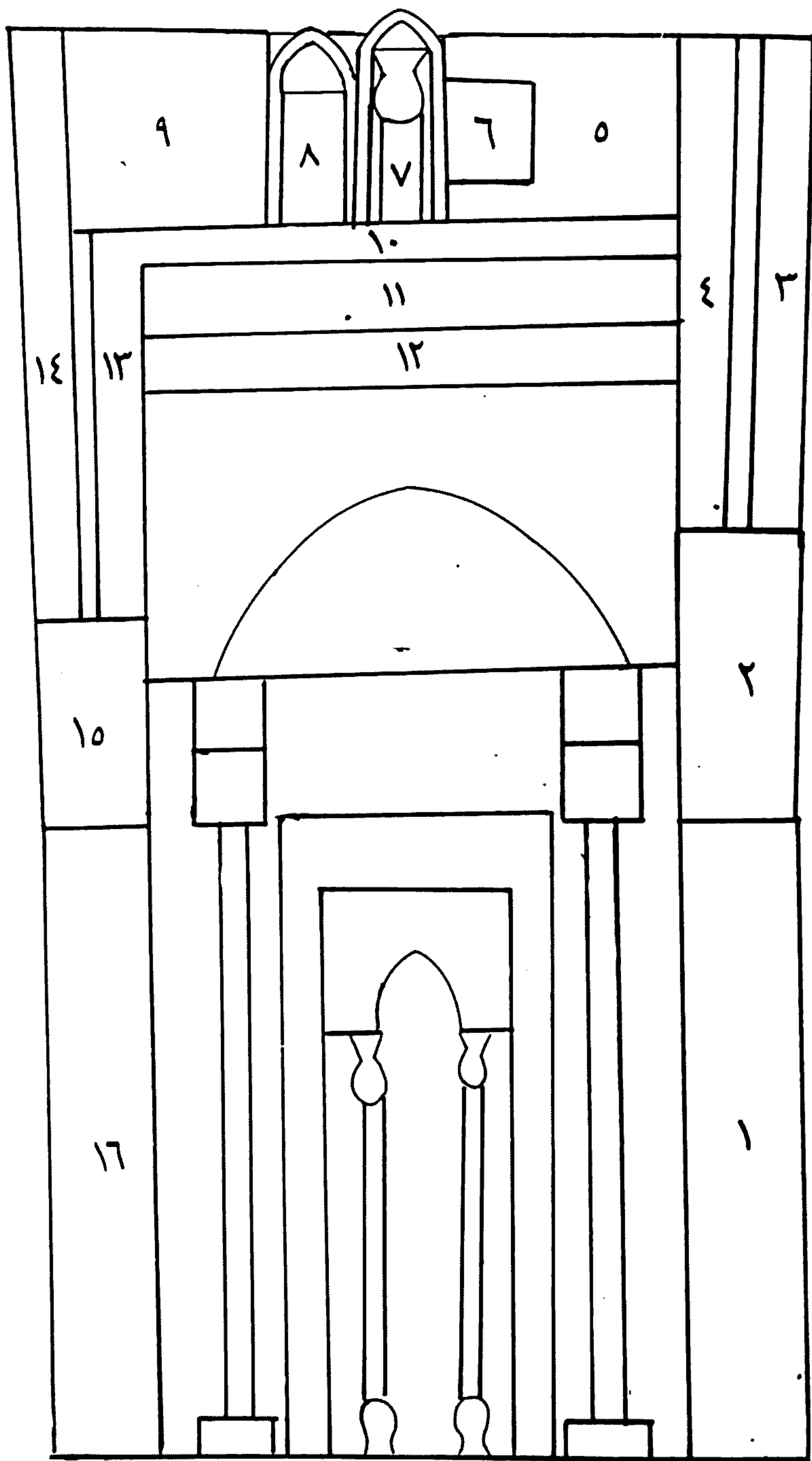
(صورة ٢)
 العقد الخارجي للمحراب



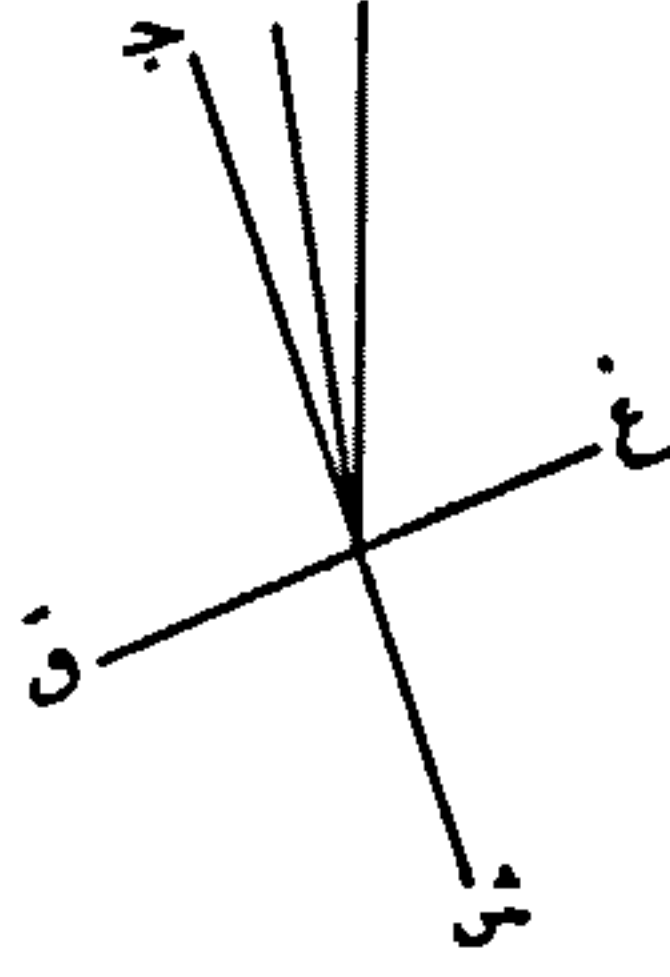
شكل ٦

مقياس الرسم

الاجزاء القديمة من محراب الشوي لجامع النوري



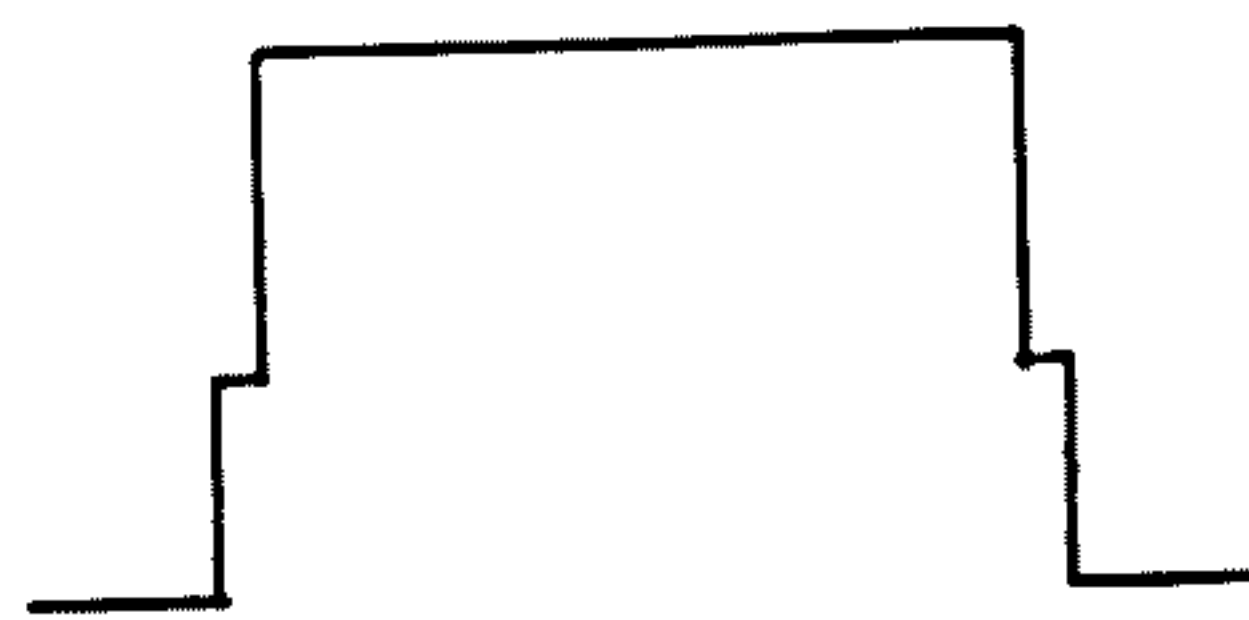
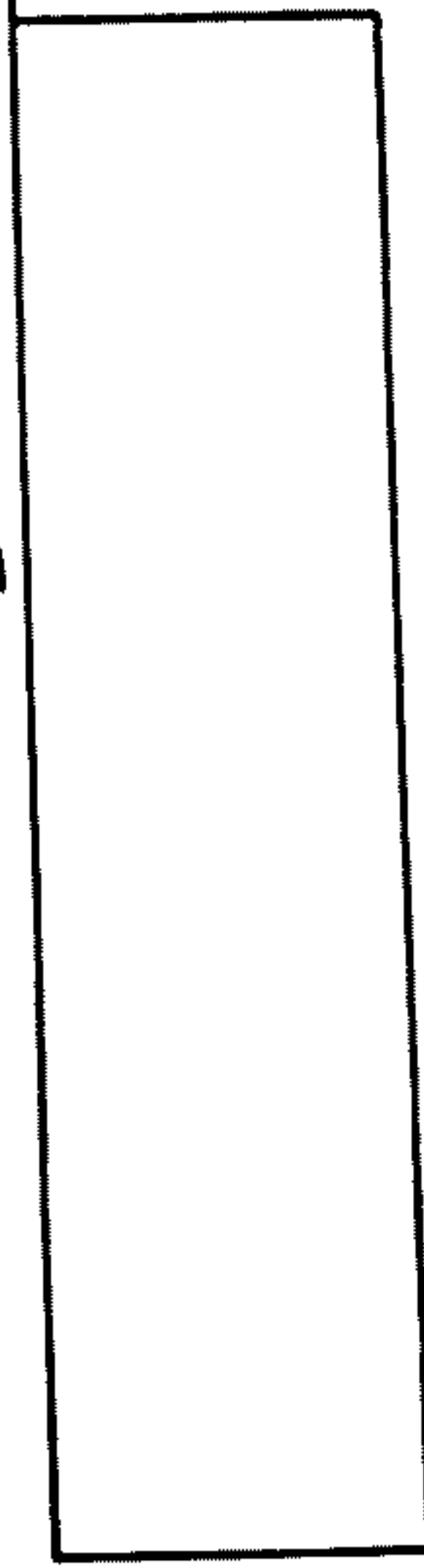
(شكل ٥)
 واجهة معراب جامع النوري قبل الترميم
 مقياس الرسم ١:٢٠٠



اتجاه القبلة في جامع النوري
اتجاه القبلة ٩° غربي الجنوب
درجة الانحراف ١٠° الى الغرب

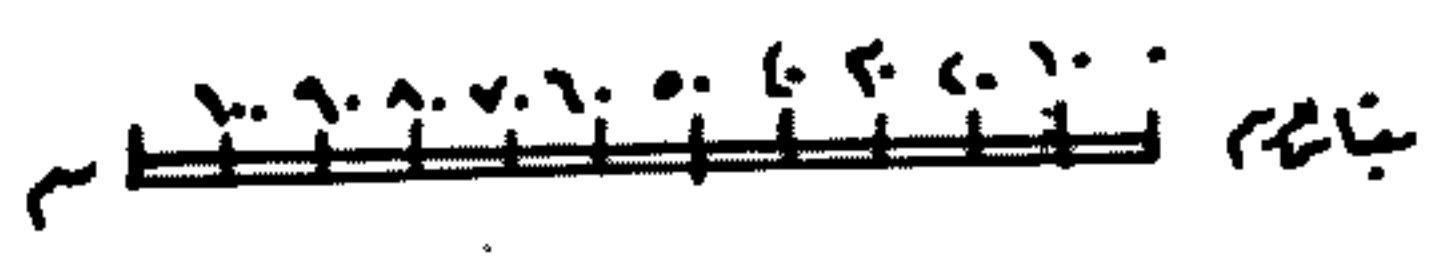
شكل ١

شكل ٣
مقطع رأسي للحراب
الشافعية في
جامع النوري



شكل ٢

مخطط أحزاب الشافعية في جامع
النوري



وبأزاء مديح الأبطال والتفني بامجادهم كان شاعر الفتوح
يرثي شهداء المعركة ويندب قادتهم حين يجودون بالنفس
ومن ذلك قول لشاعر يرثي أصدقائه في إحدى معارك قزوين :

خليلي هبنا طال ما قد رقدتما
أجدكما لا تقضيان كراكما
الم تعلمنا أني بقزوين مفرد
ومالي فيها من خليل سواكما
مقيما على قبريكما لست بأرحا
طوال الليالي أو بجيب صداكما
سأبكيكما طول الحياة وما الذي
يرد على ذي لوعة لو بكأكما (٨)
وحين يرثي شاعر الفتوح القادة لا يركز على جانبهم
الشخصي بمقدار تركيزه على جانبهم الاعتباري :

لله قبر « هبيرة بن مشمرج »
ماذا تضمن من ندى وجمال (٩)
وبديهة يعياها ابتأها
عند احتفال مشاهد الأقوال
كان الربيع إذ السنون تابعت
والليث عند تمكع الأبطال
لست بقربة حيث أمسى قبره
غر يرحن بمسبل هطال
بكت الجياد الصافنات لفقده
وبكاه كل مثقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مواسيا
في العام ذي السنوات والامحال (١٠)
ولقد تحول رثاء قتيبة بن مسلم الباهلي حين أهدر
دمه سليمان بن عبد الملك إلى مفاخرة وتحد ومطاوله :

الم يأن للأحياء أن يعرفوا لنا
بلى نحن أوئى الناس بالمجد والفخر
نقود تميما والموالي وملحجا
وأزد وعبد القيس والحي من بكر
نقتل من شئنا بعزة ملكنا
ونجير من شئنا على الخسف والقر
سليمان كم من عسكر قد حوت لكم
استننا والمقربات بنا تجري
وكم من حصون قد أبختنا منعة
ومن بلد سهل ، ومن جبل وعمر
ومن بلدة لم يغزها الناس قبلنا
غزوننا نقود الخيل شهرا إلى شهر
مرون على الفزو المروور ووقرت
على النفر حتى ما نهال من النفر
وحتى لو أن النار شبت وأكرهت
على النار خاضت في الوغى لهب الجمر

تلاعب أطراف الاسنة والقنا
بلياتها والموت في لجج خضر
ولو لم تمجنا النابا لجاوزت
بنا ردم ذي القرنين ذا الصخر والقطر
ولكن أجالا قضين ، ومدة
تتأهى إليها الطيبون بنو عمرو (١١)

ولقد اهتم شاعر الفتوح إلى جانب النصر الإنساني فيها
بالنصر المادي حيث وردت إشارات كثيرة إلى الفنائم والجزية
والغنى ولكن هذه الإشارات لم تكن تغضب الروح المادية
فقط ولكنها تهدف إلى بيان روحانية العربي وإنسانيته ففي
قسمة الفنائم العادلة دليل على حب العدل والمساواة ، وفي
كثرتها ووفرتها رمز للبطولة وسعة الفتح ، وفي هبتها للاتباع
والجند اشعار بقيمة الندى والكرم ومن هذا القبيل شعر
لتوسعة بن نهار :

ألا ذهب الفزو المقرب للنفسي
ومات الندى والجود بعد المهلب
أقاما « بمرور الروذ » رهني ضريحة
وقد غيبا عن كل شرق ومغرب
إذا قيل أي الناس أولى بنعمة
على الناس فلنأه ولم تهيب
أباح لنا سهل البلاد وحزنها
بخيل كارسال القطا المتسرب
يعرضها للطمع حتى كأنما
يجللها بالارجوان المخضب (١٢)
وحين فتح قتيبة الصفد ذكر « نهارا » بهذه الأبيات وقال
له : الفزو هذا يأنهار ؟ قال : لا .. هذا أحسن وأنا الذي
أقول :

وما كان مذ كنا ولا كان قبلنا
ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
أعم لأهل الترك قتلا بسيفه
وأكثر لنا مقما بعد مقم (١٣)
وكذلك اهتم شاعر الفتوح بالامكن الجديدة والمناخات
الجديدة ولم يكن اهتمامه مطلقا ولكنه ملون بمشاعر المحارب
ومن خلال منظاره العسكري ومن ذلك :

هبت شمال خريق اسقطت ورقا
واصفر بالقاع بعد الخضرة الشيع
فارحل هديت ولا تجعل غيمتنا
ثلجا يصفقه « بالترمد » الريح
أن الشتاء عود ما نقاتله
فاقفل هديت وثوب الدفء مطروح (١٤)

(١١) الطبري - ص ٢٨٥ والشمر لأم بن الحجاج .

(١٢) الطبري - ص ١٦٣ .

(١٣) الطبري - ص ٢٥٤ .

(١٤) فتوح البلدان - البلاذري ص ٥٠٨ ج ٢ والشمر لأم بن
الريب .

(٨) فتوح البلدان للبلاذري - ص ٢٩٩ .

(٩) هبيرة رئيس الوفد الذين وطأوا تراب الصين وأتته المنية
في طريقه إلى الوليد بن عبد الملك .

(١٠) المرجع السابق (الطبري) ص ٢٧١ والشمر لسواده .

٣ - الشعر في الجبهة الغربية :

يكاد يكون أغلب الجبهة الغربية فتح قبل تأسيس الدولة الاموية كذلك (١) ، وكان اول من اجاز الدرب الى الروم القائد العربي عياض بن غنم . وقد تم فتح مصر على يد عمرو بن العاص في (٢٠هـ) وفي (٢١هـ) فتحت برقة تامينا للحدود الغربية لمصر وفي (٢٢هـ) فتحت طرابلس عنوة وقصد نافع الفهري بلاد النوبة . وفي (٢٧هـ) توغل العرب داخل افريقيا ، وفي (٢٤هـ) ركب العرب البحر في معركة ذات الصواري بقيادة عبدالله بن سعد بن ابي سرح . وفي (٥٠هـ) قاتل المسلمون البربر في المغرب بقيادة عقبة بن نافع . . وتكامل فتح شمال افريقيا حتى مدينة طنجة في (٨٨هـ) بقيادة موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد .

وما ان استتب الامر للعرب في المغرب حتى فكروا بعصور البحر نحو اوربا وكانت اول محاولة لوطء ترابها على يد القائد طريف بن مالك في (٩١هـ) وقد شجع نجاح حملته مجدا وغنائم موسى بن نصير ان يندب مولاه طارقا لركوب البحر فركبه (في شعبان ٩٢هـ) وفي الضفة الاخرى احرق السفن ليكون البحر من ورائهم والعدو من امامهم وليوصد امام من يتخاذل ابواب الفرار .

وقد انتصر طارق وانتصرت العروبة وتطلعوا بعد ذلك الى ما وراء جبال البرانس وتوغلوا الى حوض الرون واقليم برغنديه بقيادة عنبسه بن سحيم الكلبي الذي وافته المنية اثناء عودته من مدينة ليون (١٠٧هـ) .

وبالرغم من سعة الجبهة الغربية وتعدد معاركها فان كتب التاريخ وكتب الادب لم تحتف بما قيل فيها من شعر ولم ترو شيئا يعكس تجارب العربي في هذه الجبهة ولعل الشعر الذي نظم في هذه الفتوح قد ضاع (٢) . ويقول احد الباحثين : لنا نجد ظلا ولو باهتا يصور انسياح الفاتحين في الفريقية وفتحهم لبرقة وطرابلس وما حولهما (٣) . وحتى لو لم تبخل علينا المراجع فان الشعر الذي سترويه سيكون منسوبا لصدر الاسلام في غالبيته . . وقد حارب في الجبهة الغربية من الشعراء الهلاليان ابو ذؤيب وابو العيال وقد لقي ابو ذؤيب مصرعه اثناء عودته من فتح افريقيا في اواخر عهد عثمان بن عفان واخر ما قاله :

ابا عبيد رفع الكتاب
واقترب الوعيد والحساب
وعند رحلي جمل منجاب
احمر لي حاركه انصباب (٤)

ومما يروى لابي العيال رسالة بعثها الى معاوية من ارض المعركة وبعثت فيها في عهد ولايته لا خلافة منها :

من ابي العيال ابي هذيل فاعرفوا
قولي ولا تتجمعوا ما ارسل
ابلغ معاوية بن صخر آية
يهوي اليك بها البريد المعجل

- (١) راجع ابن الاثير وتاريخ الاسلام لحسن ابراهيم حسن .
- (٢) راجع شعر الحرب في ادب العرب - زكي المحاسني ص ١٢٢ .
- (٣) راجع كتاب شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام - للصمدي ص ١٦٧ .
- (٤) راجع دراستنا عن ابي ذؤيب في كتابنا شيء من التراث ص ١٠٥-٧١ .

والمرء عمرا فانه بصحيفة
منى يلوح بها الكتاب المنمل
والى ابن سعد ان اؤخره فقد
ازدى بنا في قسمه الى يعدل
في القسم يوم القسم ثم تركه
اكرامه ولقد ارى ما يفصل
والى اولى الاحلام حيث لقيتهم
حيث البقية والكتاب المنزل
... الخ . (٥)

ويروي صاحب نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب الابيات التالية لطارق بن زياد اثناء فتح الاندلس نقلا عن كتاب «المسهب» و «ابن اليسع» :

ركبنا سفينا بالجواز مقيرا
عسى ان يكون الله منا قد اشترى
نفوسا واموالا واهلا بجنة
اذا ما اشتينا الشيء فيها نيرا
ولنا نبالي كيف سالت نفوسنا
اذا نحن ادركنا الذي كان اجدرنا

وبعقب عليها : وهذه الابيات مما يكتب مراعاة لقاتلها ومكانته لا لعلو طبقتها (٦) .

٤ - الشعر في الجبهة الشمالية :

اذا كان الامويون قد توسعوا شرقا وغربا فانهم لم يتجاوزوا في الجبهة الشمالية ابعد نقطة بلغها الخلفاء الراشدون لانشغالهم بالمعارك الداخلية التي فتت «الامة - الطبقة» واكثر من هذا فقد اضطر عبدالملك بن مروان لدفع اتاوة للروم ليؤمن حدوده . وكانت المعارك في الجبهة الشمالية موسمية لا تقع الا صيفا فعرفت «بالصوائف» (١) .

وقد تم في هذه الجبهة فتح اغلب مدن الشام : دمشق ، حمص ، بعلبك ، حلب ، انطاكية ، بيسان ، بيت المقدس خلال العامين (١٥-١٦هـ) وفي (٢٥هـ) بلغ معاوية عمورية ، وفي (٢٨هـ) فتحت قبرص في البحر الابيض المتوسط ، وفي (٢٨هـ) غزا العرب القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف ولم توفق الحملة ، وفي (٥٢هـ) فتحت جزيرة ارداد قرب القسطنطينية ، وفي (٨٧هـ) فتحت سوسة والمصيصة ، وفي (٩٢هـ) فتحت جزيرة سردانية .

ولم يرو المؤرخون كثيرا من الشعر الذي قيل في هذه الجبهة وما بلغنا منه نزر ضئيل وبعضه قيل قبل حكم الدولة الاموية ومنه ما انشده عبدالعزیز بن زرارۃ الكلبي احد المقاتلين في حرب القسطنطينية .

قد عشت في الدهر اطوارا على طرق
شتى فصاقلت منها اللين والبشما
كلا بلسوت فلا النماء تبطرني
ولا تجشمت من لاوائها جزعنا

- (٥) ديوان الهلاليين - طبعة دار الكتب ج ٢ ص ٢٥٢-٢٥٥ .
- (٦) نفع الطيب - الجزء الاول ص ٢٤٨ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .
- (١) راجع تاريخ ابن خلدون .

٥ - قصيدة الفتوح :

شعر الفتوح الاموية حلقة وسطى لها قبل ولها بعد
اما ما قبله : فلقد عرف الشاعر الجاهلي نوعا شبيها به هو
الشعر الذي كانوا يتناشدونه اثناء وفائهم او ارهاصا بها او
نتائج لها ، ثم جاء الاسلام فازدهرت القصيدة الحربية اثناء
غزوات الرسول وقد جمع لنا ابن هشام في سيرته طائفة
لا يستهان بها من شعر الذين ناصروا الدعوة وانضوا تحت
لوائها ، ومثلها من شعر الذين وقفوا منها مواقف مناوئة
عدائية .

واما ما بعد شعر الفتوح الاموية فان الحرب لم تضع
اوزارها في عهد العباسيين ولا في عهد دولات الطوائف وربما
كانت اجود انواع القصائد الحربية في تاريخنا الادبي هي تلك
التي انشدها ابو تمام في عمورية وغيرها ، ثم سيفيات التنبي
وحمايات ابي فراس الحمداني ..

ورغم كون القصيدة الحربية رافقت العربي طيلة عصور
التاريخ العربي الا ان النقد الادبي لم يستطع ان يبلور ابعادا
خاصة لها تميزها عن غيرها كما يبلور حدودا مميزة للقصيدة
النسيب والمديح والرباع والهجاء (١) .. ونجد ملامح هذا
النوع الشعري في باب الافتخار حينا وباب الحماسة حينا
آخر .

فهم يضمنون في باب الحماسة ما يقال في حمل النفس على
المكروه ، وفي الفتك ، ومكاشفة الاعداء ، والاستعداد للقتال ،
والانفة والامتناع عن الضيم والخف ، وركوب الموت خشية
العار ، والاخذ بالثار ، وغير ذلك من المعاني التي تدور حول
القتال (٢) .

وهم يقولون عن حد الافتخار انه مديح ولكن الشاعر
يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار
وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار وينكر قدامة ان يمدح الانسان
بآبائه دون ان يكون ممدوحا بنفسه (٣) .

ويعزو أحد الباحثين المعاصرين اغفال النقاد للقصيدة
الحربية وعدم بلورة مفاهيم مميزة لها انها لم تعد موجودة في
الفترة التي دونوا فيها اسس النقد ، وفي هذه الفترة تراجع
العنصر العربي عن مكان الصدارة في قيادة الجيوش وحل محلهم
منذ انتهاء الدولة الاموية اجناس اخرى كالفرس والترك والديلم
والشراكسة ولم يعد الشعراء يخوضون غمرات القتال (٤) .

وشعر الفتوح الاموية لم يدرس دراسة مستقلة ولم
ينهض بمعبء جمعه محقق ، ومؤرخو الادب بدرسه ضمن
اطار عام شامل هو الشعر الاساسي ويتضمن هذا الشعر الى
جانبه قصائد الثورات الداخلية والخصومات الحزبية كقصيد

لا يملا الامر صدري قبل مولاه
ولا اضيق به ذرعا اذا ولما
ثم حمل على القوم وانغمس فيهم فشره الروم برماهم
حتى استشهد وقد قال أبوه لما بلغه نعيه :

فان يكن الموت اودى به
واصبح منخ الكلابي زيرا
فكل فتى شارب كأسه
فاما صفرا واما كبرا (١)

ومن شعراء الجبهة الشمالية عبدالله بن سبرة الحرشي
الذي قطعت يده اثناء نزاله مع قائد من قادة الروم لقتال برثيها :
يمنى يدي عدت منى مفارقة

لم استطع يوم « فلطاس » لها تبعا
وقائل غاب عن شاني وغائبة
هلا اجنبت عدو الله اذ صرعا
وكيف اتركه يسمي بمنصله

نحوي وأعجز عنه بعدما ولما
ما كان ذلك يوم الروع من خلقي
ولو تقارب منى الموت فاكتمنا
وبل امه فارسا اجلت عشرته

حامي وقد ضيموا الاحباب فارتجما
يمشي الى مستميت مثله ، بطل
حتى اذا امكنا سيفيهما امتصعا
كل بنوه بماضي الحد ، ذي شطب

جلا الصياقل عن دربه الطبعنا
حاسيته الموت حتى اشتف آخره
فما استكان لما لاقى ولا جزعا
كان لته هدايا مغملة

احم ، ازرى لم يشمط وقد صلعا
فان يكن « ارطبون » الروم لطمها
فقد تركت بها اوصاله قطعا
بناتين « وجلمورا » اقيم بها

صدر القناة اذا ما انسوا فزعا (٢)
وقال الشاعر ابن عرس العبدي في حادثة خذلان منى بها
العرب امام الاتراك في « سمرقند » وهي تقع في اقصى الشمال
الشرقي من الدولة الاموية .

ابن حمزة الحرب من معشر كانوا جمال المنى الحارث
بادوا باجال توافوا لها والعائر المهمل كالبائد
كنا قديما يتقى باسنا وندرا الصادر بالوارد
حتى منينا بالذي شابنا من بعد عز ناصر ائد
ثم يخاطب قائده الذي بكى بسببها :

تبكي لها ان كشفت ساقها جدعا وعقرا لك من قائد
تركنا اجزاء معبوبة يقسمها الجازر للناهد
افسحت سمرقند واشياها احدوة الغائب والشاهد

ثم يذكر الابطال الصرعى :

فكم نوى في الشنب من حازم جلد القوى ذي مرة ماجد
يستنجد الخطب وبفشى الوغى لاهاب ، غس ، ولا ناكذ (٣)

(١) ابن الاثير - ج ٢ ص ٥٩ .

(٢) شعر الحرب عند العرب - ص ١٢٠ ، والشعر الملحمي
لاحمد ابو حاتم ١١٩-١٢٠ .

(٣) شعر الحرب عند العرب - ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(١) راجع كتاب المدة في الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني .

(٢) راجع فصول حماسة البحري وعدتها سبعة وعشرون فصلا .

(٣) راجع المدة - بتحقيق محمد محي الدين عبدالحليم ج ٢

ص ١٤٥-١٤٣ .

(٤) اسس النقد الادبي عند العرب - د. احمد احمد بدوي

ص ٢٦٤ .

الخوارج ، وقصيد الشيعة ، وقصيد الزيرية ، وقصيد المرجة وقصيد البلاط الاموي وغيرها (٥) .

والشعر الذي اقترن بالفتوح ليس شعرا صافيا ولكنه اختلط بغيره فهناك مقاتلون كانوا يمثلون بقصائد حماسية أثناء قتالهم قالها شعراء جاهليون في ايامهم ، او شعراء اسلاميون ساهموا في غزوات الرسول .. وهناك شعراء نظموا قصائد تصف الحرب وبلاء الامويين فيها وهم لم يشهدوها كـ شعراء المديح والهجاء الذين قصدوا البلاط ليمدحوا ويلموا وفي مقدمتهم الفرزدق والاختل .

وتماز قصيدة الفتوح بعد ذلك بكونها صادقة عفوية لا تكلف فيها ولا زخرف ، يعبر شاعرها عن الحقيقة العارية ولا يدرك محتوى الكلمة فيها ادراكا تاما الا من عاش اجواءها .. فنحن مثلا ننفر من تعداد اسماء الرجال فيها كما يلي :

فاضحي الخزاعي الرئيس مجدلا
كان لم يقاتل مرة ويحارب
وراس بني شمع ، وفارس قومه
شهوة ، والتميمي هادي الكتاب
وعمر بن بشر ، والوليد ، وخالد ،
وزيد بن بكر ، والحليس بن غالب
وضارب من همدان كل مشيع
اذا شد لم ينكل ، كريم المكاسب
ومن كل قوم قد أصيب زعيمهم
ودو حسب في ذروة الجند .. ناقب
ابوا غير ضرب بفلق الهام وقمه
وطعن باطراف الاسنة : صائب (٦)

هذا التكرار الذي ننفر منه في حقيقته ذو دلالة عميقة في وجدان الشاعر وخاصة الشاعر المقاتل الذي تربطه علاقات عديدة بقاتله واخوانه في السلاح وربما كان اشهر اسم من هذه الاسماء يقود بشاعرنا الى السجن او يعرضه لنقمة الوالي الجديد من جهة وقد يستدعي حمايته من قبيلة فلان واقتدائه في مجتمع يمتز بالانساب ويحترمها من جهة اخرى .

وتتميز قصيدة الفتوح بخلوها من هجاء الاعداء وتجنبها هذا الموضوع كما يقول الاستاذ كارلو نلينو « وكانهم يعتبرون الهجاء من خصائص اولاد عدنان وقحطان » وتفسير هذه الظاهرة انهم « لم يملأوا الهجاء الا اذا رد عليه ومن الواضح ان هذا الرد مستحيل اذا كان العدو من العجم ... » (٧) .

وفي موضوعات قصيدة الفتوح ميزة اخرى لها هي الهروب الى الطبيعة والشكوى والبث لها سببها بعد الشاعر عن احبه وذويه ، ووجوده في وسط اعجمي لا يفهمه ولا يفهمه ..

اما الموضوعات الاخرى التي يشترك فيها شعر الفتوح مع بقية الانواع الشعرية فمنها الحس بالغربة ، والحنين للاحبة ، والشعور بالنأي ، ولوعة الفراق ، ووصف المشاهد الغريبة ، والمديح ، والرثاء ، والفخر .

(٥) راجع كتاب الشعر السياسي - احمد الشايب ، وكتاب ادب السياسة في العهد الاموي للدكتور احمد محمد الحوني .

(٦) راجع ابن الاثير - ج ٢ ص ١٨٩ .

(٧) تاريخ الادب العربي - كارلو نلينو - نشرته مريم نلينو - دار المعارف بمصر ص ١٩٧ .

الصحيفة الثالثة : شعراء الفتوح

حفظ لنا التاريخ العام وتاريخ الادب اسماء عدد من الشعراء الذين ارتبطوا بالفتوح الاموية اما بصفتهم محاربين مقاتلين او بصفتهم رجال صحافة واعلام كانوا يرافقون الجيش فيشيدون بقادته وينشرون انباء انتصاراته ومنهم اعشى همدان ، ومالك بن الرب وكعب الاشقري وعبدالله بن سبرة الحرشي والمغيرة بن حنّاء ونهاس بن توسة وعبدالرحمن بن جمانه وثابت قطنه وابن عرس العبدي .. وبعض هؤلاء لم يؤثر عنه سوى قليل من الشعر ولا شيء غير هذا القليل ويبدو لي ان المهتم شخصية واولفهم اخبارا ثلاثة : الاعشى ، وكعب ، ومالك .

١ - أعشى همدان :

لم يوفق في حروبه ولم يوفق في ثورته ولكنه كان اكثر توفيقا في علاقاته الوجدانية مع المرأة .. فلقد اسر أثناء خروجه لقتال الفرس في « الديلم » ولقد تار مع ابن الاشعث متحديا الحجاج بن يوسف الثقفي في الكوفة ولكن ثورته لم تؤت اكلها واودت بحياته او كانت سببا من اسباب اعدامه .

اما علاقاته الوجدانية فكانت ميدان ظفرو وفوزه فني خبر من اخباره انه حين اسر في الديلم تصقت اوامر الودة بينه وبين ابنة اسره ، احبته ومالت اليه وراودته عن نفسه وهو موقوف سجين موكل امر مصره بيد اييها .. ولقد نال منها ما لم ينله غيره ونالت منه الدبلوماسية ما لم تنله من غيره . والذا كان في الرواية اسراف وشطط ، واذا كانت المحاوراة التي جرت بينهما ونقلها صاحب الاغانى صادقة او غير صادقة ، موضوعة او غير موضوعة فان دلالتها لا شك في صدقها .. وان مجموع اخباره تدل على انه كان يتمتع بفحولة وقدر جنسية حتى وهو شيخ مرتعش على فرسه .. وفيما عدا ما كان بينهما داخل الاسر وكونها اطلقت سراحه وهربت معه لا نجد اشارة اخرى لهذه المتعششة في مجمل اخباره ولا نجد ذكرا لها فيما بلغنا من شعره .

وكان لعبدالرحمن بن عبدالله وهذا هو اسمه امرأة من قومه يدعوها « ام الجلال » ويقلب على الفن ان هذا كنية لها وانه وانها لم تنجب ولدا بهذا الاسم لان علاقاتهما كانت تزداد سودا كلما طالت مدة عشتريهما وفي شيخوخته مال الى امرأة يدعوها « جزلة » وتدعى في بعض الروايات « خولة » .. كانت شابة بيضاء ذات شعر جمد اسود مكتنزة القوام ، فخطبها ولكنها تابت عليه واشترطت عليه شرطا ان يكون لها وحدها وان يقطع ما بينه وبين ام الجلال من وشائج وكانها ارادت ان ترهقه لكي لا يقترن بها ولكن هذا الشرط لقي هوى في نفسه فقبل به وطلق زوجته ثلاثا لكي لا يكون للحوار بينهما بقية ولا يكون لحياتهما الزوجية تلو . ويخيل لي ان « جزلة » حين تزوجته تزوجته كارهة بعد ان نكحت حيلتها واسقط في يدها .. ويفسف رواية اخباره ان ام الجلال دعت الله ان يقع بينه وبين خطيبته ما يفضها له ، وما يفضها لها ويلذكرون ان الشق الثاني تحقق .. وانه حين دخل بها لم يجد حظوة لديها .. ويبدو ان الامر طبيعي ولا علاقة له بالدعاء وان بلور خصومتها كاملة في شرط الخطوبة ولكنه لم يدرك كونه رفضا حيا اذ كانت سنه وحالته الصحية عند الزواج كما يقول :

عجبت جزلة مني ان رات
لمتي حفت بشيب كالثغام
وراث جسمي علاه كبرة
وصروف الدهر قد ابلت .. عظامي
وصلت الحرب حتى تركت
جسدي نصوا كاسلاء اللحام

ولا شك ان الحرب انعبته وانهكت قواه الروحية والجسدية
فلقد حارب في الديلم ومكران وسجستان ونصيبين وغيرها ..
وحين ظفر به الحجاج واقتيد اليه بنوء باغلالة حاول ان يتراجع
وان يفر مواقع اقدامه ولكن الحجاج فهم محاولته وكانها مراوغة
تحتل وجهين .. الوجه الظاهر الذي يريد ان يخدعه به والوجه
الكامن الذي يعرض به اصحابه وبعين أسفه على ما حل بهم
ويبدو لنا من الحوار الذي دار بينه وبين الحجاج .. وكان
الحجاج وهو يقرأ ملفا خاصا اشبه بملفات الباحث الحديثة
يحتاجه فلقد ذكره بكثير من شعره الذي قاله مديحا في خصوم
الحجاج وهجاء له .. منها انه ارنجز ذات يوم وهو يتقدم موكبا
عسكريا خارجا عليه :

امكن ربي من ثقيف همدان
يوما الى الليل بلي ما كان
ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب نان

وقال مرة اخرى :

يا ابن الاشبح قريع كندة لا ابالي فيك عبا
انت الرئيس ابن الرئيس وانت اعلى الناس كعبا
نبئت حجاج بن يوسف خر من زلق قبا
وقال الاعشى ليمن يكرهه الحجاج :

واذا سالت المجد ابن محله

فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاغر وبين فيس باذخ
بخ بخ لوالده وللمولود

وكان الحجاج وهو يتلو الابيات المذكورة يتميز غضا
وبخشن القول للشاعر حتى اذا بلغ الاخير اقسام ان لا يخج
بعدها ابدا وأمر حراسه فضربوا عنق الشاعر والجدير بالذكر
ان الاعشى سبق له ان غزا كerman في ركاب الحجاج .
وبلاحظ في شعر الاعشى نوع من التناقض فهو يمدح فلانا
ثم لا يلبث ان يقول فيه شعرا لا يحبه ولا يرضاه وكأنه مدفوع
بدافع الطمع .. فلقد انتى كثيرا على خالد بن عتاب الرباحي
ولكنه ما ان قلل عطائه حتى تنكر له ، وانه نادى مع ابن الاشعث
ولكن ابن الاشعث حين صار الى سجستان ورفض ان يزيد عطاء
الاعشى قال فيه شعرا فيه لوم وعتاب ومنة عليه .

ويلوح لي ان الخط الذي يجمع هذه التناقضات كون شاعرنا
لم يقل شعره الا اجابة على اسئلة الحياة وردا على مواقف كانت
تحتج عليه الرد الفوري ويمكن تعميم هذا الحكم على شعره
نصاليا كان او وجدانيا .

فهو بعد ان وقع في الاسر قال ردا على صوت لانعرفه ولكننا
نحسه من خلال نبرات صوته في قصيدته الفائية ولعله كان صوتا
يستهدف النيل من نصاله وما اكثر الاصوات التي تستهدف
المناضلين عند اول اخفاق يمتنون به .

واستكرت ساقي الوثاق وساعدي
وانا امرؤ بادي الاشاجع اعجف
ولقد تفر سني الحروب وانني
الفي بكل مخالفة انصف

انربل الليل البهيم واستري
في الخيت الا لا يسترون واوجف
ما ان ازال مقنعا او حاصرا
سلف الكيبة ، والكتيبة ولف
فاصابني قوم فكنت اصبهم
فالان اصبر للزمان واعرف
انني لطلاب الترات ، مطلب
وبكل اسباب النية اشرف
باق على الحدنان غير مكذب
لا كاسف بالي ولا متأسف
ان نلت لم الفرح بشيء نلت
واذا سبقت به فلا انلطف
وفي قصيدة قالها وهو مريض بمكران وعمره خمسون عاما
يرد على عواذله :

وقال الموادل هل ينتهي
فيقنعه الشيب او يقصر
وفي اربمين توفيتها
وعشر مننت لي مستبصر
وموعظة لامرئ حازم
اذا كان يسمع او يبصر
فلا تأسفن على ما مضى
ولا يحزننك ما يدبر ..
فان الحوادث تبلي الفتى
وان الزمان به بعثر ..
فيوما يساء بما نابيه
ويوما ير فيتبشر ..

وقال بعد ان رفض ابن الاشعث زيادة عطائه وكانت قبيلة
الاعشى اخوال بن الاشعث :

كم قد أسدي لك من مدحة
تروى مع الصابر والوارد
وكم اجينا لك من دعوة
فاعرف لما العارف كالجاحد
نحن حينناك وما نعتمى
في الروع من منى ولا واحد
يوم اتصرنا لك من عابد
ويوم انجيناك من .. خالد
ووقعة الري التي نلتها
بجحفل من جمنا .. عافد

الى ان يقول :

نحن ولدناك فلا نجفنا
والله قد وصاك بالوالد
ان نك من كشدة في بيتنا
فان اخوالك من حاشد

فارتجح لاخوالك واذكرهم
وارحمهم للسلف العائد
فان اخوالك لم يرحوا
يربون بالرشد على الرافد

وقال في آخر ايامه وهو بين يدي الحجاج :
أبى الله الا ان يتم نوره
ويطفئه نار الفاسقين فتخدما

وينزل ذلا بالعراق واهله
كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما لبث الحجاج ان سل سيفه
علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج الا رايته
حساما ملقى للحروب معودا
الى ان يقول :

ليهنى امر المؤمنين ظهوره
على امة كانوا بقاء وحسدا
وجدنا بني مروان خير ائمة
واعظم هذا الخلق حلما وسوددا
وخير قريش في قريش ارومة
واكرمهم الا النبي محمدا
.. الخ . (١)

٢ - مالك بن الربيع :

كانوا ثلاثة ضائعين في الارض المحيطة بجبل سنام الرابض
بين الكويت والبصرة ، يتعرضون لركاب القوم فيسلبونهم متاعهم
ونقودهم ويمتدون على كرامتهم وقد تجاوزون الى الاعتداء على
ارواحهم .. وكثرا ما جلسوا في ساعات فراغهم يتندرون فيما
بينهم بقصص فتكهم ولصوصيتهم .. اما احدهم فكان شاعرا ذاع
شعره وسار ذكره واما الاخران فلم يشتهرا بشعر .. قد بلغت
اخبارهم والى المدينة فنظر نفسه لايقافهم عند حددهم وانقادا القوم
من شرمهم فارسل من يلقي القبض عليهم ويقتادهم لحضرته
ليقتص منهم وندب لهذه المهمة احد الانصار فاضطلع بها اضطلاع
قدير متمكن واستطاع ان يلقي القبض على ابي حردابه ومالك
بن الربيع ولم تذكر الاخبار شيئا عن ثالثهم شظاظ .. وبينما
الانصاري بحث خطاه في طريقه نحو الوالي تمكن مالك بن الربيع
من تجريد غلامه من سلاحه وقتله به ثم الاجهاز على الانصاري
وقتله هو الآخر والاسراع لانقاذ زميله من الاسر وحل وثاقه ، وما
ان تخلصا حتى ركبوا ابل الانصاري وهربا نحو البحرين ومن
هناك الى فارس .

ويبدو ان مالك بن الربيع اثناء ضياعه في بادية البصرة
واثناء غربته في فارس كان يصطحب معه اسرته ولا نعرف من هذه
الاسرة سوى ما يدل عليها فلقد كانت له فتاة تدعى « شهلة »
تملك عليه حواسه وتحد من حركته كلما هم ان يتحرك بعيدا .
ولم يكن هذا الشاعر التشرد دميم الخلقة ولا ركيك الشعر ولكنه
اشتهر بجمالهما معا .. فقد كان جميل الوجه من اجمل اقوم
وجها وانقهم ثيابا ، وكان جميل البيان من اجمل الناس قولا
واعذبهم قصيدا .. وكان شجاعا قوي الباس بحسن الرماية
والظمن .. وهو لا يجد حرجا في ان يلتحف الظلماء في البادية
ما دام سيفه بجانبه وقد وجد نفسه ذات ليلة فريسة لشبح
داهمه فلم يرتعب وتمالك نفسه وامتنق سيفه وظم ظمن الشبح

(١) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على المراجع التالية :-

- ١ - الاغانى - ط دار الثقافة ج ٦
- ب - تاريخ ادب العربية - جرجي زيدان ج ١
- ج - تاريخ الادب العربي - د. شوقي ضيف - العصر الاسلامي .
- د - تاريخ الامم والملوك - الطبري ج ٥
- هـ - الموضح للمعري ج ١
- د - الاعلام - للزركلي .

الذي داهمه فلما هو يشطره ويودي بحياته .. وما ان يتبينه
مليا حتى يجده رجلا اسود قاتما .

ولي ليلة اخرى يواجه ثوبا او يواجهه اللئب فيزجر
احدهما الآخر فلا يزدجر وما هي الا لحظات ويشتبك اللئب
والشاعر معا ليسفر من انتصار الشاعر وانهيار اللئب
وموته .

ورغم قوة شاعرنا وشدة فتكه الا انه كان حساسا لا يتحمل
الاهانة مهما كانت بسيطة ففي خير من اخباره انه قصد فارس
لانه احب ليلي الاخيلية واثاء مبارزة له مع صاحبها توبة بن
الحمر يصدر عنه ما يخل بكرامته من ربح ونحوه فيتصامل امام
خصمه وامام شاعره فيقرر الدخول في الفربة لعل الفربة تظهر
ذاته مما الم بها من اهانة . وسواء اكان هذا الخبر صحيحا
او كان سبب غربته غيره فان الشاعر فعلا عرف الفربة وكانت
فارس دار غربته .. وبينما هو سائر في حياة الضياع والتشرد
يلتقي ذات يوم امرا من امراء بني امية هو سعيد بن عثمان بن
عفان في طريقه الى خراسان ليتقلد مهام عمله فيسأله الامر عن
السبب الذي دعاه وهو الجميل الاتيق الفصيح الى ركوب
الركب الخشن الذي ركبته فيجيبه جوابا صريحا يكشف عن طويته
قلانلا : يدعوني اليه العجز من المعالي ومساواة ذوي المروءات
ومكافاة الاخوان .. فيعرض عليه الامر ان يضع تحت تصرفه مربعا
لاباس به يعينه على مكافاة الاخوان ومساواة ذوي المروءة وتحقيق
المعالي على ان يصطحبه معه وان يصلح سلوكه .. فيكون للعرض
وقع حسن في نفسه واذا هو يسرع فيقول : اي والله ايها الامر
اكف كفا لم يكف احد احسن منه .. وهكذا تنتهي حياة التشرد
والضياع ليكون مالك بن الربيع جنديا عربيا من جنود الدعوة
الاسلامية يصحب الامر في ركباه المظ نحو خراسان .

ويتحدث مؤرخو حياته بعد ذلك عن مساهمته في فتح
سمرقند وبلان فيها ولكنه اثناء اياحه من خراسان يتناهب مرض
عضال فيحس بدنو اجله او تلدغه في رواية اخرى الفم فيحس
بدنو اجله وسواء اصدق الخبر الاول ام صدق الخبر الثاني
فقد احس بدنو اجله فافرد عن القوم وتخلف من الركب ومعه
صاحبان له ، او معه امرأة وصاحب .. واغلب الظن ان صدقت
الرواية الثانية ان المرأة ابنته شهلة .. ولي هذا المؤلف نظم
قصيدة رقيقة الشاعر ، عذبة النغم تقف الى جانب اروغ ما
وصلنا من شعر التراث يرثي فيها نفسه ويمر عن غربة روحه .

وكما مات مالك بن الربيع شهيدا وهو عائد من ارض
المعركة فان ابا حردابه اللص الثاني هو الآخر استشهد في احدى
غزوات العرب للفرس بعد ان تاب وتنسك واما شظاظ الثالث
فقد امسكه الحجاج وامر بصلبه لصلب .

ولقد عبر ما لك من كل فقرة من فقرات حياته بملووسة
ولفظة ولذلك فان سر قصيده هو التعبير عن حادثة وقعت له ،
او تجربة تجاوزها .. وهو في هذا لا يشابه الاعشى الذي تولد
قصيدته جوابا على موقف ولكنه يختلف عنه .. لان « التعبير
عن موقف » يختلف عن « جواب المؤلف » ولا يشابهه .

قال مالك من قصيدة يمر فيها عن تخلصه من قبضة
الوالي مروان :

الا من مبلغ مروان عني	فاني ليس دهري بالفراد
ولا جزع من الحدثنان يوما	ولكني ارود لكم وبسار
بهزمار تراد العيس فيها	اذا اشقن من قلق الصفار
وهن يخشن بالاعمال خوسا	كان عظامهن قداح باري
كان الرجل اسار من قراها	هلال عشية بعد السرار
رايت وقد اتى بحران دوني	ليلي بالغميم فسوء نثار

إذا ما قلت قد خدمت زهاها عصي الزند والمصف السواري
يشب وقودها ويلوح وهنا كما لاح الشوب من السواري
... الخ .

وقال يفخر بقتله الاسود الذي داهمه ذات ليلة :

يا غاسلا تحت الظلام مطية
متخايلا لا بل وغير مخايل
انى انخت لشائك انيابيه
مستانى بدجى الظلام منازل
لا يستريح عظيمه يرمى بها
حصاء تحصر عن عظام الكاهل
حربا تنصبه بنبت هواجر
عاري الاشاجع كالحسام الناصل
لم يدر ما غرف القصور وفيؤها
طاو بنخل سوانها المتمايل
يقف الفؤاد اذا القلوب تانت
جزعا ونبه كل ادوع باسل
حيث الدجى متطلعا لفقوله
كالذئب في غلس الظلام الخائل
فوجدته ثبت الجنان مشيما
ركاب منج كل أمر .. هائل
فقراك ابيض كالعقبة صارما
ذا روتق يفشى الضربة قاصل

ومن قصيدته التي يرثى فيها نفسه وقيل ان عدتها ثلاثة
عشر بيتا وما عداها منحول عليه :

ايا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
برابية اني مقيم .. لياليا
وخطا باطراف الاسنة مضجعي
وردا على عيني فضل ردايا
ولا تحسداني بارك الله فيكما
من الارض ذات العرض ان توسعاليا
لعمري لان غالت خراسان هامتي
لقد كنت عن بابي خراسان نايا
فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة
بجنب القضى ازجى القلاص النواجيا (١)

٣ - كعب الأشقرى :

قالوا عنه : شاعر فارس خطيب معدود من الشجعان ،
واقول عنه خلق ليمش في اللحظة الآتية فهو ابن لحظته دائما
وهذه الخصلة فيه تبرر مزاياءه ، وهذه الخصلة فيه تبرر
اخطائه وعيوبه ، وهذه الخصلة هي التي قادته الى الموت
واوردته المورد الصعب .

فهو شجاع يعطي الموقف حقه ويتأق في حدوده ، فقد

(١) اعتمدت في كتابة هذا الفصل على :

أ - الاغانى - دار الثقافة ج ٢٢ ص ٢٠٢-٢٢٥

ب - الاعلام - للزركلى

ج - معجم الشعراء - الرزباني ص ٢٦٥

د - شعراء الواحدة - نعمان مامر الكنعاني

هـ - المقد الفريد - ج ٢ - تحقيق محمد سيد المريان

و - تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان ج ١ - - -

لقى الحجاج مولدا من المهلب لدار بينهما حوار متع نورد
طرفا منه .

سأله الحجاج كيف بنو المهلب ؟

قال : حماة للحريم نهارا وفرسان بالليل ايقاظ .

- فابن السماع عن العيان ؟

- السماع دون العيان .

- صفهم رجلا رجلا .

- الفيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصعدة عالية ،
وكفى يزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبحر جم العباب ،
وجوادهم قيصره ليث الفار وحامي النمار ، ولا يستحي الشجاع
أن يفر من مدرك فكيف لا يفر من الموت الحاضر والاسد الخادر
وعبدالملك سم نافع وسيف قاطع .. الخ .

وهكذا ينضى الحوار بينهما فيحكم الحجاج بقدرته وكفاءته
وبجزل عطاءه ويقول له : المهلب كان أعلم بك حيث بعثك .

ويكتب الحجاج بعد ذلك الى المهلب يأمره بمناجزة الازارقة
وبسبيلته فرد عليه المهلب موضحا ان ادارة الحرب من صلاحيته
فهو الذي يخوضها وليس الحجاج وانه يرفض ان يأخذ بأوامر
الحجاج بحيث تكون الاصابة ان اصاب المهلب للحجاج ويكون
الخطا ان اخطأ المهلب على المهلب . ويكتب اليه ان لم يقتنع
بان تدير الحرب من صلاحيته أن يعزله ويولى من يشاء مكانه
فتنهز اللحظة البطولية التي وقفها المهلب مشاعر كعب فيقول
فصيذة ينال بها من شخصية الحجاج وتبلغه فيحمل في نفسه
شيئا على الشاعر ولكن الشاعر يستعين عليه بالخليفة فيستوجه
من الحجاج ويعفو عنه .

وحين يخطئ كعب فهو انما يخطئ بسبب عدم رؤيته الى
ما هو أبعد من حدود اللحظة الآتية فهو لا يلفت جيده السى
الوراء ليتذكر ويعطي للذكرى حقها ، ولا يتطلع للمستقبل ليعطي
للمفاجآت حقها ومن هذا موقفه بين قتيبة بن مسلم الباطلي
وزيد بن المهلب .. فلقد اخفق يزيد في فتح مدينة خوارزم
واستعصت عليه فزل وولي مكانه قتيبة فحاصرها وفتحها فهزت
هذه اللحظة البطولية مشاعر كعب فمدحه وهجا يزيد بن المهلب
وذهب بعري حتى اصوله الاعجمية في الوقت الذي ينكر ذوو
المهلب اعجمية أصلهم ويدعون انهم ازديون صليبة .. وتدور
الايام وبعود يزيد لولايته فلا يجد كعب امامه الا الهروب والعودة
الى عمان .

ولو ان شاعرنا لم يكن ابن لحظته لاحتاط لفده ونظر
الى ما هو أبعد من الآن ولما وقع في المصيدة التي وقع فيها .

وهذه الصفة في كعب هي التي اودت بحياته كذلك فما ان
اطمان في عمان ثم مه ضر فيها بسبب انقطاع صحبته للامراء
والقادة حتى نسي ماضيه وتصور ان الآخرين مثله يعيشون في
حدود يومهم فكتب الى ابن المهلب يعتذر وفي اعتذاره كشف عن
مخباة الذي فر اليه فانتبه ابن المهلب الفرصة واغرى ابن اخ
للشاعر كان الشاعر قد هجاه بقتله فجاءه وهو نائم تحت شجرة
فضربه بفأس واودى بحياته .. وهكذا يكون غادره هو الذي
منحه اعلى اناشيده . وبذلك لم يكسب كعب بشعره الكثير
شيئا يساوي ما خسر بسبب قليل من شعره .. وان ما
اعطاه آل المهلب لكعب الاشقرى ذهب مع تقادم الزمن وما
اعطاهم كعب ما زال باقيا .

قال كعب يمدح المهلب :

سلوا اهل الاباطح عن فريش

عن العز المؤبد ابن صارا

المراجع

رُبت المراجع حسب ورودها في هوامش الصفحات :

- ١ - حضارة الاسلام - جوستاف جرونباوم - ترجمة عبدالعزيز جاويد .
- ٢ - محاضرات في تاريخ العرب - د . صالح احمد العلي ط ٢ .
- ٣ - حضارة العرب - غوستاف لوبون - ترجمة عادل زميتير ط ٢ .
- ٤ - تاريخ الاسلام - د . حسن ابراهيم حسن ج ١ - ٢ .
- ٥ - فجر الاسلام - احمد امين .
- ٦ - تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي - ج ٨ .
- ٧ - سرية ابن هشام - تحقيق مصطفى السقا ورفيقه .
- ٨ - الادارة العربية - س.ا.ق حسيني . ترجمة د . ابراهيم احمد العدوي .
- ٩ - اشتراكية الاسلام - د . مصطفى الباعلي ط ٢ .
- ١٠ - الخراج في الدولة الاسلامية - محمد ضياء الدين الريس .
- ١١ - الاشتراكية والحرب - لنين .
- ١٢ - الاستراتيجية العسكرية السوفياتية - سوكولوفسكي - ترجمة خيري حماد .
- ١٣ - المقد الفريد - ابن عبد ربه - تحقيق محمد سعيد المريان .
- ١٤ - الدعوة الى الاسلام - ارنولد - ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين .
- ١٥ - تاريخ الامم والملوك - الطبري .
- ١٦ - فتوح البلدان - للبلاذري - تحقيق صلاح الدين المنجد .
- ١٧ - الكامل في التاريخ - ابن الاثير - طبعة دار صادر دار بيروت .
- ١٨ - شعر الحرب في ادب العرب - زكي المحاسني - طبعة دار المعارف .
- ١٩ - شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام - نعمان الصعيدي .
- ٢٠ - شيء من التراث - عبد الجبار داود البصري .
- ٢١ - ديوان الهذليين - طبعة دار الكتب .
- ٢٢ - نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب - ج ١ - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .
- ٢٣ - تاريخ ابن خلدون .
- ٢٤ - الشعر الملحمي - احمد ابو حاليه .
- ٢٥ - العمدة في الشعر ونقده - ابن رشيق القرواني - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .
- ٢٦ - اسس النقد الادبي عند العرب - د . احمد احمد بدوي .
- ٢٧ - الشعر السياسي - احمد الشايب .
- ٢٨ - ادب السياسة في العهد الاموي - احمد محمد العوفي .
- ٢٩ - تاريخ الادب العربية - كارلو نلينو - طبعة دار المعارف .
- ٣٠ - الاغاني - طبعة دار الثقافة ج ٦ ، ج ٢٢ ، ج ١٤ .
- ٣١ - تاريخ آداب العربية - جرجي زيدان .
- ٣٢ - تاريخ الادب العربي - العصر الاسلامي - د . شوقي حنيف .
- ٣٣ - الموشح - المرزباني .
- ٣٤ - معجم الشعراء - المرزباني .
- ٣٥ - الاعلام - الزركلي .
- ٣٦ - المختل والمؤلف - للامدي .
- ٣٧ - شعراء الواحدة - نعمان ماهر الكنعاني .

ومن يحمي الثغور اذا استعرت
حروب لا ينون لها حرارا
لقومي الازد في القمرات امضى
واولى لمة واعز جارا
هم قادوا الجياد على وجاهها
من الامصار يقتلن المهارا
بكل منازة وبكل سهب
بسابس لا يرون لها منارا
الى كرمين يحملن النايما
بكل ثنية يوقدن نارا
شواذب لم يصبن النار حتى
ردناها مشككة مرارا
ويشجرن الموالي السمر حتى
تري فيها عن الاسل ازوارا
غداة تركن مصرع عبد رب
يشرن عليه من رهج عصارا
ويوم الزحف بالاهواز ظلنا
نروي منهم الاسل الحرارا
لقرت اعين كانت حديثا
ولم يك نومها الا غرارا
صانعا السوايغ والملاكي
ومن بالمصر يجتلب العشارا
فهن يبحن كل حمى عزيز
ويحمين الحقائق واللمسار
طولات المنون يصن الا
اذا سار المهلب حيث سارا
... الخ .

وقال يمدح ابناء المهلب :

كانهم نجوم حول بدر
دراري تكمّل قاستدارا
ملوك ينزلون بكل ثغر
اذا ما الهام يوم الروح طارا
بذان في الامور ترى عليهم
من الشيخ الشماثل والنجارا
نجوم يهتدي بهم اذا ما
اخو الظلماء في القمرات حارا
... الخ .

وقد قال فيه الحجاج حين انشده لمسيده الرائية
التي منها :

تأبى علينا حزازات النفوس فما
نبتى عليهم ولا يبقون ان قسدروا
« .. انك لنصف يا كعب . » ولكن الذين انصفهم كعب لم
ينصفوه .
وقال فيه الفرزدق ايضا : شعراء الاسلام اربعة انا وجريرو
والاخطل وكعب الاشقري . (١)

(١) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على :

- ١ - الاغاني - ج ١٤
- ب - الطبري - ج ٥
- ج - المرزباني - معجم الشعراء
- د - تاريخ آداب العربية - جرجي زيدان .
- هـ - الاعلام - الزركلي .

في تاريخ تطور اللغة العربية الفصحى

بقلم

المشرق الرفيني . ف . م . بيلكين

ترجمه عن الروسية الدكتور

جليل كالالدين

جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم اللغات الأوربية

ممثلو الاوساط العلمية الاسلامية في القرون الوسطى - من مفسري القرآن والحديث ، والمشرعين وسواهم - ، من حيث طبيعة عملهم ، ملزمين باتقان اللغة العربية ، واتقان الكتابة بالعربية كذلك . وعلى أية حال ، ففي الفترة التي يدور الحديث عنها ، لم يستطع هؤلاء تطوير هذه اللغة ودفعها الى امام . وقد اعتبر المع اديب ذلك الذي كان يملك ، في تأليفه رسالته في الموضوع التي اختارها ، القدرة على استخراج العدد الاقصى من كمية المقتبسات من مؤلفات سابقه ، او الذي كان يضع الوقت هدرا باحثاً لمدى اسابيع عن الكلمة اللازمة في القواميس والمراجع الاخرى .

ان كامل النشاط الادبي للحقبة الاخيرة من القرون الوسطى قد قاد ، في الجوهر ، الى تصنيف المصنفات الواسعة المأخوذة من المؤلفات الاصلية في الفترة السابقة ، والى تقليصها ، والى اعادة الصياغة ذات الطابع الموسوعي ، او التعليقات ذات المراحل المتعددة على هذه الاعمال : كان يكتب على النص الاصيل (المتن) ايضاح وتفسير يسمى (شرحاً) ، وعليه تعليق (حاشية) ، وعلى الاخير تأكيد (تكرير) وقد توطد في كافة نطاقات الكتابة العربية اسلوب النشر المصطنع المسجوع ، واللعب بالكلمات المتجانسة ، والاستعمال اللاحد له للمترادفات ، وكذلك الكلمات النادرة والتي يصعب فهمها .

ان كل هذه البلاغة المتكلفة ، والمليئة بالتلميحات غير الواضحة ، والابهام ، انما كانت محاكاة مغالى

لقد كانت النهضة في اقطار الشرق العربي نهضة سياسية ، بالدرجة الاولى ، تهدف الى التحرر من الظلم الاجتماعي والسياسي الاجنبي . وقد اكتسبت هذه العملية ، هنا ، مختلف الاشكال ، وكانت النهضة الادبية ، وبالتالي النهضة اللغوية ، احد عناصرها الملحوظة . وفي كافة الاقطار العربية كانت النهضة وما لحقها من تطور اللغة القومية ، وخصوصاً شكلها الادبي ، على اوثق الصلة بانشاء السلطة الادارية المستقلة الخاصة ، التي بدأتها في التاريخ العربي الحديث مصر ولبنان .

وفي البداية ، كان التدهور الحاد ، والركود الذي تطاول عدة قرون في كل النشاط العلمي والادبي تقريباً في داخل العالم العربي نتيجة للفتوات الاجنبية المدمرة واقامة السلطة السياسية الاجنبية ، كان كل هذا قد ادى الى تقليص دور ونطاق عمل اللغة العربية الفصحى . ان الدمار المادي الذي لحق بقسم كبير من التراث اللغوي العربي المكتوب ، كما ان ضيق النشاط الادبي بنتيجة الغزو الاجنبي ، وانعدام الدوافع والحوافز المادية والاخلاقية في الابداع بسبب ضعف الطلب على الادب العلمي والفني ، ان كل هذا معاً قد ادى الى هبوط شديد في كمية الادب الاصيل في اللغة العربية . وفي مدى القرنين - الثلاثة قرون الاخيرة حتى ميلاد النهضة العربية (حوالي منتصف القرن التاسع عشر) كان شطر لا يستهان به من الادب المكتوب بالعربية يعود الى غير العرب (*) فقد كان

(*) يقصد كاتب الدراسة بهذا ، ان هذا الادب كان مكتوباً بالافلام غير عربية (من كتاب الشعوب الاسلامية الذين

استلهموا الثقافة العربية وتمثلوها ، فاصبحت ثقافتهم الاساسية) - المترجم

فيها لاسلوب الوزير البويهى ابن العميد (٩٢٠ - ٩٩٧) ، والقاضي الفاضل (١١٣٥ - ١٢٠٠) ، وكذلك لاسلوب الحريري ، صاحب المقامات المشهورة (١٠٥٤ - ١١٢٢) . ان مثل هذا الاسلوب في الكتابة هو كما يقول احمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨) ، الكاتب العربي المعروف ، عقيم . يصرف اهتمام القارئ بالشكل الخارجي عن المحتوى الداخلي^(١) . وفي ذات الوقت كان النشر البلاغي المنمق يستعمل في بعض الوان الادب العلمي ، وخصوصاً في الادب التاريخي ، بدرجة اقل نسبياً ، كما كان أفضل كتاب العصر يهدفون الى الحفاظ على طبيعية وبساطة ورسوخ اللغة . فقد كتب المؤرخ ابن الطقطقي (ولد عام ١٢٦٢) ، في مقدمته لكتاب « الفخري » ، يقول : « لقد وجدت لزاماً علي ان اقدم افكاري في تعابير يسيرة على الفهم ، وذلك كي ينتفع بها كل انسان . لقد تجنبت التعابير الصعبة التي يسمى البعض ، عن طريقها ، الى اظهار وتاكيد فصاحتهم وحسن بيانهم وقد التقيت بكثير من منشئها ، الميالين الى البلاغة ، فاذا بغاياتهم غير واضحة ، وافكارهم مختلطة والجدوى من اعمالهم ليست بذات غنى » [٢ - ٢٨٤] .

وقد انحدرت لغة الادارة والدواوين ، منذ اواسط القرن التاسع عشر ، وفي فترة متأخرة ، في اكثر الاحايين ، الى مستوى لهجات الحديث المحلية . وكانت احياناً لا تعدو ان تكون مزيجاً غريباً من اللغة العامية الدارجة والعبارات البلاغية المتحدقة .

وكانت الصلة بين الجماهير الشعبية الناطقة بالعربية واللغة الفصحى باللغة الضعف . وكانت هذه الصلة تعزز ، في الاساس ، عبر المدارس الدينية الاولى القليلة ، حيث كان اطفال المسلمين يتعلمون قراءة سور القرآن ، كما كان المسيحيون يتلقون تعليمهم مباشرة عن الانجيل . وكانت الامية ساحقة تقريباً : فحينما تسلم محمد علي مقاليد السلطة في مصر لم يستطع ان يعد اكثر من عدة مئات من القادرين على الكتابة بالعربية .

وقد انتشرت في الادب العربي المعاصر ، على نطاق واسع ، وجهة النظر الشيولوجية التقليدية ، التي تقول ، بان اللغة العربية الفصحى انما استطاعت البقاء ، والبعث من جديد فيفضل القرآن ، فان ملايين الناس ، المتكلمين باللهجات العربية المختلفة ، كانوا ، بقراءتهم القرآن وفهمه ، يساندون ، بهذا

الشكل ، الصلة الدنيا بلفتهم الفصحى . اما الابداع الشعبي الشفاهي ، في مختلف ألوانه ، فكان قد تركز في اللهجات المحلية . وعلى أية حال فانه لمن الواضح ان الفوارق بين لغة الحديث واللغة الفصحى ، مهما كانت ، لم تقم في التراث المكتوب بالعربية ، حدوداً لا يمكن تذليلها في طريق فهم العلاقة الجدلية المتبادلة بين هذين الشكلين المختلفين غاية الاختلاف للغة الواحدة ، و « اذا كان الناس الان لا يتحدثون باللغة العربية الفصحى ، فانهم يستطيعون ، على أية حال ، فهمها ، رغم كونهم لا يعرفون القراءة والكتابة » [٣ - ٤٨] .

وعلى أية حال ، فان الشكل الادبي الفصحى للغة العربية لم يكن ، رغم صعوبته على الفهم جراء الظروف الموضوعية لجماهير الشعب الواسعة ، غريباً عليها قط ، وكان يبدو في عينيها كأرفع شكل لغوي . ولذلك ففي مسيرة البعث السياسي والثقافي العربي لم تطرح ، حتى في ظروف التبعية ، مسألة قبول أي شكل جديد من اللغة الفصحى : ففي اعماق ذهن كل امريء كان هذا الشكل قد وجد ورسخ ، وانه كان من الضروري ، على أية حال ، اتقانه وجعله منسجماً مع متطلبات العصر .

وفي اواسط القرن التاسع عشر كانت اللغة التركية لغة رسمية في الاقطار العربية الخاضعة للسيطرة التركية . وحتى في مصر ، التي كانت متحررة ، عند هذا الوقت ، من التبعية التركية ، كانت اللغة التركية هي المستعملة في دواوين الدولة ، والهيئات الصحفية الرسمية ، أما في المدارس المصرية الحكومية فقد كانت هذه اللغة تدرس حتى عهد عباس الاول (١٨٤٨ - ١٨٥٤) وكان الحال كذلك في الاقطار العربية الاخرى ، الخاضعة للنفوذ التركي ، واستمر حتى الحرب العالمية الاولى .

وعند بداية القرن التاسع عشر كانت المراكز الاساسية التي تركزت فيها دراسة اللغة العربية هي المؤسسات الدينية ، وبوجه خاص الجامع الازهر في القاهرة ، او البعثات المسيحية الدينية المختلفة (الجزويتية غالباً) في سوريا ، والتي كانت تتعمق في دراسة العالم العربي بما فيه خدمة مصالح عملها التبشيري . ان البدوق القديم والثقافة القديمة هي التي كان لها قصب السبق بل كان النشر المسجوع يغلب حتى في الوثائق والقرارات الرسمية .

وكان رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) ، اكبر شخصية مصرية في بداية عصر النهضة العربية ، وتلامذته يكثر في ترجماتهم العديدة من الفرنسية

(١) راجع الاشارة الى ذلك في الهوامش ، في ختام الدراسة (الترجم)

الى العربية التي كانت الادبيات العلمية والتكنيكية
تؤلف شطرها الاغلب من الاساليب البلاغية المتحذلقة
والقافية ، والكلمات الغريبة النادرة الاستعمال .
وكان سبب ذلك لا ينحصر في قوة التقاليد فحسب ،
بل وفي المعرفة السيئة للتراث الثقافي العربي ايضا .
وبالنسبة الى النثرين كان النموذج هو الحريري
(١٠٥٤ - ١١٢٢) ب « مقاماته » الشهيرة ،
وبالنسبة الى الشعراء كان المتنبي (٩١٥ - ٩٦٥)
والشعراء الثانويون كصفي الدين الحلبي (١٢٧٧ -
١٣٣٩) وابن الوردي (١٢٨٩ - ١٣٤٨) وغيرهما .

وكان العامل الاقوى في بعث ونشر اللغة
الفصحى بين اوساط جماهير القراء المتسعة
باستمرار هو تطور الطباعة (٢) . فقد دمرت الطباعة
ببطء ، ولكن باطراد ، احتكار الدائرة الضيقة للقراء
باللغة العربية الفصحى . فان نشر التراث الثقافي
العربي القديم ، الذي كان صاحب المبادرة فيه علي
باشا مبارك (١٨٢٣ - ١٨٩٣) ورفاعه الطهطاوي ،
وتشديد نشاط المستشرقين الاوربيين قد جعل
ممكنا التعرف الواسع على ابداعات ابن المقفع
(المتوفى عام ٧٢٧) والجاحظ (٧٧٥ - ٨٦٨) ، وابن
خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) وكثيرين آخرين ،
واثبت انه توجد اساليب اخرى ، لم يسلط عليها
الضوء حتى ذلك الوقت ، متحررة من القافية ،
والاستعارات البلاغية ، والاحجيات اللغوية .
« ومثلما هب الاوربيون من سبات القرون الواسطي
وجعلوا يبعثون الحضارة اليونانية ، متخذين هذه
الحضارة اساسا للرئيسان ، فكذلك نحن في
الشرق قادتنا السليقة والهامة الى مصادر
عظمتنا . لقد توجهنا الى ماضيها ، واصبح هذا
حجر الاساس في صرح بعثنا » [٧ - ١٧٨] .

لقد استحالت اللغة من « غاية » الى « وسيلة » ،
وصار الكاتبون باللغة العربية الفصحى يوجهون
اهتمامهم الرئيس الى التقديم الواضح لمحتوى
تأليفهم ، وتوصيله بأقرب طريق الى وعي القراء .
وقد تطلب التعميق المطرد للبحث ، وحركة الاصلاح
الاجتماعي ، والدور المتعاظم ابدا لحركة التحرر
الوطني ، وتقوية العلاقات الثقافية الخارجية ،
والتعرف على اللغات الاجنبية (٣) ، تطلب كل هذا

(٢) مشهورة جدا خدمات الطباعة في بولاق (القاهرة) المؤسسة
في عام ١٨٢١ ، وكذلك المطبعة الكاثوليكية في بيروت (منذ
١٨٤٨) .

(٣) ارسل في الفترة (١٨١٣ - ١٨٤٩) ٢١٩ مبعوثا من مصر
الى فرنسا . وقد اصحى الكثيرون منهم مترجمين . وهكذا

اشكالا جديدة للتعبير وادى الى الرفض السريع
لاشكال المحاكاة التقليدية ، وصياغة اساليب
جديدة ، وتجديد القاموس اللغوي ، وظهور الوان
أدبية جديدة . وقد اكدت هذه التغيرات في اللغة
ان اللغة العربية الفصحى تستطيع ان تنقل المفاهيم
المعاصرة ، وانها العامل الاهم في البعث والنهوض
العربي العام .

وقد كتب ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦) ،
وهو الشخصية البارزة المعروفة في الفترة الاولى
من عصر النهضة العربية ، كتب في مقالته « اللغة
والعصر » (١٨٩٧) مؤكدا ان التخلف الموجود في
اللغة انما هو نتيجة الظروف التاريخية الناشئة ،
والشغرات الحاصلة في اطراد تطور التراث الثقافي ،
وفقدان الصلة بالتطور الارتقائي المتزايد للمجتمع
البشري . « لو كان حاملو هذه اللغة قد حافظوا على
استمرار التقاليد الثقافية في الاجيال السالفة ،
وجاروا تطور العلوم باطراد ، اذن لكانت اللغة قد
وجدت في انسجام وثيق مع العصر الحالي » [٤ -
٨٢] . وبعبارة اخرى ، فان اللغة العربية قد تأخرت
في تطورها بالقدر الذي تأخر فيه المجتمع العربي في
تطوره . ان اليازجي نفسه ، الذي لاحظ ، غير مرة ،
عدم انسجام القاموس اللغوي العربي مع متطلبات
العصر ، قد سعى في عمله اللغوي الى ان يثبت ان
اللغة العربية الفصحى قادرة على نقل مفاهيم العلم
المعاصر واذاعتها ، وقد ابرز في مفردات اللغة تلك
التي تحمل معاني المصطلح او تقترب منه ، وعند
عدم وجود المعادلات العربية كان يلتجئ الى
الاستعارة من اللغات الاخرى ، وحاول ان يتجنب
الاستعمال المفرط للكلمات الكثيرة المعاني ، هادفا
الى وضوح الكتابة ودقتها . وكان قريبا اليه من
حيث الاهتمامات ، مع التميز بالسعة في الاغراض
العملية يعقوب صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٧) ،
مؤسس مجلة « المقتطف » المصرية ، وهو الذي
اشاع في اللغة العربية منجزات علوم ذلك الوقت
(مستقاة من المصادر الانكليزية اساسا) . وقد
انعكس النهوض اللغوي العام في النثر على نحو
اوضح مما هو في الشعر ، وذلك لان النثر من حيث
اتجاهيته ، واغراضه وحجم الظواهر التي يصورها ،
قد فاق ، في كثير ، الشعر الذي بقى تقليديا -
باسوا معاني هذه الكلمة ، والذي ظل ، حتى امد
قصير ، منزلا عن تيار الحياة .

فان صالح مهدي (١٨٢٦ - ١٨٨٠) قد ترجم من الفرنسية
عددا من الكتب في الطباعة ، وعلم الارصاد الجوية ،
والليكنيك ، والفيزياء ، والبناء المدني .

ان الدور الكبير في تشكل اللغة العربية الفصحى المعاصرة قد لعبته الصحافة . فقد كانت الصحافة احد اقوى عوامل نهوض هذه اللغة وتطورها (١) .

وكان احمد فارس الشدياق احد مؤسسي المقالة الصحفية المعاصرة ، وقد اصدر وحرر عددا من الصحف العربية ، كانت اشهرها جريدة « الجوائب » .

ان كمية الجرائد المصدرة ، المتعاطمة باطراد قد اولدت فن المقالة الصحفية المعاصرة ، المتحررة من المقدمات والخاتامات البلاغية المحضة ، وسائر خصائص التتميق والزخرفة البيانية . وباعتراف الجميع ، فان اديب اسحق (١٨٥٦ - ١٨٨٥) كان احد اقوى الكتاب الاجتماعيين واحذقهم . وقد اجتذبت مقالاته الانتباه ليس فقط بمحتواها ، وانما بذات اسلوب العرض ، الذي يذكر بافضل نماذج النثر في القرن الرابع الهجري . وفيما بعد ، كفت الصحافة عن انتهاج هذا الاسلوب : فقد كان بالغ التعقيد وبالع ثقل بالنسبة للدوريات . وصارت اللغة تبسط . « فاذا كان الصحفي اللامع ، قبالا ، هو ذلك الذي كان يحسن ان يملا ، غائصا في مختبر الكلمات ، الصفحات المخصصة له بالمقالة الطويلة ، المفعمة بزيينة السجع ، رغم خلوها من اي محتوى ، فالان يعتبر صحفيا ذلك الذي يسط موضوعته مثل المصور ، عارضا بدقة الشيء الذي يراه ... » كتب داود بركات ، محرر جريدة الاهرام [٥ - ٩١] .

وقد غير كثيرون من شخصيات ذلك العصر البارزة ، في فترة عملهم الادبي ، اساليبهم فسي الكتابة ، غير مرة .

وهكذا ، فان محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) لم يكن قد وجد بعد ، في بداية طريقه (فسي السبعينات) ، الوسائل الخاصة للتعبير عن افكاره ، وليس الا في عام ١٨٨٠ ، وبعد ان اصبح محرر جريدة « الوقائع المصرية » ، تحول الى اسلوب جديد ، محاولا عن طريق هذه الجريدة اشاعة نماذج جديدة للمراسلات الرسمية . إن التزايد التدريجي لعدد المؤسسات الدراسية ، التي كان التدريس فيها يجري باللغة العربية ، قد رفع ، بدوره هو الآخر ، سمعة اللغة العربية الفصحى ومكانتها .

(١) ظهرت في عام ١٨٩٢ ، باللغة العربية ، (٥٤) جريدة ، (٢٦) منها في القاهرة والاسكندرية ، و (١٠) في بيروت . (راجع : مجلة الهلال العدد الرابع ، ١٩٦٢ ، ص ١٠٨) .

وقد كتب بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) مؤسس المدرسة الوطنية في بيروت (١٨٦٣) ، في مجلة « الجنان » التي اصدرها ، ان احدي مهام هذه المدرسة هي « احياء اللغة الوطنية » ، ذلك لانه « قد ثبت على نحو جازم ، ان احد شروط التقدم والتطور لأي شعب هو اللغة الوطنية ، المشبعة بحليب الأم » [٦ - ١٦] . وفي الكلية الجزويتية (المؤسسة عام ١٨٤٦) ، وفيما بعد في الكلية الامريكية (المؤسسة في بيروت عام ١٨٦٦) ، كان التدريس يجري في البداية باللغة العربية (٥) . وقد وصف جرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤) الزمن الذي كان يتم فيه التدريس ، في كثير من المؤسسات الدراسية ، باللغة العربية ، وصفه بانه الفترة الذهبية للبعث الثقافي . وسرعان ما نقل التدريس في هذين المعهدين الدراسيين ، وكذلك في المدارس المصرية ، الى اللغة الانكليزية او الفرنسية ، وذلك بحجة عدم وجود كتب دراسية باللغة العربية ، وعدم قابلية اللغة العربية لتقديم المفاهيم العلمية المعاصرة . وقد كتب زيدان ، بهذه المناسبة ، ان الغاية من التدريس باللغة الوطنية هي رفع المستوي العام للأمة ، وتوحيدها ، والبعث ، والتقدم باطراد . إن هذا لا يمكن بلوغه إلا عن طريق تطوير اللغة الوطنية ، وتطوير الأدب العلمي والفني فيها ، وكذلك باجراء التدريس باللغة الوطنية في المؤسسات والمعاهد الدراسية العليا .

إن الاحتلال الاجنبي ، سواء منه الاتكليزي او الفرنسي او التركي ، قد حمل معه ، على نحو محتم لامناص منه ، السعي المتواصل ، وعلى اوسع نطاق ، الى طرد اللغة الوطنية للسكان المحليين ، واذابة كل ما هو محلي وقوى في اللغة الانكليزية ، او الفرنسية ، او التركية . وفي عام ١٨٨٩ ، اجبر الانكليز مصر على إصدار قانون حول ادخال اللغة الانكليزية بمثابة لغة اساسية للتدريس في مدارس الدولة (٦) .

وقد اكسبت المدارس العليا (الكلية الطبية ، او الكلية الزراعية ، او معهد التعليم) طابعا

(٥) يشتم مصطفى الشهابي ، رئيس مجمع اللغة العربية فسي دمشق نشاطات له . فاندك ، ود . بوست ، واي . فاربات ، الذين ، باتقانهم اللغة العربية ، كتبوا عددا من الكتب الدراسية في الطب والعلوم الطبيعية ، وانشاوا عدد كبيرا من الاصطلاحات العلمية . (مصطفى الشهابي ، المصطلح العلمي في اللغة العربية ص ٢٢ - ٢٣) .

(٦) ليس الا في عام ١٩١٢ ، وبعد نضال طويل الامد ، ادخل التدريس باللغة العربية في المدارس المصرية .

انكليزيا صرفا ، ولم يستطع التعلم هناك الا الاشخاص ، الذين يتقنون اللغة الانكليزية ، فان المحاضرات كانت تقرأ بالانكليزية ، من دون ترجمة إلى اللغة العربية . وصار المطلب الاساس الذي يطالب به المصريون ، الذين يريدون العمل في الوظائف الادارية - هو القدرة على التكلم بالانكليزية . وفي ذات الوقت ، كانت قد اتخذت خطوات فعالة وعملية لمقاومة اللغة الفرنسية والنفوذ الفرنسي وتقاليده التي تاصلت مع ايام محمد علي (كانت العلاقات الثقافية الخارجية قد اقيمت ، في زمانه ، بالدرجة الاولى ، مع فرنسا) . وفي عام ١٨٩٥ وضع حد لارسال البعثات الدراسية المصرية إلى فرنسا . ان تقليص عدد المصريين ، المبعوثين لاكمال التحصيل الدراسي العالي في الخارج ، قد ادى إلى الاضمحلال التدريجي لتدريس العلوم المختلفة باللغة العربية ، بسبب عدم وجود الكوادر المحلية المؤهلة . وكادت « دار العلوم » ان تكون المؤسسة الدراسية العربية الوحيدة في مصر ذلك العصر . غير ان هذه المؤسسة لم تدرس سوى الادب القديم واللغة العربية . وغالبا ما كان ممثلو الادارة الانكليزية يعلنون ان اللغة العربية الفصحى غير صالحة لتدريس العلوم المعاصرة ، ما دامت خالية من المصطلحات العلمية والتكنيكية الضرورية ، بل كانوا يصرون على القول ان اللغة العربية الفصحى بالذات هي سبب تاخر الاقطار العربية في حقل العلم والادب . وكثيرا ما كان يوصى بنشيدان الحل اللازم لهذه المشكلة في استبدال اللغة الفصحى بلغة الحديث - اللهجة المحلية ، التي كانت توصف بأنها حية ، متجددة دائما ، مفهومة بالنسبة الى الشعب كله .

وقد وصف الكاتب السوري اسكندر المفلوف امر إدخال اللغة الانكليزية في المدارس المصرية ، بدلا من العربية ، بانه « خطوة جريئة » [٧ - ٤٠] . وفي ذات الوقت ، كان قد اقترح رفع اللهجة المحلية إلى مستوى اللغة الفصحى (في البداية في الجرائد والمجلات) من أجل جعلها في متناول افهام الجماهير الشعبية ، وكذلك الامر بخصوص ترجمة كافة الابداعات العلمية والأدبية إليها . وفي هذا الوقت لوحظت محاولات استخدام اللهجة في الادب . وعلى اية حال ، فان تجارب محمد عثمان جلال ، الذي ترجم لافونتين وموليير إلى اللهجة المصرية ، قد انشأت تقليداً وطيداً نسبياً في بعض الفنون الدرامية فقط . وبالنتيجة ، فان اللهجة كانت تستعمل ، على نحو اقل او اكثر نظامية ، في الصحف الفكاهية ، وفي حواشي الكاريكاتير ، وفي النشرات الخاصة

المكرسة للابداع الشعبي ، وكذلك كوسيلة لغوية لاذاعة الحوار في الادب الفني . ان النشاط الادبي العملي ، الواقعي قد دحض الحجة القائلة بان اللهجة المحلية اكثر ملائمة ، كوسيلة لغوية ، للتعبير عن متطلبات الحياة المعاصرة ، باعتبارها اقرب إلى الجماهير ، وافضل من حيث تكيفها لنشر العلوم المعاصرة . ان الوضع الاجتماعي - السياسي في الاقطار العربية ، حيث كان المحتلون هم الذين يعظون ، غالبا ، ويوصون باستخدام اللهجة المحلية ، ان مثل هذا الوضع لم يستطع ، كذلك ، ان يساعد في ضمان وتوفير النجاح للدعاية للهجة المحلية .

وفي اقطار سوريا والعراق وبعض الاقطار الاخرى انتهجت بقوة سياسة نشر اللغة التركية وترسيخها . وكثيرا ما كانت تتردد الاصوات التي تقول بان زمن اللغة العربية الفصحى قد ولى ، وان هذه اللغة انما هي من مخلفات الماضي الالاجدوى فيها ، وان اللغة العربية تشكل نقطة الضعف في كيان الامبراطورية العثمانية ، وان هذه الامبراطورية لن تكتسب القوة والجبروت الا اذا استبدلت هذه اللغة بلغة القومية السائدة القائدة ، أي باللغة التركية . لقد انتهج مبدا زعامة العنصر التركي على المكشوف . وقد كتب جلال نوري في كتابه « تاريخ المستقبل » : ان الاقطار العربية ، وبخاصة اليمن والعراق ، ينبغي تحويلها إلى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية ، التي ينبغي ان تكون لغة الدين والعقيدة . ومن أجل الدفاع عن وجودنا ، فانه من الضروري جداً تحويل كافة الاقطار العربية إلى ناطقة بالتركية ، ما دام جيل الشباب العرب قد اصبح الان يدين بالاتجاه القومي ، الامر الذي يندرننا بشر مستطير ينبغي علينا ان نتجنبه منذ الآن [٨ - ١٢٨] . وفي تركيا الرسمية ، كانت اللغة العربية ، التي كان يتكلم بها حوالي ٦٠٪ من السكان في الامبراطورية العثمانية ، قد اصبحت في المكان الثالث بعد الفرنسية . ولم تكن للغة العربية حقوق متساوية مع اللغة التركية ، كذلك ، في مجلس النواب (مجلس المبعوثان) .

وقد انتهج هذا الخط ، كذلك ، في جهاز التعليم . ففي مدارس الدولة ، بما فيها المدارس الأولية ، كان التدريس يجري باللغة التركية ، وقد خصص لتدريس اللغة العربية وقت اقل مما اعطي إلى اللغة الفرنسية او الفارسية . ولذلك ، فبعد اعلان الدستور في تركيا (١٩٠٨) ، اصبحت الاوساط العربية القومية تطالب ، على نحو فعال ، باجراء التدريس في المدارس باللغة العربية . وفي

ذات الوقت ، فان اكثرية المدارس التبشيرية المسيحية ، في اقطار فلسطين وسوريا ولبنان ، كانت تستثمر ، على نحو حاذق ، امتيازاتها الممنوحة لها ، بما فيها حق التدريس باللغة العربية ، من اجل توطيد نفوذها في هذه الاقطار (٧) .

وقد لاحظ ابراهيم اليازجي في عام ١٨٩٧ ، ان التدريس باللغات الاجنبية ، الذي لا يخلو من بعض الجوانب الايجابية ، يوطد ، في ذات الوقت ، سلطة المحتلين في الاقطار المغلوبة على امرها . وكشهادة على ذلك كان الوضع في الجزائر وتونس ، حيث طردت اللغة العربية تماما من نطاق العمل الادبي ، لتحل محلها اللغة الفرنسية . وقد ساعد في هذا ظرف ان غزو هذه الاقطار واحتلالها قد جرى قبل ان يظهر فيها ادبها العربي وصحافتها العربية الخاصة .

ان مشكلة اللغة الوطنية في كافة الاقطار العربية قد حملت في ذات الوقت طابعا سياسيا ، معبراً عنه بوضوح . فقد كان النضال من اجل اللغة الوطنية نضالاً للدفاع عن الوجود المستقل للمجتمع العربي ، ومن اجل الطريق المستقل ، الذاتي لتطورها ، ومن اجل حق التعبير الذاتي باللغة الوطنية . وكمسألة مشتقة من ذلك ، متعلقة به نهضت مسألة التطور اللاحق للغة العربية وتكاملها ، وتكييفها لمتطلبات العصر .

وبصرف النظر عن الوضع السياسي المعقد ، والظروف غير الملائمة ، فان الادب الفني العربي صار يتطور على نحو فعال ، حيث كان في البداية قريباً جداً في اساليبه اللغوية من التقاليد المرعية ، وذلك مثل « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحي ومتحرراً مع مرور الوقت من هذه التقاليد مثل قصة « زينب » لمحمد هيكل . ان حركة التحرر الوطني ، والنضال من اجل الاصلاحات الاجتماعية والحياتية كانا قوتين اساسيتين ، ومصدرين لتطور النشاط الادبي الذي كان يغطي دائرة متسعة باطراد للظواهر وكذلك اللغة المتكاملة وقادا ، بالنتيجة ، الى الكف عن التقليد الأعمى . وان التقليد يظل تقليداً سواء كان طبيعياً او متصنعاً ، اما المقلد فمهما

(٧) كتب الاديب اللبناني ميخائيل نعيمة بمتدح المدارس الروسية التي كانت تعمل في لبنان وفلسطين عند نهاية القرن الماضي وبداية العام الجديد ، فذكر ان هذه المدارس قد اعارت اهتماماً خاصاً لتدريس اللغة العربية ، بخلاف المدارس الاجنبية الاخرى ، التي كانت توجه جل جهودها لتدريس لغاتها على حساب العربية . (ميخائيل نعيمة ، سبعون ، ١ - ٧٥) .

كان محنكاً و ماهراً ، فانه يظل ، مع ذلك ، غريباً ، غير مقبول . ان فترة التقليد ، سواء منه الجيد او الرديء ، لا تعدو ان تكون فترة التعلم والتفهم ، وليست فترة الابداع والخلق ، - كتب خليل السكاكيني [٩ - ٨٠] .

وهكذا عانت الفشل في البداية محاولات احد ممثلي التقاليد اللغوية ، الشيخ مصطفى الرافعي ، في التعبير عن الافكار والمعاني الجديدة في اطر لغوية عتيقة . ان امثال هذه المساعي قد وجدت تعبيرها الرسمي في نشاط الجامع الازهر في القاهرة ومجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق ، ذلك النشاط الذي اشتهر بقراراته التي ابطأت عملية تجديد كيان مفردات اللغة والتحرر من اغلال الاساليب العتيقة .

ان التطور اللاحق المطرد للغة العربية الفصحى يصعب تصويره من دون نشاط ترجمي واسع غطى مصر ، وشارك فيه بنشاط ، إضافة الى المصريين ، المهاجرون اللبنانيون والسوريون ، الذين كانوا على اطلاع ممتاز على الادب الاجنبي المعاصر لهم . لقد نوعت الترميمات اساليب اللغة العربية الفصحى ، وكيفتها للتعبير عن المفاهيم المعاصرة ، ونشطت استعمال الاستعارات من اللغات الاخرى ، وطورت علم النحو والصرف ، وادت احيانا الى اقتباس اساليب اللغات الاخرى . ان الدور القيادي في الحركة الادبية يعود ، في هذا القرن ، لمصر التي قدمت عدداً من شخصيات الادب العربي البارزة ، مثل احمد امين ، وطه حسين ، وابراهيم المازني ، والمقاد ، ومحمو تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وآخرين كثيرين تركوا تأثيرهم على كتاب الاقطار العربية الاخرى . ان مثل هذا الوضع الذي تطلبه مجرى التطور التاريخي المحدد قد ادى حتى الى نشوء مفهوم عن لغة ادبية « مصرية » خاصة ، ظهرت على اساس من تبسيط اللغة الادبية القديمة الذي قام به العديد من الكتاب في تأليفهم ، وكذلك استطاعت بفضل الصحافة ان تذيب في العالم العربي كله لغة فصحى تفوق ما لاي قطر عربي آخر .

واننا لنجد عند الكاتب المصري عباس محمود العقاد وصفاً مجملأً اثنى به على جوهر مسيرة تطور النشر في المائة عام الاخيرة ، من وجهة نظره ، حيث نسمعه يؤكد ان النشر المسجوع بقوافيه الثابتة ، المكررة عند كافة الكتاب ، والمستعملة في كافة الالوان قد تطور الى نوع من النشر المسجوع يخلق فيه الكاتب كمية تقل او تكثر من الترابطات والقوافي والتداعيات الاصلية ، وتحول بالتالي الى اسلوب جزل مصقول لا يستعمل القوافي ولا الاشكال

الناشئين - قبل ان تأخذ القلم بيدك ، عليك
باكتساب المعرفة . [٧٦ - ٩]

وفي خلال القرن المنصرم ، كانت التطورات
السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حياة المجتمع
العربي ، قد جعلت اللغة العربية الفصحى الوسيلة
الوحيدة لتطوير الثقافة القومية العربية . ان التيار
المتعاطف باطراد للأدب الاصيل في مختلف الفنون
الادبية ، والنشاط الفعال في الترجمة من اللغات
الاجنبية سواء بالنسبة للأدب العلمي او الادب
الفني ، واقرار اللغة العربية في كل مكان في العالم
العربي كلفة للتعليم في المدارس الثانوية وكذلك في
المدارس العالية (مع بعض الاستثناءات) - ان كل
هذا مما قد حول اللغة العربية الى وسيلة فعالة
لاستيعاب منجزات العلم والتكنيك والثقافة
المعاصرة . وحتى في تلك الاقطار التي ابدت فيها
اللغة العربية جانبا لتحل محلها اللغة الفرنسية
(كما كان الحال في الجزائر لامتد طويل) ، فان
الاجراءات الفعالة تتخذ ، بغض النظر عن الصعوبات
(عدم كفاية الكوادر التعليمية ، وغياب المناهج
والكتب الدراسية الخ) ، نحو « تعريب » التعليم ،
ونحو انشاء الثقافة القومية باللغة القومية .

المصممة مسبقا ، الامر الذي ادى فيما بعد الى
تكاثر الاساليب الذاتية وتفردتها [١٠ - ١٥٩] .
والى جانب ذلك ، فان اللغة العربية الفصحى
قد جددت ، لحد كبير ، تركيب مفرداتها ، الذي
يمكس خصائص العصر الحاضر . ان شطراً كبيراً
من الالفاظ والمفردات غير الحية في الوقت الحاضر ،
قد ماتت واندثر . وقد اولى انتصار مفهوم « ان
اللغة ليست غاية بذاتها ، وانما وسيلة » الاهتمام
الجوهري الى المحتوى ، والوضوح والتحديد في
اختيار الكلمات ، والكف عن الاطالة والتكرار الكثير ،
وعلى الاستخدام المفرط للمترادفات والاستعارات
وسواها . وسوية مع ذلك ، ينبغي ملاحظة ان تطور
اللغة العربية الفصحى لم يغير من تركيبها ووسائلها
المورفولوجية والنحوية ، وبهذا المعنى تبقى هي ذات
اللغة العربية الفصحى التي عرفناها . وقد اجاب
خليل السكاكيني ، في عام ١٩٤٦ ، على سؤال : هل
اصبح الاسلوب افضل مما كان قبل ربع قرن ،
اجاب موضحاً ان هذا الاسلوب ليس بالجديد . انما
الجديد هو الثقافة الواقعية المعاصرة الواسعة .
والى جانب ذلك يمكن القول ان ادباء الماضي القريب
كانوا بالمقارنة مع كتاب اليوم الحاضر قليلي الثقافة
والتعليم . واضاف يقول ان نصيحته الى الكتاب

مراجع

- ٧ - عمر دسوقي - في الادب الحديث ، ١٩٥٥ ،
مج ٢ .
- ٨ - جبر ضومط - فلسفة اللغة العربية
وتطورها ، ١٩٢٩ .
- ٩ - ناصر الدين الاسد ، الاتجاهات الادبية
الحديثة في فلسطين والاردن ، ١٩٥٧ .
- ١٠ - أنيس المقدسي - الاتجاهات الادبية في العالم
العربي الحديث ، ١٩٥٢ .

- ١ - احمد فارس الشدياق ، ١ - ص ١٣ .
- ٢ - رؤيف خوري ، التعريف في الادب العربي ،
١٩٥٥ ، ١ .
- ٣ - الثقافة الوطنية ، ١٩٥٩ ، عدد ٥ - ٦ .
- ٤ - مختارات المنفلوطي ، ١٩٥٤ .
- ٥ - الهلال ، ٢٦ .
- ٦ - جميل صليبا - الاتجاهات الفكرية في بلاد
الشام ، ١٩٥٨ ، ص ١٦ .

أيام العرب في الجاهلية

قيمتها التاريخية - أثرها عند الجاهليين والاسلاميين
نماذج منها

بقلم

منذر الجبوري

مديرية التأليف - وزارة الاعلام
بغداد

توطئة :

عرفت المعارك التي كثيرا ما كانت تنشب بين بدو الجزيرة العربية في الجاهلية باسم الايام (١) وهي المعارك التي وقع اكثرها بين العدنانيين انفسهم من عرب الشمال بسبب شحة موارد الصحراء الاقتصادية وانعدام السلطة المركزية فيها ، ويحدثنا الرواة بان عرب الشمال ظلوا متنافرين طيلة جاهليتهم الا في احيان معدودة احسوا فيها بوطة سيطرة القحطانيين عليهم فناهضوهم كما حدث في يوم خزاز (٢) عندما اجتمعت معه كلها على كليب وائل وخرجت منتصرة في حربها مع اليمن .

وفي الشعر الجاهلي امثلة كثيرة ترد فيها الايام مرادفة لمعنى الحروب ، يقول عمرو بن كلثوم في سياق فخره : (٣)

وايام لنا غير طوال عصينا الملك فيها ان نديننا

فقد قصد بالايام هنا حروب قومه ، وفي ذات المعنى يقول النابغة الذبياني عند مدحه عمرو بن الحارث الفسائي معرضا بهزيمة المناذرة في يوم حليمة . (٤)

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من فراع الكتائب
توورن من ازمان يوم حليمة الى اليوم قد جرين كل التجارب

وافخر قيس بن الخطيم بانتصار قومه الاوس على الخزرج يوم بعث فقال ضمن قصيدة طويلة ذاكرا اليوم بمعنى الحرب : (٥)

اجالدهم يوم الحديقة حاسرا كان يدي بالسيف مخرا لالعاب
ويوم بعث اسلمتنا سيوفنا الى نسب في جلم لسان ناقب

وذكر اليوم بهذا المعنى مهلهل في رثاء اخيه كليب فقال : (٦)

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالنائب اي زيسر
بيوم الشعثين لقرعيننا وكيف لقاء من تحت القبور

والى ذلك ذهب العوام الشيباني في هجاء بني بكر
لتخاذلهم يوم الابداء فقال : (٧)

قيح الاله عصابة من وائل يوم الافاقة اسلموا بسطاما (٨)
ومثله فعل عمرو بن الاحوط عندما قال مفتخرا في يوم
طخفة لانتصار يربوع على المنذر بن ماء السماء (٩) :

فسطنا يوم طخفة غير شك على قابوس اذ كره الصباح

ويرى صاحب لسان العرب ان العرب زبوا ميروا عن
الشدة باليوم فيقال يوم ايوم كما يقال ليلة ليلاء واستشهد
بالبيت التالي لابي الاخير الحماني (١٠) :

نم اخو الهجاء في اليوم اليمي ليوم روع او فعال مكسرم

وفي القرآن الكريم بضع آيات يرد فيها اليوم بمعنى
الشدة والضيق منها قوله تعالى « ولقد ارسلنا موسى باياتنا
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ، وذكرهم بايام الله » (١١)
ومعنى الآية : خوفهم بما نزل بعاد وتعود وغيرهم ، من العذاب
كما يفسرها الفراء (١٢) .

ويحتمل ان الجاهليين قد سموا وقائعهم اياما لانها كانت
غارات طارئة تقع الغارة منها في يوم واحد وتنتهي بانتهاه بالرغم

- (٦) ايام العرب في الجاهلية لمحمد احمد جاد المولسي
وجماعته / ص ١٥٧
- (٧) المصدر السابق ص ١٩٦
- (٨) عمرو بسطام بن قيس من اشهر فرسان بكر
- (٩) المصدر السابق ص ٩٧
- (١٠) لسان العرب / المجلد الثاني عشر / ص ٦٥١ .
- (١١) سورة ابراهيم / ٥
- (١٢) لسان العرب - المجلد الثاني عشر - ص ٦٥٠ / ٦٤٩

- (١) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثالث ص ١٨٠ / ترجمة
عباس محمود وجماعته ، لسان العرب المجلد الثاني
عشر ص ٦٥١ طبعة صادر / بيروت .
- (٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٥٢٠ وما بعدها .
- (٣) انظر معلقته
- (٤) ديوان النابغة / ص ١١ / دار صادر ١٩٦٠ بيروت
- (٥) ديوان قيس بن الخطيم ص ٢٤ / تحقيق السامرائي
ومطلوب / مطبعة الماني - بغداد ١٩٦٢ .

من أن لهم وقائع معروفة كانت الحرب تمتد فيها حتى تبلغ العشرات من السنين تتخللها فترات من الترقب قد تطول بين معركة وأخرى كما في حربي داحس والبسوس (١٦) .

ويعني اليوم عند اطلاقه على وقائع الجاهليين النهار دون الليل، إذ كانت هذه الوقائع تتوقف عند حلول الظلام إذا لم تحسم نهارا لتستجر في الصباح التالي كما حدث في يوم فيف الريح إذ استمرت المعركة بين مذحج من اليمن وعامر من قيس ثلاثة أيام كانت القلبة فيها لمذحج (١٦) ، ومثل ذلك حدث بين عيس وذبيان في موقعة ذات الجراجر (١٧) إحدى أيام حرب داحس والغبراء حيث تحاجز القوم ليلا وعادوا للاقتال غداة اليوم التالي ، وفي أيام العرب أمثلة كثيرة لذلك ، وكان من عادة الجاهليين الاغارة مع الصباح ومن أشهر صرخاتهم الحرية التي يستثرون بها الهمم « ياسوء صباحاه » يطلقها صريخهم عند احساسه بزحف الأعداء ليعلم قومه بالخطر . قال بسطام بن قيس يرد على أسيد بن حنادة في يوم الأباد - وهو ليربوع علي بئر - (١٦) :

صباح سوء لكم النواعب

وكان أسيد قد ارتجز قبله :

لبث قليلا تلحق الغلاب

وكثيرا ما ترد كلمة الصباح والتصبيح في شعر الأيام بمعنى الاغارة قال قرّة بن زيد بن عاصم في يوم نيتل وهو لتميم علي بكر (١٧) :

وصبحهم بالجيش قيس بن عاصم فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا

وقال العوام الشيباني في يوم الأباد (١٨) :

اناخوا يريدون الصباح فصبحوا وكان على الفازين دعوة اشاما
وفي هذا المعنى قال اوس بن حجر يهجو تميم لانهم لم يهزموا في يوم زباله (١٩) :

وصبحنا عار طويل بشاؤه نسب به ملاح في الافق كوكب

(١٢) ويرى الدكتور علي الجندي في كتابه « شعر العرب ج ١ ص ١٨ - ١٩ » أن ثمة أسبابا حدث بالجاهليين لتسمية وقائعهم أياما منها :

١ - أن يكون قولهم (أيام العرب) أصله « وقائع أيام العرب » ثم حذفت كلمة « وقائع » اختصارا .

٢ - أن الموقعة كانت أظهر حدث في اليوم فسمى اليوم كله بها .

٣ - أن كلمة (يوم) مستعملة لتدل على مجرد الوقت .

٤ - أن المقعود بكلمة « اليوم » في هذا الاستعمال « وقت الشدة والاختبار » كما يقال « اليوم يومك » .

٥ - أن الموقعة كانت تستعمل عند العرب كإشارة أو رمز تاريخي في ذلك الزمن فكانت كل قبيلة تؤرخ حوادثها بمواقمها وحروبها .

(١٤) أيام العرب في الجاهلية - ص ١٢٢

(١٥) المصدر السابق ص ٢٦٦

(١٦) المصدر السابق ص ١٩١

(١٧) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١ ص ٦٥١

(١٨) أيام العرب في الجاهلية - ص ١٩٢

(١٩) المصدر السابق - ص ٢٠٧

وافخر دريد بن الصمة عند أخذه بثار أخيه عبدالله الذي قتل يوم اللوى بقوله (٢٠) :

صبحنا فزارة سمر القنا فمهلا فزارة لا تصجروا

ومثله يقول الأعشى مفاخرا بانتصار بكر على تميم في يوم الزويرين (٢١) :

نحن الذين هزمنا يوم صبحنا جيش الزويرين في جمع الإحاليق
باسم أن تسالي عنا فلا كشف عند اللقاء ولسنا بالمقاريف

وقد سمي الجاهليون معظم أيامهم بأسماء المواقف التي حدثت عندها كالجبال والوديان والمياه والنبات . فقالوا يوم عاقل وهو واد بنجد ويوم الرقم وهي جبال دون مكة ويوم حوزة وهو واد بالحجاز ويوم رحرحان وهو اسم لجبل ويوم الكلاب وهو اسم لماء ويوم التناوة وهي أسماء لنخيلات .. وهكذا .. وقد يسمون أيامهم بأسماء أشخاص لهم دور كبير فيها فقالوا يوم حجر لأن بني أسد كانت قد قتلت ملكها حجرا في ذلك اليوم وقالوا يوم سمر وهو يوم بين الأوس والخزرج قتل فيه سمر وهو من الأوس أحد أحلاف الخزرج فنشبت الحرب بين الحيين بسبب ذلك وعرفت باسم سمر لكونه مبيها ، ومثل ذلك يوم حليلة الذي انتصر فيه الحارث بن حليلة الفسائي على ملك المناذرة ، وسمي بيوم حليلة لأن الحارث طلب من ابنته تطيب جنده لحثهم على القتال . وقد يسمونها بأسماء بعض الحيوانات التي كان لها شأن في المعركة .. كما دعيت الحرب بين تميم وبكر باسم الزويرين (٢٢) وذلك لأن تميم عقلت بعيرين بين جيشها وجيش بكر وألت الا تولى الإديار ماداما معقولين ، ودعيت الحرب الضروس التي دارت طويلا بين عيس وذبيان بحرب داحس والغبراء وهما فرسان لقيس بن زهير العبسي تسابقا مع آخرين لحذيفة بن بدر الذبياني واختلف الاثنان على السبق فلحقته الحرب بين القبيلتين .

الى أي حد يصح الاعتماد على الأيام من الناحية التاريخية ؟

ليس لأحد أن يعتمد على أيام العرب اعتماد المؤرخ المحقق سواء أكان ذلك بالنسبة لسير وقائعها أو تحديد تواريخ معينة لهذه الوقائع ، ذلك لأن روايات الأيام قد وصلت إلينا بسبل سهل التشكيك بها فقد توارثها العرب أجيالا بطريقة المشافهة وهي طريقة تحتمل التحريف والموضع ، ثم إن هذه الأيام قد وقعت بين القبائل العربية في جاهليتها ورواتها لابد وأن يكونوا من هذه القبيلة أو من تلك فكانت العاطفة القبلية أو العصبية القبلية على وجه التخصيص عاملا مهما في إبرازها بصور تتعد عن الأصل في أحيان كثيرة وذلك حسب رغبة روايتها ، فإن كان الراوية يمت بصلة إلى القبيلة المشاركة في اليوم فإنه يعظم انتصارها ويهون من شأن القبيلة المناوئة ، أو ينتحل الأعذار للقبيلة التي ينحاز إليها أن كانت مطلوبة ، وقد وجد البعض في أغفال الطبري لإيام العرب دليل على عدم الثقة بها ، ومعلوم أن الطبري لم يعرض إلا لإيام ذي قار وجذيمة الأبرش والزباء وطسم وجديس (٢٣) . والملاحظ أن رواية الأيام أنفسهم كثيرا ما

(٢٠) المصدر السابق - ص ٢١٨

(٢١) المقد الفريد ج ٦ ص ٦٢

(٢٢) اسم لبعيرين كما سيأتي في الكلام .

(٢٣) انظر تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص ٨١ ، أما =

يختلفون في أسماء أبطالها والقادة فيها وفي نتائجها وعدد قتلها، مثال ذلك الاختلاف في يوم خزاز ، فقد ورد في العقد الفريد (٢٤) . « قال أبو عبيدة : تنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك ، وخالد ابن جبلة وابراهيم بن محمد بن نوح الطاردي ، وغسان بن عبد الحميد ، وعبد الله بن سالم الباهلي ، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز ، فقال خالد بن جبلة : كان الاحوص بن جعفر الرئيس ، وقال مسمع : كان الرئيس كليب بن وائل وقال ابن نوح : كان الرئيس زرارہ بن عدس . وهذا في مجلس أبي عمرو ابن العلاء ، فتحاكموا إلى أبي عمرو فقال : ما شهدا عامر ابن صمصمة ولا دارم بن مالك ولا جشم بن بكر ، اليوم أقدم من ذلك ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت احدا من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك ولولا قول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غداة اوقد في خزازي رفدنا قول رفد الرافدين
فكنا الايمن اذا التقينا وكان الايسر بنو ابينا
فصالوا صولة فيما يليهم وصلنا صولة فيما يلينا
فأبوا بالتهاب وبالسابا وابنا بالملوك مصفديننا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جده كليب بن وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الرفاة وترك الرياسة ، وما رايت احدا عرف هذا اليوم ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده . وفي العقد ايضا يرد كلام آخر لأبي عبيدة في هذا المعنى عند حديثه عن يوم الكلاب الثاني (٢٥) « وقال أبو عبيدة : حدثني المنتجع بن نبهان قال : وقف رؤبة بن العجاج على التيم في مسجد الحرورية فقال : يا معشر تيم ، ان الكلاب ليس كما ذكرتم فاعفونا من قصيدي صاحبنا - يعني عبد يغوث ووعلة الجرمي (٢٦) ومن قصيدة ابن المكبر صاحبكم وهاتوا غير ذلك

= ابن الاثير (ج ١ ص ٥٠٢) يرى ان الطبري قد اغفلها لانها ليست ايام ملوك ، وقد يبدو هذا التخريج اكثر اتناحا اذ لو ان الطبري قد اهتم ايام العرب لقدم ثبوتها لديه تاريخيا لما سرد اياما اسطورية مثل ايام طسم وجديس :

(٢٤) ج ٦ ص ٩٧ - ٩٨

(٢٥) ج ٦ ص ٨٧

(٢٦) عبد يغوث هو رئيس مدجج في يوم الكلاب الثاني ، وعندما علم انه مقتول اثر اسره ذكر انه انشد وهو مشرف على الموت قصيدته المشكوك فيها ومثلها :
الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا

فما لكما في اللوم خير ولا ليا
اما وعلة الجرمي فهو حامل لواء مدجج في يوم الكلاب ، وذكر انه قال قصيدته - التي اشير اليها في النسخ المتقدم - اثر فراره من المعركة ، وهي قصيدة منحوة على الأرجح وقد يكون ناحلها تيميا لانها في معظم ابياتها تكبر حفاظ واستبسال تيم في الحرب وآية ذلك ابياتها التالية :

ومن علي الله منا شكره

غداة الكلاب اذا تجر الدابر

كانا وقد حالت جديدة دوننا

نعم نلاه فارس متوانر

فمن يك يرجو من تيم هواة

فليس لجرم في تيم اوامر =

فانتم اكثر الناس كلاما وهجاء . قال رؤبة فاشدناه في ذلك اليوم شعرا كثيرا ، فجعل يقول : هذه اسلامية كلها وقريب من هذا قول ابن الاثير عند حديثه عن يوم حليمة (٢٧) « لقد اختلف النسابون واهل السير في مدة الايام وتقديس بعضها على بعض واختلفوا ايضا في المقتول فيها ، فمنهم من يقول : ان يوم حليمة هو الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم عين اباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ومنهم من يقول بصد ذلك ، ومنهم من يجعل من اليومين واحدا فيقول : لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة ، وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما .

واذا كانت الامثلة المتقدمة ترجع الظن بعدم جدوى الاعتماد على الايام من الناحية التاريخية فان مما ينمي هذا الظن هو داب روايتها على تظليل الجانب القصصي على النسق التاريخي عند سر حوادثها ، الصافة الى ان معظم هؤلاء الرواة يربطونها حسب القبائل فهم يذكرون مثلا ايام ربيعة وايام قيس وايام تميم ثم يرجعون على الايام المشتركة بين هذه القبائل وغيرها دون مراعاة لزمان وقوع كل منها ، لذا فقد يتقدم يوم حقه التأخير والعكس صحيح ، من ذلك تقديم صاحب العقد حرب داحس والغبراء على حرب البسوس ، ومعلوم ان الثانية اقدم من الاولى فقد حدثت البسوس على اصح الروايات في اواخر القرن الخامس للميلاد بينما حدثت حرب داحس في النصف الثاني من القرن السادس ، وما فعل ابن عبد ربه ذلك الا لانه اعتمد التسلسل القبلي عند روايته احداث الايام ، وبما انه قدم ايام قيس على ايام ربيعة فكان طبيعيا ان يقدم داحسا وهي من حروب قيس على البسوس وهي من حروب ربيعة ، ومثله فعل معظم رواة الايام في مصنفاتهم ، بيد ان هذا الترتيب لم يكن في كل جوانبه عديم الجدوى فقد افادنا في تسلسل بعض الايام التي تعالبت بين قبيلة واخرى طلبا للثبات وفي هذا الضوء امكننا ان تقدم يوما ونومخر اخر ونحن مطمئنون ، فمن اليسر تقديم يوم بطن عاقل - بين ذبيان وعامر - والذي قتل فيه الحارث ابن قالم المري خالد بن جعفر بن كلاب العامري على يوم رححان - بين عامر وتميم - وهو اليوم الذي انتقلت فيه عامر من تميم لاجارتها الحارث بن قالم ، وتلا ذلك بعام يوم شعب جبلة - بين عامر وتميم ايضا - وفيه حاولت تميم دفع هزيمتها لسي رححان . ومثل ذلك يقال في ايام كثيرة اخرى منها يوما الرقم والتادة - وهما بين فطمان وعامر - وايام الفجار - بني قيس وكنانة - فبالامكان تقديم الرقم على التادة لكون الثاني ردا من عامر على هزيمتها في الاول - وقد تكررت هزيمة عامر في اليومين - اما ايام الفجار واشهرها خمسة في اربع سنين فيمكن ترتيبها زمنيا على هذا النحو : نخلة ، شمطة ، العبلاء ، عكاك ، الحبرية ، وذلك لان المتحاربين في هذه الايام كانوا يتواعدون راس الحول من العام المقبل عند انتهاء المعركة . وثمة امثلة كثيرة لمثل ما اوردها تحفل بها الايام ، ومع ذلك فان هذا الترتيب ظل فاصرا عن تحديد تواريخ معينة لها .

والان اليس بمقدورنا ان نسلل الايام او بعضها تاريخيا ،

= ولا سمحت الخيل تدعو مقامنا
تنازعني من نثرة النحر ناحر
فان استطع لا تلبس بي مقامس
ولا ترني يداؤهم والمحاضر

(٢٧) الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥٢٧

أو أن نحصرها أو نحصر هذا البعض منها ضمن حقب تاريخية معينة على أقل تقدير ؟ يرى الدكتور جواد علي أن هذا غير ميسور وأن كل ما يقال عن تواريخ الأيام وترتيبها والسنين التي وقعت فيها هو حدس وتخمين وينتهي إلى أن الحال ستبقى كذلك حتى تنهض مادة جديدة كنصوص جاهلية مدونة أو موارد أخرى قد تتعرض لتلك الأيام وعند ذلك - حسبما يرى الدكتور علي - يكون بالإمكان تدوينها على نحو علمي يشرح لنا تطور الحوادث عند العرب قبل الإسلام . واني هنا لا أريد أن أجاري هذا الرأي - لا تجرؤا عليه - إنما هي محاولة - قد أكون مسوفا فيها لاستجلاء شيء من تواريخ الأيام اعتمادا على ربطها بشخصيات بظمان إليها كانت قد عاصرتها أو اشتركت فيها أو يربطها بحوادث تاريخية معلومة . وجريا على هذا النسق يمكن اعتبار يوم البيضاء (٢٨) الذي ذكر أنه حدث في أواسط القرن الرابع الميلادي هو أقدم الأيام التي نهأت عنها بعض المعلومات التاريخية وهو لبني عدوان ورئيسها عامر بن الظرب على مزجج وفيه كما تذكر الأخبار اجتمعت معد كلها على رئيس واحد وذلك للمرة الأولى عبر تاريخها وإذا ما تجاوزنا القرن الرابع الذي حدث فيه هذا اليوم - وهو شديد الاضطراب - طالعنا في القرن الخامس عدة أيام أقدمها على ما يبدو يوم منعج بين عيس وغني - كلاهما من قيس - وسببه قتل رباح الفزوي شأسا بن زهير بن جذيمة العبسي اثر عودته من زيادة للنعمان بن أمية القيس أمير الحيرة آنذاك فانتقم زهير لمقتل ابنه بان غزا بني غني واكثر فيهم القتل ، ويبدو أن هذا اليوم قد حدث في النصف الاول من القرن الخامس وهي الفترة التي حكم فيها النعمان بن أمية القيس (٢٩) واعقب هذا اليوم يوم التفراوات وهو من أيام قيس أيضا - بين عامر وعيس - وفيه قتل بنو عامر زهير بن جذيمة العبسي لتشدده في جمع الاتاة وكان قائد عامر خالد بن جعفر الكلابي الذي قتل يوم بطن عاقل التالي لهذا اليوم كما تقدم . وفي أواخر القرن الخامس نشبت حرب البوس المشهورة بين بكر وتغلب واشتملت الربع الاول من القرن السادس فقد ظلت تثار - كما تذكر الروايات - بين حين وآخر مدة أربعين عاما ، وقبل نشوبها بزمان حدث يوم خزاز الذي اجتمع فيه العرب الشماليون على كليب وائل - والذي اثار مقتله حرب البوس - فهزموا جموع مزجج من عسرب الجنوب وتحرروا من سيطرة اليمن . ومن أيام النصف الاول من القرن السادس التي يمكن التكهن بازمان حدوثها يوم الكلاب الاول بين سلمة وشرحيل ابني الحارث بن عمرو الكندي ، وكان الحارث قد حكم الحيرة اثر عزل الفرس المنذر بن ماء السماء لعدم اعتناقه المزدكية دين الفرس آنذاك وقد نصب الحارث ابنائه - ومنهم سلمة وشرحيل - امراء على القبائل في البادية اثر توليه امانة الحيرة بيد أن الحارث عزل واعيد المنذر إلى حكم الحيرة عقب تولي كسرى الاول حكم فارس - وكان كارها للمزدكية - فحارب المنذر الحارث الكندي وتمكن منه وقتله ، واثار مقتله تخاصم ابناه المذكوران ومن خلال الحوادث المتقدمة يمكن القول بأن الكلاب الاول يعود في تاريخه إلى أواخر النصف الاول من القرن السادس إذ أن المنذر كان قد عاد إلى حكم الحيرة عام (٥٢١ م) (٢٠) وخلال هذا التاريخ قتل الحارث وعقب

مقتله حدث هذا اليوم . ومن أيام هذه الفترة أيضا بعض من أيام الناذرة والفسانة واشهرها يوما عين اباغ وحليمة وكلاهما للحارث بن جبلة الفساني على المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة ، ويقال أن بين اليومين عثر سنوات ، وقد حدث اليوم الاول حوالي ٥٤٤م (٢١) وفي هذا الضوء يمكن وضع الأيام التي حدثت بين المنذر بن ماء السماء وسواه في حدود هذه الفترة التاريخية كيوم اواره بينه وبين بني بكر ويوم طخفة بينه وبين بني يربوع (٢٢) . وإذا ما انتقلنا إلى النصف الثاني من القرن السادس فقد يكون من اليسر وضع تواريخ تقريبة للأيام التي قامت انشاء نظرا لقربها من الإسلام - فقد أدركه بعض الذين اشتركوا في هذه الأيام أو عاصروها - فيوم جبلة بين عامر وتميم سابق لظهور الإسلام بأربعين سنة على رواية وبسع وخمسين سنة على أخرى (٢٣) وقبله بعام وقع يوم دحرجان كما اوضح من قبل . أما حرب داحس والغبراء بين عيس وذيان التي ذكر أنها امتدت أربعين عاما فيرجح أنها اشتملت على أكثر النصف الثاني من القرن السادس اضافة إلى السنين الأولى من القرن السابع ، وكان من أبطالها الشاعر الجاهلي المعروف عترة العبسي الذي مات مقتولا اثر انتهائها في معركة مع طيء بحدود عام ٦١١ للميلاد (٢٤) . ومن هذه الأيام أيام الاوس والخزرج واشهرها يوم بعث ، وقد ذكر أنه حدث قبل الهجرة بخمسين سنة (٢٥) وأنه آخر أيامهم قبل الإسلام يقول ابن الأثير « وكان يوم بعث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الإسلام وانفتحت الكلمة واجتمعوا على نصرة الإسلام واخله وكفى الله المؤمنين القتال » (٢٦) ، وقبله بزمان وقع يوم سمر في أوائل النصف الثاني من القرن السادس وقد اعتبر أول أيام الاوس والخزرج (٢٧) وما بين هذين اليومين يمكن وضع أيام الاوس والخزرج الأخرى . ومن الأيام التي يسر وضوحها تاريخيا في هذه الحقبة هي أيام الفجار واشهرها - كما تقدم - خمسة في أربع سنين وقد اشترك النبي صلى الله عليه وسلم في واحد منها إذا كان يناول اعمامه النبل وهو ابن أربع عشرة سنة (٢٨) وعقب ظهور الإسلام بقليل حدثت أيام اعتبرت جاهلية - لتمثل الروح الجاهلية فيها - وهي أيام يمكن التكهن بزمان وقوعها لانضاح تاريخ العرب بعد الإسلام منها يوم ذي فار بين العرب والفرس والكلاب الثاني بين تميم ومزجج والشيطان والشباك والوقبي بين بكر وتميم . وبالرغم مما تقدم فإن الصعوبة في تعيين تواريخ ثابتة للأيام تبقى قائمة نظرا لمراعاة روايتها الجانب القصصي دون الجانب التاريخي .

- (٢١) تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروج ص ١٠٤ .
- (٢٢) وقد امتد حكم المنذر بن ماء السماء بين ٥٠٥ - ٥٤٤م .
- (٢٣) العرب قبل الإسلام لكليب حتى ج ١ ص ١١٠ .
- (٢٤) ورد في المقد الفريد ج ٦ ص ٩ بأن هذا اليوم كان قبل الإسلام بأربعين سنة أما في الأغاني ج ١١ ص ١٤٩ فقد ورد بأنه كان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة .
- (٢٥) تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروج ج ١ ص ٢٠٨ .
- (٢٥) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي لباست - عطية ص ٥٦ .
- (٢٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١ ص ٦٨١ .
- (٢٧) تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروج ص ١٢٢ .
- (٢٨) المقد الفريد ج ٦ ص ١٠٢ ، وفي أيام العرب في الجاهلية ص ٢٢٤ أن الرسول (ص) قد اشترك في اليوم الرابع منها وهو يوم عكاك ، وقد انتهت هذه الأيام بحدود عام ٥٨٩م .

- (٢٨) العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وقد اختلف في مدى حقيقة هذا اليوم - انظر تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروج ص ٨٢ .
- (٢٩) تاريخ العرب لكليب حتى ج ١ ص ١٠٩ .
- (٣٠) المرجع السابق ص ١٠٠ .

الايام عدما العرب حقيقة واقعة فتاثروا بها في الجاهلية والاسلام

اتضح لنا فيما تقدم من البحث بان الحياة في جزيرة العرب ولي باديتها بصورة خاصة كانت حياة حرب وغارة وذلك بفعل عوامل كثيرة واهمها قساوة البيئة الطبيعية وما يتبعها من شحة في الموارد ، لذا فقد نزع سكان الجزيرة بفعل هذه العوامل الى الخصومة سعيا لتأمين العيش الكفاف ، اذ كثيرا ما كانت المسألة في صحراء العرب تعني هلاكاً للقاعدين عن النضال للظفر بالماء والمرعى . ومن هنا كانت الايام جزءاً من حياة الجاهليين فقد توارثوا اخبارها جيلاً عن جيل واحاطوها بهالة من التمجيد والتعظيم وراوا فيها مصدر فخرهم الكبير ، ولاهيتها عندهم فقد ابرزوها في شعرهم بصور من الفخر والحماة والرثاء وباغراض شعرية اخرى تناسب والحالة التي يرضون لها . وكان من مظاهر تاثرهم بها تعظيمهم بعض الايام البسيطة واظهارها بمظهر الحروب الكبيرة افتخاراً بمآتي قومهم ، من ذلك قول قيس بن الخطيم (٢٩) :

اجالدهم يوم الحديقة حاسراً كان يدي بالسيف مخراق لاعب

فقيس بن الخطيم لم يكن اميناً في تصويره لهذا اليوم الذي لا يبدو كونه مشاحنة بسيطة قامت بين الاوس والخزرج سلاحها العصي والحجارة ، ومثل هذا يقال في كثير من ايام الاوس والخزرج الاخرى وايام الفجار - وخاصة الفجار الاول - الذي لم تسل فيه دماء غزيرة (٣٠). ومن مظاهر اعتزاز الجاهليين بالايام تعظيمهم الانتصار واعتذارهم عن الهزيمة ومجادلتهم الخصوم . فان انتصار بني يربوع - من تميم - على بني بكر - من ربيعة - في يوم مخطط قال مالك بن نويرة (٣١) ولم يكن قد شهد هذا اليوم انما هزه انتصار قومه :

ان لم اكن لاقيت يوم مخطط
فقد خبر الركبان ما اتودد
بابناء حي من قبائل مالك
وعمر بن يربوع اقاموا فاخذوا
فقال الرئيس الحوفزان (٣٢) تكتبوا
بني الحصن قد شارفتهم ثم جردوا
فما فتوا حتى راونا كائننا
مع الصبح اذى من البحر مزبد
بملومة شهباء يبرق خالها
تري الشمس فيها حين دارت توقد
فما برحوا حتى علتهم كئائب
اذا طغنت فرسانها لا تمسود
فاقررت عيني يوم ظلوا كأنهم
بطن غيبط خشب ائل مسند
صرع عليه الطير يعجل فوقه
واخر مكبول اليديين مقيسد

(٢٩) ديوان قيس بن الخطيم تحقيق ابراهيم السمراني
واحمد مطلوب ص ٢٤ ويرد هذا البيت في جزيرة
اشعار العرب ص ٢٥ بهذه الصورة :
لقينكم يوم الخنادق حاسراً
كان يدي بالسيف مخراق لاعب

(٣٠) المقد الفريد ج ٦ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٣١) المصدر السابق ص ٥٧ .

(٣٢) الحوفزان احد رؤساء بكر .

وكان لهم من اهلهم ونسبائهم
مبيت ولم يدروا بما يحدث الفد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى
شريك وبسطام عن الشر مقعد

وفي يوم فيف الريح الذي هزمت فيه ملجج بني عامر
قال عامر بن الطفيل مبرراً هزيمة قومه (٣٣) :

لعمرى وما عمري علي بهين
لقد شان حر الوجه طعنه مسهر
فبس الفتى ان كنت امور عاقرا
جيانا وما اغنى لى كل محضر
وقد علموا انى اكر عليهم
عشية فيف الريح كرم الدور
فلو كان جمع مثلاً لم نبالهم
ولكن اتونا اسرة ذات مفخر
فجاودا بشهران المشيرة كلها
واكلب طرا في لباس السنور

وقال ايضا في هذا المعنى :

اتونا بشهران العريضة كلها
واكلبها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل سيفنا
بيت عن قري اضيافة غير غافل
اعاذل لو كان البداد لقوتوا
ولكن اتانا كل جن وخابل
وخشم حي يمدلون بملجج
وهل نحن الا مثل احدى القبائل

وتجادل كل من قيس بن الخطيم وحسان بن ثابت في يوم سمر ، وهو يوم لم يدركاه وقد دفعهما للذكره اشتداد الخصومة بين الاوس والخزرج ، فقيس وحسان مثلها مثل الشعراء الجاهليين كانا كثيرا ما يجهدان في التنقيب عن ايام قومهما السالفة والتمدح بها . قال قيس في هذا اليوم قصيدته المشهورة التي مطلعها (٣٤) :

رد الخليل الجمال فانصرفوا ماذا غلبهم لو انهم ولفسوا
وبعد الفاضة في الغزل يذكر ماتي الاوس في الحرب :

ابلق بني جعجبي وقومهم خطمة انا وراهم انصف
واننا دون ما يسومهم الاعاء داء من ضيم خطمة تكف
نفلني بحد الصفيح هامهم ولفينا هامهم به عنف
انا وان قدموا التي علموا اكبادنا من ورائهم تجلف
لا بدت غدوة جباههم حنت الينا الارحام والصحف
كقيلنا للمقدمين ففسوا عن شاوكم والحرا ب تخطف
يتبع آثارها اذا اختلجت سخن عيط هروقه تكف
ان بني عمنا طفوا وبفوا ولج منهم في قومهم سرف

لأجابه حسان (٣٥) - وهو من الخزرج - بقصيدة من ذات القافية ابتدأها بالغزل ايضا :

ما بال عينيك دمعها بكف من ذكر خود شطت بها للاف
دع ذا وعد القريض في نفر يرجون مدحي ومدحي الشرف

(٣٤) المقد الفريد ج ٦ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٣٥) ديوان قيس بن الخطيم ص ٢٨ وما بعدها .

(٣٥) انظر ديوان حسان .

ان تدع قومي للمجد تلفهم .. اهل فعال يبدو اذا وصفوا
ان سمرا عبد طفى سلفها ساعده اعبد له نطف

وطرق الشاعر الجاهلي اضافة لما تقدم اغراضا شعرية
اخرى اوجتها اليه حوادث الايام كالحماسة والهجاء والرثاء
سنمر ببعضها خلال . . البحث . وكان من
تأثر الجاهليين بالايام بعثهم الحرب طلبا لثأر بعيد او قريب ،
وهو امر ادى الى اتساع ايامهم وتتابها لاجيال متعاقبة ، كما
هو معروف عن حربي داحس والبسوس وملك السليلة من
الايام التي ثارت بين عامر ذبيان وتميم بسبب مشاحنة كانت
قد جرت بين خالد بن جعفر بن كلاب العامري والحارث بن
ظالم المري الديباني في حضرة النعمان بن المنذر امير الحيرة
آنذاك ، فقد فخر خالد بن جعفر على الحارث بن ظالم بيوم كان
له على ذبيان فاحتق ذلك الحادث فعمد الى قتل خالد ، فدعي
هذا اليوم بيوم بطن عافل واعقبه يوم رحرحان وهو لعامر على
تميم لاجارة تميم الحارث بعد ان خذله قومه . ولا ذلك يوم
شعب جبلة الذي ارادت فيه تميم ادراك ثارها من بني عامر
كما تقدم في موضع سابق .

والجاهليون لم يكونوا وحدهم المتأثرين بالايام انما قد
تعدى تأثيرها الجاهلية وظل شاخصا بعد ظهور الاسلام وان خفت
حدته بعض الشيء بفضل الدين الجديد . يروى صاحب العقد
الفريد (١١) في بداية الفصل الذي خص به ايام العرب ووقائعهم
انه قد قيل لبعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما كنتم تتحدثون في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر
ونتحدث باخبار جاهليتنا ، ولا شك ان المتحدث كان يعني
باخبار الجاهلية ايامها . وقد بعثت ايام الجاهلية في العصر
الاسلامي وفي صدر هذا العصر بصورة خاصة حركة ادبية نشيطة
قوامها المناقضة التي كان من نتائجها فيض من الشعر اضيف
الى التراث الادبي لهذه الامة وان مثل في بعض جوانبه هبوطا
في الخلق وذلك لانحراف الشعراء المتأففين احيانا عما هو
مالوف في المجتمع من اعراف . ومع ذلك فان هذا الشعر اضاف
في مجمله رافدا غزيرا الى الحركة الادبية ولاهيمته فقد اولاه
كبار المصنفين الاسلاميين عنايتهم ، فالف فيه ابو عبيدة معمر
ابن النشى كتابه المعروف - مناقضات جرير والفرزدق - الذي
ضم فخرهذين الشاعرين بايام قومهما في الجاهلية والتهاجي بينهما
في هذا المجال ، وقد اضحى هذا الكتاب فيما بعد مصدرا يعول
عليه في دراسة الايام ، ومثله فعل ابو تمام في كتابه نقاض جرير
والاخطل ، فقد اورد فيه خلاصة للايام التي فخر بها هذان
الشاعران وان كان دون كتاب ابي عبيدة في السعة . ونجد
مثل هذه العناية عند المحدثين من الادباء كاستاذ احمد الشايب
في كتابه تاريخ النقائض في الشعر العربي والدكتور محمود
غناوي الزهيرى في كتابه نقاض جرير والفرزدق واضرابهما .
اذن فقد كان للايام تأثير بين على الاسلاميين وعلى شعرائهم
بصورة خاصة وبامكاننا ان نشير مثل هذا التأثير من خلال
التراث الشعري الذي خلفه هؤلاء الشعراء . قال جرير من
قصيدة يهجو فيها الفرزدق ويفخر بانتصار قومه بني يربوع
في يوم طخفة وهو اليوم الذي هزمت فيه بنو يربوع - من تميم -
المنذر بن ماء السماء عندما اراد المنذر نقل الرداة منهم الى
بني مجاشع وهم قوم الفرزدق :

الناس نحن قد علمت معد غداة الروح اجدر ان نصارا
واضرب بالسيوف اذا تلاقى هواذي الخيل صادية حرارا

(١٦) ج ٦ مر ٢ .

واظن حين تختلف العوالي واما زول اذا ما التفت نارا
واحمد في القرى واعز نصرا وامنع جانباً واعز جبارا
غضبنا يوم طخفة قد علمتم فصفنا الملوك بها اعتسارا (١٧)

وقال ايضا في هجاء الفرزدق ذاكر افرسان بني يربوع
ومشيرا الى يوم طخفة المتقدم والى يوم ذي نجب الذي هزمت
فيه يربوع بني عامر والى يوم جزع ظلال الذي ادعت فيه بنو يربوع
انها انقذت الاسرى والاموال من بني فزارة الذين غزواهم
في هذا اليوم وخلص الى المقارنة بين تغاذل قوم الفرزدق في
يوم الوقيط - وهو لبني بكر على بني تميم - وبين حفاظ قومه
بني يربوع في يوم الفبيط وهو اليوم الذي غزاهم فيه بنو
شيبان فاستطاعوا اللحاق بهم وانقاذ الاسرى والاموال منهم
وردهم منهزمين :

نحن الولاة لكل حرب تنقى اذا انت محتضر لكرك صال
من مثل فارس ذي الخمار وقنعب والحنفين لليلة الببال
والردف اذ ملك الملوك ومن نه عظم الدائع كل يوم فضال
الذائدون اذا النساء تبدلت شهاب ذات فوانس ورعسال
قوم هم غموا اباك وفيهم حب بقوت بني فيرة عال
اني لتلب الملوك فوارسي وينالون اذا يقال نزال
من كل ابيض يستضاء بوجه نثار الحجيج الى خروج خلال
تمضي استنا وتعلم مانك ان قد منعت حزونتي ورماني
فاسال بنى نجب فوارس عامر واسال عيثة يوم جزع ظلال
احبت يومك بالوقيط كيومنا يوم الفبيط بقله الارحال (١٨)

وفي هذا المعنى يقول الفرزدق من قصيدة يهجو فيها
جريرا ويذكره بيوم جدود الذي اغارت فيه بنو يربوع - وزعيمها
الحارث بن شريك ويدعى الحوفزان - على بني تميم فتغاذل بنو
يربوع قوم جرير وحافظ بنو سعد حتى ردوا الفايزين :

لن تدركوا كرمي بلؤم ابيكم واوابدي بتحل الاشعار
هلا غداة حيتم اعيادكم بجدود والخيالان في اعصار
والحوفزان موم افراسه والمحصنات حواسر الابكار
بدعون زيد مائة اذ وليتم لا يتقين على قفا بخمار
صبرت بنو سعد لهم برماهم وكفتم لهم عن الادبار (١٩)

وقال من قصيدة اخرى مفتخرا على جرير بيوم الشقيقة
الذي هزمت فيه بنو ضبة بني شيبان وقتلت سيدتها وفارسها
بسطام بن فيس ، وبيوم ضربة وهو من ايام ضبة ايضا وقد
دعا يوم طخفة والنار كما سيأتي :

بنو اليد الاشائم للامدادى نموني للعلى وبنو ضرار
وعائلة التي كانت تميم تقديمنا لمخينة الذمار
واصحاب الشقيقة يوم لاقوا بنى شيبان بالاسل الحرار
وسام عاهد خزرات ملك يقود الخيل تذب بالمهار
اناخ بهم مفاضبة فلاقى شعوب الموت او خلق الاسار
وقضل آل ضبة كل يوم وفانع بالمجردة السوارى
وتقتل الملوك وان منهم فوارس يوم طخفة والنار (٢٠)

قال ابو عبيدة « اراد بطخفة والنار يوم ضربة فلم يمكنه
في الشعر فجمله يوم طخفة والنار لقريظما من ضربة » .
ودونك بعض ابيات تقيضتين لجرير والفرزدق قوامهما الافتخار

(١٧) نقاض جرير والفرزدق لابي عبيدة ج ١ ص ٢٥٢ .

(١٨) المصدر السابق ص ٢٩٨ - وما بعده .

(١٩) المصدر السابق ص ٢٢٥ .

(٢٠) المصدر السابق ص ٢٢٢ - وما بعدها .

بما لاسلافهما من وقائع في الجاهلية . قال الفرزدق (٥١) معددا بعض مآثر قومه وایامهم ومنها النقا وهو يوم الشقيقة المتقدم :

فأسال بناوبكم اذا لاقيتم جشم الاراقم او بني همام
منا الذي جمع الملوك وبينهم حرب يشب سعيها بضرام
وابي ابن صعصعة بن ليلي غالب غلب الملوك ورهطه اعمامي
خالي الذي ترك النجيع برمحه يوم النقا شرقا على بسطام
والخيل تحط بالكمأة ترى لها رهجا بكل مجرب مقدام
والحوفزان تداركته غارة منا باسفل اود ذي الارام ..
متجردين على الجياد عشية .. عصبا مجللة بدار ظلام

فاجابه جرير (٥٢) مهونا من شأنه وذا ما قومه ومزريا بهم لتخلفهم عن نصره بني يربوع في يوم قشاوة الذي انتصر فيه بنو شيان :

خلق الفرزدق سوءة في مالك ولخلق ضبة كان شر غلام
مهلا فرزدق ان قومك فيهم .. خور القلوب وخفة الاحلام
الظاعنون على العمى بجمعهم والنازلون بشر دار مقام
بنس الفوارس يوم نعف قشاوة والخيل عادية على بسطام

ولم يقتصر التفضي بالايام على جرير والفرزدق ، فقد فخر بها في الاسلام شعراء اخرون كالكميت الذي افتخر بيوم منج الذي قتل فيه رباح الفزوي شاس بن زهير بن جذيمة العبسي ، وقد ذكر ان سبب فخر الكميت بهذا اليوم هو انتسابه لامين من غني (٥٣) .

انا ابن غني والداي كلاهما
لامن منهم في الفروع وفي الاصل
هم استودعوا زهرا نيب بن سالم
وهم عدلوا بين الحصين بالنبل
وهم قتلوا شاس الملوك ورغموا
اباه زهرا بالذلّة والثكل

تلك هي اذن كانت نظرة العرب جاهليين واسلاميين للايام ، فقد تأثروا بها وعدوها حقيقة واقعة وان كانت في الكثير من جوانبها تحتاج الى تمحيص تاريخي يثبت صحتها وببمسد المصطنع منها لان العرب انذاك لم يكونوا مالكن لتلك النظرة الفاحصة عند تقييمهم للايام وذلك بفعل التعصب القبلي الغالب عليهم وما جره هذا التعصب من تقديس للتراث البطولي لدى اسلافهم ، فقد كان جل همهم التفاخر بالمجد الغابر وتعظيمه على حساب الحقائق التاريخية . وازاء ذلك فليس لنا الا ان تكون نظرتنا للايام منسجمة مع نظرتهم اليها دون تحمل معاناة الخوض في اثبات وقائعها واسماء ابطالها تاريخيا ، واذا كان الدكتور طه حسين قد حمل نفسه هذه المشقة مشكورا وادعى انكار الايام عند قوله (٥٤) « وكل ما يروى عن ايام العرب وخصوماتها وما يتصل بذلك من الشعر خلق ان يكون موضوعا » فاننا لا نريد مجادلته في هذا المجال فهو اقدر على اثبات ما ذهب اليه منا انما الذي اردنا توضيحه هو مدى تأثير هذه الايام على العرب جاهليين كانوا او اسلاميين دون الفور في التفاصيل التاريخية التي قد تجرنا الى مظان لم نقصدها اصلا . فمن الخير لنا ان نولي مدى تأثير الايام على العرب في

شتى نواحي حياتهم تاركين اثبات وقائعها تاريخيا للمعنيين في المجال التاريخي . فالايام سواء اكانت موضوعة - في بعضها - او حقيقية فانه يتعدى المجادلة في تأثيرها على العرب ، هذا التأثير الذي بدا واضحا في التراث الشعري الذي خلفوه ، وصفوة القول يجدر بنا ان نذكر انه كما اعتقد العرب بالانساب واقاموا شتى مظاهر حياتهم على اساسها معتقدين بصحتها بالرغم من استحالة اثباتها جنسيا فانهم نظروا ذات النظرة الى الايام غير معتدين بالحقائق التاريخية وعلى هذا الاساس فلا حاجة لنا للفور في اعماق التاريخ لتبين مدى صحة الايام انما المهم هو تأثيرها على العرب . وقد بدا لنا ذلك في المتقدم من البحث .

اشهر الايام

ايام العرب كثيرة جدا وقد يكون من المتعذر الاحاطة بها لان سكان الجزيرة العربية والبدو منهم بصورة خاصة كانوا في حرب تكاد تكون دائمة وذلك لاسباب املتها عليهم بيئتهم الطبيعية وكان ابرزها العامل الاقتصادي يضاف اليه التعصب القبلي والتأثر للكرامة وحفظ الجوار والانتصار للحليف . وسترر جملة من هذه الاسباب في مظانها عند ذكر اشهر الايام فيما يلي من البحث . وقد اشارت المصنفات التي اتت عن ذكر ايام العرب الى كثرة هذه الايام واستحالة تفصيلها ، فقد ذكر ابن الاثير في مقدمة الباب الذي سرد فيه ما يناهز السبعين يوما « ونحن نذكر الاسبام المشهورة والوفائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم اخرج على ذكر غارات تشتمل النفر اليسير لانه يكثر ويخرج عن الحصر » (٥٥) اما الميداني فيقول بعد ان يعدد بأبجاز مائة وثلاثين يوما « وهذا الفن لا يتقناه الاحصاء فاقصرت على ما ذكرت » (٥٦) ويبدو ان للأقدمين في ايام العرب عدة موهلات فقد معظمها ، فثمة اشارات الى ان صاحب الاغانى قد ألف كتابا في الايام حوى الفا وسبعمائة يوم وان ابا عبيدة معمر بن المنثري (٥٧) له كتابان في الايام احدهما موسع اشتمل على ألف ومائتي يوم واخر مختصر سرد فيه سبعة وخمسين يوما وذكر بان لابي عبيدة سوى كتابيه المتقدمين عدة كتب اخرى قصرها في هذا المجال ومثله فعل هشام الكلبي (٥٨) . اما ما حفظ لنا من المصادر التي تاتي على الايام فاهمها نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة وهو يعرض لليوم عند وروده في احد ابيات المناقضة ، والكمال في التاريخ لابن الاثير والعقد الفريد لابن عبد ربه والافاني ومعجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكري ونهاية الارب للنويري ومعجم الامثال للميداني وشرح الحماسة للتبريزي وخزانة الادب للبغدادى والعمدة لابن رشيقي والكمال في اللغة والادب للمبرد والمختار من نوادر الاخبار لمحمد بن احمد التبريزي ، وفي غير هذه المصادر اشارات الى الايام ترد منبثة في كتب الادب والتاريخ القديمة . وعن المصادر المتقدمة اخذ المحدثون من المؤلفين عند كتابتهم عن الايام امثال الالوسي في بلوغ الادب وجرجي زيدان في العرب قبل الاسلامي

(٥٥) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٥٠٢ .

(٥٦) معجم الامثال للميداني ج ٢ ص ٤٤٤ .

(٥٧) وما يلاحظ ان معظم اصحاب المصنفات القديمة في الايام تد اخذوا عن ابي عبيدة فهم يصدررون رواياتهم عند ذكر اليوم ب « قال ابو عبيدة » وما في هذا المنى .

(٥٨) انظر في هذا المجال : شعر الحرب للدكتور علي الجندى ج ١ ص ٢١ - وما بعدها وتاريخ النقائض للشايب ص ٦١ وما بعدها .

(٥١) المصدر السابق ص ٢٦٦ - وما بعدها .

(٥٢) المصدر السابق ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٥٣) نهاية الادب للنويري ج ١٥ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٥٤) في الادب الجاهلي للدكتور طه حسين ص ١٥٩ .

وجواد علي في تاريخ العرب قبل الاسلام ومحمد احمد جواد المولى وجماعته في كتاب ايام العرب في الجاهلية .

ولما كانت الايام بهذه السعة والشمول فاننا سنعرض في هذا المجال الى المشهور منها والى تلك التي تركت اثرا في تاريخنا الادبي ، وبالامكان تبويبها الى اربع ابواب هي ايام العرب والفرس وايام القحطانيين فيما بينهم والايام التي جرت بين القحطانيين والعدنانيين وايام العدنانيين فيما بينهم ، واكثر هذه الايام شهرة وسعة ونسرا في التاريخ الادبي هي الاخيرة التي وقعت بين عرب الشمال انفسهم كما سيتبين في سياق البحث :

١ - ايام العرب والفرس :

واشهرها يوما الصفقة وذي قار . اما الصفقة (٥٩) فخلاصته ان بني تميم كانوا قد استولوا على احدى قوافل كسرى التجارية فاحتال عليهم كسرى بان حبسهم في حصن المشقر وقتلهم هنالك ، وقد سمي هذا اليوم بيوم الصفقة لان الفرس اصفقوا باب المشقر على بني تميم . اما يوم ذي قار فهو بين الفرس وقبائل بكر وكانت الغلبة فيه لبكر وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تنامي اليه خبره « اليوم او يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرنا » (٦٠) ومع ان الباعث على هذا اليوم هو عدم تسليم هانيء بن مسعود ودائع النعمان الى كسرى الا انه يمثل في جانبه الاخر تمرد عرب البادية على الفرس ونفورهم من السيطرة الاجنبية . وقد فخر العرب طويلا في هذا اليوم وقالوا فيه الكثير من الشعر من ذلك قول اعشى بكر في قصيدة طويلة (٦١) :

لما راونا كشفا جماجمنا
ليعلموا اننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندي يحصدهم
ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو ان كل معد كان شاركا
في يوم ذي قار ما اخطاهم الشرف
لما امالوا الى الشباب ايديهم
ملنا بيض لمثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت
حتى تولت وكاد اليوم ينتصف
بطارق وبنو ملك مرازية
من الاعاجم في اذانها الشنف

(٥٩) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٦٢٠ وما بعدها ويلاحظ ان يوم الكلاب الثاني بين مدحج وميم ينحل بهذا اليوم كما سيأتي .

(٦٠) ينظر عن ذي قار الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٨٢ - وما بعدها وغيره من مصادر التاريخ المروية . وقد لا يتفق ذكر يوم ذي قار في هذا البحث لكونه يمثل حربا جرت بين فرس وعرب وهذا ما ينطبق بالنسبة ليوم الصفقة ولانه حدث وقد ظهر الاسلام ، وحجتنا في ابراده ان مصنفات الايام تدخل هذا اليوم ضمن ايام العرب اضافة الى ان من ايام العرب ما وقع بعد البعثة الا انه جاهلي في روجه كبري النبطيين وسجل ، ومثلها كثير .

(٦١) المقدم الفريد . ج ٦ ص ١١٦ - ويلاحظ ان صاحب المقدم يدعى الشاعر : اعشى بكر -

من كل مرجانة في البحر احرزها
تيارها ووقاهها طينها الصدف
كانما الال في حافات جمهمهم
والبيض يرق بدا في عارض بكف
ما في الخدود صدود عن سيوفهم
ولا عن الظن في اللبات منحرف

٢ - ايام القحطانيين فيما بينهم

واشهر هذه الايام هي الكلاب الاول والبردان وعين اباغ وحليمة واليخاميم ، ومفاورات الاوس والخزرج ، واليك هذه الطائفة منها :

أ - يوم الكلاب الاول (٦٢)

وهو اليوم الذي نشبت فيه الحرب بين شرحبيل و سلمة ابني الحارث بن عمرو اكل المرار الكندي ، وكان مع شرحبيل فبة والرياب وبنو بربوع وبكر ومع سلمة تغلب والنمر وبهراء وبعض بني مالك بن حنظلة ، فالتقوا على ماء يدعى الكلاب موضع ما بين البصرة والكوفة كما يذكر ابو عبيدة في النقائص ، وكانت الغلبة لسلمة على اخيه شرحبيل الذي قتل في هذا اليوم ، فقال اخوه معد يتركب الذي كان معتزلا الحرب يرثيه وبذم تميما لعدم حفاظها في المعركة (٦٣) :

ان جني عن الفراش لناب
من حديث نما الي فما نر
مرة كالزعاف اكتمها الناب
من شرحبيل اذ تعاوره الار
يا ابن امي ولو شهدتك اذ تد
لتشدت من ورائك حتى
احسنت وائل وعادتها الاح
يوم فرت بنو تميم وولت
ويحكم يا بني اسيد اني
ابن معطيكم الجزيل وجاب
فارس بطن الكتيبة بالسيف
كنجاني الاسر فوق الظراب
قاعيني وما اسيف شرابي
س على حرمة (٦٤) كالشهاب
ماح من بعد لفة وشباب
عو تميما وانت غر مجاب
تبلغ الرحب او تيز ثيابي
سان بالحنو يوم ضرب الرقاب
خيلهم يتقين بالاذناب
ويحكم ربكم ورب الرباب
كم على الفقر بالثين التياب
على نحره كنضخ المسلاب

ب يوم حليمة (٦٥)

وهذا اليوم من ايام المناذرة والفسانة وقد يكون اشهرها ، وفي امثال العرب « ما يوم حليمة بر » وحليمة هذه هي بنت الحارث الاعرج بن جبلة الفساني وانما سمي اليوم باسمها لان اباها طلب منها ان تطيب الجند ابان المعركة لحملهم على القتال ، وقد انتصر الفسانيون في هذا اليوم وقتل ملك الحيرة المنذر بن المنذر بن ماء السماء . وفي هذا اليوم يقول علقمة بن عبدة مادحا الحارث وبني غسان ومستشفعا اطلاق اخيه شاس من الاسر (٦٦) :

(٦٢) النقائص لابن عبيدة ، ج ١ ص ٥٢ وما بعدها ، المقدم الفريد ج ٦ ص ٨٧ - ٧٩ ، الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٥٤٩ وما بعدها .
(٦٣) النقائص ، لابن عبيدة ، ج ١ ص ٥٦ - ٥٧ .
(٦٤) اللطيفة : الجرب
(٦٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٥٢ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٤٥ وما بعدها .
(٦٦) نفس المصدر السابق

وقائل من غسان اهل حفاظها
وهنب وفاس جالدت وشبيب
تخشى ابدان الحديد عليهم
كما خششت بس الحصاد جنوب
فلم تنج الا شطبة بلجامها ..
والا طمر كالفناء نجيب
والاكي ذو حفاظ كائسه ..
بما ابتل من حد الظباء خضيب

ج - يوم بعث (٦٧)

وهو من اشهر ايام الاوس والخزرج ، وكانت الفلبة فيه
ابتداء للخزرج حيث فر الاوس منهزمين ، بيد ان زعيمهم حضير
الكتائب الاشهلي ابن الفرار وطعن سافه برمح واستمرخ الاوس
الثبات، فلما رأت الاوس ذلك جاشت حميتها وكرت ميممة القتال
فرجعت كفها في الحرب واكثر من قتل الخزرج . وقد تبنى
الشراء الاوسيون بهذا اليوم كثيرا ومنهم قيس بن الخطيم
الذي فخر بانتصار قومه في بعث وذلك في قصيدته الشهيرة
التي مطلعها (١٨) :

انعرف رسما كاطراد المذاهب

لعمره وحشا غير موقف راكب

وقال خفاف بن نذبة (١٩) يرثي حضيرا لجراته في القتال
والذي مات في المعركة تائرا بما اصابه من جراح :

اتاني حديث فكذبته
فيا عين بكى حضير الندي
ويوم شديد اوار الحديد
صليت به عليك الحديد
فاودي بنفسك يوم الوغى
وتقى ثيابك لم تدنس

د - يوم سمر (٧١)

وهو من ايام الاوس والخزرج ايضا ، ويبدو انه من اوائل
ايامهم ، وقد قدمت بعثا عليه لان يوم بعث اكثر منه شهرة .
والذي سمر الحرب بينهما هو ان سمرا وهو من الاوس قد قتل احد
احلاف الخزرج ويدعى كعب الثعلبي وهو من ذبيان وذلك بسبب
مشاحة حدثت بين الاثنين . وطلبت الخزرج تسليم القاتل
للاقتصاص منه فاحتجت الاوس بانه قد كان في المكان الذي قتل
فيه كعب اناس كثيرون ولا يمكن تعيين القاتل وكثر بينهم الكلام
في ذلك ، وقال درهم اخو سمر ناصحا قومه بعدم تسليم اخيه
للخزرج ليقول بحليفهم ومتوعدا ان فعلوا ذلك :

يا قوم لا تقتلوا سمرا فان
ان تقتلوه ترن (٧٢) نوتكم
اني لعمر الذي يحج له الله
يمن بر بالله مجتهد ..
لا نرفع العبد فوق سبته
ما دام منا بيطنها شرف (٧٣)

(٦٧) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٦٨٠ وما بعدها .

(٦٨) ديوان قيس بن الخطيم ص ٢١ .

(٦٩) ايام العرب في الجاهلية ص ٧٩ .

(٧٠) اسنان لمؤمنين

(٧١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٦٥٨ وما بعدها .

(٧٢) ترن نوتكم اي يبكين .

(٧٣) يمرض هنا بحليف الخزرج كعب الثعلبي ويحلف بان

انك لاقى غدا غواة ينسي
فابد سيمالك يمرضك كعسا
عمي فانظر ما انت مزدهف (٧٤)
يبدون سيماهم فتعترف (٧٥)

ثم استمرت الحرب بين الحيين ولما اتسع اوارها تداعى
الاوسيون الى التحكيم فرفضت الخزرج بذلك ، فحكموا بينهما
ثابت بن المنذر بن حرام - وهو والد حسان بن ثابت - وقصد
ارضاهما وذلك بان يودي ديات القتلى بين الطرفين بما في ذلك
دية حليف الخزرج وذلك في حديث طويل .

وبلاحظ ان ايام القبائل القحطانية التي عرضنا لها فيما
تقدم وغيرها من التي لم نعرض لها تجنبنا للاطالة كانت قد نشبت
اثر هجرة القبائل الجنوبية الى الشمال كما هو معروف عن
استيطان الفساسة والمناذرة الشام والعراق وحلول قبائل الاوس
والخزرج في يثرب ، وكانت لقبائل الجنوب النازحة ايام اخرى
استمرت بينها وبين القبائل العدنانية التي استقرت بالقاديين
الجدد ، وستين شيئا من ذلك في الفقرة التالية .

٣ - ايام القحطانيين والعدنانيين

وقد مثلت هذه الايام في معظمها نزوع البدو الشماليين
للتحرر من السيطرة التي فرضتها عليهم القبائل الجنوبية
الطارئة ، وقد تجلى ذلك في يوم خزاز اذ اجتمعت معد كلها
على كليب وائل وهي فلما اجتمعت على زعيم واحد لطبيعتها
البدوية النافرة (٧٦) . ومن اشهر هذه الايام التي تجلت فيها
نفرة قبائل الشمال من تسلط الجنوبيين ايام خزاز وحجر
وطخفة واواره والكلاب الثاني وفيه الريح وظهر الدهناء
وغرها . وسنعرض هنا لابرزها :

١ - يوم خزاز (٧٧)

وخلاصته كما تروى الاخبار ، ان ملكا من ملوك اليمن كان
قد اسر قوما من مضر وربيعة وقضاة ، فبعثت معد اليه بوفد
من وجهوها تستشفع اطلاق الاسرى فاحتبس الملك قسما من

الاوس لا يدقون بمقلته الادبة الحليف ، ويبدو ان
الخزرج قد طالبوا بدية المريح .

(٧٤) المزدهف ، المتنعم

(٧٥) يمرض في هذا البيت بمالك بن المجلان وهو زعيم
الخزرج ، وكان قد عرف عنه التكر في الحرب حتى
لا يقعد .

(٧٦) ويذكر بهذا الصدد ان معدا كانت قد اجتمعت اول مرة
تحت راية عامر بن الظرب في يوم البيضاء ، وهذا
اليوم كما يذكر الاخباريون هو اقدم ما وصلنا من ايام
العرب ، وقد نشب بين العدنانيين وملحج في اواسط
القرن الرابع للميلاد وكانت الفلبة فيه للعدنانيين .
اما اليوم الثاني الذي اتحدت فيه معد فهو يوم السلان
الذي قادها فيه ربيعة بن الحارث . واليوم الثالث
هو يوم خزاز المتقدم والذي كانت رئاسة معد فيه
لكليب . وينظر في ذلك تاريخ العرب قبل الاسلام
للدكتور جواد علي ج ٤ ص ٢٤٨ والعرب قبل الاسلام
لجرجي زيدان ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٧٧) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٥٢٠ وما بعدها
ايام العرب في الجاهلية ص ١٠٩ وما بعدها ، العرب
قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٢٢٦ - ٢٢٧ المقد
الفريد ج ٦ ص ١٧ ، السدة لابن رثيق ج ٢ ص ٢٠١ -
٢٠٢ (وقد يسمى هذا اليوم يوم خزازي ايضا) .

ج - يوم طخفة (٨٣)

وهو لبني يربوع من تميم على المنذر بن ماء السماء ومن حديثه ان ردافة (٨١) ملوك الحيرة كانت لبني يربوع ، وآلت لبني المنذر بن ماء السماء لعتاب بن هرمي ولما مات اراد المنذر ان ينقلها الى بني مجاشع وهم قبيل من تميم ايضا فلما ابت بنو يربوع ذلك قارعهم الحرب لبني طخفة - وهو موضع ما بين البصرة ومكة - وقد هزمت بنو يربوع في هذا اليوم جيش المنذر واسرت ابنه واخاه ولي ذلك يقول مالك بن نويرة مفخرا :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعد ما
راى القوم منه الموت والخيول تلعب
عليه دلاص ذات نـجـ وسيفه
جراز من الهندي ابيض مقضب
طلبنا به انا مداريك نيلها ..
اذا طلب الشاؤ البعيد المغرب

د - يوم اواره (٨٥)

وهو يومان اول وثان ، الاول للمنذر بن ماء السماء على بني بكر وفد ذبح المنذر من ظفر به من بني بكر في هذا اليوم على اواره - وهو جبل لتميم - . اما الثاني فهو لعمرو ابن هند على تميم ، وتذكر الروايات ان عمرا قد احرق في هذا اليوم مائة من بني تميم ، ولي ذلك يقوم لقيط بن زرادة (٨٦) هاجيا بني مالك بن حنظلة - وهم الذين دارت عليهم الواقعة في هذا اليوم - .

فابلق لديك بني مالك
فان امرا انتم حوله
يعين سرائكم عامدا
فلو كنتم ابلا املحت (٨٧)
ولو كنتم غنما تصطفي
لعمر ابيك ابي الخرم ما
ولا نعمة ان خير الملو
مظفلة وسراة الرباب
تحفون قبتهم بالقباب
ويقتلكم مثل قتل الكلاب
لقد نزعتم للمياه العذاب
ويترك سائرهم للنشاب
ادرت بقتلهم من صواب
له الفضلهم نعمة في الرقاب

هـ - يوم الكلاب الثاني (٨٨)

وهو لتميم على مذحج ، وكانت مذحج قد طمعت بتميم بعد ان اوقع بها كسرى في يوم الصفقة فرأت اجتياحا املا بالفنيمة بيد ان تميما حافظت في قتالها وارادت مذحج مهزومة وكان من اسر منها في هذا اليوم زعيمها عبد يغوث الذي قال في اسره وهو يقدم للموت قصيدته المشهورة التي مطلعها :

الا لا تلوماني كفى اللوم مايا
فما لكما في اللوم نفع ولايا

(٨٣) المصدر السابق ص ٦٤٩ - ٦٥٠ ، ايام العرب في

الجاهلية ص ٩٤ ، وما بعدها ، المقصد الفريد ج ٦

ص ٨٧ - ٨٨ ، النقائض ج ٢ ص ٩٢٤ - ٩٢٥ .

(٨٤) الردافة وهي مصاحبة الملك ومن حقوق الرديف ربع

غنيمة الملك من غزواته .

(٨٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٥٤٩ - وما بعدها ،

ايام العرب في الجاهلية ص ٩٩ وما بعدها ، النقائض

ج ٢ ص ١٠٨١ وما بعدها .

(٨٦) الاغانى ج ٢٢ ص ١٩٢ - ١٩٤ .

(٨٧) أي وردت ماء ملحا .

(٨٨) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٦٢٠ وما بعدها ، المقصد الفريد

ج ٦ ص ٩٧ وما بعدها .

الوفد وطلب من الباقين دعوة يودسوا معد اليه لياخذ الموائيق عليهم بالطاعة وهدد بقتل الرهائن اذا لم تفعل معد ذلك . واعلم العائدون قومهم بنية الملك فاجتمعت معد على كليب وانسل واحتشدت لحرب مذحج وعند ما علمت مذحج بذلك تهيات هي الاخرى للحرب والتقى الجمعان بخزاز - وهو جبل ما بين البصرة الى مكة - وكانت الغلبة لبني هذا اليوم لمعد وهزمت جموع اليمن شر هزيمة .

ولي ذلك يقول السفاح التغلبي (٧٨) :

وليلة بت او قد لب خزاز هديت كتابيا متحيرات
فصلن من السهاد وكن لولا سهاد القوم حسب هاديات

وقد فخر عمرو بن كلثوم بهذا اليوم بقوله (٧٩) :

ونحن غداة او قد لب خزازي رلدنا فوق رلد الرافدينا
لكننا الابمين اذا التقينا وكان الايسرين بنو ابينا
فصالوا صولة فيما يلينهم وصلنا صولة فيما يلينا
قابوا بالنهاب وبالسبابا وابنا بالملوك مصفدينا

ب - يوم حجر (٨٠)

كان الحارث بن عمرو الكندي (٨١) قد ملك ابنائه على القبائل الشمالية ومنها بنو اسد التي ملك عليها ابنه حجرا .. وكان لحجر على بني اسد اتاوة سنوية ، ولي احدى السنين امتنع الاسديون على ادائها واهانوا رسل حجر - وكان انذاك غائبا في تهامة - ولما علم بذلك سار اليهم واكثر فيهم القتل واجلأهم الى تهامة وبعد حين اسر بنو اسد حجرا اثر قتال ، فقتله غيلة اسدي كان حجر قد قتل ابيه . وعندها قام باخذ ناره ابنه امروء القيس - الشاعر المعروف - فالب القبائل على بني اسد واباحهم اكثر من مرة حتى اسرف فهجرتهم كثير من القبائل التي كانت تناصره لما رأت من لحاجته في القتال ولما ايقن بامتناع القبائل عن نصرته اخذ يطوف البلدان للنصرة الى ان انتهى به المطاف كما تروي الاخبار الى قيصر الروم ويزعم الرواة ان شخصا من بني اسد يدعى الطماح كان قد قتل امروء القيس اخا له اغوى القيصر بقتله بادعاء وجود علاقة بينه وبين ابنته - ابنة القيصر - فكان ان اهدى اليه القيصر حلة مسمومة قصد قتله وعند ما لبسها احس بالسم يسري في عروقه وعلم ان الطماح هو الذي فتك به بوشايته ، وذكر انه قال في هذه الواقعة (٨٢) :

لقد طمع الطماح من نحوارضه ليلبني مما يلبس ابوسا
فلو انها نفس تموت سوبة ولكننا نفس تساقط انفسا

(٧٨) وهو قائد مقدمة جيش كليب وكان كليب قد امره ان يوقد نارا على خزاز ليمتدى الجيش بها وقال له (ان غشيك العدو فاوقد نارين) والى ذلك يشير في بيته المذكورين .

(٧٩) يقول في ذلك صاحب المقد ج ٦ ص ٩٧ " وولا قول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم " .

(٨٠) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٥١١ وما بعدها .

(٨١) وهو من مشاهير ملوك كندة وذكر ان قبائل نزار هي التي طلبت توليه ابنائه عليها .

(٨٢) الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥١٩ .

٤ - أيام العدنانيين فيما بينهم

وهي كما تقدم أكثر الأيام شمولا وغناء للادب الجاهلي وقد وقعت في معظمها بين القبائل البدوية فمنها ما وقع بين القبائل القيسية نفسها أو بين هذه القبائل وقبائل كنانة من جهة ونعيم من جهة أخرى ، ومنها ما وقع بين قبائل ربيعة نفسها أو بينها وبين قبائل نعيم وهكذا (٨٩) .. وسنمر فيما يلي من البحث على جملة من هذه الأيام .

١ - أيام قيس

وهي كثيرة أشهرها حرب داحس والغبراء ، ومنها يوم منعم وبطن عاقل والرقم والتأفة وهرايت وحوزة الأول والثاني واللوى ، وستبين بالتصانيف بعضها .

داحس والغبراء : (٩٠)

وهي حرب طويلة دارت بين عيس وذبيان واشتملت على عدة أيام هي : المريقب وذبيح حسي واليعمرية والهباءة والفروق وقطن . وتذكر الروايات أن الذي أثارها هو رمان جرى بين قيس بن زهير العيصي وحذيفة بن بدر من ذبيان (٩١) على سباق لخيولهما (٩٢) . وكان حذيفة قد ادعى السبق في حين أبي قيس ذلك لأن حذيفة كان قد أكن في طريق الخيل بعض الفتيان ليردوا داحسا وهو فرس قيس عن غايته أن جاء سابقا وفي ذلك يقول قيس :

هم فخرنا على بغير فخر وردوا دون غايته جوادي

والح حذيفة في دعواه وذلك بأن طلب حقه في الرمان (٩٣) وأرسل ابنه مالكا إلى زهير في طلبه فما كان من زهير إلا أن قتله فلحقته الحرب بين عيس وذبيان وظلوا يتراوحن القتال كما يذكر الأخباريون أربعين سنة . وكان أول لقاء لهم في يوم المريقب وهو لعيس على ذبيان ثم التقوا مرة أخرى في يوم ذي حسي وكانت الغلبة فيه للبيان ، ودارت عيس لنفسها في يوم اليعمرية . وكان أشهر أيام داحس والغبراء هو يوم الهباءة الذي أسرفت فيه عيس في قتل ذبيان وفي ذلك يقول عمرو بن الأسلم (٩٤) :

أن السماء وأن الأرض شاهدة والله يشهد والإنسان والبلد

(٨٩) وقد عمد صاحب المقد الفريد إلى تجميع الأيام على أساس وقوعها بين القبائل المختلفة .. ج ٦ ص ٢ وما بعدها . وكذلك فعل النويري في نهاية الأرب ج ١٥ ص ٢٢٨ وما بعدها وقلدهما جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الإسلام .

(٩٠) المقد الفريد ج ٦ ص ١٧ وما بعدها ، نهاية الأرب للنويري ج ١٥ ص ٢٥٦ وما بعدها الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥٦٦ وما بعدها ، أيام العرب في الجاهلية ص ٢٤٦ وما بعدها التفاضل لأبي عبيدة ج ١ ص ٨٢ وما بعدها . وفي رواية أن الرمان كان بين قيس بن زهير وحمل بن بدر ، المقد الفريد ج ٦ ص ١٧ .

(٩١) ذكر أن السباق كان بين داحس فرس قيس والغبراء فرس حذيفة وقيل بل كان بين فرسي زهير داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والمنقاء ، الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥٧٠ ، المقد الفريد ج ٦ ص ١٧ .

(٩٢) وكان مائة بصر .

(٩٣) المقد الفريد ج ٦ ص ٢٢ - ٢٤ .

أني جزيت بني بدر بسعيهم على الهباءة قتلا ما له سود
لما اتقينا على أرجاء جمعتها والمشرقية في إيماننا تقد ..
علوته بحسام ثم قلت له .. خلها اليك فانت السيد الصمد

وقتل في هذا اليوم حذيفة (٩٥) وأخوه حمل ومثل بهما وقد رلى زهير حملا بابيات مؤثرة (٩٦) :

تطم أن خير الناس ميت على جفر الهباءة ما يريهم
ولولا ظلمة ما زلت أبكسي عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل به بدر بنى والبني مرتضه وخيم
أظن الحلم دل على قومي وقد يستصف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فموج عيسى ومستقيم ..

وعقب هذا اليوم كانت لهم أيام الفروق وقطن ولديسر قلبى (٩٧) ولكنها لم تبلغ في شدتها يوم الهباءة . وعند ما كثرت استباحة الدماء بينهم نادوا للصلح وقيل أن هرم بن سنان والحارث بن عوف قد تحملا ديوات القتلى من الطرفين (٩٨) وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى مادحا الرجلين (٩٩) :

فاقمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحهم
بمينا لنعم السيدان وجدتما .. على كل حال من سحيل ومبرم
تداركما عيسا وذبيان بعدما .. تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما أن ندرك السلم واسما بمال ومعروف من القول نسلم
فاصحبتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومائهم
عظيمين في عيسا معد هديتما ومن يستبح كترا من المجد يعظم

يوم بطن عاقل : (١٠٠)

وهو اليوم الذي قتل فيه الحارث بن ظالم المري الديباني خالد بن جعفر بن كلاب العامري غيلة ببطن عاقل - وهو موضع بين البصرة ومكة - وقد كان الرجلان آنذاك في حضرة النعمان بن المنذر أمير الحيرة فحدثت ملاحاة بينهما أمام النعمان انقضت الحارث فحملته على فملته (١٠١) . وقد ظل الحارث أثر قتله

(٩٥) واليه يشير ابن الأسلم بقوله « علوته بحسام ... البيت »

(٩٦) المقد الفريد ج ٦ ص ٢٢ .

(٩٧) هكذا يرد في نهاية الأرب للنويري ج ١٥ ص ٢٦٢ ونسب المقد الفريد ج ٦ ص ٢٥٥ يرد « فدير قلياذ » .

(٩٨) وفي المقدان الذي أصلح بينهما عوف ومقل ابننا سبيع من بني نطبة وإياهما يعني زهير بقوله : تداركما عباد وذبيان ... الأبيات .

(٩٩) انظر معلقة زهير .

(١٠٠) المقد الفريد ج ٦ ص ٧ - ٨ ، أيام العرب في الجاهلية ص ٢٤٢ وما بعدها . نهاية الأرب للنويري ج ١٥ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(١٠١) تذكر الروايات أن قمة نارا سابقا بين خالد والحارث ذلك أن خالدا كان قد أثار على قوم الحارث - والحارث صنبر - فأكثر فيهم القتل والسبي ويبدو أن خالدا قد ذكر الحارث بهذه الموقعة في حضرة النعمان .

خالدا يتنقل بين القبائل لان قومه لظلموا فعلته وابوا اجارته ،
وبسببه كانت وقعة دحرجان بين عامر وتميم ، ذلك ان تميما
اجارت الحادث فاغضبت عامرا . وسياتي ذلك عند الكلام عن
يوم دحرجان .

يوم حوزة (١٠٢)

وهو يومان كلاهما بين بني سليم وذيان ، وحوزة اسم
لوار في الحجاز . ففي اليوم الاول غزا معاوية بن عمرو بن
الشريد السلمي بني مرة وفزارة - من ذبيان - يريد هاشم بن
حرملة المري وذلك بسبب مشاحنة حدثت بينهما في عكاظ ،
وقد قتل في هذا اليوم معاوية واصيب هاشم بجراح .

وفي اليوم الثاني خرج صخر - اخو معاوية - يريد بني
مرة طلبا لثار اخيه بيد انه لم يتمكن من هاشم انما قتل اخاه ،
اما هاشم فانتقام معاوية فقد قتله شخص من جشم اسمه عمرو
ابن قيس انتقاما لمعاوية وفي ذلك تقول الخنساء :

فدا للفارس الجسمي نفسي وادبه بمن لي من حميم
الديه بكل بني سليم .. بظاعتهم وبالنس المقيم
كما لي هاشم اقررت عيني .. وكانت لا تنام ولا تقيم

يوم اللوى (١٠٣)

وهو بين غطفان واللوى اسم لواء .
ومن حديثه ان عبدالله بن الصمة غزا بني غطفان قاصبا
منهم اموالا كثيرة فقال له اخوه دريد : النجاء ولا اظن غطفان
عنا غافلة قابى عبدالله الا ان ينتقم (١٠٤) . فلحققت بهم قبائل
غطفان وهم باللوى فاقتتلوا قتالا شديدا صرع فيه عبدالله وهزم
الباقون . ولدريد قصيدة من عيون الشعر الجاهلي يرثي بها
اخاه عبدالله ويعرض به لابائه النصيحة منها :

امرتهم امري بمنعرج اللوى
فلو يستبينوا الرشد الاضحى الفد
فلما عصوني كنت منهم وقد ارى
غوايتهم وانى غير مهتد ..
وهل انا الا من غزبة (١٠٥) ان غوت
غويت وان ترشد غزبة ادشد

ب - ايام قيس وكنانة (١٠٦)

واشهرها ايام الكديد وبرزة وحروب الفجار .

يوم الكديد

وهو لبني سليم من قيس على كنانة والكديد اسم لموضع .
وفي هذا اليوم قتلت بنو سليم ربيعة بن المقدم احمى فرسان
كنانة .

(١٠٢) المقد الفريد ج ٦ ص ٢٨ وما بعدها ، نهاية الارب
للتوبري ج ١٥ ص ٢٦٥ وما بعدها .

(١٠٢) المقد الفريد ج ٦ ص ٢٢ وما بعدها ، نهاية الارب
للتوبري ج ١٥ ص ٢٦٨ وما بعدها .

(١٠٤) النقيمة ناقة بنخيرها زعيم القوم من الضبة لبحرهما
لاصحابه .

(١٠٥) غزبة نبيلة دريد .

(١٠٦) المقد الفريد ج ٦ ص ٢٨ ، نهاية الارب للتوبري ج ١٥
ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

يوم برزة (١٠٧)

وهو لبني فراس من كنانة على بني سليم من قيس ، وبرزة
اسم لموضع . وكان بنو سليم قد اغاوروا على بني فراس بعد حين من
قتلهم ربيعة بن المقدم ، بيد ان بني فراس هزمهم وقتل عبدالله
بن جندل مالكا وكرزا ابني خالد بن صخر بن الشريد السلمي
وقال في ذلك مفاخرها .

قتلنا مالكا فبكوا عليه وهل يفني من الجزع البكاء
وكرزا قد تركناه صريعا تسيل على ترائبه الدماء
فان تجزع لذلك بنو سليم فقد وابيهم غلب العزاء
فصبرا يا سليم كما صبرنا وما فيكم لواحدنا كفاء
فلا تبعد ربيعة من نديم اخو الهلاك ان ذم الشتاء
وكم من غارة ورعيل خيل تداركها وقد حمس اللقاء

ايام الفجار (١٠٨)

وهي حروب قيس وكنانة التي استمرت عدة سنين وقد دعت بابام
الفجار لانها وقعت في الاشهر الحرم التي كان العرب يمتنعون فيها
عن القتال . وقد قسمها الاخباريون الى فجارين ، اول وقعت فيه
ثلاثة ايام وثان وقعت فيه خمسة ، والثاني هو الاهم لشدة ايامه
بيننا ايام الاول لا تعدو ان تكون مشاحنات بسيطة لم يصب
بها كثيرون . وكان من عادتهم في الفجار الثاني ان يتواعدوا
رأس الحول من العام التالي عند انتهاء اليوم ، لذا فقد التقوا
في خمسة ايام على مدى اربع سنين ، اربعة منها لقيس على كنانة
وقريش وهي ايام نخلة وشمطة والمبلاء والحريرة ، وواحد
لكنانة وقريش على قيس وهو يوم عكاظ . وعكاظ من اشهر هذه
الايام وقد اسرفت فيه كنانة من قتل قيس ، وفي ذلك يقول
ضرار بن الخطاب الفهري :

الم تسال الناس عن شائنا ومن يثبت الامر كالخاير
غداة عكاظ اذا استكملت هوازن في لفيها الحاضر
وجاءت سليم تهز القنا على كل سهبة ضامر
وجئنا اليهم على المضمرات بارعن ذي لجب زاخر
فلما التقينا اذقناهم .. طعانا بسمر القنا العائر
ففرت سليم (١٠٩) ولم يصبروا وطارت شعاعا بنو عامر
وفرت ثقيف الى لاتهمنا بمنقلب الخائب الخامر
وقالت العنس شطر النها ر ثم تولت مع الصادر

ج - ايام قيس وتميم :

وقعت بين قيس وتميم عدة ايام اشهرها يوما دحرجان
وشعب جبلة ، ومن ايامهم الاخرى يوم ذى نجب لبني تميم على
بني عامر من قيس وذو نجب اسم لموضع ، ويوم الصرائم بين
بني عيس من قيس وبني يربوع من تميم والصرائم اسم لموضع
ايضا ، ويوم الرغام لبني يربوع من تميم على بني كلاب من
قيس والرغام اسم لرمل في اليمامة ، ويوم جزع ظلال وهو
لفزارة من قيس على تميم وجزع ظلال اسم لموضع ، ويوم
المروت وهو لبني تميم على بني عامر بن قيس والمروت اسم
لموضع ايضا . وسناتي فيما يلي من الكلام على يومي دحرجان
وشعب جبلة لكونهما اشهر ايام قيس وتميم .

(١٠٧) المقد الفريد ج ٦ ص ٢٨ - ٢٩ .

(١٠٨) الكامل في التاريخ ج ١ ص ٦٧٦ وما بعدها ، المقد الفريد

ج ٦ ص ١٠١ وما بعدها .

(١٠٩) اسم القبيلة .

يوم رحرحان: (١١٠)

تقدم عند الكلام عن يوم بطن عاقل بان بني تميم قد اجاروا الحارث بن ظالم المري بعد ان انفض عنه قومه ، فبلغ ذلك بني عامر فغزت تميما ، وكانت الغلبة لعامر ، واكثرت في تميم القتل واسرت جماعة من اشراقتهم بينهم معبد بن زدارة وقد اسره عامر بن الطفيل الشاعر الفارس المعروف . وعندما طلبت بنو عامر به فداء ملك رفض اخوه لقيط ذلك وابى الا ان يدفع في فدايه مائتي بعير ، فكان ان مات معبد عند بني عامر هزالا لان عامرا منعت عنه الطعام والشراب ، وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل :

فصينا الحزن من عيس وكانت مية معبد فينا هزالا
وقال شريح بن الاحوص يهجو لقيطا لانه ابى فداء اخيه :

لقيط وانت امروء ماجد ولكن حلمك لا يهتدي
الا امنت وساغ الشرا ب واحتل بيتك في نهمد
رفعت برجلك فوق الفراء ش تهدي القصائد في معبد
واسلمته عند جد القتال وتبخل بالمال ان تفتدي

يوم شعب جبلة: (١١١)

وهو لبني عامر - من قيس - وحلفائها الميسين على بني تميم وحلفائها من بني ذبيان واسد وغيرهم . ويعتبر هذا اليوم من اشهر ايام العرب لكثرة التحاربين فيه ، فقد جاء في الاغانى « قال ابو عبيدة : واما يوم جبلة فكان من عظام ايام العرب . وكان عظام ايام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ويوم جبلة ويوم ذي قار » (١١٦) وكان الساعي في هذا اليوم هو لقيط بن زدارة - سيد تميم - ابتغاء لار اخيه معبد الذي مات اسيرا في بني عامر اثر يوم رحرحان كما تقدم . وقد استمال لقيط القبائل في حربه هذه فانضم اليه بنو اسد وذبيان ، وقد انضمت ذبيان اليه لان بني عيس - خصومها في حرب داحس والغبراء - كانوا حلفاء لبني عامر ، واخرى لقيط كلا من الجون الكلبي ملك هجر والنعمان بن المنذر امير الحيرة بغزو بني عامر فانجداه بجيشين ، ولما رأى بنو عامر حشد لقيط عليهم ايقنوا بعدم قدرتهم على ملاقاته فاستعملوا الدهاء ، وذلك بان كمنوا في شعب جبلة ومنعوا ابلهم المرعى والماء عدة ايام ، ولما هاجمهم لقيط اطلقوا عتل الابل فهوت مسرعة نحو مواردها والقوم وراءها يرمونها بالحجر ، فوالت جيوش تميم ملعونة وبنو عامر يتبعونها قتلا واسرا ، وكان لقيط واحدا من قتلى هذا اليوم المرير .

(١١٠) المقد الفريد ج ٦ ص ٨ - ٩ ، الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥٥٦ وما بعدها ، نهاية الارب للتويري ج ١٥ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، نقائض ابى عبيدة ج ٢ ص ١٠٦٠ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٢٤٤ وما بعدها ، الاغانى ج ١١ ص ١٠٧ وما بعدها ، ايام العرب نسي الجاهلية ص ٢٤٤ وما بعدها .

(١١١) المقد الفريد ج ٦ ص ٩ وما بعدها ، الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥٨٢ وما بعدها ، نهاية الارب للتويري ج ١٥ ص ٢٥٠ وما بعدها ، نقائض ابى عبيدة ج ٢ ص ٦٥٤ وما بعدها ، الاغانى ج ١١ ص ١٢٥ ، وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٢٤٩ وما بعدها . العدة لابن رشيقي ج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٤ .

(١١٢) الاغانى ج ١١ ص ١٢٥ .

د - ايام ربيعة (١١٣)

واشهر ايامها حرب البسوس ، وهي حرب واسعة استمرت بين بكر وتغلب ابني وائل ، وذكر انها استمرت اربعين سنة وولعت فيها ايام عديدة اشهرها :

يوم النهى لتغلب على بكر ، والنهى اسم ماء لبني شيبان .
يوم اللنائب لتغلب على بكر ، واللنائب موضع بين البصرة ومكة .

يوم واردات لتغلب على بكر ، وواردات موضع بين البصرة ومكة ايضا .

يوم عنيزة ، وقد تكاثفت تغلب وبكر في هذا اليوم ، وعنيزة موضع في اليمامة .

يوم القصيات لتغلب على بكر ، والقصيات اسم لموضع في ديار بكر .

يوم تحلاق اللهم (١١٤) وهو لبكر على تغلب ، ويعتبر من اشهر ايام البسوس وانما سمي بيوم تحلاق اللهم لان بكرا حلقت رءوسها استيسالا للموت .

وتروى الاخبار ان الذي اثار هذه الحرب بين ابني وائل هو ان كليباً (١١٥) اصاب ناقة البسوس بسهم - والبسوس حالة جاس (١١٦) - لانها كانت ترمي مع ابله فاغضب ذلك جاسا وذهب الى كليب معاتبا ، ثم ان جاسا قتل كليباً اثر ذلك فنشبت الحرب بين القبيلتين . هذا ما ترويه الاخبار عن قصة هذه الحرب ، ويبدو ان لها سببا اخر غير سببها المباشر ذلك ان كليباً عقب قيادته معدا كلها في يوم خزاز وانتصاره على ملحق حمله زهو كبير واشتط في حكم قومه وسلبهم الماء والمرعى ، ومما قيل في هذا المجال انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماء . فكان جاسا عندما قتله كان يرد عن بكر ما عاتته من بغي وذل على يد كليب .

وقد اسرف مهلهل - وهو اخو كليب - في قتل بكر عند ما قام بتغلب طلبا لثار اخيه ، وكان المنتصر في اكثر الايام التي خاصها سعيها وراء ذلك الا في يوم تحلاق اللهم عندما قام بامر بكر الحارث بن عباد (١١٧) اثر قتل مهلهل ابنه بجرا ، وكان الحارث قبل ذلك معتزلا الحرب وفي ذلك يقول من قصيدة طويلة :

اصبحت وائل تمج من الحر
لا بجير اغنى قتيلا ولا ره
لم اكن من جناتها علم الله
قد تجنبت واللاكي يفيقوا
واشأبوا لذواتي ببجس
قتلوه بشسع نعل كليب (١١٨)
يا بني تغلب خلوا الحدرانا
قربا مربط النعامسة مني
ب عجيج الجمال بالانقال
ط كليب تراجروا عن ضلال
واني بحرهما اليوم صال
فابت تغلب على امتزالسي
فتنوه ظلما بفقر قتال
ان قتل الكريم بالشسع غال
قد شربنا بكاس موت زلال
لقحت حرب وائل عن حبال

(١١٣) المقد الفريد ج ٦ ص ٦٩ وما بعدها ، الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥٢٢ وما بعدها . نهاية الارب للتويري ج ١٥ ص ٢٦٩ وما بعدها .

(١١٤) وقد يسمى هذا اليوم بيوم نقة « المقد ج ٦ ص ٧٦ » .

(١١٥) كليب هو زعيم تغلب .

(١١٦) جاس من بكر .

(١١٧) وهو من بكر وابى ان يدخل الحرب خوفا من اسامها .

(١١٨) يروى ان مهلهلا عند قتل كليباً قال « بوء بشسع نعل كليب » والى ذلك يشير الحارث في هذا البيت .

قربا مربط النعامه مني لا نبيع الرجال بيع النعال
قربا مربط النعامه مني ليجر فداء عمي وخالي
وقد كرد قوله « قربا مربط النعامه مني » مرات عديدة
استغفرت جزوا كبيرا من قصيدته .

هـ - ايام ربيعة وتميم (١١٩)

وقد خاضت ربيعة وتميم اياما عديدة اشهرها :
يوم الوقيط وهو لبكر من ربيعة على تميم ، والوقيط
اسم لموضع .

يوم نيتل ، وهو لتميم على بكر وقد يسمى هذا اليوم
بيوم النباح وسبب ذلك ان تميما عندما غزت بكر تازع كل من
قيس بن عاصم المنقرى وسلامة بن ظرب على الاغارة ثم اتفقا
على ان يتقسما بكر حيين يفر قيس على البكرين في النباح
- وهو اسم لموضع - ويفر سلامة عليهم في نيتل - وهو اسم
ماء قرب البصرة - وكان الموضعان متقاربين .

يوم جدود وهو لبني منقر من تميم على بكر من ربيعة ،
وجدود اسم لموضع في بلاد تميم .

يوم ذرود وهو لبني يربوع من تميم على بني تغلب من ربيعة
وذرود اسم لرميل في طريق مكة .

يوم ذي طلوح وهو لبني يربوع ايضا على بني بكر ، ولو
طلوح اسم لموضع ، وقد يسمى هذا اليوم بيوم الصمد .

يوم الابداد وفيه هزمت يربوع بكر وزعيمها بسطام بن قيس
شر هزيمة ، والابداد اسم لموضع ، وقد يسمى هذا اليوم بيوم
المظالي والافاقه ومليحة واعشاش ، وسمي بيوم المظالي لان
رؤساء بكر تعاضلوا على الرئاسة فيه .

يوم الفيظ وسمى ايضا غبيط المدرة وصحراء فلج وكل
هذه الاسماء تدل على مواضع ، وقد يسمى يوم الثالث وذلك
لان بني شيبان - من بكر - كانوا قد اغاروا على اربعة احياء
كل منها يدعى ثعلبة وكان بسطام بن قيس الشيباني يقيود

شيبان في هذا اليوم وقد هزم فيه قبائل تميم بيد ان يربوعا
الحت في طلبه حتى ادركته وجيشه وما استال من غنيمة في
غبيط المدرة فهزموا جيشه واسروه اثر قتال مرير ، وقد اسره
عتيبة بن الحارث بن شهاب وفي ذلك يقول :

ابلق سراة بني شيبان مالكة اني ابات بعبدالله بسطاما
ان تحرزوه بذئ فارق فلانة فقد هبطت به بيذا اعلاما
لاظ الشربة في قيد وسلسلة صوت الحديد يفنيه اذا قاما

يوم قشاوة وهو لبني شيبان من بكر على بني يربوع من
تميم ، وقد يسمى بيوم نغف قشاوة وهو اسم لموضع .

يوم زباله وهو لبني شيبان ايضا على بني تميم ، وزباله
موضع بطريق مكة .

يوم مبايض وهو من ايام شيبان على تميم ، ومبايض اسم
ماء لبني تميم .

يوم الزويرين وهو لبكر من ربيعة على تميم ، ويعتبر هذا
اليوم من اشهر ايام ربيعة وتميم . ومن حديثهم كما تقدم ان بكر كانت
قد اسرفت في عدوانها على تميم فناجزتها تميم الحرب ، وعند
اللقاء عقلت بعمرين بين جيشها وجيش تميم سمتها الزويرين
وتعاهدت على عدم الفرار حتى يولي البعمران ، فكانت الدائرة
على بني تميم وتبعثها بكر قتلا واسرا . وفي ذلك يقول الاعشى :

يا سلم ان تسالي عنا فلا كشف
عند اللقاء ولسنا بالمقارب
نحن الذين هزمتنا يوم صحننا ..
جيش الزويرين في جمع الاحاليف
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم
بالشيب منا وبالمرد الفطارب
تستأنف الشرف الاعلى باعينها
لح الصقور علت فوق الاطاليف
انسل عنها نيل الصيف فانجردت
تحت اللبون منون كالزحاليف

وترد في المقعد الفريد وسواه من مصادر الايام ايام اخرى
قامت بين قبائل ربيعة وتميم منها ايام الحائر والقحقع ورأس
العين وسفوان والسلى ونقاء الحسن وكلها لتميم على بكر ومنها
صفوق وفيحان والحاجر والشقيف وهي لبكر على تميم .

وعلى أية حال فان الايام تبقى - برغم
ضراوتها - تمثل نزوع الامة العربية للحريّة
واستهانتها بالموت حفاظا على الكرامة والارض .

(١١٩) المقعد الفريد ج ٦ ص ٤٤ وما بعدها ، نهاية الارب
للزويري ج ١٥ ص ٢٧٩ وما بعدها ، نقاض ابي عبدة
ج ٢١ ص ١٩ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ١٤٤ ، ٢٢٢ ،
٢٢٦ ، ٤٠٤ ، ٥٨٠ ، ٦٨٠ ، ١٠٢٢ ، الكامل في
التاريخ ج ١ الصفحات ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ،
٦٠٤ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦٢٠ ، ٦٥٢ ، الرب
نبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٢٤٢ وما بعدها .

البريدون

٢١٠ - ٢٢٩ هـ / ٩٢٧ - ٩٦١ م

بقلم الدكتورة

مليلة ناجي الهاشمي

جامعة بغداد - كلية الآداب
قسم التاريخ

وبيعت الدور والعقار بالخبز (١) . وبالرغم من كثرة المبالغات الواردة في هذا النص فإنه يعكس إلى حد ما الوضع الاقتصادي السيئ وما وصلت إليه البلاد من فوضى وخراب وطبيعي أن وضعاً اقتصادياً متدهوراً كهذا رافقه وضع سياسي متردي جداً تمثل بظهور حركات انفصالية واختلال أسباب الأمن وعدم الاستقرار حتى أصبح الناس لا يأمنون على حياتهم وأموالهم فكثرت حوادث سلب الأموال ونهب الدور وكبسها ليلاً ، مع ما صاحب تلك الحوادث من فوضى عسكرية نتيجة تسلط الجند المرتزقة على الخلافة وتحكمهم في تنحية وتنصيب الخلفاء حسب رغباتهم الشخصية ، وحسب مقدار ما يصرف عليهم من الأموال ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نرى أن عملية السيطرة على الأراضي أخذت طابعاً آخر فعلى مر السنين تركزت غالبية الأراضي بيد الخليفة العباسي ومنحه الأراضي الشاسعة للمقربين له بمثابة أقطاع وكذلك منحها للفئات الغنية في المجتمع والتي لها الامكانيات المادية لتعمير الأراضي وأحيائها بعد موتها (٢) .

كما أنه لعدم استطاعة الخليفة من سد حاجات الجند المرتزقة . اضطر أن يقطع كبار الجنود ، الاقطاعات الواسعة ليسدوا بهانفتاتهم وليسترضيهم ،

١ - ابن الأثير - الكامل - ج ٦ دار الكتاب العربي - بيروت ١٢٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ، ص ٢٢١ .

٢ - الماوردي - الأحكام السلطانية ، ط ٢ ، ص ١٩٠ ، مصر ١٢٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

قبل الدخول في موضوع البريديين وأصلهم ومنطقة نفوذهم والمراكز الحساسة التي وصلوا إليها لابد لنا من التطرق إلى ظروف الفترة التي عاصرت ظهورهم . لنستطيع أن نكشف الأسباب الموضوعية والذاتية التي أدت إلى بروزهم على مسرح التاريخ شأنهم شأن الأسر المتنفة التي لعبت بمقدرات الخلافة العباسية لسنوات عديدة .

إن طبيعة النظام الاقطاعي السائد في الدولة العباسية منذ نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري ، تلقى الضوء على تردي الأوضاع الاقتصادية آنذاك نتيجة تكديس الأراضي والأموال بيد فئة تمثلت بالخليفة العباسي وحاشيته من الوزراء وكبار القادة العسكريين والكتاب وغيرهم وفئة معدمة فقيرة تكدح ليل ونهار في سبيل الحصول على لقمة العيش التي يتعذر تناولها في أغلب الأحيان وهناك شيء مهم هو أن نشير هنا إلى مجموعة من الأمثلة والحوادث التي أعطاها ابن الأثير والتي عكست ما كان يعانيه الناس من المآسي والآلام . فمن جملة تلك الحوادث قوله « اشتد القلاء ببغداد حتى أكل الناس الميتة والكلاب والسنائر .. وأكل الناس ضروب الشوك فاكثروا منه وكانوا يلقون حبه ويأكلونه فلحق الناس أمراض وأورام في أحشائهم وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم وانحدر كثير من أهل بغداد إلى البصرة فمات أكثرهم في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مديده يسيره

ولكن هؤلاء كانوا يتمسكون بما حصلوا عليه من الاراضي عندما يلاحظون مقدار ما تدره عليهم من الارباح ، اما اذا كان ربحهم قليلا من هذه الاراضي فردوها وعوضوا عنها بغيرها (٣) . وبطبيعة الحال فان نتيجة كل ذلك ان اصاب الاراضي الزراعية الخراب والفوضى قتل واردها بسبب عدم استطاعة الجند استثمارها واصلاح ما خرب منها ، وهذا بدوره ادى الى انخفاض المحصول الزراعي وبالنتيجة اثر تائرا كبيرا على وارد الخلافة فزادت الاسعار وانخفض مستوى المعيشة ، وهكذا اصبحت هذه الاقطاعات وما تدره من واردات عاملا يحدد علاقة الخليفة باصحاب هذه الاقطاعات ، كما ويحدد من جانب اخر علاقتهم بالخليفة ، وفي اكثر الاحيان كانوا يتقاعسون عن الدفع له ويخرجون عن طاعته ويعملون لتنجيته من منصب الخلافة . ذلك لان جزءا كبيرا من وارد الخلافة الاساسي كان يأتي من مالكي الاقطاعات وان بقية الموارد كانت تأتي من الضياع السلطانية وخراج الولايات .

وبنتيجة الامتناع عن الدفع للخليفة وعدم محاسبة الضملاء الا بما هو متعاقد عليه فان طرق جباية الاموال واستحصالتها كانت غالبا ما تتم بطرق تعسفية ظالمة وكئن لا يهم الجباة غير جمع الاموال والحفاظ عليها بعد تادية حصة الخلافة منها وما يقدمونه للوزراء على شكل هدايا لكسب مودتهم وبمرور الزمن وبسبب استئثار هؤلاء بالاموال تحولت اكثرية ثروة الدولة العباسية الى الوزراء والعمال والكتاب والقواد ونحوهم في فترات ضعف الخلفاء ، ومن جانب اخر عمد الخلفاء لاستبقاء نفوذهم وسطوتهم على الجند وكان الجند بحاجة مستمرة الى الاموال وبنتيجة لحاجة الخليفة الماسة لسد حاجات جنده فانه اضطر الى مصادرة بعض ممتلكات الوزراء والعمال والكتاب واستحصال الاموال منهم بالقوة واصبحت المصادرة بتوالي الايام مصدر هام في تحصيل المال فالوزير يصادر العمال وهؤلاء يصادرون الناس والخليفة يصادر الوزراء والتجار الثرين . ان معظم المصادرات حدثت في فترة الخليفة المقتدر (سنة ٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢م) واولهم كان الوزير علي بن الفرات (٤) وغيره من الوزراء كعلي بن عيسى (٥) وآل البريدي

٢ - مكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٩٧ ، مصر ١٢٢٢هـ - ١٩١٥ م .

٤ - مكويه - تجارب الامم ج ٢ ، ص ٨٨

٥ - نفس المصدر السابق ، ص ١٠٩

(٦) وابن مقلدة (٧) وغيرهم وهكذا سادت هذه الفترة الفوضى العسكرية وتدخل الجند في شؤون الخلافة . حيث اصبحوا السند لكل من يمدهم باموال اكثر ولا يهمهم امر الخلافة فان تعذر على الخليفة ترضيتهم وكسب ولائهم ثاروا ضده ونصبوا من يرغبون فيه عوضا عنه ، مثلما حدث للخليفة المقتدر حيث نحي عن الخلافة من قبل الفلماني المصافية والحجرية (٨) بعد ما نهبت الدار ومحت رسوم الخلافة .

وهتكوا الحرمه ، وهم انفسهم اعادوه للخلافة للمرة الثانية (٩) ، بعد تنحية القاهر وسهل عيناه (سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤) لمحاولة القاهر بتقليل الساجية (١٠) واستعمال الشدة معهم وتأخير عطاءاتهم مما جعل هؤلاء يتشاورون في الامر ويمدون له العدة لخلعة وفلا نجحوا في ذلك (١١) ، بمساعدة جماعة تقف وراءهم وتمدهم بالمال وترسم لهم الاتجاه بدافع من مصلحتها الخاصة وللوصول الى اعلى المناصب ، فمن هؤلاء ابن مقله الوزير السابق الذي دبر خلع القاهر بعد تنصيبه بمدة يومين فقط . وعند عودة الخليفة المقتدر للخلافة مرة ثانية عهد لابن علي بن مقله بالوزارة وكتب الى البلاد بما تجدد له (١٢) .

فالتوزيع غير المتكافئ للثروة عن وجود النظام الاقطاعي الممثل بسلطة الخليفة وحاشيته من جهة ووجود طبقة فلاحية فقيرة عانت من الهون والحرمان جعلها تلتف حول كل الحركات السياسية التي ظهرت في تلك الفترة مؤملة فيها خلاصها من الظلم الاقطاعي من جهة اخرى ، جعل هؤلاء الفلاحون يشكلون الدعامة الاساسية في الانتاج من حيث ان الوارد العام للخزينة يأتي عن طريق الاراضي الزراعية ، من

٦ - نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٥

٧ - نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٩

٨ - المصافية لفرقة من الفلماني الذين كانوا يتناوبون الحراسة في مصاف باب الخاصة وحوالي القصر ونبة لذلك سمو بالمصافية .

الحجرية .. هم ممالك الخليفة المعتضد بالله ، فانه رتبهم على حسب المقام في القصر والحجر وسماهم بالحجرية (الهلال الصابي ، الوزراء ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، دار احياء الكتاب العربية ، ١٩٥٨ ص ١٦) .

٩ - ابن الاثير . الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٠ - ابو الفداء المختصر في اخبار البشر ج ٢ ، ص ٩٢ - بيروت .

١٠ - فرقة عسكرية من الجند المرتقة ينسبون الى يوسف ابن ابي الساج والي الدريجان وارمينية في عهد المقتدر (ابن الاثير ج ٨ ، ص ٩٨) .

١١ - ابن الاثير - الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٢

١٢ - نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٢

مجهود الفلاحين المضي ، كان يقدم للخليفة وحاشيته ليصرفوها في شتى المجالات المختلفة سواء كانت تدفع كرواتب للوزراء ول كبار الموظفين والجنود أو تصرف في أمور ترفيهية . وان فداحة الضرائب الملقاة على عاتق الفلاحين ، وما يعانيه من فقر وحرمان أثر على بقية فئات المجتمع الأخرى إذ لم يسلم هؤلاء من النهب والسرقات وكسر الدكاكين ليلالونهب ما فيها وتركهم لرحمة القدر .

والى جانب ذلك ان ظهور الحركات الانفصالية أدت الى حصر سلطة الخليفة في هذه الفترة على بغداد وما يحيط بها من قرى وأرياف . أما بقية أنحاء الخلافة فقد توزعت بشكل اقطاعات توزعت على الجماعات القريبة للخلافة وأصحاب النفوذ فالبصرة خضعت لابن رائق أمير الأمراء وخوزستان أصبحت في يد البريدي وفارس والري أصفهان والجبل فقد خضعت للبويهين وكرمان فكانت بيد ابن علي محمد بن الياس ، والموصل وديار بكر ومصر وربيعة تحت سيطرة الحمدانيين ، والمغرب وأفريقيا تحت سيطرة العلويين والاندلس تحت حكم الأمويين وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة تحت نفوذ القرامطة (١٣) إلا ان هؤلاء اعترفوا بالسلطة العليا للخليفة العباسي وكانوا يخطبون له في المساجد وتقدم له الهدايا السنوية مقابل منحهم الألقاب والرتب العسكرية ، وكان من ضمن هؤلاء المنتفعين عائلة أبناء البريدي الذين سيطروا على الأهواز والبصرة ، وهذا ما استنأله في بحثي لما لها من أثر في وضع الخلافة ولما لعبته من دور في الأهواز والبصرة لفترة طويلة .

من هم البريديون ؟ يذكر الكثير من المؤرخين ان تسميتهم جاءت من كلمة بريد حيث ينفذ بسرعة من بلد الى بلد والمشهور بهذه النسبة أبو عبدالله الحسن بن عبدالله أحمد البريدي (١٤) أما باون وكابري وسوردال فيذكرون بان أباهم كان مديرا للبريد في البصرة (١٥) . وذكر الصولي ومسكويه بان البريديين كانوا يترددون بين منطقة الأهواز والبصرة (١٦) . ومن خلال ذلك يتضح لنا بان موطن البريديين كان البصرة . وكان البريديون حسب اعتقاد ماسنيون من الشيعة ، مشير الى أبي القاسم

البريدي (ابن أبو عبدالله) وكذلك يذكر سوردال بان البريديين ينتسبون الى الشيعة (١٧) ولا يوجد غير ذلك الى ما يشير أو يكشف عن عقيدتهم عدا بعض الاشارات عند مسكويه عندما أصدر الخليفة أمرا بالقاء القبض على أبي عبدالله وأبي الحسين وأبي يوسف انهم ركبوا طياراتهم وأظهروا انهم يريدون مسجد الرضا المتصل بالشاذروان بالأهواز (١٨) وفي الحقيقة ان ما أورده مسكويه بهذا الخصوص لا يعطينا دليلا واضحا على عقائد البريديين الدينية حيث ان ذهابهم الى مسجد الرضا كان لغرض الابتعاد عن أعدائهم ولا يعني انهم ذهبوا لزيارة الحضرة .

لم يكن لبني البريدي شأن يذكر في بداية الامر ولكن طموحهم والخبرة المستمرة وترقبهم للأحداث مع زيادة وتطور نفوذهم المالي كل ذلك جعل أبناء البريدي يرسمون الخطة لاحتلال بغداد وتقليدهم منصب الوزارة هذا المنصب الذي حلم به الكثيرون ومهدوا له شتى السبل وكان من ضمنهم أبو عبدالله البريدي .

لقد بدأ وضع البريديين يتحسن بصورة ملموسة منذ ان قلد الوزير علي بن عيسى (سنة ٣١٥ هـ ٩٢٧ م) لابن عبدالله البريدي الضياع الخاصة ضمانا واقطاع الوزراء وكان أبو يوسف البريدي يتولى لعلي بن عيسى الخراج براهمرمز سهلها وجبلها (١٩) إلا ان ذلك لم يرض طموح أبي عبدالله البريدي وغروره فنراه عندما سمع بتقليد غيره من العمال منطقتة الأهواز وما حولها اضطرب للامر كثيرا وتفوه بعبارات امام بعض الأشخاص حيث قال « يقلد هؤلاء هذه الاعمال وتقتصر باخي أبي يوسف على سرقة ولي على ضمان انضياع الخاصة فان لطايي صوتا سوف تسمعه بعد أيام (٢٠) » حيث اعتبر العمال الذين تقلدوا الأهواز ليسوا اكثر كفاءة منه وان الأهواز بنظره تعني شيء آخر اذ انها تعتبر من المناطق الغنية التي تدر أرباحا كثيرة ، لذلك قام بعدة محاولات للحصول على هذه المنطقة باذلا المال لكسب الاصدقاء ولتذليل الصعوبات . والمعروف عن أبي عبدالله انه يستطيع النفاذ من أصعب المشاكل والخروج منها بسلام مستخدما ذكائه وماله وصداقته ، ففي كل مكان كان له من يترصد الاخبار وأكثرها كانت تنقل

- ١٧- عبد الجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري ، ص ٨ .
١٨- مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٦٤ ، مصر ١٣٢٢ هـ - ١٩١٤ م .
١٩- نفس المصدر السابق ، ص ١٥٢-١٥٣ .
٢٠- مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٥٨ - ابن الأثير - الكامل ج ٨ ص ١٨٥ - بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

- ١٢- تاريخ أبو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .
١٤- ابن الأثير الباب في تهذيب الانساب ، ج ١ ، ص ١١٧ ، مصر ١٣٥٧ هـ .
١٥- عبد الجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري ص ٨١ ، لندن ١٩٧٠ (طروحة بالانكليزية لم تنشر بعد) .
١٦- الصولي ، الاوراق - مسكويه تجارب الامم ج ١ ، ص ٢٠ .

عن طريق الحمام الزاجل ، كل ذلك جعل الكثير من المؤرخين يصفونه بأحد دجالى الدنيا وشياطينها(٢١) وعندما ما بلغه اضطراب امر الوزير وهو بالاهواز ارسل اخاه ابا الحسين الى بغداد وامره بان يحصل له على الاهواز من الوزير. ولا سيما انه كان من المرتشين ، وعند تنحية علي بن عيسى عن منصب الوزير ومجئى ابو علي بن مقله وكانت تربطه صلة مودة معه فارسل اليه مبلغ « سفا تيج بثلاثمائة الف دينار » (٢٢) فتقلد ابو عبدالله على اثرها اعمال الاهواز جميعها سوى السوس وجنديسابور وقلد ابو الحسين الفراتية(٢٣)، وابو يوسف الخاصة(٢٤). واستطاع ابو عبدالله البريدي ان يحصل من عامل تستر مبلغ عشرة الاف دينار واخذ من كاتبه الف دينار ومن خليفته ثلاثة الاف دينار ومن حاجبه الف دينار (٢٥) ، ولم يوصلها الى الوزير بن مقله . فهذه المبالغ تعطينا توضيحا للثروة التي بدأت تتدفق على يد ابناء البريدي من جهة والتمسك بالاهواز والمحافظة عليها من جهة اخرى ، لكن امورهم لم تستمر على هذه الوتيرة بل اصابتهم خيبة الامل بعد عزل الوزير ابن مقله عن منصبه ومطالبة الخليفة المقتدر بالقاء القبض عليهم لمنعهم عن الدفع ، وعلى اثر ذلك قام ابو عبدالله البريدي بمحاولة لانتقاذ اخوته واطلاق سراحهم بواسطة كتاب مزور الا ان امره انكشف بعد ذلك وعلى اثرها جلبوا جميعا الى بغداد حيث اجبروهم على دفع ثلثمائة الف دينار(٢٦) ثم اعادوهم الى وظائفهم .

من هذا العرض السريع يتضح لنا كيف ظهر البريديون وطبيعة الوظائف التي احتلوها والتي لا تعدى الضمان والكتابة ودفع الغرامات والعزل والاعادة الى الوظائف ، وكلها تعكس عن عدم الاستقرار السياسي الناجم عن ضعف سلطة الخلافة العباسية في بغداد ، وهذا لا يعني ان البريديين اكتفوا عند هذا الحد ورضوا به فقد قاموا بعدة محاولات لاعادة نفوذهم وبنتيجة احتكاكهم بالسلطة السياسية عن طريق وظائفهم والتقلبات التي مروا بها جعلتهم يشخصون اسباب التدهور السياسي وضعف نفوذ

الخليفة وعدم سيطرته على بقية مناطق الخلافة ، ولذا كائهم وخبرتهم في مجال العمل بداوا يعدون للامر عدة للسيطرة على الاهواز والبصرة باقرب فرصة مناسبة .

كانت الاهواز والبصرة تعنى كل شىء بالنسبة للبريديين بسبب وفرة الموارد الاقتصادية التي تدرها هذه المناطق ، لذلك بذلوا شتى الوسائل للقضاء على كل من ينافسهم في السيطرة عليها . فقد اعتبروا محمد بن ياقوت من اشد المنافسين لهم عندما عقد لياقوت اعمال الاهواز (سنة ٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م) ، شغل ابو عبدالله البريدي منصب كاتب له مضافا الى ما بيده من اعمال خراج الاهواز وصار اخوه ابو الحسين يخلف ياقوتا ببغداد (٢٧) . وبعد مقتل ياقوت قضى على اكبر منافس لهم حيث قلد الخليفة الراضي كور الاهواز لابي عبدالله ولاخيه ابي يوسف خلال مدة تقليدهم الاهواز لسنى « اثنتين وثلاث واربع وعشرين وثلثمائة انهم جمعوا مبلغ ثمانية الالف الف دينار » (٢٨) والذي ساعدهم على جمع المال هو حسن تصرف ابي عبدالله البريدي وعدم افراطه في البذخ ومعرفته لموارد الاموال فقد وصفه مسكويه بانه « كان اجمه ، عنده استظهار ، واناخ في النفقات وارزاق الاولياء وما كان يعمل به السلطان على اموال كور الاهواز الباقية وكان يجتذب القطعة فالقطة منها ويجعل ذلك وراءه ولم يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ ، وما وهب قط لطارق ولا لشاعر ولا ولد نعمة شيئا وكان عارفا بورود الاموال وخرجها جميعها تجرى على يده » (٢٩) ، اما عن نفقاته العائلية فقد حدد مثلا مصروف مائدته في كل يوم الف درهم وكان عدد غلمانه خمسة وكسوته متوسطة ولم يسر الا بثلاث جوارى ولم تكن له زوجة غير والدته ابنة ابي القاسم . اما صلاته بالجيش فكانت خاصة (٣٠) لم يكتف البريديون بجمع الاموال بل بدأت تظهر عندهم اطماع اوسع برز ذلك يوم ان امتنع ابو عبدالله البريدي عن ارسال الاموال الى بغداد مما كان متوفر عنده في الاهواز . ان امتناع ابي عبدالله البريدي من ارسال حصة الخلافة كان يشكل خطرا على مالية الخلافة ولا سيما وان جند الخلافة كانوا بحاجة الى هذه الاموال وان عدم توفيرها لهم يجعل الخليفة في محنة من حيث ان هؤلاء الجند كانوا يميلون الى

٢١- مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص ١٥٨

٢٢- نفس المصدر السابق ، ص ١٥٨

٢٣- الفراتية - الضياع على ضفاف نهر الفرات

٢٤- الخاصة وهي الضياع التي يملكها الخليفة نفسه لا يشاركه فيه احد ولها ديوان الخاصة يشرف عليها كتاب وعمال (جرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي ، ج٢ ، ص ١٢٨) .

٢٥- مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ص ١٥٨ .

٢٦- مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص ٢٠٧ - يذكر ابن الاثير (انهم صودروا على اربعمائة الف دينار) الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٥ .

٢٧- ابن الاثير - الكامل - ج٦ ، ص ٢٢٩ -

٢٨- مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص ٢٥٠

٢٩- نفس المصدر ، ص ٢٤٩

٣٠- محمد بن عبد الملك الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، ج١ ، قدم له وحققه ووضع فهرسه ، البرت يوسف كتمان ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦١ ، بيروت ، ص ٩٨ .

كل من يمدهم باجور اكثر وكان المعروف عن ابي عبدالله انه يحسن الى جنده ويوفر لهم حاجاتهم . لذلك اقترح ابن رائق امير الامراء في بغداد على الخليفة الراضي سنة ٣٢٥ هـ بان يذهبوا الى الاهواز ويتردوا البريدي عنها ان لم ينفذ امرهم فارسلوا اليه رسالة يذكران فيها «انه قد اخذ الاموال واستبد بها واخذ الجيوش وحسن لها المروق وانه ليس بطالبي يسارع على الملك ولا بجندي فينبغي الامارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المنفلقة وانه كان كاتبا صغيرا فترفع بعد خمول وعاملا من اوسط العمال فاصطنع واهل بجليل الاعمال فظفى وكفر النعمة وجازى عن الاحسان بالسوء وخلع الطاعة وان سلم الجند وحمل المال اقر على العمالة ، والا قصد وعوامل بما يستحق » (٣١) : واخيرا تقبل ابو عبدالله هذه الدعوة بسبب انها كانت لكثرة المصالح المتكررة بينه وبين جيوش الخلافة وفراره الى فارس ولجونه الى البويهيين وخروج الاهواز من يده وحصار جيوش الخلافة برئاسة ابن رائق للبصرة . فكل تلك الظروف لم تكن بصالح البريديين بعد ان تحسن وضع الخليفة بضربهم لفرق الجند من الحجرية والساجية لذلك فانه وافق على ان يدفع مبلغا مقداره ثلثمائة وستين الف دينار ، يرسل في كل شهر ثلاثين الف دينار والذهب بالجيش الى فارس لعدم استطاعة الخلافة تسديد نفقاتهم وفي البعد ما يضمن الامان لهم (٣٢) ، وفي الحقيقة فان هذا الاتفاق كان مجرد حبرا على ورق ولم ينفذه ابو عبدالله وكلما هناك اراد ان يكسب وقتا يمهد له فرصة اخرى ليستعد بها لمنازلتهم ، وبعد موافقة ابي عبدالله عليه بصورة شكلية ارسل الخليفة اليه الخلع السلطانية وبالولاية وعمالة الاهواز وبنفس الوقت جرى اهتمام كبير لابي الحسين عندما كان في بغداد وقد رعى هذا الاهتمام ابن رائق فانحدر ابي الحسين من بغداد والتحق باخويه .

خرج البصريون باجمعهم الى سوق الاهواز لتهيئة ابو عبدالله البريدي بالولاية فقربهم وكرمهم و اشار لهم باعداد المراكب العسكرية ليحصن بها البلدة من اعتداءات القرامطة ولينتقم لهم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته الذي ارهقهم بكثرة الضرائب وتحمله الدفع اربعة الاف دينار في كل شهر بازاء ما كن يؤخذ من الشرطة والماصير والشوك تخفيفا عنهم (٣٣) وقد ازيلت جميعها ولتثبيت صحة

ذلك فانه وقع امامهم بخطة وسلمها اليهم ، فعند ذاك ازداد الدعاء له وبحمده فشكروه لما اقدم على هذا العمل للتنفيس عما اصابهم من ظلم وتعسف . وقد وضع ابو عبدالله لهم بان عمله هذا سيجلب له عداوة ابن رائق واخوانه ابو يوسف وابو الحسين وابنه القاسم ، فحفز فيهم الهمم لمحاربة ابن رائق ، وذكرهم بايامهم مع عبدالرحمن بن الاشعث ومحمد و ابراهيم ابني عبدالله بن حسن بن حسن (٣٤) وقال لهم : لتكن قلوبكم قوية وامانكم فسحة ونفوسكم شديدة في مجاهدة عدوكم ، ثم وقع للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بالف دينار وعرضت عليه الرقاع بالحاجات فوق وجري تخفيف في المعاملات بالف الف درهم (٣٥) ، وبهذا فقد استطاع ابو عبدالله ان يكسب رضى البصريين فاصبحوا له خير عون في حربه مع الخلافة ، للدفاع عن تلك المكاسب التي مهدها لهم ابو عبدالله البريدي . اخذ ابو عبدالله يهيء جيشه ، فقد استعد في بناء الشدات والزبازب والطيارات (٣٦) والاستكثار منها حتى اصبح عددها مائة قطعة جيدة الاستعمال وسير جيش قوامه الف رجل برئاسة اقبال غلامه وحاجبه الى حصن المهدي وامرهم بالاقامة هناك حتى مكاتبهم بالمسير الى البصرة (٣٧) . وبنفس الوقت استطاع ابو عبدالله ان يكسب ود الفلمان الحجرية بدفع ارزاقهم ووعدهم بالاحسان . كل تلك الاستعدادات التي اتخذها ابو عبدالله تعكس عدم الثقة المتبادلة بين الاطراف المتصارعة داخل جهاز الخلافة العباسية والمحافظة على المراكز الحساسة ولا سيما السيطرة على المناطق الفنية التي تعتبر المصادر الممولة لمالية الخلافة العباسية . وبعد سماع الخليفة وابن رائق بتهيئة ابو عبدالله لجيوشه وارسل قسم من جيشه الى حصن المهدي ، رتبوا له خطة بالسير الى الاهواز والبصرة ، اما قوات ابي عبدالله البريدي فانها استطاعت التحرك من حصن المهدي ودخول البصرة وطرده محمد بن يزداد الذي نصبه ابن رائق على البصرة . ولكن هذا النصر الذي حققه البريديون سرعان ما انقلب الى هزيمة عندما توجه اليهم بجكم قائد جيش الخلافة الذي عينه ابن رائق ، ف وقعت الحرب بينه وبين جيش البريدي بقيادة ابي جعفر الجمال ،

٣٤- الهمداني ، التكملة ، ط ٢ ، ص ١٠٠

٣٥- مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٦٤

٣٦- انواع من السفن النهرية .

٣٧- الصولي ، الاوقال ، مصر ، فني بنشره - ج هيورت د ن

ص ٢٨٩ . - مسكويه ، ج ١ ص ٣٧١

٣١- مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٥٨

٣٢- نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٩

٣٣- نفس المصدر السابق ، ص ٣٦٤

فانهزم البريديون امامه ، ثم منوا بهزيمة اخرى بتستر ، حيث اضطر ابو عبدالله مع اخويه الى الهروب بواسطة زورق مائي فيه ثلاثمائة الفدينار ، كانت هذه من خزائهم ففرقت بالنهر وان غرق المركب واخرجهم الفواصون ، وبعد هزيمتهم هذه انجهوا الى الابله (٢٨) وهيئوا ثلاثة مراكب للهروب فيها الى عمان ، بعد ان اوفدوا اقبال غلام ابو عبدالله الى مطار الملاقة جيش الخلافة وايقاف تقدمهم ، وبعد ان دامت المراكب فترة طويلة ، خرج البصريون مناصرين للبريديين بعد سماعهم ان ابن رائق يريد قتلهم واحراق بلدهم (٢٩) وجعلها رمادا (٣٠) استطاع اقبال ان ينفذ الى شاطئ الابله وحال بين جيوش الخلافة وبين الابله ، فعند ذلك استطاع ابو عبدالله بالسراير من جزيرة اوال الى فارس واستجار بعلي بن بويه لفتح الاهواز (٣١) . على انه يضمن للامير على بن بويه الاهواز والبصرة بثمانية عشر الف درهم لسنة خراجية (٣٢) وبعد مجيء بن بويه بصحبة ابي عبدالله وسحقهم جيش الخلافة ، عبروا الى غربي عسكر مكرم ينتظرون هناك ورود الاخبار لهم من قبل جواسيس ابي عبدالله البريدي المنتشرين في كل مكان ، بعد موآتات الاخبار عليهم بهدوء المنطقة وخلوها من الاعداء ، عند ذلك نزل البريدي دارا على شاطئ نهر المرقان ، حيث اقبل اهل الاهواز بمجموعهم مهئين لهم بسلامة الوصول (٣٣) ولكن ابا عبدالله كمادته ، عندما تشتد به الامور وتدور عليه الدائرة يصبح امام امرين لا ثالث لهما ، فاما ان يخضع ويستسلم للواقع ويمكث فترة يراوغ هذا وذاك من الوزراء والقواد ، واما ان يهرب الى جهة بعيدا عن الناس يراقب تحركات منافسيه ولن سيكسب النصر ، فيتقرب للجهة التي يستطيع كسب ودها دون ان يقع تحت تأثيرها بصورة مباشرة . وبعد ان مكث احمد بن بويه ومعه ابي عبدالله البريدي في الاهواز خمسة وثلاثين يوما هرب منه الى منطقة الباسيان واقام بها ، ثم اخذ بمراسلته ، اما اسباب ذلك وهروبه من قبضة ابن بويه فانها تعود الى نفسية

٢٨- بلدة على شاطئ دجلة غرب البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، انظر ، فتوح البلدان ، البلاذري ، نشر صلاح الدين النجد ، القاهرة ، ١٩٥٧ ص ٦٨ .

٢٩- الصولي ، الاوراق ، ص ٨٩

٣٠- الذهبي ، المعبر في خبر من غير ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ١٩٦١ .

٣١- مكويه ، ج ١ ، ص ٢٧٢ - الذهبي ، المعبر ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

٣٢- مكويه ، ج ١ ، ص ٢٨٠-٢٨١

٣٣- نفس المصدر السابق ، ص ٢٨٠-٢٨١

ابي عبدالله الابية وعدم تحمله للاهانة التي لحقت به من الدليم ، ونفرتة من الخضوع للآخرين . لقد اعتاد ابو عبدالله على نوع من الحرية ، واكره ما في نفسه معرفة الاخرين بمقدار ما كان يجنيه من الارباح عن طريق الضمان . بدا ابو عبدالله بمواسلة ابن رائق والتفاوض معه بعد ان هرب الى البصرة واستقر فيها سنة ٢٢٦ هـ ، اتخذ ابن رائق عهدا على نفسه بالتوسط له لدى الخليفة الراضي بالرضا عنهم ، ومنحت لهم الخلعة على ان يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويعملوا على فتح الاهواز ، وضمنوا حمل ثلاثين الفدينار واطلقت ضياعهم (٣٤) والظاهر ان هذا الصلح لم يكتب له النجاح بسبب ما حدث من تعكير الجو بين الطرفين المتصالحين ، حيث اتخذ بجكم هذا الصلح ذريعة له واعتبره ضربة موجهة ضده لا سيما اذا استطاع البريدي ان يفتح الاهواز ويضمنها لابن رائق ، لذلك قام بجكم بمحاولة لعزل البريديين عن ابن رائق ومن ثم استمالتهم ، بعد ان حرضه على حربهم بعض الاشخاص ، وعندما احرز بجكم النصر ارسل يعتذر للبريديين عما حدث لهم ويكسب ودهم ويعاهد ابو عبدالله على تقليده ، لواسط ، فيما لو كتب له النصر في تسلمه اعلى منصب في الخلافة . ولم تكن غاية بجكم في حربه للبريديين سوى اذلالهم وخضوعهم له . وبعد ان تسلم بجكم منصب امير الامراء سنة ٢٢٦ هـ في خلافة الراضي ضمن لابي عبدالله البريدي اعمال واسط بستمائة الف دينار في السنة . ونظرا لنفوذ ابو عبدالله المالي وما يحيط به من الاصدقاء وتقربه من بجكم امير الامراء ، استطاع ابو عبدالله ان يحصل على منصب الوزارة لأول مرة سنة ٢٢٧ هـ وللحفاظ على ما كان يربطه ببجكم من عرى التحالف ولتمتين اواصر الصداقة بينهم زوج ابنته سارة من بجكم ، وكان الظاهر على هذه الزيجة صفتها السياسية ، حيث عكستها العلاقة السائدة بين منصب امير الامراء ومنصب الوزير ، ولم تكن هذه الزيجة هي الوحيدة من نوعها ، بل اصبحت صفة ذلك العصر ، لكل من يريد التقرب من اصحاب المراكز العليا في الخلافة ، وللحصول على الشرف والتباهي امام الآخرين . ولكن توثيق عرى المصاهرة كثيرا ما كانت تصطدم بعقبات تجعل كل طرف يتحين للايقاع بالطرف الاخر (٣٥) .

كان سببها الطمع في الثراء والحصول على زيادة النفوذ ، مما جعلت ابا عبدالله يتردد في حربة ضد

٣٤- مكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

٣٥- نفس المصدر السابق ، ص ٤٠٩

حفلات الزواج للتعبير عن الابتهاج والفرح في تلك المناسبات (٤٧) .

انفرد ابو عبدالله ، البريدي بمنصب الوزارة للمرة الثانية بعد تنحية الوزير ابي الحسين بن ميمون ، واستطاع ان يكسب رضا الجند بالاموال التي وزعها عليهم . ولكن رضا هؤلاء لم يكن بالشيء الجديد عليهم . فهم كماداتهم التي تعودوا عليها ، يتجهون الى كل من يمد لهم بالمال وينفضون عنه ويتألبون ضده عندما يتعذر لهذا الممول من تسديد نفقاتهم . لقد تألب الجند ضد ابو عبدالله البريدي ، بعد ان عجز عن دفع مصاريفهم ، اتفق الجند فيما بينهم للاتقاضي على البريديين ، فقصدوا دار ابي عبدالله بالنجمي مع عامة الشعب وحدثت بين الطرفين معركة انتهت بنهب داره ودور قواده وفرارهم من بغداد وانحذارهم الى واسط . تراوحت فترة بقاء ابو عبدالله البريدي في منصب الوزير حوالي اربعة وعشرون يوما (٤٨) .

اتخذ ابو عبدالله البريدي عدة اجراءات طيلة بقائه في منصب الوزير منها تنحية عمال الكوفي (٤٩) وتولية عماله بدلا عنهم ، وبالرغم من قصر تلك الفترة فانها اتصفت برخص الاسعار (٥٠) وذلك كما يبدو من توفير المواد الضرورية من المناطق القريبة من بغداد ، واستخدامه الشدة تجاه المتلاعبين بالاسعار .

وفي سنة ٣٣٠ هـ عند ما ضم محمد بن رائق على دخول واسط وطرد البريديين منها ، بسبب امتناعه عن ارسال الاموال الى بغداد . هرب البريديون منها الى البصرة . وبالنظر لسوء حالة الوضع واضطرابه ضد بن رائق واحتياجه للمال مجددا . بدأ بمراسلتهم على ان يضمن لهم البقاء في واسط مقابل مائة وسبعين الف دينار . ثم بستمائة الف دينار في السنة (٥١) . وبعد ان تم لابن رائق ما اراد ترك واسط واتجه الى بغداد ، فعند ذلك قدم البريديون من البصرة واستقروا في واسط ، وانضم اليهم عدد غفير من الجند الاثراك وعلى راسهم نوزون ونوشتكين اللذين تخلوا عن ابن رائق واتجهوا اليه ، ونتيجة لما حدث من انضمام الجند الاثراك الى البريديين تمززت قوتهم العسكرية واصبحت تهدد

البويهيين الذين سبق وان ساعدوه في حربه ضد ابن رائق . ثم لطمعه باموال بجكم التي ملكها وخروجه من بغداد لفتح الاهواز ، فعندما تاكد ابو عبدالله من خروج بجكم من بغداد ، فكر بالمسير الى بغداد وجلب هذه الاموال والمودة بها الى واسط . ولكن بجكم لدا سماعه بالخبر ، عذ الى بغداد بسرعة خاطفة وعزل ابا عبدالله عن منصب الوزير سنة ٣٢٨ هـ بعد ان استمر في وزارته سنة واحدة واربعة اشهر واربعة ايام (٤٦) .

وبعد انحذار بجكم الى واسط وجد ان البريديين قد غادروها الى البصرة ، وبينما كان البريديون مجتمعين بمطارا يعدون امرهم للهرب بلفهم خبر قتل بجكم ، فارتاحوا لهذا الخبر ، ورافق ذلك انحياز الجند الديلم للبريديين ، مما ادى الى رجحان كفة البريديين وزيادة نفوذهم العسكري ، بعد ان زاد البريدي ارزاق الجند وعلى راسهم تكنيك . صمم البريديون على التوجه بحركتهم الى بغداد ، فازداد خوف الناس منهم لكثرة الدعاية ضدهم ، حتى اضطر فريق من الناس مغادرة بغداد الى جهات مختلفة . ان الدعاية التي اثيرت ضد البريديين ما هي في الحقيقة الا من باب التشويه لسمعتهم وتفسير الناس من حكمهم ولا سيما سذج الناس وبسطائهم ، فقد ثبت ان هذه الفئة من المجتمع سرعان ما تقع تحت تأثير الدعايات الكاذبة المضلة التي يروجها اصحاب المقامات العليا ، عندما يشتد الصراع بينهم ، فيتخذون من تلك الفئة اداة لضرب كل من تخول له نفسه بالنيل من مكانتهم الاجتماعية والتصدي لها بأي ضرب من ضروب الاذى . كل تلك الاساليب وغيرها التي اتخذت ضد البريديين لم تثني عزمهم في السيطرة على بغداد ، ففي سنة ٣٢٩ هـ ، فترة حكم الخليفة المتقي ، دخل بغداد ابو عبدالله البريدي ومعه اخوه ابو الحسين وابنه القاسم وابو جعفر ابن شيرزاد الصديق لابي عبدالله . فنزلوا البستان الشفيعي وكان في استقبالهم الوزير ابو الحسين ابن ميمون بصحبة الكتاب والعمال والقضاة .

سكن ابو عبدالله البريدي الدار بالنجمي ونزل ابو الحسين دار مؤنس المظفر ، ولقب ابو عبدالله البريدي بالوزير . ولتوثيق صلته بالخليفة المتقي ، زوج ابنته من عبدالواحد بن منصور بن المتقي لله . ونثر عليه دنائير كثيرة ، تراوحت ما بين الخمسة الاف دينار ومائة الف درهم ، اذ كانت العادة متبعة عند الاسر الحاكمة والفنية ان تنثر الدراهم في

(٤٧) - الصولي ، الاوراق ، ص ٥٧

(٤٨) - مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٧ ، مصر سنة ١٢٢٢ هـ - ١٩١٥ م .

(٤٩) - ابو عبدالله الكوفي - هو المساعد للوزير ابن الحسين احمد بن محمد بن ميمون .

٢٠٠ - الصولي - الاوراق ، ص ٢٠٠

٢٢٤ - الصولي - الاوراق ، ص ٢٢٤

(٤٦) - الصولي ، الاوراق ، ص ١٢٤ - مسكويه ، تجارب الامم ج ١ ، ص ١١١-١١٢

مركز بن رائق . ولاجل تفادي هذا الامر اضطر بن رائق ان يعيد ابو عبدالله البريدي الى منصب الوزير . فاصبح ابو عبدالله البريدي وزيرا للمرة الثانية ، وارسل اليه الهدايا تعبيرا عن رضاه . ولكن البريديين صمموا على تصعيد حركتهم الى بغداد وعندما وصل الخبر بقربهم من بغداد بقيادة ابي الحسين البريدي اتخذت ضدهم بعض الاجراءات منها عزل ابي عبدالله البريدي عن منصب الوزير وتحشيد الجيوش وتهياتهم ضدهم وحث عامة الناس لمحاربتهم ، فحلت الفوضى في بغداد ونشط العيارين وفتحوا السجون واخرجوا من فيها ، فنهبت البيوت واستمر كبس الدور ليلا ونهارا ، ولعن بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة في بغداد .

خرج الخليفة الى نهر ديبالى ومعه ابن رائق وبصحبه القواد لمحاربة البريديين واستمرت الحرب بينهم فترة حتى استطاع البريديون من دخول بغداد ، مما اضطر الخليفة المتقي وابنه على الهروب مع افراد من الجيش فلحق بهم ابن رائق واتجهوا الى الموصل ، وبعد ان سيطر ابو الحسين البريدي على بغداد نزل دارمونس وقام بعدة امور تضمن حياة الناس وتبهيء لهم الراحة والامن وتوفر لهم المواد الغذائية . فلاجل صيانة ارواح الناس وممتلكاتهم ، عين ابو الوفاء توزون على رئاسة الشرطة في الجانب الشرقي ولنوشتكين الرئاسة على الجانب الغربي ونظرا لارتفاع الاسعار ببغداد حيث بلغ المكون من الدقيق ستة دراهم (٥٢) . ويذكر مسكوية انه وظف على كر من الحنطة سبعين درهما وعلى سائر المكيلات وعلى الزيت (٥٣) ، وكلها تشير الى الازمة المعاشية التي كان يعانيها الناس في تلك الفترة المضطربة . حاول البريديون التخفيف من هذه الحالة بسيطرتهم على المواد الغذائية ، لا سيما الدقيق التي ملكها التجار والوارد من الكوفة ، وبعد ان هياوا للناس تلك المواد الضرورية رخصت الاسعار (٥٤) ببغداد وعمها الهدوء والاستقرار طيلة بقاء البريديين فيها واجرى للقاهر الخليفة المزعول في كل يوم خمسة دراهم بعد سماع البريدي بانه كان يتصدق بسوق الثلاثاء (٥٥)

وبالنظر للخيارات المستمرة والتي اعتاد عليها الجند الاتراك بسبب تأخير ارزاقهم هرب عدد منهم والتحقوا بالخليفة مما اضطر ابو الحسين البريدي الى طلب المساعدة من اخيه ابي عبدالله اثناء وجوده

في واسط ولدى سماعه بان الخليفة المتقي بصحبة ابن حمدان قد عزموا على المجيء الى بغداد ، هيا ابو الحسين العدة والرجال اضافة الى ما قدمه ابو عبدالله من مساعدة له ، اظهر التوجه لمحاربة ابن حمدان وذلك لعدم ثقته بالجند وتخوفه من الناس حيث اضطرب العامة السذج من الناس وهموا بمقاتلة البريديين ، كل ذلك اثبت عدم رجحان كفة البريديين العسكرية ، مما اضطر ابو الحسين الى مغادرة بغداد الى واسط ، عندما تقرب المتقي وابو محمد بن حمدان منها . سحب ابو الحسين البريدي اثناء هروبه من بغداد جميع جيشه ومن كان معتقلا عنده ، فعم الاضطراب والفوضى مدينة بغداد ونهبت الدور مجددا وحمل الناس السلاح للدفاع عن انفسهم لعدم وجود سلطة تأخذ على عاتقها حماية الارواح وميبتها من المعتدين .

استمر بقاء ابو الحسين البريدي في بغداد ثلاثة اشهر وعشرين يوما (٥٦) . وبعد ذلك دخل الخليفة المتقي بغداد وكان يصاحبه ابي محمد محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان ونتيجة للانتصار الذي احرزه جعله الخليفة اميرا للامراء ولقبه بناصر الدولة وخلع عليه وعلى اخيه علي طوقا وسورا بطوقين واربعة اسورة ذهبا وخلع على ابي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوق بطوق واحد وسوارين ذهبا (٥٧) ، هذه الهدايا والخلع كانت تفدق على قادة الجيوش بعد احرارهم للنصر وتعد تعبيرا لهم عن رضا الخليفة وتقربه لهم ، وكانت عادة متبعة في ذلك العصر . لكن ابا الحسين البريدي حاول مجددا التوجه الى بغداد بجيشه الكثير العدد ودارت بين البريدي وبين علي ابن عبدالله بن حمدان معركة في القرية المعروفة بكيل اسفل المدائن ، فانهمز اصحاب ابن حمدان الا ان ناصر الدولة وجيشه استطاع ان يقهر جيش البريدي ، عندما كان ناصر الدولة بالمدائن فاستوسر من اصحاب البريدي يانس غلام ابي عبدالله البريدي والفرج كاتب جيش البريدي وابو الفتح ابن ابي طاهر ومحمد بن عبدالصمد ومذكر البريدي وعندما دخل ناصر الدولة بغداد كان هؤلاء بين يديه مشهرين على جمال وعلى رؤسهم برانس ، وكانت هذه عادة اتبعت للتشهير بالخصوم الذين خسروا المعركة . اما ابو الحسين فقد انحدر الى البصرة مع ثلة من جيشه . وفي سنة ٢٣٢ هـ وبموت ابي عبدالله البريدي بدا التشتت يظهر على ابناء البريدي بعد

٥٢- الصولي الاوراق ، ص ٢٢٤ .

٥٣- مسكوية تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

٥٤- الصولي ، الاوراق ، ص ٥٢٤ .

٥٥- الهمداني ، المتكلمة ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ١٢٧ .

٥٦- مسكوية تجارب الامم - ج ٢ ، ص ٢٦

٥٧- الصولي - الاوراق ص ٢٢ - مسكوية تجارب الامم ج ٢ ص ٢٩

ان انتهى اثنين منهم نحيه ولم يبق منهم غير ابي الحسين وابي القاسم ابن ابي عبدالله البريدي .

وبعد موت ابي عبدالله البريدي اصبح تحت رئاسة الجيش لابي الحسين البريدي ، وبدأ الصراع بين ابي الحسين وابي القاسم ، وقد استطاع ابو القاسم من فرض سيطرته بعد ان عجز ابو الحسين بمساعدة القرامطة في هجر ، حيث جهز ابو طاهر الهجري جيشا ومعه اثنان من اخوانه لمحاصرة البصرة واسترجاع رئاسة ابو الحسين البريدي عليها . وراسل ابو الحسين البريدي بعد هروبه من البصرة وفراره الى بغداد ، الامير توزون ، وطلب منه المساعدة لفتح البصرة ، وانه يضمن له من جراء ذلك الاموال الكثيرة ، وبعد المداولة في الامر بين الخليفة المستكفي وبين توزون ، خلع الخليفة المستكفي على ابي الحسين الخلعة دلالة على رضاه منه ، وب نفس الوقت عندما سمع ابو القاسم لهذا الخبر ، حاول هو الآخر كسب رضا توزون وابن شيرزاد كاتبه ، الذي حاول ابو الحسين من ضربه وقطع صلته بتوزون ، وبعد ان تم لابي القاسم البريدي من كسب رضا توزون وابن شيرزاد ، وجه توزون بتحريض من ابن شيرزاد بالقبض على ابي الحسين في بغداد ، واقتيد الى دار الخلافة حيث ضربت عنقه ، و صلبت جثته ثم احرقت سنة ٣٣٣هـ وبموت ابي الحسين البريدي لم يبق منهم غير ابي القاسم ، وقد استطاع ابو القاسم البريدي ان يضمن واسط من معز الدولة البويهى ، الا ان هذه الصلة الحسنة لم تستمر طويلا ، بسبب تضارب المصالح المالية فعند ذاك ارسل معز الدولة البويهى جيشا الى واسط ، وكان ابو القاسم البريدي قد سير جيشا من البصرة لمواجهةهم ، فجرت بين الطرفين معركة انتهت بانهزام البريدي واسر عدد كثير من الدليم ، ولكن معز الدولة البويهى لم يكتف بهذا

القدر من النصر ، بل انه صمم على انتزاع البصرة من واليها ابو القاسم البريدي ، وجرت في هذا الاثناء مراسلات بين القرامطة في هجر يشيرون على معز الدولة البويهى بالكف عن الاقدام الى البصرة ، بعد ما لمسوا ما يهددهم من مخاطر فيما لو تم للبويهى من فتح البصرة ، رفض معز الدولة ما اراده القرامطة ملوحا لهم ما في نيته من السير اليهم والقضاء عليهم . بعد وصول جيش الخليفة المطيع لله ومعز الدولة البويهى الى الدرهمية (٥٨) انحاز جيش البريدي باسره الى جانب الخليفة ، وعلى اثر ذلك هرب ابو القاسم البريدي الى هجر ودخل معز الدولة البصرة (سنة ٣٣٦هـ - ٣٤٧م) والقي القبض على جميع قواد البريدي واستولى على امواله وودائعهم وخزائنه واحرق كل ما وجدته من الثغراء والطيارات والزبازب ، وجعل لؤلؤا واليا على اعمال البصرة والحرب (٥٩) الا ان ابا القاسم البريدي لم يسكت اذ بعد فترة استطاع من الحصول على الامان في سنة ٣٣٧هـ والمجيء الى بغداد ، فلقى معز الدولة واحسن اليه واعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخا من بادويا وانزل له ، في الدار المسماة بالموزة بمشرفة الساج (٦٠) وانه اقطع اقطاعا بعشرة الاف دينار واتخذة نديما له (٦١) ويذكر مسكوية ، ان معز الدولة « اقطعه بمائة وعشرين الف درهم ضياعا » (٦٢) . استمرت العلاقة بينهما طيبة حتى وفاة ابو القاسم البريدي (سنة ٣٤٩هـ / ٩٦١م) وبهذا انقطعت الاخبار عن اسرة ال البريدي .

٥٨- مكان بالقرب من البصرة

٥٩- مسكوية ، تجارب الامم ، ج٢ ، ص ١١٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٢٥ .

٦٠- الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ط٢ ، ص ١٦٠ .

٦١- مسكوية ، تجارب الامم ، ج٢ ، ص ١٨١ .

٦٢- مسكوية ، تجارب الامم ، ج٢ ، ص ١١٥ .

المصادر والمراجع

٦ - محمد بن عبدالملك الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، قدم له وحققه ووضع له فهرسه البرت يوسف كنعان ط٢ بيروت سنة ١٩٦١ .

٨ - اللهي ، العبر في خبر من غير ، تحقيق فؤاد سيد - كويت سنة ١٩٦١ .

٩ - الهلال الصابي ، الوزراء ، تحقيق عبدالستار احمد فراج دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٨ .

١٠- جرجي زيدان ، تاريخ التحدث الاسلامي ، الجزء الثاني دار الهلال .

١١- عبدالجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري لندن ١٩٧٠ اطروحة باللغة الانكليزية لم تشر بعد .

١ - احمد بن محمد المعروف بمسكويه ، تجارب الامم - الجزء الاول مصر (سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م) - الجزء الثاني مصر (١٣٣٢هـ - ١٩١٥م) .

٢ - ابن الاثير ، انكامل - الجزء السادس ، بيروت ١٣٨٧هـ .

٣ - ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب مصر - ١٣٥٧هـ .

٤ - ابو الفداء المختصر في اخبار البشر الجزء الاول والثاني والثالث بيروت .

٥ - محمد بن يحيى الصولي ، الاوراق - فني بنشره ج - هيورت ، دت .

الأجماع في الشريعة الإسلامية

بحث موضوعي مقارنة للمصدر الثالث
من مصادر الأحكام الشرعية

بقلم الدكتور

رشدي محمد عمران عليان

كلية الآداب - جامعة بغداد
قسم الدين

المسلمون على أن سنة رسول الله - ص - حجة في الدين ودليل من أدلة الأحكام» (٦) .

ورابع المصادر عند أهل السنة والجماعة «القياس» وهو الحاق الفروع التي لم ينص على حكمها بالاصول التي ورد انص فيها لوجود علة مشتركة بينهما وعند الامامية «دليل العقل» وهو «كل حكم للعقل يوجب القطع بالحكم الشرعي» (٧) او «كل حكم عقلي يتوصل بصحيح النظر فيه الى حكم شرعي» (٨) .

والذي دفعني الى هذا البحث عدة اسباب : منها : ما للاجماع من اهمية في التشريع الاسلامي فهو يبين للامة حكم ما ينزل بها من ابتلاءات وما يصادفها من معضلات مما لا نص علينا في ظاهر الحال من كتاب او سنة .

ومنها : ما لاتفاق الراي ، ووحدة الفكر من اهمية بالغة في تكاتف الامة ووحدة كلمتها ، ورض صفوها .

وتلك هي احدي مميزات الاسلام دين التوحيد ودين التآلف والتكاتف : «واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم» (٩) فقديمًا كان العرب - كما هم اليوم - امة ضعيفة متخاذلة ،

اول مصادر الاحكام الشرعية كتاب الله - تعالى - عمدة الشريعة ووليها انزله الله - تعالى - على رسوله الكريم - ص - وضمنه على سبيل الاجمال والعموم بيانًا لكل ما يصدر عن الانسان من اعمال «ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء» (١) قال الامام الشافعي : «فليست تنزل باحد من اهل دين الله نازلة الا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها» (٢) وروى الكليني عن ابي عبد الله - ع - انه قال : «ان الله تبارك وتعالى انزل في القرآن بيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئًا يحتاج اليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا انزل في القرآن . الا وقد انزله الله فيه» (٣) .

وثانيهما : سنة رسول الله - ص - الثابتة من اقواله ، وافعاله ، وتقريراته ، وهي تعتبر مبنية وشارحة ، ومكملة لكتاب الله - تعالى - نص القرآن على حجيتها في اكثر من آية قال تعالى : «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (٤) وقال : «من يطع الرسول فقد اطاع الله» (٥) واجمع المسلمون على حجيتها واعتبارها اصلاً قائماً بذاته في استنباط الاحكام ، قال الشيخ الخضري «قد اجمع

(١) النحل / ٨٩

(٢) الرسالة ص ٢٠

(٣) اصول الكافي ، كتاب فضل العلم .

(٤) الحشر / ٢

(٥) النساء / ٧٩

(٦) تاريخ التشريع ص ٢٦٣

(٧) اصول الفقه للمظفر ج ٣ ص ١٢٥ .

(٨) انظر العقل عند الشيعة لكاتب هذا البحث .

(٩) آل عمران / ١٠٣

متناجرة هان امرهم عند جيرانهم من فرس وروم ، فاتخذوا منهم صنائع وعملاء وحراس حدود ، وادلاء قوافل ومداحين متزلفين لكسرى تارة ولقيصر اخرى ، حتى جاءهم رسول من انفسهم .. وحد كلمتهم وجمع امرهم وقادهم الى ما فيه صلاح دنياهم وسعادة اخراهم ودعاهم الى الاخلاص بالكتاب والهدى والرفق .. الى الاعتصام بكتاب الله حجة الحجج ومنارة السالكين .. الى التمسك بسنته - ص - لان فيها عز الدنيا وصلاح الآخرة الى الالتفاف حول ما يتفق عليه قادة الامة واولو الراي فيها .. فهم المرجع لكل معضلة بعد الكتاب والسنة . فكان ما كان بعد ذلك من رقي العرب ونهضتهم وقيادتهم العالم ونشرهم العلم والعرفان في كل مكان .

ومنها : بيان فساد الآراء التي تنشر بين حين وآخر مدعية ان الاجماع فقد قيمته التشريعية بعد القرن الاول للهجرة نظرا لتفرق اولي الراي واهل الحل والعقد في مشارق الارض ومغاربها وعدم امكان معرفتهم ومعرفة ما اتفقوا عليه من احكام وفتاوى واقضيه .

ونظرا لاختلاف منازعهم الفكرية والسياسية واهوائهم المختلفة فأتى يتفق السني والامامي والزيدي والاباضي .. الخ على راى واحد في مسألة واحدة ، وارى ان دعوى تعذر الاجماع لانتشار اهله في البلدان ظاهرة الفساد للاتي :

اولا : ان التفرق المكاني والبعد الزماني لم يحل دون الاطلاع على عدم اختلافهم في مسائل كثيرة ، ونقلها اليها جيلا بعد جيل . ادل دليل على وقوع الاجماع ، وعلى انه لم يفقد قيمته التشريعية ، من ذلك : - جمع القرآن وكتابته ، وعدم النقص والزيادة فيه ، وصحة عقود الاستصناع ، وبيع المعاطاة ، وبطلان زواج المسلمة بغير المسلم ، وتحريم الجمع بين المحارم في النكاح ، وقيام الاخوة والاخوات لاب مقام الاخوة الاشقاء عند عدمهم .. الى غير ذلك من الاحكام قال الامدى : « ان جميع ما ذكره منتقض بما وجد من اتفاق جميع المسلمين فضلا عن اتفاق اهل الحل والعقد ، مع خروج عددهم عن الحصر ، على وجوب الصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، ووجوب الزكاة والحج ، وغير ذلك من الاحكام التي لم يكن طريق العلم بها إلزورية » (١٠) .

ثانيا : ان كانت تلك الدعوى قد تكون

(١٠) احكام الاحكام للامدى ج ١ ص ١٠٢ ، وانظر معراج الاسول للمحقق الحلي ص ٦٦ .

مستساغة في العصور الفائرة فلا مجال لها في عصرنا والعصور التالية ، لما حققه الانسان من تقدم في مجال الاتصالات والمواصلات واجهزة الاعلام ، فبفضل المواصلات الحديثة اصبح من السهل جدا ان يعقد قادة الفكر في الامة واهل الاجماع منها مؤتمرا عاما ، كلما دعت الحاجة ويتبادلون وجهات النظر فيما يجد من احداث وما يطرؤ من مشكلات وما اتفقوا عليه كان اجماعا واجب الاتباع من جميع افراد الامة وبفضل اجهزة الاعلام المتنوعة والمتطورة يمكن الاطلاع على الفتاوى التي تصدرها دور الفتوى في كل قطر اسلامي ، وعلى آراء المجتهدين اينما كانوا وما اتفقوا عليه كان اجماعا وهكذا تضمن حلولا وتشريعات جديدة لكل جديد من المحسن والشدائد وتبقى الشريعة - في ظل الاجماع - حية متطورة يجد انسان العصر فيها الحل المناسب لما يصادفه من مصاعب الحياة ، ومشاكل التطور والمدنية .

اما بالنسبة لدعوى تعذر الاجماع لاختلاف منازع اهله الفكرية والسياسية فهي كذلك ظاهرة الفساد ، لان اقصى ما يؤدي اليه اختلافهم هو الحد من الاجماع ولا يؤدي ذلك الى استحالة الاتفاق على بعض الاحكام والفتاوى بدليل ما نقل اليها من اجماع لا زال العمل عليها عند جميع المذاهب الاسلامية حتى عصرنا هذا وقد ذكرت نماذج منها فلا نعيد ،

ولما كان الاجماع يتكون من ركنين مجمع عليه وهو نفس الاجماع ، ومجمعين وهم اهل الاجماع فقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين :-

المبحث الاول في الاجماع ويحتوى على :-

تعريفه - مقامه - سنده ، حجته - انواعه - مخالفة حكمه .

المبحث الثاني في المجمعين « اهل الاجماع » هل هم الصحابة .. الخلفاء الاربعة ، اهل البيت ، اهل المدينة ، اهل الكوفة والبصرة .. جماعة المجتهدين في أي عصر ؟

المبحث الاول

« في الاجماع »

١ - تعريفه في اللغة وفي اصطلاح الاصوليين

١ - الاجماع في اللغة :

الاجماع من الالفاظ المشتركة في وضع اللغة بين معنيين :

الاول : العزم يقال « اجمع فلان على كذا » اذا عزم عليه ، وجاء في الحديث « لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل » اي لم يعزم الصيام من الليل وورد في الكتاب الكريم « فاجمعوا امركم » (١١) اي اعزموا والاجماع بهذا المعنى يصدق على الواحد كما في المثال الاول ، وكما جاء في الحديث الشريف ، ويصدق على الجمع كما في الآية الكريمة .

الثاني : الاتفاق يقال « اجمع القوم على كذا » اذا اتفقوا عليه وهو بهذا المعنى لا يصدق الا على الجمع ولا يتصور من الواحد . وقيل ان الاجماع في اللغة هو الاتفاق والعزم راجع اليه ، لان من اتفق على شيء فقد عزم عليه (١٢) .

وقيل ان الاجماع حقيقة في معنى الاتفاق لتبادره الى الذهن مجاز في معنى العزم لصحة سلب الاجماع عنه (١٣) .

وعلى هذا فان « الاجماع بمعناه اللغوي معنى عام لا يعرف تخصيصا ولا يقبل تقييدا فلا يخصص بجماعة خاصة ولا بأمر مخصوص » (١٤) فاتفق كل طائفة يسمى اجماعا ثقة وعلى اي امر كان دينيا او غير ديني .

٢ - الاجماع في الاصطلاح

١ - الاجماع في اصطلاح اهل السنة والجماعة :

عرف كثير من الاصوليين الاجماع بانه « اتفاق المجتهدين من هذه الامة في عصر بعد وفاة النبي - ص - على امر ديني »

شرح التعريف وبيان ما يفهم منه من امور :-

١ - الاتفاق لفظ مشترك بين القول والفعل والاعتقاد ، فلو اتفقوا على قول من الاقوال يكون اجماعا . وكذلك لو اتفقوا على فعل ، كما اذا شرع اهل الاجتهاد جميعا في المزارعة او الشركة ، وكذلك لو اتفقوا على عقيدة كاجماعهم على نفي تعدد الالهة وبطلان عقيدة التثليث .

٢ - ان اتفاق المجتهدين هو الاعتبار في الاجماع الذي هو دليل على الاحكام الشرعية ، فلا عبرة - في هذا المجال - باتفاق غيرهم من المفكرين وعامة الناس .

ومن العلماء من يرى دخول عامة الناس في

اهل الاجماع ، وهو رأي باطل لان امثال هؤلاء لا يملكون دقة النظر في الامور الشرعية .

٣ - ان يكون الاتفاق من جميع المجتهدين . فلو اتفق الاكثر على حكم شرعي وخالف الاقل ، فانه لا يكون اجماعا وحجة عند جمهور العلماء (١٥) ومن العلماء من يرى تحقق الاجماع باتفاق الاكثر (١٦) ومنهم من يرى انه يكون حجة وليس باجماع .

وكلا الرايين مرجوح ، لان الحق قد يكون في جانب الاقل ، ولان الاجماع لا يتحقق مع وجود مخالف لعدم تحقق الاتفاق ولان ذلك معارض بدلالة احاديث عصمة الامة ككل ، وسيأتي بيان ذلك .

٤ - ان يكون المجتهدون من الامة الاسلامية . فلا اعتداد باتفاق المجتهدين من الامم السابقة ، وذلك لقيام الادلة على اختصاص امة محمد بالعصمة من الخطأ عند اتفاقهم .

٥ - ان يكون الاتفاق في عصر واحد ، اذ لا يتصور تحقق الاجماع او العلم به في كل العصور .

٦ - ان يكون الاتفاق بعد وفاة النبي - ص - اذ لا عبرة باتفاقهم في زمنه - ص - في اثبات الاحكام الشرعية ، اذ لو حصل الاجماع على امر فلا يخلو اما ان يوافقهم النبي - ص - وحينئذ فالحكم ثابت بالنص لا بالاجماع واما ان يخالفهم وحينئذ يطرح الاجماع لمخالفته النص .

٧ - ان يكون ما اتفق عليه من الامور الدينية سواء اكان شرعيا (١٧) اجتهاديا ام غير شرعي مما يدرك بالحس او بالعقل ، لان الاحكام الحسية قد تكون ظنية فالاجماع عليها يكسبها صفة القطعية ، وكذلك بعض المدركات العقلية .

وقيد بعض العلماء الامر المتفق عليه بكونه شرعيا ، ونفى حجية الاجماع في الامور الدينية غير الشرعية مما يدرك بالحس او بالعقل على اعتبار ان المدركات الحسية والعقلية تفيد اليقين ، فلا يكون الاجماع حجة فيها .

ورد بما ذكرت من ان من المدركات الحسية والعقلية ما تفيد الظن فقط فيصير بالاجماع قطعية . واطلق بعض العلماء كابن الحاجب (١٨) والجلال

(١٥) راجع المنعنى للزالي ص ١١٧ .

(١٦) وهم محمد بن جرير وابو بكر الرازي وابو الحسين الخطاط . راجع روضة الناظر لابن ندامة ص ٧١

الاحكام للامدي ج ١ ص ١٢١ .

(١٧) الحكم الشرعي هو الذي لا يدرك الا من خطاب الشارع ولغير الشرعي مما يدرك بالحس او بالعقل .

(١٨) انظر منتهى الاصول ص ٢٧ .

(١١) يونس/ ٧١

(١٢) انظر ارشاد الفحول للشوكاني ص ٧١ .

(١٣) انظر الاجماع لمحمد صادق الصدر ص ٢١ .

(١٤) المصدر السابق ، واحكام الاحكام للامدي ج ١ ص ١٠١ ، وشرح الكوكب المنير للفتوح ص ٢٢٥ .

المحلى (١٩) الامر ولم يقيدوه بالديني ، وعليه يكون الاجماع حجة في كل الامور دينية كانت او عادية او عقلية او لفوية ، وقالوا ان الادلة الدالة على حجية الاجماع لم تفرق بين الاجماع على امر ديني او دنيوي ، فاذا ما اتفقوا على اي امر من امور التجارة او الزراعة او الحروب او غير ذلك ، وجب ان يكون حجة وقد ناقش استاذنا الشيخ فايد في محاضراته في كلية الشريعة والقانون هذا الرأي بما حاصله :

١ - ان تحقق الاجماع في غير الامور الدينية او عدم تحققه سواء لانه غير ملزم للمسلم فلا ياتى بمخالفته .

٢ - ان قول الرسول - ص - لا يكون حجة في الامور الدنيوية لقوله - ص - في قصة تلقيح النخل « انتم اعلم بامور دنياكم » وكان - ص - يرى الرأي في الحروب فيراجع فيه اصحابه - كما في غزوة بدر - فيترك رأيه ويعمل برأيهم ، فاذا كان قول الرسول - ص - في هذه الامور ليس بحجة . فالاجماع فيها ليس بحجة من باب اولى لان الاجماع في مرتبة ادنى من قول الرسول - ص - .

وبهذا يتضح ارجحية الرأي الذي خص الاجماع بالامور الدينية سواء اكانت شرعية ام غير شرعية ، وعليه اكثر العلماء ، قال حجة الاسلام الغزالي : « اما تفهيم لفظ الاجماع فانما نعني به اتفاق امة محمد - ص - خاصة على امر من الامور الدينية » (٢٠) وقال ابن قدامة : « ومعنى الاجماع في الشرع اتفاق علماء العصر من امة محمد - ص - على امر من امور الدين » (٢١)

٢ - الاجماع في اصطلاح الامامية :

عرف العلامة الحلي الاجماع بأنه : « اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد - ص - على امر من الامور » (٢٢)

ومراد من اهل الحل والعقد على ما نبه عليه غير واحد « المجتهدون » اذ لا عبرة برأي عامة الناس في استنباط الاحكام الشرعية ، وعرفه المحقق الحلي بأنه : « اتفاق من يعتبر قوله بالفتاوى الشرعية على امر من الامور الدينية » (٢٣) وبذلك عرفه صاحب المعالم (٢٤) وعرفه زين الدين « الشهيد

الثاني » بأنه « اتفاق المجتهدين من امة النبي (ص) على حكم » (٢٥) .

هذه طائفة من تعاريف الاجماع عند الامامية ، ويلاحظ انها لا تختلف في مؤداها بل ونصوصها عن تعاريف اعلام اهل السنة والجماعة . وهناك طائفة اخرى من التعاريف يظهر فيها الاختلاف وتتضح منها وجهة نظر الامامية بالنسبة للاجماع ، نستعرضها ثم نشير الى ما يفهم منها .

عرفه صاحب الفصول بأنه « الاتفاق الكاشف عن قول المعصوم على حكم ديني » (٢٦) وعرفه بعض الاعلام بأنه « اتفاق جماعة يعتبر قولهم في الفتاوى الشرعية على حكم ديني بحيث يقطع بدخول المعصوم فيهم لا على التعيين ولو في الجملة » (٢٧) وعرفه الميرزا ابو القاسم القمي بأنه « اتفاق جماعة يكشف اتفاقهم عن رأي المعصوم » (٢٨) وعبر عنه الشيخ المظفر بقوله : « الاجماع : كل اتفاق يستكشف منه قول المعصوم » (٢٩) .

ويفهم من هذه التعاريف امور عدة :-

١ - ان الاجماع ليس دليلاً مستقلاً في اثبات الاحكام الشرعية ، وانما هو في الحقيقة كاشف ومظهر لقول الامام المعصوم الذي هو في الواقع الدليل المثبت للحكم الشرعي ، وبعبارة اخرى ان الاجماع ليس دليلاً بنفسه بل هو دليل على الدليل وعليه فالحجة ليست للاجماع الكاشف بل لقول المعصوم المنكشف بالاجماع ، وقد افصح عن ذلك الشيخ المظفر بقوله : « ان الاجماع بما هو اجماع لا قيمة علمية له عند الامامية مالم يكشف عن قول المعصوم فاذا كشف على نحو القطع عن قوله فالحجة في الحقيقة هو المنكشف لا الكاشف فيدخل حينئذ في السنة ، ولا يكون دليلاً مستقلاً في مقابلتها » (٣٠) .

٢ - اذا كان الاجماع حجة من جهة كونه كاشفاً عن قول المعصوم ، فلا يشترط الامامية اتفاق جميع المجتهدين ، كما هو الحال عند اهل السنة بل يكفي اتفاق من يكشف اتفاقهم عن قول المعصوم كثروا او قلوا وقد صرح بذلك غير واحد من اعلامهم .

قال السيد المرتضى « اذا كان علة كون الاجماع حجة كون الامام فيهم فكل جماعة كثرت او قلت كان الامام في اقوالها فاجماعها حجة » (٣١) والواقع

(٢٥) عن الاجماع لمحمد صادق الصدر ص ٢٥ .

(٢٦) الفصول ص ٢٢٢ .

(٢٧) نفسه .

(٢٨) القوانين ج ١ ص ٢٢٩ .

(٢٩) اصول الفقه ج ١ ص ١٠٦ .

(٣٠) (٣١) نفسه .

(١٩) انظر شرحه على متن جمع الجوامع ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢٠) المنعنى ج ١ ص ١١٠ .

(٢١) روضة الناظر ص ٦٧ .

(٢٢) عن الفصول لابن رجب طبعة حجرية ص ٢٢٢ .

(٢٣) مراجع الاصول ص ٦٦ .

(٢٤) انظر كتابه المعالم ص ١٦٢ .

ان اطلاق لفظة الاجماع على اتفاق الجماعة القليلة اصطلاح خاص بجملة من العلماء وفي رأيي انه مغالطة صريحة لمفهوم الاجماع لغة وعرفا .

٣ - ان الاجماع قد يطلق ويراد به اتفاق جميع المجتهدين غير الامام وهذا مختلف في حجيته وسياتي بيان ذلك ، وقد يطلق ويراد به اتفاق جماعة من المجتهدين فيهم الامام المعصوم ولو كانوا قلة قليلة جدا ، وهذا لا خلاف في حجيته ، وقد يطلق ويراد به قول الامام بمفرده وسياتي بيان ذلك في المبحث الثاني « المجمعين » .

٢ - مقام الاجماع عند المذاهب الاسلامية :

الاجماع من البحوث النافعة والمهمة في علم اصول الفقه ، استائر بعناية خاصة من اعلام الامة ومفكرها لانه المصدر الذي يلي النصوص في القوة والاحتجاج .

فاذا ما عرضت للمجتهد حادثة ، واراد معرفة رأي الشريعة فيها عرضها اولا على كتاب الله تعالى - مصدر الشريعة الاول ، فاذا لم يجد بغيته مال الى سنة رسول الله - ص - مصدر الشريعة الثاني فان اعياه البحث ولم يجد ضالته فيها ، نظر هل اتفق السابقون على حكم لها ؟ فان وجد عمل به ، وافتي بموجبه وهو مطمئن البال ، فالامة لا تجتمع على الخطا والضلالة كما اخبر بذلك الصادق الامين واذا لم يسعفه الاجماع لجأ الى مصادر اخرى معروفة في اصول الفقه كالقياس ، وحكم العقل ، والمصلحة .. الخ ، ليس هنا محل بحثها .

حدث ميمون بن مهران فقال : « كان ابو بكر الصديق اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد قضى به ، والا نظر في سنة رسول الله فان وجد فيها ما يقضي به قضى به ، فان اعياد ذلك سأل الناس وجمع رؤساءهم واستشارهم ، فان اجتمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك فان اعياه ان يجد ذلك في الكتاب والسنة ، سأل - هل كان ابو بكر قضى فيه بقضاء ؟ والا جمع الناس واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به » (٣٢) وقال الشيخ محمد صادق الصدر : « الاجماع هو الدليل الثالث من ادلة الاحكام بعد الكتاب والسنة وهو ينبوع فياض افاض على الامة كثيرا من الاحكام التي لولاه لما وصلت اليها فكرة المجتهدين ، فهو اذن يمددهم بالفيض حيث تجف امام اعينهم ينباع وهو يشع امام ابصارهم كمشكاة فيها مصباح اذا اطفئت المضايح وهو يفتح

للمجتهدين الف باب وباب من مستعصيات الفقه اذا اوصدت بوجوه الابواب . وهو يجمع شمل المجتهدين على رأي واحد بعد ان كان لكل واحد فكره ولكل مجتهد نظره ، انه الاجماع الجامع المانع » (٣٣)

وهذه المميزات العلمية ، والقيمة التشريعية للاجماع ، اهله لنيل الحظوة ، والاهمية لدى كافة المذاهب الاسلامية ، ولدى المطلعين على اصول الفقه من المستشرقين ، فهذا جولد زيهر - المجري الاصل واليهودي الدين - يعجب كل الاعجاب بالاجماع كأصل من اصول الشريعة الاسلامية . ويقول : « سوف يرى بلا شك ان هذا الاصل - الاجماع - قد احتوى على ينبوع القوة التي تجعل الاسلام يتحرك ويتطور بكل حرية » (٣٤) .

ويقول : « الحق ان هذا المبدأ - الاجماع - المتبع ملحوظ عند مجتدي الاسلام في عصرنا ، فبالباب الذي يجب بواسطته ان تنفذ الى بناء الاسلام عوامل القوى الشابة » (٣٥) .

٣ - سند الاجماع

هل الاجماع مصدر مستقل بذاته في اثبات الاحكام الشرعية في مقابل المصادر الثلاثة الاخرى ، الكتاب والسنة والقياس او العقل ؟

ام انه لا ينعقد ولا يصير حجة الا بتوسط احد هذه المصادر ، ذهب بعض الاعلام الى الاول وقالوا باستقلالية الاجماع وعدم حاجته الى توسط دليل آخر يستند اليه (٣٦) ودليل هؤلاء :

اولا : ان الاجماع في نفسه حجة ودليل في اثبات الاحكام فلو توقف على سند لكان هذا السند هو الحجة ، وحينئذ لا يكون للاجماع فائدة .

ثانيا : لو توقف الاجماع على سند لما وقع بدونه ، لكنه وقع ، فلا يكون السند شرطا في انعقاده . ومثلوا لذلك ببيع المعاطاة فان العلماء اجمعوا على جوازه بلا دليل .

ثالثا : ان العقل لا يمنع من انعقاد الاجماع عن توفيق وذلك بأن يوفق الله - تعالى - اهل الاجماع في الامة لاختيار ما هو الصواب عنده . وذهب الاكثرون من علماء الامة الى الثاني اي ان الاجماع لا ينعقد الا عن مستند لان حق انشاء الاحكام

(٣٣) الاجماع ص ١٩ .

(٣٤) عن المدخل الى علم اصول الفقه لمعرف الدواليبي ص ٢٢

(٣٥) العقيدة والشريعة لزيهر ص ٥٥ .

(٣٦) انظر احكام الاحكام للامدي ج ١ ص ١٢٢ وارشاد الفحول

للسوكاني ص ٧٩ .

(٣٢) ملخص ابطال الراي لابن حزم ص ١١ .

الشرعية لله ولرسوله ، وليس لأهل الاجماع ، وقالوا : ان عدم الدليل يستلزم الخطأ في الاحكام لان الدليل هو الطريق الموصل الى الصواب .

قال الشيخ الخضري : « لا ينعقد الاجماع الا عن مستند لان الفتوى بدون المستند خطأ لكونه قولاً في الدين بغير علم . والامة معصومة عن الخطأ » (٣٧) وقال الشيخ ابو زهره : « لابد للاجماع من سند لان أهل الاجماع لا ينشئون الاحكام » (٣٨) واجابوا عن ادلة البعض القائل بعدم حاجة الاجماع الى سند ودليل بما يأتي :-

اولا : لا نسلم عدم فائدة الاجماع مع الدليل . اذ الفائدة موجودة معه وهي سقوط البحث عن ذلك الدليل ، والاكتفاء بالاجماع ، وحرمة المخالفة الجائزة فيه قبل الاجماع .

ثانيا - لا نسلم ان العلماء اجمعوا على صحة بيع المعاطاة بدون دليل وكل ما في الامر انهم لم ينقلوه اكتفاء بالاجماع اذ هو اقوى دلالة .

والذي اراه ان علماء الامة ان اتفقوا على امر من الامور الدينية ، لابد ان يكون حقا وصوابا لان العادة تمنع اتفاقهم على شيء بدون دليل ، قال الشهيد في الذكرى « ان عدالتهم تمنع من الاقتحام على الافتاء بغير علم وانه لا يلزم من عدم الظفر بالدليل عدم الدليل » (٣٩) .

وقال السيد الصدر : « ان جماعة المجتهدين ان اجمعوا على رأي في أي عصر من العصور يدلنا بوضوح على ان رأيهم المجمع عليه كان لمستند قوي استدعى ان تجتمع كلمة الاعلام بسببه على ذلك الرأي والا لاختلفت كلمتهم وذهب كل فريق الى رأي غير رأي الآخر كما يتفق هذا في كثير من المسائل . . . واذا حصل الاجماع من كافة المجتهدين كان المستند حينئذ للحكم هو سبب الحجية لانا نعلم انهم لا يصدر عن حكمهم بغير مستند ، ولا يجمعون على باطل » (٤٠) وقال : « وليس من الضروري لنا ان نعرف سند الاجماع عند المجمعين بل الواجب ان نأخذ باجماعهم اعتمادا على ورعهم وعلمهم ، لا اعتقادنا بانهم لا يجمعون الا عن دليل » (٤١) .

قطعية السند

اختلف القائلون بلزوم السند للاجماع في

قطعية السند وظنيته فقال أهل الظاهر ان مستند الاجماع لابد ان يكون قطعي كنصوص الكتاب والمتواتر السنة ولا يجوز ان يكون ظنيا كخبر الواحد والقياس . لان الاجماع قطعي الدلالة ، فلا ينعقد الا عن دليل قطعي ، اذ غير القطعي لا يفيد القطع .

وقال الامامية : ان مستند الاجماع يكون قطعي كنص الكتاب والخبر المتواتر ويكون ظنيا اذا كان خبر واحد لا قياسا ، لان خبر الواحد العدل كلام من وجبت طاعته فيصح ان يكون سندا للاجماع (٤٢) بخلاف القياس لورود النهي عن العمل به عن الائمة المعصومين ولان العلماء مختلفون في حجيته ، وهذا مانع من انعقاد الاجماع عنه ، لان من لا يقول بحجيته لا يوافق القائل بها . وقال الاكثرون ان مستند الاجماع يكون قطعي ، ويكون ظنيا كخبر الواحد والقياس . وقد وضع الشيخ الخضري في كتابه اصول الفقه والشيخ فايد في محاضراته في الاجماع وجهة نظر الاكثرين بما حاصله (٤٣) .

اولا : ان النصوص الدالة على حجية الاجماع نصوص عامة تفيد انعقاد الاجماع سواء اكان سنده قطعي ام ظنيا ، فاشتراط القطعية تخصيص للنصوص من غير دليل والتخصيص من غير دليل باطل .

ثانيا : وقع اجماع من المجتهدين مستندا الى خبر واحد كاجماعهم على حرمة بيع الطعام قبل قبضه للدلالة حديث ابن عمر - رض - « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه » وكذلك انعقد اجماعهم مستندا الى القياس كاجماعهم على تحريم شحم الخنزير قياسا على لحمه ، وعلى اراقعة السرج ونحوه اذا ماتت فيه فارة قياسا على السم (٤٤) ، وردوا على الظاهرية القائلين بان الاجماع قطعي فلا يكون الا عن قطعي بان قطعية الاجماع لم تثبت من جهة السند ، والا لكان الاجماع لغوا لان المثبت للحكم حينئذ هو الدليل القطعي وليس الاجماع ، وردوا على الامامية القائلين بان الاجماع لا ينعقد عن القياس بان القياس طريق من طرق اثبات الاحكام الشرعية فيجوز ان يكون سندا للاجماع وبان اختلاف العلماء في حجيته لا يمنع من انعقاد الاجماع عنه كخبر الواحد ، فان العلماء مختلفون في حجيته ومع ذلك جوزتم ان ينعقد

(٣٧) اصول الفقه ص ٢١٠ وانظر بسم التحرير لامير بادشاه ج ٢ ص ٢٥٤ .

(٣٨) اصول الفقه ص ١٩٩ .

(٣٩) الفصول لابن رجب ص ٢٥٢ .

(٤٠) (٤١) الاجماع ص ٨٢ و ص ٨٧ .

(٤٢) راجع القوانين للقي ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤٣) راجع اصول الفقه ص ٢١١ و ص ٢٩ من بحث الشيخ

فايد في الاجماع ، واحكام الاحكام للامدي ج ١ ص ١٢٥ .

(٤٤) انظر شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير

ص ٢٣٧ .

الاجماع بموجبه . (٤٥) وعن ورود النهي عن العمل بالقياس ، بأن ذلك معارض بما ورد من اخبار تدل على جواز العمل به . قال حجة الاسلام الغزالي : « يجوز انعقاد الاجماع عن اجتهاد وقياس » (٤٦) وقال ابن قدامة المقدسي « يجوز ان ينعقد الاجماع عن اجتهاد وقياس ويكون حجة » (٤٧)

والذي اراه ان الاتفاق ان وجد من علماء العصر فهو دليل وحجة سواء اكان هذا الاتفاق عن دليل قطعي ام ظني ، لان الحجة تنتقل من ذلك الدليل الى الاجماع . فان كان في الاصل ظني فالاجماع يفيد ثبوت الحكم قطعا وان كان في الاصل قطعي فالاجماع يفيد التأكيد والتعزيد لانه يكون من قبيل تظافر الادلة على الحكم الواحد . ومما يدعم هذا الرأي قول الامام الصادق - رض - : « فان المجمع عليه لا ريب فيه » (٤٨) فان الامام نفى الريب عن الرأي المجمع عليه مطلقا ، ولم يقيده بما اذا كان مجمعا عليه بموجب سند قطعي او ظني خاص او عام .

٤ - حجة الاجماع

ذهب المتكلمون باجمعهم والفقهاء بأسرهم على اختلاف مذاهبهم ، الى أن الاجماع حجة ، وحكي عن النظام وجعفر بن حرب وجعفر بن مبشر انهم قالوا : الاجماع ليس بحجة واختلف من قال انه حجة ، فممنهم من قال انه حجة من جهة العقل وهم الشواذ ، وذهب الجمهور الاعظم والسواد الاكثر الى ان الطريق الى كونه حجة السمع دون العقل (٤٩) واضح من قول شيخ الطائفة الطوسي ومن جميع ما تقدم ان الاجماع حجة شرعية عند جميع المذاهب الاسلامية ولكن اختلف جمهور العلماء وأئمة المذاهب مع الامامية في مستند الحجية .

ومن اجل ذلك ساستعرض جملة من ادلة المذاهب الاسلامية عدا الامامية ثم نذكر وجهة نظر الامامية .

١ - ادلة جمهور العلماء عدا الامامية :

اولا - ادلتهم من الكتاب الكريم :

استدل ائمة المذاهب وجمهور العلماء بآيات

عدة من الكتاب الكريم منها : بل اهمها قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوليه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » (٥٠) .

وجه الاستدلال بهذه الآية :

« ان الله سبحانه جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحا لما جمع بين وبين المحذور فثبت ان متابعة غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول او فتوى يخالف قولهم او فتواهم واذا كانت تلك محظورة وجب ان تكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة » (٥١) بدون شرط اتفاق الجميع فمن باب اولى تكون متابعة ما اتفقوا عليه واجبة فثبت ان الاجماع حجة ، وتعتبر هذه الآية اوضح الآيات واقواها دلالة على حجية الاجماع ، فقد روى ان الامام الشافعي - رحمه الله - عندما سئل عن آية في كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة لزم داره ثلاثة ايام مفكرا وقرا القرآن ثلاثمائة مرة حتى وجد هذه الآية ومع ذلك فقد قرر كثير من الاعلام ان الآية ليست نصا في الدلالة على حجية الاجماع (٥٢)

ومنها قوله تعالى : « كنم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (٥٣) .

الاستدلال بهذه الآية من وجهين :-

١ - ان الله تعالى قد وصف هذه الامة بالخيرية ، وهذا الوصف يقتضي ان ما اتفقوا عليه يكون حقا واجبا لاتباع ، لانه اذا لم يكن حقا كان ضلالا ، « فماذا بعد الحق الا الضلال » (٥٤) قال الشوكاني في وجه الاستدلال بهذه الآية « هذه الخيرية توجب الحقيقة لما اجمعوا عليه ، والا كان ضلالا » (٥٥) .

٢ - ان الله - تعالى - وصفهم بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهذا الوصف يقتضي انهم اذا ما اتفقوا على الامر بشيء كان معروفا يجب العمل به ، واذا ما نهوا عن شيء كان منكرا يجب الامتناع عنه وهذا يقتضي ان يكون اجماعهم

(٥٠) النساء / ١١٤ .

(٥١) ارشاد الفحول للشوكاني ص ٧٤ .

(٥٢) انظر المصنف للغزالي ج ١ ص ١١١ ، والامول العامة

للفقه المقارن للبيد تقي الحكيم ص ٢٥٨ .

(٥٣) آل عمران / ١١٠ .

(٥٤) يونس / ٢٢ .

(٥٥) ارشاد الفحول ص ٧٧ .

(٤٥) راجع احكام الاحكام للامدي ج ١ ص ١٢٦ .

(٤٦) المصنف ج ١ ص ١٢٣ .

(٤٧) روضة الناظر ص ٧٧ .

(٤٨) الاجماع للمصدر ص ٢٦ .

(٤٩) عدة الامول للطوسي ج ٢ ص ٦٤ ، وانظر ارشاد الفحول

لشوكاني ص ٧٣ .

حجة (٥٦) ومنها : قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » (٥٧) ومعنى جعلناكم أمة وسطا : أي صيرناكم عدولا .

لان الوسط هو العدل في اللغة :-

قال الشاعر :-

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم

إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

أي عدول وجاء بهذا المعنى في الكتاب الكريم « قال أوسطهم ألم أقل لكم » (٥٨) أي أعدلهم كما ورد بهذا المعنى في السنة أيضا :- « خير الأمور أوسطها » .

وجه الاستدلال بهذه الآية :-

ان الله - تعالى - وصف هذه الأمة بالعدالة وجعلهم حجة على الناس في قبول اقوالهم ، وهذه الصفة تنافي الكذب والميل الى جانب الباطل وهذا يقتضي ان يكون ما اتفقوا عليه عدلا وحقا يجب اتباعه والعمل به فيكون اجماعهم حجة .

ومنها : قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٥٩)

وجه الاستدلال :-

« ان الله - تعالى - نهى عن التفرق ، ومخالفة الاجماع تفرق ، فكان منهيها عنه ولا معنى لكون الاجماع حجة سوى النهي عن مخالفته » (٦٠)

ثانيا - ادلة الجمهور من السنة الكريمة :-

استدل جمهور العلماء وائمة المذاهب بجملة احاديث ماثورة عن عدد من كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - .

منها : ١ - « لا تجتمع امتي على الخطأ »

٢ - « لا تجتمع امتي على الضلالة »

٣ - « ولم يكن الله ليجمع امتي على الضلالة »

٤ - « لم يكن الله ليجمع امتي على الخطأ »

٥ - « سألت الله ان لا يجمع امتي على الضلالة فاعطانيه »

٦ - « من سره ان يسكن بحبوة الجنة فليزم الجماعة »

٧ - « يد الله مع الجماعة ، ولا يبالى الله بشذوذ من شذ »

٨ - « من خرج عن الجماعة او فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » .

٩ - « من فارق الجماعة ومات فميتة الجاهلية »

١٠ - « لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم »

وقد بين حجة الاسلام الغزالي وجه الاستدلال بهذه الاحاديث على ان الاجماع حجة قاطعة . بعد ان فرغ من تقرير الدليل من أي الكتاب الحكيم .

فقال : « المسلك الثاني :- وهو الاقوى - التمسك بقوله - ص - : « لا تجتمع امتي على الخطأ » وهذا من حيث اللفظ : اقوى وادل على المقصود ولكن ليس بالمتواتر ، كالكتاب ، والكتاب متواتر ولكن ليس بنص ، فطريق تقرير الدليل ان نقول : تظاهرت الرواية عن رسول الله - ص - بالفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى في عصمة هذه الأمة من الخطأ واشتهر على لسان المروقيين والثقة من الصحابة كعمر ، وابن مسعود ، وابي سعيد الخدري وانس بن مالك ، وابن عمر ، وابي هريرة ، وحذيفة بن اليمان ، وغيرهم ممن يطول ذكره » وبعد ان ذكر تلك الاحاديث قال : « وهذه الاخبار لم تزل ظاهرة في الصحابة والتابعين الى زماننا هذا لم يدفعها احد من اهل النقل من سلف الأمة وخلفها ، بل هي مقبولة من موافقي الأمة ومخالفها ، ولم تزل الأمة تحتج بها في اصول الدين وفروعه » (٦١)

وقرر الشيخ الامدي في كتابه الاحكام (٦٢) ان اقرب الطرق لاثبات كون الاجماع حجة قاطعة هو تلك المرويات عن كبار الصحابة بالفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى في عصمة هذه الأمة عن الخطأ والضلالة ؛ وابن قدامة المقدسي بعد ان ذكر هذه الاحاديث قال : « وهذه الاخبار لم تزل ظاهرة مشهورة في الصحابة والتابعين لم يدفعها احد من السلف والخلف وهي وان لم تتواتر آحادها حصل لنا بمجموعها العلم الضروري ان النبي - ص - عظم شأن هذه الأمة وبين عصمتها عن الخطأ » (٦٣) .

وقد ختم الشيخ الخفري بحثه في حجية الاجماع بعد ان فرغ من تقرير الدليل من الكتاب الكريم ، فالسنة النبوية . بقوله « ان الأمة الاسلامية في عصور مختلفة قررت ان الاجماع حجة قاطعة حتى كان فقهاء كل عصر ينكرون اشد الانكار على من خالف رأي مجتدي السلف ، والعادة تقضي ان

(٥٦) انظر محاضرات الشيخ فايد . بحث الاجماع ص ١٢ .

(٥٧) البقرة / ١٤٣ .

(٥٨) القلم / ٢٨ .

(٥٩) آل عمران / ١٠٣ .

(٦٠) احكام الاحكام للامدي ج ١ ص ١١١ .

(٦١) المستمى ج ١ ص ١١١ .

(٦٢) انظر ج ١ ص ١١٢ .

(٦٣) روضة الناظر ص ٦٨ .

مثل هذا الاتفاق لا يكون عن مجرد ظنون ، بل لابد ان يكون عندهم دليل مقطوع به ، وهذا يدل على ان الاخبار النبوية التي سقناها كانت عندهم مقطوعا بها حتى لم تكن في نظرهم مجالا للظن والاختلاف « (٦٤) » .

٢ - وجهة نظر الامامية في مستند حجية الاجماع

ان الاجماع دليل وحجة عند الامامية ، كما هو دليل وحجة عند جميع المذاهب الاسلامية ، قال شيخ الطائفة : « والذي نذهب اليه ان الامة لا يجوز ان تجمع على الخطأ ، وان ما يجمع عليه لا يكون الا صوابا وحجة » (٦٥) .

وقال صاحب المعالم : « الحق امكان وقوعه ، والعلم به ، وحجيته » (٦٦) .

وقال صاحب القوانين : « ان اصحابنا متفقون على حجية الاجماع ووقوعه » (٦٧) .

وقال : « ان علماء الشيعة لم يختلفوا في حجية الاجماع » (٦٨) .

وعليه فالاجماع حجة عند الطرفين لا خلاف لهما في حجيته ، وانما اختلفوا في مستند حجيته . وقد عرفنا ان مستندها عند جمهور العلماء وائمة المذاهب من غير الامامية هو عصمة الامة كافة ، استنادا الى قول الرسول الكريم « لا تجتمع امتي على الخطأ » ونحوه مما هو متفق في المعنى على ان رسول الله - ص - ميز هذه الامة ، وعظم شأنها ، فعصمها من الخطأ والضلال ، وجعل ما اجمع عليه علماءها حقا وصوابا لا يقبل الشك والجدال .

فما هو مستند الاجماع عند الامامية ؟

اختلفت انظار اعلام الامامية في ذلك ، وتعددت آراؤهم . واهمها اربعة آراء متعاقبة زمنا تمثل تطور الفكر الامامي بالنسبة للاجماع نجملها فيما يلي :-

الراي الاول : وهو للسيد المرتضى واشياعه من متقدمي الامامية . (٦٩)

وهو ان مستند حجية الاجماع هو دخول شخص الامام ضمن المجمعين فاذا ما اتفق اهل الاجماع على حكم وعلم دخول الامام - بطريق الحسن - معهم اصبح اتفاقهم اجماعا وحجة لتضمنه راي الامام عند هذا الفريق ، ولانه احد

(٦٤) اصول الفقه ص ٣١٦ .

(٦٥) عدة الاصول ج ٢ ص ٦٤ .

(٦٦) معالم الدين ص ١٦٤ .

(٦٧)، (٦٨) القوانين ج ١ ص ٢٤٩ ، ٢٦٧ .

(٦٩) انظر اصول الفقه للمظفر ج ٢ ص ١٠٦ .

مجتهد العصر عند جمهور العلماء وائمة المذاهب الاخرى ، ومن الواضح ان هذا الراي انما يتمثل في عصر الحضرة فقط يوم كان الائمة - رض - يحضرون المجتمعات الخاصة والعامة يسألهم الناس ويجيبون وينتهي هذا العصر بغيبة الامام الثاني عشر « المهدي المنتظر » (٧٠)

الراي الثاني : وهو لشيخ الطائفة الطوسي واتباعه . (٧١)

وهو ان اجماع علماء العصر على امر - ليس فيه مخالفة نص مقطوع به من الكتاب او السنة - يستكشف منه - عقلا - مطابقتها لحكم الله الواقعي ، الذي امر الامام بتبليغه للناس والا وجب على الامام بناء على « قاعدة اللطف » (٧٢) ان يظهر ويبين الحق

(٧٠) ولد الامام « محمد المهدي » ليلة النصف من شعبان ٢٥٥ هـ وتولى الامامة اثر وفاة والده الامام « الحسن العسكري » ٢٦٠ هـ وعمره خمس سنوات ، وفي سنة ٢٦٦ هـ اُخْتُبِجَ عن الاعين الى سنة ٣٢٩ هـ ونسب هذه الفترة « الغيبة الصغرى » وقد عهد بالحكم وادارة شؤون الطائفة الى اربعة من اتباعه سوا « الزكلاء الاربعة » كانوا سفراء بينه وبين اشياعه ويقال انه كان يتصل بهم خلال تلك الفترة . ثم بدأت « الغيبة الكبرى » ويستند الامامية ببقائه حيا الى اليوم وانه « المهدي المنتظر » وسيجمع في آخر الزمان ليملا الارض نسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا ، انظر في ذلك كله كتاب الغيبة للطوسي ، والامام المهدي لولي دجيل ص ٨ وعقيدتنا في الامام الصادق وسائر الائمة للسيد حسين العاملي ص ٢٠٦ ، وعقائد الامامية للمظفر ص ٧٧ وهذه بعض عباراته : « ان البشارة بظهور المهدي من ولد فاطمة في آخر الزمان ليملا الارض نسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا ثابتة عن النبي - ص - وفي ص ٧٩ يقول « ولا يخلو من ان تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله تعالى - له وليست هي بأعظم من معجزة ان يكون اماما للخلق وهو ابن خمس سنين » وانظر باب الغيبة من اصول الكافي وهذه احاديث روايات « اخبرنا محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن محبوب عن اسحاق بن عمار قال : قال ابو عبد الله : « للقائم » ع « غيبان احدهما قصيرة والاخرى - طويلة - ، الغيبة الاولى لا يعلم بمكانه فيها الا خاصة نبيته والاخرى لا يعلم بمكانه فيها الا خاصة مواليه » . انظر عدة الاصول ج ٢ ص ٧٧، ٧٦، ٦٤ .

(٧٢) اللطف : هو ما يقرب المكلف الى الطاعة ويبعده عن المعصية ، ولم يكن له حظ في التمكين ولم يبلغ حد الاجاء ، واللطف واجب على الله عند الامامية والمعتزلة ، ليجعل له - تعالى به الفرض من التكليف والالزام نفسه .

بيان ذلك : ان المكلف اذا علم ان المكلف لا يطيع الا باللطف واراد الطاعة ولم يفعل اللطف كان ناقضا لفرضه وهو نبيح فعدم اللطف نبيح فيكون واجبا لان ما نبيح عدمه وجب وجوده انظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للحلي ص ٢٥٤ .

من وقوعه بموجب دليل ظني كخبر الواحد واختلاف القرائح والانظار لا يمنع من الاتفاق وغايته انه قد يقلل من عدد الاجماع . وبهذا يتضح لنا تهافت ما اثاره القائلون بعدم حجبية الاجماع من شبهات . وانما لا تقوى بحال على معارضة الادلة الكثيرة التي احتج بها القائلون بحجبيته وهم جمهور العلماء من جميع المذاهب الاسلامية . وهكذا تبقى الآراء المجمع عليها مصدر اشعاع ونور تنير طريق الامة في كل معضلة شرعية ليس للامة نص عليها في ظاهر الحال من كتاب او سنة (٨٥) .

٥ - أنواع الاجماع

اولا - الاجماع البياني والاجماع السكوتي :-

يتنوع الاجماع الى نوعين :- اجماع بياني . واجماع سكوتي ،

١ - الاجماع البياني او الصريح :

ويتنوع الاجماع البياني الى نوعين : اجماع قولي ، واجماع عملي .

١ - الاجماع القولي : وهو ان يصرح كل واحد من جماعة المجتهدين بما يفيد قبوله للرأي المعلن للاتفاق عليه .

نمثلا : اتى بعض المجتهدين المعاصرين بحل عقود التأمين ، والقرض بفائدة من المصارف العامة (٨٦) . فاذا صرح كل مجتهد معاصر بما يفيد موافقته على ذلك . أصبح اجماعا قوليا وحجة شرعية .

٢ - الاجماع العملي :- وهو ان يقع العمل من كل واحد من جماعة المجتهدين كعملهم جميعا في المضاربة ، والمزارعة . والاستئجار ، فاذا وقع منهم ذلك كان اجماعا عمليا وحجة شرعية .

والاجماع البياني بنوعيه القولي والعمل هو الاصل في الاجماع وهو الذي يتبادر الى الذهن عند اطلاق كلمة الاجماع وهو ما فرغنا من الاستدلال على حجبيته ، وخلصنا الى انه حجة عند جميع المذاهب الاسلامية .

٢ - الاجماع السكوتي : وهو ان يصرح بعض المجتهدين برأيه في مسألة اجتهادية ، او يقوم بعمل كالتأمين على حياته ، او شراء بطاقة بانصيب - مثلا - ويشتهر ذلك بين المجتهدين من اهل عصره ويستكون بعد علمهم بذلك من غير نكير . وهذا

(٨٥) الاجماع للمصدر ص ١٨ .

(٨٦) انظر الاسلام ونضاي الساعة للشيخ موسى مزالدين .

النوع من الاجماع اختلف اعلام الامة في تسميته اجماعا كما اختلفوا في حجبيته ، ولهم في ذلك عدة آراء ، أهمها ثلاثة .

الرأي الاول : انه اجماع وحجة ، وهو لاكثر الاحناف . واحمد بن حنبل ، وابي اسحاق الاسفرايني من الشافعية (٨٧) .

الرأي الثاني : انه ليس اجماعا ولا حجة ، وهو للامام الشافعي واكثر اتباعه ، واكثر المعتزلة ، والمالكية ، والامامية (٨٨) .

الرأي الثالث : انه حجة وليس اجماعا ، وهو لبعض المعتزلة وبعض الامامية (٨٩) .

وحجة نظر اصحاب الرأي الاول الذين ذهبوا الى ان الاجماع ينعقد بالكوت ويكون حجة قطعية . تتلخص في الآتي :-

١ - لو اشترط لانعقاد الاجماع البيان - قولا أو عملا - من كل المجتهدين ، لتعذر انعقاد الاجماع اصلا لتوقفه على شرط متعذر عادة ، اذ المعتاد ان يتولى كبار المجتهدين الفتيا والقضاء ويسكت سائرهم موافقة لهم ، لانه لو كان الحكم مخالفا عند الساكت لأعلن النكير وظهر الخلاف لان الساكت عن الحق شيطان اخرس ، وجماعة المجتهدين لا يهتمون بذلك (٩٠) .

٢ - انعقد الاجماع على أن الاجماع السكوتي حجة قطعية في الامور الاعتقادية فيكون حجة في الفروع العملية من باب اولي .

وقد منع الشيخ الخضري وغيره دعوى الاجماع هذه ، لانه ان كان اجماعا بيانيا فقد بنوا دليلهم الاول على تعذره ، وان كان اجماعا سكوتيا فهو محل النزاع . كما منعوا دعوى انتفاء الاجماع مع شرط البيان من الكل ، لانهم رفضوا هذه الدعوى عند مناقشة النظام في حالته انعقاد الاجماع (٩١) . وقالوا : ان انتشار العلماء وتفرقهم في الامصار لا يمنع من تساوي في العلم ، ووصول الخبر اليهم .

(٨٧) انظر تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٤٦ ، وروضة الناظر ص ٧٦ ، والاحكام للامدي ج ١ ص ١٢٩ .

(٨٨) انظر المصادر السابقة ، واصول الفقه للخضري ص ٢٠١ .

(٨٩) انظر روضة الناظر ص ٧٦ والقوانين للقي ج ١ ص ٢٧٢ والفصول لابن رجب ص ٢٥٢ .

(٩٠)، (٩١) انظر تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٤٧ ، ومنتهى الوصول لابن الحاجب ص ٤٢ ، واصول الفقه للخضري ص ٢٠١ .

مخاتفة الاجماع البسيط

ان الحكم المجمع عليه من علماء عصر يكتسب صفة القطعية . ويكون ملزما لجميع افراد الامة يجب عليهم جميعا اتباعه والعمل به ، ولا يجوز لاحدهم مهما كان مركزه الديني العمل بخلافه . وكذلك يكون هذا الحكم ملزما لاعل العصور التالية مجتهدين وغير مجتهدين ، فلا يحق لاحدهم ولا لهم مجتمعين نقض اجماع من سبقهم او العمل بخلافه ، والا كانوا تاركين للحق . متبعين للضلال « فماذا بعد الحق الا الضلال » قولا واحدا عند جميع المذاهب الاسلامية . اما لان الامة لا تجتمع على خط وعلماء عصر كل الامة بالنسبة الى ذلك الحكم ، قال الامدي : « اذا اتفق اجماع امة عصر من الاعصار على حكم حادثة ، فهم كل الامة بالنسبة الى تلك المسألة . وتجب عصمتهم في ذلك عن الخطأ » (٩٤) .

واما لان اجماعهم كشف عن رأي سيدهم ورئيسهم امام العصر . قال الطوسي : « متى اجمعت الامة على قول فلا بد من كونها حجة لدخول الامام المعصوم في جملتها » . وقال : « ان ما يجمع عليه لا يكون الا صوابا وحجة لان عندنا انه لا يخلو عصر من الاعصار من امام معصوم حافظ للشرع يكون قوله حجة يجب الرجوع اليه كما يجب الرجوع الى قول الرسول - ص - » (٩٥) .

وكذلك يكون الاجماع ملزما لمجمعي العصر انفسهم ، فلا يجوز لاحدهم الرجوع عن رأيه وموافقته ، واشترط بعض الاعلام (٩٦) انقراض عصر المجمعين ، فيما اذا كان مستند الاجماع دليلا ظنيا . لا دليلا قاطعا . حتى يكون الاجماع ملزما للجميع وهو شرط واحد . ورأي ضعيف . لان الاجماع يكسب الحكم القطعية سواء اكان مستندة قبل انعقاد الاجماع دليلا ظنيا أم قطعيا ، قال حجة الاسلام الغزالي « اذا اتفقت كلمة الامة ولو في لحظة انعقد الاجماع . ووجب عصمتهم عن الخطأ . وقال قوم : لابد من انقراض العصر وموت الجميع ، وهذا فاسد . لان الحجة في اتفاقهم لاني موتهم » (٩٧) . قال صاحب الفصول : « لا يجوز مخالفة الاجماع البسيط على طريقتنا - يعني الامامية -

وجهة نظر اصحاب الراي الثاني الذين ذهبوا الى انه ليس اجماعا ولا حجة وهم الاكثرون .

قالوا : ان السكوت يحتمل ان يكون للموافقة ، ويحتمل ان يكون للتأمل والنظر ، ويحتمل ان يكون خوفا وهيبة من القائل او المقول ، كقول ابن عباس - وقد اظهر مخالفة عمر - رض - بعد وفاته - كان رجلا مهيبا فبهته ويحتمل ان الساكت لا يرى الانتكار في المسائل الاجتهادية ، بناء على القول بان كل مجتهد مصيب .

واذا كان السكوت محتملا لهذه المعاني ، فلا يكون دليلا على الموافقة فلا ينعقد الاجماع ولا يكون حجة (٩٨) .

وجهة نظر اصحاب الراي الثالث الذين ذهبوا الى انه حجة وليس اجماعا .

قالوا : ان غاية ما يدل عليه السكوت مع الاحتمالات التي تقدمت هو الموافقة في الظاهر فيكون حجة ظنية كخبر الواحد لكنه لا يكون اجماعا والذي ترجح عندي ان ما سمي بالاجماع السكوتي ليس اجماعا . لان السكوت ليس صريحا في الموافقة فلا يكون اجماعا لافتقاره الى عنصر الموافقة الذي هو قيد رئيس في تحقق الاجماع . وليس حجة لانه قول بعض الامة ، والعصمة من الخطأ انما ثبتت للامة كافة وليس لبعضها فلا يكون حجة .

ثانيا : الاجماع البسيط والمركب

يتنوع الاجماع الى نوعين :- بسيط ومركب ، لان الأمر لا يخلو :- اما ان يتفق اهل الاجماع في عصر على حكم واحد لحادثة ما ، او تتعدد الاحكام وينعقد الاجماع على كل حكم منها وهذا ما يسمى بالاجماع البسيط .

واما ان تتعدد الاحكام ولا ينعقد الاجماع على كل منها ، بل يتحزب كل فريق لراي يخالف الآخر ، وهذا ما سمي بالاجماع المركب ، قال صاحب الفصول : « الاجماع البسيط ، هو الاجماع المنعقد على حكم واحد ، ولو تعددت الاحكام ، وانعقد الاجماع على كل واحد منها فاجتماعات بسيطة ويقابله المركب وهو الاجماع المنعقد على حكمين او احكام مع عدم انعقاده على كل واحد (٩٩) .

(٩٤) الاحكام ج ١ ص ١٢١ ، وانظر المستنقى للغزالي ج ١ ص ٢٤ .

(٩٥) العدة ج ٢ ص ٦٤ .

(٩٦) ومما احمد بن حنبل وابو بكر بن فورك ، انظر احكام الامدي ج ١ ص ١٢٠ . وروضة الناظر ص ٧٢ .

(٩٧) المستنقى ج ١ ص ١٢٢ .

(٩٨) انظر المصادر السابقة والاحكام للامدي ج ١ ص ١٢٩ ، والمستنقى للغزالي ج ١ ص ١٢١ .

(٩٩) الفصول ص ٢٥٥ .

حيث يكون كاشفا عن قول المعصوم القطعي (٩٨) ، وقال الشيخ الخضري : « بمجرد صدور الفتوى من المجتهدين ينعقد الاجماع ، ولا يشترط لتحقيقه انقراض عصر المجمعين عند المحققين فبذلك يخرج الحكم عن دائرة النزاع فليس لاحدهم ان يرجع عنه ، واذا حدث مجتهدون في نفس العصر الذي انعقد فيه الاجماع لزمهم القول بذلك الحكم » (٩٩) .

وقال شيخنا ابو زهره : « الاكثرون على ان الاجماع اذا انعقد الزم الذين تكون منهم الاجماع ومن جاء بعدهم » (١٠٠) .

مخالفة الاجماع المركب

اذا انعقد اجماع مجتهدي عصر على حكمين مختلفين او اكثر لحادثة فهل يكون ذلك اجماعا منهم على نفي ما عداها ، فلا يجوز لمن بعدهم احداث حكم سواها ، او لا يكون اجماعا على نفي ما عداها فيجوز احداث حكم آخر ؟

اختلفت انظار اعلام الامة في ذلك . فذهب جمهور علماء اهل السنة والامامية الى المنع مطلقا (١٠١) ، وذهب بعض الى الجواز مطلقا (١٠٢) واختار الامدي (١٠٣) وابن الحاجب (١٠٤) وبعض المعاصرين من الامامية (١٠٥) التفصيل ، فقالوا : ان كان الحكم الآخر يرفع ما اتفق عليه السابقون امتنع والا جاز ، وقبل بيان وجهة نظر كل لا بد من ذكر طائفة من المسائل التي توضح الاجماع المركب .

١ - توريث الجد مع الاخوة :- اختلف فيه فقهاء العصر الاول ، فقال ابوبكر وعمر وابن الزبير وابن عباس :- يرث الجد ويحجب الاخوة وقال علي وزيد بن ثابت :- يرث الجد مع الاخوة ، وحينئذ فالقول بتوريث الاخوة وحرمان الجد قول ثالث ، يرفع ما اتفق عليه من توريث الجد .

٢ - النية في الطهارات الثلاث :- اختلف الفقهاء في حكمها ، فقال قوم :- بلزومها في جميع الطهارات من وضوء - وغسل - وتيمم ، وقال آخرون :- بلزومها في التيمم فقط . وحينئذ فالقول

بعدم لزومها في الجميع قول ثالث ، يرفع ما اتفق عليه من لزومها في التيمم .

٣ - فسخ النكاح بالعيوب ، وهي الجذام ، والبرص ، والجب ، والعنة ، والرتق ، والقرن ، اختلف الفقهاء في ذلك ، فمنهم من قال يفسخ النكاح في اي منها ، ومنهم من قال لا يفسخ النكاح بشيء منها ، وحينئذ فالقول بالفسخ ببعض دون البعض قول ثالث ، ولكنه لا يرفع ما اتفق عليه ، لانه لم ينعقد الاجماع على احد هذه العيوب .

٤ - ام واب واحد الزوجين : اختلف العلماء في ميراث الام فقال فريق : ترث الام ثلث المال كله ، وقال فريق آخر : ترث ثلث الباقي ، وحينئذ فالقول بانها ترث ثلث المال كله مع احد الزوجين وثلث الباقي مع الآخر قول ثالث ، ولكنه لا يرفع ما اتفق عليه لانه يوافق كل فريق من وجه . عرفنا ان للعلماء في احداث القول الآخر ثلاثة آراء :

المنع مطلقا وهو للاكثرين ، والجواز مطلقا وهو للاقلين ، والتفصيل بين ما يرفع متفقا عليه فلا يجوز ، وبين ما لا يرفع بل يوافق كل راي من وجه فيجوز .

وجهة نظر القائلين بالمنع مطلقا :-

قالوا : انه لو جاز احداث القول الآخر لكان مخالفا للاجماع المنعقد على عدم القول به ومستلزما تخطئة كل الامة . وهذا لا يجوز لمخالفته لمعصوم ادلة حجية الاجماع ، ووجه اطلاق المنع عند جمهور الامامية « ان الاجماع قد حصل بدخول الامام وهو متحقق باحدى الطائفتين فلا اهمية بعد هذا بالقول الثالث سواء رفع متفقا عليه ام لم يرفع (١٠٦) . قال صاحب الفصول : « اذا انمقد الاجماع على قولين او اقوال في موضوع لا يجوز احداث قول آخر بلا خلاف بين اصحابنا » واستدل على ذلك بقوله : « اذا علم بدخول قول المعصوم بين القولين او الاقوال ، او بموافقة لاحدهما ، كان القول الآخر مخالفا لقوله قطعا فيكون معلوم البطلان فلا يجوز المصير اليه » (١٠٧) .

ويلاحظ ان وجهة المنع عند الامامية انما تتفق مع راي المتقدمين منهم والتالين القائلين بان مستند حجية الاجماع هو راي المعصوم المنكشف بالاجماع ، وليس لان الاجماع يكشف عن دليل معتبر لديهم كما قال به بعض المتأخرين

(١٠٦) نفسه .

(١٠٧) الفصول لابن وحيم ص ٢٥٦ .

(٩٨) الفصول ص ٢٢٥ .

(٩٩) اصول الفقه ص ٣٠٨ .

(١٠٠) اصول الفقه ص ١٩٨ .

(١٠١) انظر ارشاد الفحول للشوكاني ص ٨٦ . والاجماع للصدر ص ١٢٠ .

(١٠٢) انظر روضة الناظر ص ٧٥ .

(١٠٣) انظر الاحكام للامدي ج ١ ص ١٢٧ .

(١٠٤) انظر منتهى الوصول لابن الحاجب ص ٤٤ .

(١٠٥) الاجماع للصدر ص ١٢٠ .

والمعاصرين (١٠٨) ولذا اتجه هؤلاء الى القول بالتفصيل بين ما يرفع متفقا عليه ، وبين ما لا يرفع فمنعوا في الاول واجازوا في الثاني (١٠٩) .

كما يلاحظ ان القول بالمنع لا ينافي القول بالتفصيل ، لان المنوع هو مخالفة الكل فيما اتفقوا عليه كما في مسألة الجد مع الاخوة ، اما ان يخالف كل فريق من وجه ويوافق من وجه فلا يتجه عليه المنع كما في مسألة فسخ النكاح بالعيوب .

وجهة نظر القائلين بالجواز مطلقا -

قالوا : ان وقوع الاختلاف في حكم حادثة . دليل على انها من المسائل الاجتهادية التي يصح الاجتهاد فيها . وحينئذ لا مانع يمنع من الاجتهاد فيها بالنسبة لمجتهد العصور التالية (١١٠) .

واجب عن ذلك بان الاختلاف يكون دليلا على صحة الاجتهاد فيما اذا لم يمنع مانع من الاجتهاد ، وهنا المانع موجود ، وهو اجماع الفريقين على نفي القول الآخر .

وجهة نظر القائلين بالتفصيل -

قالوا : ان كان القول الآخر يرفع ما اتفق عليه القولان كما في مسألة الجد مع الاخوة ، ومسألة النية في الطهارات ، فهو ممتنع لما فيه من مخالفة اجماع . وان كان القول الآخر لا يرفع ما اتفق عليه ، بل يوافق كل فريق من وجه ويخالفه من وجه كما في مسألة فسخ النكاح بالعيوب ومسألة الام والاب ، واحد الزوجين . فهو جائز لانه لم يخالف اجماعا (١١١) .

واشكل عليهم بان في ذلك تخطئة كل فريق في بعض ما ذهب اليه وتخطئتهم تخطئة للامة ، وذلك محال . فأجاب ابن الحاجب عن ذلك بقوله : « المحال تخطئة الامة فيما اتفقوا عليه ، واما تخطئة كل فريق فيما لم يتفقوا عليه فجائز » (١١٢) . وبفسر الفكرة وبلغت مشابه اجاب الامدي : « المحال انما هو تخطئة الامة فيما اتفقوا عليه ، واما تخطئة كل بعض فيما لم يتفقوا عليه لا يكون محالا » (١١٣) . وبهذا يتبين لنا رجحان ما ذهب اليه المتأخرون والمعاصرون وهو التفصيل وذلك « لانه اذا رفع

مجمعا عليه فقد خالف اجماع فلم يجر كمالة الجد والنيه ، واذا لم يرفع مجمعا عليه فلا داعي للمنع لانه لم يخالف اجماعا ولا مانع سواه » (١١٤) .

ثالثا : الاجماع المحصل والمنقول :

يتنوع الاجماع الى نوعين :- محصل . ومنقول
١ - الاجماع المحصل :- هو الذي يحصله الفقيه بنفسه . وذلك بان يتبع رأي كل فرد من مجتهد عصر في الحادثة التي يريد معرفة حكمها . فيجدها متفقة في الحكم . والمحصل هو الذي تقدم البحث عنه . وخلصنا الى انه حجة عند جميع المذاهب الاسلامية .

٢ - الاجماع المنقول :- هو الذي لم يحصله الفقيه بنفسه ، وانما وصل اليه عن طريق النقل ، سواء اكان هذا النقل بواسطة او اكثر ، والنقل تارة يكون بالتواتر وحكم المتواتر في الحجية حكم الاجماع المحصل عند الجميع (١١٥) .

وتارة اخرى يكون بالآحاد . وهو المراد من « الاجماع المنقول » عند الاطلاق في عرف الاصوليين .

حجية الاجماع المنقول بخبر الواحد

اختلف الاصوليين في حجية الاجماع المنقول على قولين :-

١ - انه حجة .

٢ - انه ليس بحجة .

وقد ذهب الى الراي الاول كثير من علماء اهل السنة والامامية .

قال ابن الحاجب : « يصح التمسك بالاجماع المنقول بخبر الواحد ، وانكره الغزالي وبعض الحنفية » (١١٦)

وقال البناني : « ان الاجماع المنقول بالآحاد حجة لصدق التعريف به وهو الصحيح في الكل » (١١٧) .

وقال ابن قدامة المقدسي : « الاجماع المنقول بطريق الآحاد يغلب على الظن فيكون ذلك دليلا كالنص المنقول بطريق الآحاد » (١١٨) .

وقال الشوكاني : « الاجماع المنقول بطريق

(١١٤) اصول الفقه للخضري ص ٢٠٠ .

(١١٥) انظر اصول الفقه للخطيب ج ٢ ص ١٦٤ . والاجماع للصدر ص ٩٧ .

(١١٦) منتهى الوصول ص ٤٦ .

(١١٧) حاشية البناني على شرح الجلال على متن جميع الجوامع ج ٢ ص ١٧٩ .

(١١٨) روضة الناظر ص ٧٨ .

(١٠٨) انظر الراي الرابع في مستند حجة الاجماع عند الامامية ص ٧٢ من هذه الدراسة .

(١٠٩) الاجماع للصدر ص ١٢٠ .

(١١٠) انظر الاحكام لابن حزم ج ١ ص ٥١٥ .

(١١١) انظر احكام الامدي ج ١ ص ١٢٧ . ومنتهى الوصول لابن الحاجب ص ٤٤ .

(١١٢) ، (١١٣) المصدر السابقة .

الآحاد حجة وبه قال الماوردي ، وامام الحرمين ، والامدي . « (١١٩) »

وقال الامدي : « اختلفوا في ثبوت الاجماع بخبر الواحد فاجازه جماعة من اصحابنا واصحاب أبي حنيفة ، رحمهم الله ، والحنابلة ، وانكره جماعة من اصحاب أبي حنيفة وبعض اصحابنا كالغزالي مع اتفاق الكل قطعيا في منته « (١٢٠) » وهكذا يلحظ المتبع ان اكثر علماء اهل السنة قائلون بحجة الاجماع المنقول بالآحاد (١٢١) بل على حجته اكثر علماء الامامية من عهد العلامة الحلي الى اليوم اما قبل ذلك فلم يصرح احد من علمائهم ممن كتبوا في الاجماع براهيه في حجة الاجماع المنقول او عدم حجته (١٢٢) ومن القائلين بالحجة العلامة الحلي في « نهاية الاصول » والشهيد الاول في « الذكرى » والشيخ حسن في « المعالم » ومن متأخريهم صاحب القوانين ، وصاحب الفصول ، وصاحب القوامع ، وصاحب الدلائل ، وصاحب مباني الاصول (١٢٣) ، وكثير غير هؤلاء ، قال صاحب المعالم : « اختلف الناس في ثبوت الاجماع بخبر الواحد بناء على كونه حجة فصار اليه قوم وانكره اخرون والاقرب الاول لنا ان دليل حجة خبر الواحد يتناوله بعمومه فيثبت به كما يثبت غيره (١٢٤) ، وقال الميرزا ابو القاسم القمي : « الاقرب حجة الاجماع بخبر الواحد لانه خبر ، وخبر الواحد حجة (١٢٥) » ، وقال صاحب الفصول : « لا كلام في حجة نقل الاجماع بالخبر المتواتر وفي حكمه الخبر المنقول بخبر الآحاد مع انضمامه بقرائن العلم ، واما المنقول بخبر الواحد المجرد عن قرائن العلم ففي حجته خلاف والظاهر ان النزاع غير متوجه على القول بعدم حجة الخبر الواحد كما صرح به بعضهم بل هو مقصور على القول بحجة خبر الواحد ، والمختار ما ذهب اليه القائلون بالاثبات (١٢٦) . وقال البجنوردي : « ومما قيل بحجته وخروجه عن أصالة حرمة العمل بالظن » الاجماع المنقول « واستدلوا على حجته

(١١٩) ارشاد الفحول ص ٨٩ .

(١٢٠) الاحكام للامدي ج ١ ص ١٤٣ .

(١٢١) انظر بالانفاة الى المصادر السابقة ، شرح النار لابن ملك ص ٢٥٨ ، وكشف الاسرار على اصول البزدوي ج ٢ ص ٢٦٥ ، وفتح القفار بشرح النار لابن نجيم ج ٢ ص ٦ .

(١٢٢) انظر الفصول ص ٢٥٨ .

(١٢٣) راجع الاجماع للصدر ص ١٠٠ - ١٠٤ ، والفصول لابن رجب ص ٢٥٨ .

(١٢٤) المعالم ص ١٧٢ .

(١٢٥) القوانين ج ١ ص ٢٨٤ .

(١٢٦) مختصر الفصول ج ٢ ص ٦ ، وانظر الفصول ص ٢٥٨ .

بادلة حجة خبر العادل» (١٢٧) وقال نقي الحيدري : « ومما خرج عن حرمة العمل بالظن الاجماع المنقول في الجملة » (١٢٨) .

وقال الشيخ محمد تقي الاصفهاني : « ويظهر من طريقة الفقهاء وهو القول بالحجة فان كتب الاستدلال مشحونة بالتمسك به والتعويل عليه في مقام الاجتهاد . وطريقتهم مستقرة على العمل باخبار الآحاد ، واحتمال انهم انما يذكرون الاجماع المنقول في عداد الادلة من وجهة التأييد بعيد جدا سيما بعد ملاحظة انحصار المستند في كثير من الموارد بالاجماع المنقول» (١٢٩) .

وخلاصة وجهة نظر القائلين بالحجة هي :-

- ١ - ان الاجماع المنقول بالآحاد مفيد للظن فكان حجة ، كالمنقول بالآحاد عن رسول الله - ص -
- ٢ - المطلوب من المجتهد ان يحكم بالظاهر ، عملا بقول الرسول الكريم - ص - : « نحن نحكم بالظاهر » والاجماع المنقول ظاهر ظني ، فيكون حجة (١٣٠) .

والى الثاني - اعني عدم حجة الاجماع المنقول - ذهب فريق من اعلام اهل السنة والامامية قال حجة الاسلام الغزالي : « الاجماع لا يثبت بخبر الواحد خلافا لبعض الفقهاء ، والسرفيه ان الاجماع دليل قاطع يحكم به على الكتاب والسنة المتواترة ، وخبر الواحد لا يقطع به ، فكيف يثبت به قاطع وليس يستحيل التعبد به عقلا لو ورد ، كما ذكرناه في نسخ القرآن بخبر الواحد لكن لم يرد » (١٣١) .

ولكنه لم يقطع ببطلان العمل به حيث قال : « ولسنا نقطع ببطلان مذهب من يتمسك به في حق العمل خاصة » (١٣٢) .

ومن الامامية كثير من المتأخرين والمعاصرين كالمحقق الخونساري ، وسلطان العلماء وصاحب المدارك ، وصاحب الوافي ، والسيد مرتضى الانصاري ، والمحقق الخوئي قال السيد الانصاري : بعد ذكره لراي القائلين بالحجة : « والذي يقوى في النظر هو عدم الملازمة بين حجة الخبر وحجة الاجماع المنقول » (١٣٣) .

(١٢٧) منتهى الاصول ج ٢ ص ٨٦ .

(١٢٨) اصول الاستنباط ص ١٤٥ .

(١٢٩) دلائل الاصول - عن الاجماع للصدر ص ١٠٥ .

(١٣٠) انظر الاحكام للامدي ج ١ ص ١٤٤ ، ومنتهى الوصول ص ٦ ، وروضة الناظر لابن قدامة ص ٧٨ .

(١٣١) المستصفى ج ١ ص ١٢٧ .

(١٣٢) الرسائل ص ٤٢ .

وخلاصة وجهة نظر القائلين بعدم الحجية هي :

ان الاجماع المنقول بخبر الواحد : لا يفيد العلم القاطع فلا يكون حجة والقائلين بحجيتهم يسلمون بعدم افادته القطع بل الظن ويقولون ان الظن يكفي في الاحكام الشرعية كالنصوص المنقولة بخبر الواحد فيكون حجة ، ومنهم من يقول ان العمل بالظن الحاصل من الاجماع المنقول خارج عن اصالة حرمة العمل بالظن . قال ابن قدامة : « ذهب قوم الى ان الاجماع لا يثبت بخبر الواحد لان الاجماع دليل قاطع يحكم به على الكتاب والسنة ، وخبر الواحد لا يقطع به فيكف يثبت به المقطوع . وليس ذلك بصحيح فان الظن متبع في الشرعيات . والاجماع المنقول بطريق الاحاد يثلب عن اثنين فيكون ذلك دليلا كالنص المنقول بطريق الاحاد . وقولهم هو دليل قاطع ؛ قلنا قول النبي - ص - ايضا دليل قاطع في حق من شافيه او بلغه بالتواتر واذا نقله الاحاد كان مظلونا وهو حجة . فالاجماع كذلك بل هو اولى » (١٣٤) .

المبحث الثاني

« المجمعون »

عرفنا ان الاجماع يتألف من ركنين : مجمع عليه ، وهو نفس الاجماع ومجمعين ، وهم اهل الاجماع ، وقد فرغنا من بحث الاجماع نفسه ، وعرفنا رأي المذاهب الاسلامية فيه فمن المجمعون الذين يتكون منهم الاجماع ؟

ان المجمعين يختلفون باختلاف الامر المجمع عليه نفسه ، فالمعتبر في الامور اللغوية - مثلا - رأي جميع اللغويين وفي الامور الاقتصادية رأي جميع الاقتصاديين وفي الامور القانونية رأي جميع القانونيين ، وفي الامور الفقهية الاجتهادية رأي جميع المجتهدين من الفقهاء ... وهكذا يعتبر رأي كل اهل اختصاص في مجال اختصاصهم ولا عبرة برأي فريق في غير مجال اختصاصه . وما دنا بصدد بحث الاجماع في الشريعة الاسلامية ، فمن المجمعون الذين يتكون منهم الاجماع ، الذي هو دليل وحجة في الامور الشرعية ؟ لقد جرى النقاش حول عدة جماعات يمكن ان يتكون منهم الاجماع كالصحابه ، والخلفاء الاربعة ، واهل بيت الرسول - ص - واهل المدينة والكوفة ، والبصرة ، وجماعة المجتهدين في كل عصر .

وهذا هو الحق الذي يتشكى مع الدليل من الكتاب والسنة ، ويناسب جعل الاجماع دليلا وحجة لتمكن الامة بواسطته من تشريع احكام ملزمة لكل ما يجد من احداث ووقائع ، ليس عليها نصوص - في ظاهر الحال - من كتاب او سنة . والمعروف ان النصوص تنهاى والاحداث لا تنهاى . والشريعة الاسلامية مؤهلة لاستيعاب مشاكل البشرية قادرة على تنظيم حياتهم . في كل مكان حلوا فيه . وفي اي زمان وجدوا فيه . ولئن كان تحصيل الاجماع والاطلاع عليه عسيرا في العصور السابقة بالنظر للانتشار المكاني لجماعة المجتهدين . وبعد المسافة ، وصعوبة المواصلات والاتصالات . فانه اليوم من ايسر الامور واسهلها ، فليس صعبا ان يجتمعوا سنويا او كلما دعت الحاجة في اي قطر اسلامي . او في مكة المكرمة في موسم الحج . ويتذكرون في كل ما يحدث من المسائل الشرعية التي هي محل ابتلاء المسلمين . وبعد المذاكرة نرى وجود الادلة يصدر عن الفتوى الشرعية التي اجمع رأيهم عليها وذلك باعداد كتاب سنوي يشمل على كل ما يتفق عليه من الآراء والفتاوي (١٣٥) واجماع المجتهدين في اي عصر اسلامي هو المعول عليه عند جميع المذاهب الاسلامية عدا اهل الظاهر فانهم حصروا الاجماع بعصر الصحابة حيث قال داود الظاهري : لا اجماع الا اجماع الصحابة .

١ - الصحابة :

ذهب اهل الظاهر واحمد بن حنبل في رواية (١٣٦) الى ان اجماع غير اجماع الصحابة ليس دليلا شرعيا .

وقد عرض ابن حزم دعواهم وبين حججهم في ذلك فقال : « قال ابو سليمان (١٣٧) وكثير من اصحابنا : لا اجماع الا اجماع الصحابة - رض - واحتج في ذلك بانهم شهدوا التوقيف من رسول الله - ص - وقد صح انه لا اجماع الا عن توقيف . ايضا فانهم - رض - كانوا جميع المؤمنين لا مؤمن من الناس سواهم ، ومن هذه صفة فاجعائهم هو اجماع المؤمنين وهو الاجماع المقطوع به . واما كل عصر بعدهم ، فانما هم بعض المؤمنين لا كلهم . وليس اجماع بعض المؤمنين اجماعا ، انما الاجماع اجماع جميعهم ، وايضا فانهم كانوا عددا محصورا

(١٣٥) الاجماع للصدر ص ٨٥ .

(١٣٦) انظر روضة الناظر لابن قدامة ص ٧٤ .

(١٣٧) ابو سليمان كنية داود امام اهل الظاهر ، واشهر تلامذته علي بن حزم .

(١٣٨) روضة الناظر ص ٧٨ .

يمكن ان يحاط بهم وتعرف اقوالهم ، وليس من بعدهم كذلك . (١٣٨)

ودعوى اهل الظاهر هذه تتضمن امرين :

اولهما : اجماع الصحابة دليل شرعي .

وثانيهما : اجماع ما بعدهم ليس دليلا .

والاول مسلم عند كافة المذاهب الاسلامية ، لانهم مجتهدوا العصر ، فما اتفقوا عليه كان دليلا وحجة ، بل ان حجة اجماعهم اولى من حجة اجماع من بعدهم لانهم شافهوا الوحي وعاصروا الرسول - ص - واثني عليهم الله تعالى - في محكم كتابه وتوفي الرسول - ص - وهو عنهم راض ، قال السيد الصدر : « واما رأي الامامية في اجماع الصحابة فحجية اجماعهم اذا لم يكن فيه مخالف لا شتماله على دخول المعصوم وهو الامام علي - ع - » (١٣٩) .

وقال الشوكاني : « اجماع الصحابة حجة بلا مخالف » (١٤٠) وقال ابو حنيفة : « اذا اجمعت الصحابة على شيء سلمنا » (١٤١) .

والثاني غير مسلم عند كافة المذاهب الاسلامية لان الادلة الدالة على كون اجماع حجة لا تفرق بين اهل عصر وعصر ، ولان اجماع من بعدهم اجماع اهل العصر فكان حجة كاجماع الصحابة ، قال الامام الغزالي : « ذهب داود وشيعته من اهل الظاهر الى انه لا حجة في اجماع من بعد الصحابة وهو فاسد ، لان الادلة الثلاثة على كون اجماع حجة اعني الكتاب والسنة ، والعقل لا تفرق بين عصر وعصر ، فالتابعون اذا اجمعوا فهو اجماع من جميع الامة ومن خالفهم فهو سالك غير سبيل المؤمنين ، ويستحيل - بحكم العادة - ان يشذ الحق عنهم مع كثرتهم عند من يأخذوه من العادة » (١٤٢) .

مناقشة شبه اهل الظاهر :

يجاب عن قوله : « بانهم شهدوا التوقيف من رسول الله - ص - وقد صرح انه لا اجماع الا عن توقيف » بان جل اجماعات من بعدهم مستنده الى نصوص من الكتاب والسنة ، فتكون عن توقيف ، فيلزمكم القول بحجتها . ويجاب عن قوله بانهم كانوا جميع المؤمنين ... الخ من وجهين :

١ - بأنه اذا كان الامر كذلك فان المجمعين من الصحابة هم ايضا بعض المؤمنين لا كلهم اذا اخذنا

(١٣٨) احكام الاحكام لابن حزم ج٤ ص ٥٠٩ .

(١٣٩) اجماع ص ٦١ .

(١٤٠) ارشاد الفحول ص ٨١ .

(١٤٢) المستصفى ج١ ص ١١٧ ، وانظر روضة الناظر ص ٧٤ .

بنظر الاعتبار من توفي من الصحابة قبل انعقاد الاجماع ، كخديجة ، وسمينة وابي امامة ، وعثمان بن مظعون ، وشهداء بدر واحد . . . ، فيلزم على قولهم عدم انعقاد الاجماع اصلا لا من الصحابة ولا من غيرهم وهذا باطل بالاتفاق .

٢ - ان المجمعين في اي عصر هم كل الامة بالنسبة الى حكم الحادثة التي اتفقوا عليها كما كان الصحابة كل الامة بالنسبة لاجماعهم لانه كما بطل الالتفات الى اللاحقين وقت انعقاد اجماع الصحابة يبطل الالتفات الى الماضيين . قال ابن قدامة بعد ذكر وجبة نظرهم : « وما ذكروه باطل اذ يلزم على مساقه ان لا ينعقد الاجماع بعد موت من مات من الصحابة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبعده وبعد نزول الآية (١٤٣) كشهداء أحد واليمامة ، ولا خلاف في ان موت واحد من الصحابة لا يحسم باب الاجماع ، وكما بطل على القطع الالتفات الى اللاحقين وبطل الالتفات الى الماضيين فالماضي لا يعتبر والمستقبل لا ينتظر ، وكلية الامة حاصلة لكل الموجودين في كل وقت (١٤٤) ، وقد سبق ان اجبنا اكثر من مرة عن قوله : « فانهم كانوا عددا محصورا يمكن ان يحاط بهم ، وتعرف اقوالهم ، وليس من بعدهم كذلك » بان التفرق المكاني وبعد المسافة لا يحول دون تحقق اجماع ، والاطلاع عليه . وعلى تقدير ان ذلك كان عسيرا فيما مضى فانه اليوم من ايسر الامور واسهلها .

وايضا فانه يلزم من قوله عدم انعقاد الاجماع من الصحابة لانهم انما كانوا كذلك في زمن النبي - ص - ولا عبرة باجماعهم في زمنه - ص - بالاتفاق واما بعد وفاته ، فقد انتشروا في ارض الله لاعلاء كلمة الله كجنوب الجزيرة العربية ، وفارس ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وشمال افريقيا ، وصار الحال في تعدد حصرهم ، والاطلاع على ارائهم كالحال فيمن بعدهم سواء بسواء ، فما يجيب به هو جوابنا ولا فرق .

وبهذا يتبين لنا تهافت راي من قال بمقولة اهل الظاهر من المعاصرين ايضا كالشيخ

(١٤٣) الآية هي : « ومن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين ... » النساء/ ١١٤ قال اهل الظاهر : ان الصحابة وقت نزول هذه الآية كل المؤمنين وكل الامة فيكون اتباع سبيلهم واجب ، واما من بعدهم من سائر العصور كل المؤمنين ولا كل الامة فلا يكون اجماعهم حجة واجيب بما ذكرت من انه يلزم على ذلك عدم انعقاد الاجماع اصلا .

(١٤٤) روضة الناظر ص ٧٤ ، وانظر المستصفى للغزالي ص ١١٧ .

تقي الدين النبهاني في كتابه اصول الفقه حيث قال : « كل اجماع غير اجماع الصحابة ليس دليلا شرعيا لانه لم يقم الدليل القطعي على انه دليل شرعي ، وكل ما استدلوا به هو ادلة ظنية » (١٤٥) .

وقد اجاب شيخنا ابو زهرة عن مثل قول الشيخ النبهاني بقوله : « والاعتراض على ان الاجماع كان لان الادلة القطعية هي التي جرى فيها الاجماع ، اما الظنية فلا مساغ للاجماع فيها ليس وارد هنا ، لان مواضع الاجماع التي كانت في عصر الصحابة ما كان اصل الدليل قطعيا ، فقد كان اخبار آحاد عن النبي - ص - ومع ذلك اجمعوا على اساسها ، فكان الاجماع رافعا لها من مرتبة الظني الى مرتبة القطعي » (١٤٦) .

كما يتبين لنا رجحان ما عولت عليه كافة المذاهب الاسلامية من ان الاجماع المعتبر هو اجماع المجتهدين في اي عصر .

٢ - الخلفاء الراشدون :

اذا اتفق الخلفاء الاربعة على حكم واقعة ، وخالفهم فيه بعض الصحابة فهل يعتبر ذلك حجة ام لا ؟

ذهبت جماهير العلماء الى انه ليس اجماعا ولا حجة . وذهب الامامية (١٤٧) ، وبعض الحنفية (١٤٨) والامام احمد في رواية الى انه حجة وليس اجماعا ، وفي رواية اخرى انه اجماع وحجة ، واختاره ابن البناء من اتباعه (١٤٩) قال الامدي : « لا ينعقد اجماع الائمة الاربعة مع وجود المخالف لهم من الصحابة عند الاكثرين ، خلافا لاحمد بن حنبل في احدي الروايتين عنه . وللقاضي ابي حازم من اصحاب ابي حنيفة . »

ثم ذكر دليل هؤلاء فقال : « وحجة من قال بانعقاد الاجماع الائمة الاربعة قوله - ع - « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ » اوجب اتباع سنته ، والمخالف لسنته لا يعتد بقوله ، فكذلك المخالف لسنتهم » (١٥٠)

وقد كفانا الامام الشوكاني - وهو من مجتهدي الشيعة الزيدية - مؤونة الرد على وجه الاستدلال بهذا الحديث وامثاله بقوله : « واجيب بأن فسي

الحديثين دليلا على انهم اهل للاقتداء بهم لا على ان قولهم حجة على غيرهم ، فان المجتهد مستعبد بالبحث عن الدليل حتى يظهر له ما يظنه حقا ولو كان مثل ذلك يفيد حجية قول الخلفاء او بعضهم ، لكان حديث « رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد » يفيد حجية قول ابن مسعود ، وحديث « ابا عبيده بن الجراح امين هذه الامة يفيد حجية قوله وهما حديثان صحيحان » (١٥١) ، ومن قبله اجاب بمثل ذلك ابن الحاجب في « المنتهى » (١٥٢) وامير بادشاه في تيسير التحرير (١٥٣) ، والجلال في شرحه على متن جمع الجوامع (١٥٤) ، والفتوح في شرح الكوكب المنير (١٥٥) ومن المعاصرين الشيخ النبهاني في كتابه اصول الفقه (١٥٦) وقد اطال في الاجابة على ذلك لانه استعرض كل حججهم وابطلها جميعا .

وبهذا يتبين لنا ان القول بحجية اجماع الخلفاء الاربعة مع وجود مخالف لهم قول مرجوح ولذا لم يعتبره جمهور العلماء وائمة المذاهب عدا من ذكرت .

٣ - اهل البيت :

اذا اتفق اهل البيت على حكم حادثه ، وخالف فيه بعض الصحابة او المجتهدون من المعاصرين لهم فهل يعتبر اتفاقهم اجماعا وحجة ام لا ؟

المفهوم انه في حالة عدم وجود المخالف يكون اجماعا صحيحا وحجة شرعية ، عند كافة المذاهب الاسلامية ، لتحقيق مفهوم الاجماع حينئذ ، اما في حالة وجود مخالف فقد اختلفت انظار ائمة المذاهب الاسلامية في ذلك ، فذهب جمهور العلماء وائمة المذاهب الى انه ليس اجماعا ولا حجة وذهب الامامية الى انه اجماع وحجة .

« ادلة الامامية »

استدل الامامية على حجية اجماع اهل البيت بالكتاب والسنة . اما دليلهم من الكتاب فقوله : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » (١٥٧) .

وجه الاستدلال من الآية :

قالوا : ان الله - تعالى - نفي الرجس عن اهل البيت وطهرهم ، واذا انتفى الرجس عنهم ،

(١٤٥) اصول الفقه الجزء الثالث من كتاب النخبة الاسلامية ص ٢٩٤ و ٢٠٦ .

(١٤٦) اصول الفقه ص ١٩٢ .

(١٤٧) الاجماع للمصدر ص ٦٣ .

(١٤٨) انظر تيسير التحرير لامير بادشاه ج ٢ ص ٢٤٢ .

(١٤٩) الاحكام للامدي ج ١ ص ١٢٧ .

(١٥٠) انظر شرح الكوكب المنير للفتوح ص ٢٢٢ .

(١٥١) ارشاد الفحول ص ٨٢ .

(١٥٢) انظر منتهى الاصول ص ٤١ .

(١٥٣) انظر تيسير التحرير ج ٢ ص ٢٤٢ .

(١٥٤) انظر الجلال ج ٤ ص ١٩٧ .

(١٥٥) انظر شرح الكوكب المنير للفتوح ص ٢٢٢ .

(١٥٦) اصول الفقه ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .

(١٥٧) الاحزاب/ ٢٢ .

انتفى الخطأ منهم فيكون اتفاقهم حجة ولا عبرة
برأي من خالفهم وقالوا ان المراد بأهل البيت فسي
الاية هم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين
رض - بدليل ان النبي - ص - لفهم بكسائه عند
نزول هذه الاية وقال « اللهم هؤلاء اهل بيتي
وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا » (٥١٨) وبدليل التعبير باداة الحصر « انما »
فانها كما يقول الطبرسي : « محققه لما ثبت بعدها
نافية لما لم يثبت » (١٥٩) .

ولم يقتصر الامامية على حجية قول واجماع
هؤلاء الاربعة - رض - بل اضافوا اليهم تسعة من
نسبهم وهم علي بن الحسين ، ومحمد بن علي ،
وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن
موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن
بن علي ، ومحمد بن الحسن « الغائب المنتظر » .

قال عبدالحسين شرف الدين « المراد بأهل
بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار ائمتهم ،
وليس المراد جميعهم على سبيل الاستفراق ، لان
هذه المنزلة ليست الا لحجج الله والقوامين بامر
خاصة بحكم العقل والنقل » (١٦٠) .

واما دليلهم من السنه فقوله - ص - : « اني
تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله
وعترتي » وفي رواية : « اني تارك فيكم الثقلين فان
تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي » وفي
رواية : « واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ،
اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل
بيتني » وفي رواية : « اني تركت فيكم ما ان تمسكتم
به لن تضلوا بعدي كتاب الله ، وعترتي اهل بيتي
ولن يفترقا حتى يرثي علي الحوض » وقد بين السيد
الصدر وجه الاستدلال من الحديث فقال : « في
الحديث امران كل منهما يكفي للدلالة على العصمة
من الخطأ .

١ - جزم - ص - بصورة قاطعة على ان
التمسك بالكتاب وباهل بيته - ص - يستدعي ان
لا يضل المسلم عن طريق الحق والصواب .

٢ - حكم - ص - حكما لا يقبل الشك بانهما
لن يفترقا ولو جاز الخطأ لافترقا ولا شك ان الذي
يكون مع القرآن لا يتصور في حقه الخطأ .

وهذا ما جعل الامامية تجمع على حجية اجماع

(١٥٨) اسباب نزول القرآن للواحي من ٢٧٤ وتفسير القرآن
للطبرسي مجلد ٤ ص ٣٥٧ .

(١٥٩) المصدر السابق .

(١٦٠) المراجعات ص ٤ وانظر مقائد الامامية للمظفر ص ٧٦ .

اهل البيت - ع - معتبرة خلاف غيرهم كالعهد فلا
يضر بالاجماع » (١٦١) .

مناقشة الجمهور لادلة الامامية :

قالوا ان الاجماع الذي قام الدليل على انه
معصوم من الخطأ هو اجماع الامة الاسلامية ممثلة
في جميع المجتهدين في كل عصر ، ومن ضمن
المجتهدين المعتبرين بل على رأسهم بطبيعة الحال
المجتهدون من اهل البيت اما ان يقول احدهم او
بعضهم قولا ويخالفه فيه مجتهدو العصر فلا يكون
قوله حجة لانا لا نجزم بان الحق معه اذ لا عصمة
لبعض الامة .

وردوا على استدلال الامامية من الكتاب بعدة
وجوه : -

منها : ان الرجس في الاية معناه القدر المعنوي
وهو كل ما يؤدي الى التهمة والريبة والاثم والعداب
جاء في القاموس ، الرجس : القدر والمائم وكل ما
استقذر من العمل والعمل المؤدي الى العذاب
والشك والعقاب والغضب (١٦٢) .

وقد ورد بهذا المعنى في عدة آيات قال تعالى :
« فاجتنبوا الرجس من الاوثان » (١٦٣) وقال « ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون » (١٦٤) وقال : « وكذلك
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » (١٦٥)
وقال : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان » (١٦٦) وقال : « انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت » اي يذهب
عنكم القدر المعنوي وهو التهمة والريبة « وعليه فان
ازهاب الرجس عنهم لا يكون فيه نفي للخطأ عنهم ،
والخطأ في الاجتهاد ليس رجسا بل يثاب عليه
صاحبه بدليل قول الرسول - ص - : « اذا حكم
الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران ، واذا حكم
فاجتهد ثم اخطأ فله اجر » .

فهذا يدل على ان نفي الرجس عن اهل البيت
لا يعني نفي الخطأ ، لان الخطأ ليس من
الرجس » (١٦٧) وقال الشيخ الخضري : « ان
الرجس المفهوم من النظام (يعني نظام الآيات
وسياقتها) ليس منه ما قالوا من الخطأ في الاجتهاد
وانما هو ما ينقص قدر النبوة من الريب

(١٦١) الاجماع ص ٧٧ - ٧٨ .

(١٦٢) القاموس المحيط مادة « رجس » .

(١٦٣) الحج/ ٣٠ .

(١٦٤) يونس/ ١٠٠ .

(١٦٥) الانعام/ ١٢٥ .

(١٦٦) المائدة/ ٩٠ .

(١٦٧) اصول الفقه للنبهاني ص ٢٠١ .

والمعاصي « (١٦٨) وقال الامام الشوكاني « لا يخفائك ان كون الخطأ رجس لا يدل عليه لغة ولا شرع فان معناه في اللغة القدر ويطلق في الشرع على العذاب كما في قوله سبحانه « انه وقع عليكم من ربكم رجس وغضب » وقوله « من رجز اليوم » والرجز : الرجس « (١٦٩) .

ومنها : ان الآية انما انزلت في نساء النبي - ص - لفرض دفع التهم والريبة وكل مستقذر معنوي بدليل ما قبلها وما بعدها . فالآية جزء من ثلاث آيات قال تعالى : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا » (١٧٠) ، واما قول الرسول (ص) « هؤلاء اهل بيتي » فانه لا ينافي كون نسائه من اهل البيت وهو يدل على ان الآية وان انزلت في نساء النبي فهي عامة ، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : « انما يريد . . الآية » وهذا نص في دخول ازواج النبي (ص) في اهل البيت هاهنا لانهم سبب نزول هذه الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول اومع غيره على الصحيح

وناقش قول عكرمة وغيره انها انما نزلت في نساء النبي خاصة بقوله : « فان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح وان اريد انهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد وردت احاديث تدل على ان المراد اعم من ذلك « (١٧١) تم ذكر عدة احاديث تدل على رايه من ان لفظ « اهل البيت » يشمل نساء النبي - ص - واصحاب الكساء ، وهو الراجح وعليه المعول عند جمهور المفسرين والعلماء المجتهدين في الدين - رحمهم الله جميعا - .

ومنها : ان الآية وان كانت قطعية الثبوت فانها ظنية الدلالة ، لاختلاف العلماء في تفسيرها ، وتحديد المراد من اهل البيت فيها : هل هم نساء النبي - ص - وحدهن ؟ ام هن مع اصحاب

(١٦٨) اصول الفقه للخضري ص ٢٠٨ وانظر الاحكام للامدي

ج ١ ص ١٢٦ .

(١٦٩) ارشاد الفحول ص ٨٢ .

(١٧٠) الاحزاب ٢٢/٢٣/٢٤ .

(١٧١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٨٢ .

الكساء ، ام اصحاب الكساء وحدهم ؟ فتكون ظنية الدلالة . والاستدلال على اصل من اصول الشريعة يكون بالادلة القطعية ولا يصح ان يكون ظنيا . ورد الجمهور على استدلال الامامية من السنة النبوية بعدة وجوه -

منها - ان غاية ما يدل عليه هذا الحديث وكل ما جاء في معناه هو بيان مزيد فضلهم في شرح وبيان دين الله ، والاجتهاد في احكامه وانهم اهل للاقتداء بهم ، وليس فيها دلالة قطعية على حجية قولهم فرادى او مجتمعين .

قال الشوكاني : « واستدلوا باحاديث كثيرة جدا تشتمل على مزيد شرفهم ، وعظيم فضلهم ولا دلالة فيها على حجية قولهم وقد ابعد من استدلال بها على ذلك » (١٧٢) .

ومنها : ليس المراد من حديث الثقلين العترة بل الكتاب والسنة بدليل الرواية الصحيحة التي اعتمدها جمهور العلماء وهي : تركت فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وسنتي « وعلى تقدير رواية « كتاب الله وعترتي » يكون المراد حجية ما رووه عنه - ص - لانهم اخبر بحاله وليس حجية قولهم (١٧٣) .

وايضا فان العترة ليس عليا وفاطمة وحسنا وحسينا حسب بل هم وجميع آل البيت ممن حرم عليهم اخذ الصدقة وهم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس بدليل قول النبي - ص - « لا تحل لآل محمد صدقة » والامامية لا تقول بحجة اقوال هؤلاء جميعا حتى يكون قول بعضهم او احدهم حجة .

خلاصة راي الامامية في الاجماع -

عرفنا ان الاجماع يطلق تارة ويراد به اتفاق كافة مجتهدي عصر على حكم شرعي بعد وفاة النبي - ص - وبيننا انه حجة عند الامامية كما هو حجة عند غيرهم بلا مخالف .

ويطلق (اخرى) ويراد به اتفاق جماعة من الفقهاء فقط ، وهذا : لا يكون حجة الا اذا كشف عن راي المعصوم لان الحجة حينئذ للمتكشف وليس للكاشف ، قال المحقق الحلي في هذا النوع من الاجماع : « فلو خلا المائة من فقهاءنا من قوله « يعني الامام » لما كان حجة ، ولو حصل في اثنين كان قولهما حجة » (١٧٤) .

(١٧٢) ارشاد الفحول ص ٨٢ .

(١٧٣) راجع الاحكام للامدي ج ١ ص ١٢٦ .

(١٧٤) المنبر ص ٦ .

ويطلق (ثالثة) ويراد به قول الامام بمفرده
ويسمى الاجماع التشرفي (١٧٥) وهذا لا خلاف في
حجته عند الامامية .

والحق ان اطلاق لفظة « الاجماع » على
اتفاق القلة ، وعلى قول الامام بمفرده اطلاق غير
سديد بل غير صحيح بالمرّة . لانه ينافي مفهوم
الاجماع في اللغة ، ويصادم ما اصطلح عليه
الاصوليون والفقهاء من تعريف الاجماع . ولست
اعرف سببا لاطلاق الامامية لفظة الاجماع على اتفاق
الفئة القليلة ، وقول الامام بمفرده ، في حين يمكنهم
القول بحجية هذا او ذاك مع عدم تسميته اجماعا ،
لانه لا يلزم من كون قول الامام حجة - مثلا -
تسميته بالاجماع ، فالكتاب والسنة والقياس او
الدليل العقلي كل منها حجة ، ولا يسمى اي منها
اجماعا وقد تنبه لذلك احد اعلامهم المعاصرين حيث
قال « فيكون تسمية اتفاق جماعة من علماء الامامية
بالاجماع ماسحة ظاهرة ، فان الاجماع حقيقة
عرفية في اتفاق جميع العلماء من المسلمين على حكم
شرعي ، ولا يلزم من كون مثل اتفاق الجماعة القليلة
حجة ان يصح تسميتها بالاجماع ، ولكن شاع هذا
التسامح في لسان الخاصة من علماء الامامية على
وجه اصبح لهم اصطلاح آخر فيه » (١٧٦) .

وعليه فليس للاجماع الا مفهوم واحد وهو
اتفاق كافة مجتهدي عصر على حكم شرعي بعد
 وفاة النبي - ص - ، فلا يكون من مباحثه اصلا
ولا من المسائل ذات الصلة به القول بحجية اتفاق
الفئة القليلة ، وقول الامام . وكذلك ليس من
مباحثه ما سمي باجماع اهل البيت او « العترة »
لان مرده الى حجة قول كل واحد من ائمة آل
البيت - سلام الله عليهم - وليست حجة قول
الامام متوقفة على موافقة راي غيره له - عند
الامامية - سواء اكان هذا الغير من باقي الائمة
الاثنى عشر ام من سائر مجتهدي العصر فقول
الامام ، وفعله ، وتقريره جزء من السنة ، بل انه
هي عند الامامية (١٧٧) بناء على نظرية خزن العلم
او ايداع الشريعة ، وليس هنا محل بحث ذلك ،
وانما الذي يعنينا هو بحث الاجماع ، وقد تبين لنا
ان ما سمي باجماع العترة او اتفاق القلة ليس من

مباحث الاجماع ، بل لا يمت اليه بصلة على الاطلاق ،
فليشطب من مباحثه .

٤ - اهل المدينة -

اذا اتفق اهل مدينة الرسول - ص - على
حكم حادثة وخالف فيه بعض المجتهدين من غير
اهلها فهل يكون اتفاقهم حجة ام لا ؟

نسب الى الامام مالك القول بحجته ، وقيده
بعض الاعلام في زمن الصحابة والتابعين وحمله
بعض المحدثين على تقديم روايتهم على رواية غيرهم
اذا عارضتها . وحمله آخرون على تقلهم العمل
المشهور كالآذان ، والاقامة والزارعة . . . ، ويبدو
من استقرار كلام مالك في الموطا ان هذا النوع هو
الذي يقول بحجته (١٧٨) قال ابن الحاجب : « اجماع
المدينة من الصحابة والتابعين حجة عند مالك ،
وقيل انه محمول على ان روايتهم متقدمة ، وقيل
على المنقولات المستمرة كالآذان والاقامة والصاع والد
والصحيح التعميم » (١٧٩) احتج الامام مالك بقول
الرسول - ص - « ان المدينة طيبة تنفي خبثها » .
ووجه الاستدلال ان الحديث قد دل على انتفاء
الخبث عن المدينة والخطأ خبث فيجب ان يكون
منفيا عن اهلها ، فانه لو كان في اهلها لكان فيها ،
واذا انتفى عنهم الخطأ كان اجماعهم حجة » .

واجيب عن ذلك بان الخطأ في الاجتهاد ليس
خبثا ولا يصح ان يكون خبثا والا لم يؤجر المجتهد
المخطيء ، ثم ان الخطأ معفو عنه قال الرسول - ص -
« رفع عن امتي الخطأ . . » والخبث منهي عنه قال
الرسول - ص - « مهر البغي خبث » ونحوه فيكون
احدهما غير الاخر وعليه لا يكون الحديث حجة على
ان اجماع اهل المدينة دليل شرعي (١٨٠) واحتج
ايضا بان المدينة دار الهجرة ومهبط الوحي ،
ومجتمع الصحابة ومستقر الاسلام واهلها شافهوا
التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وهم شهداء آخر العمل
من النبي - ص - وعرفوا ما نسخ وما لم ينسخ
فوجب ان لا يخرج الحق عنهم (١٨١) .

واجيب : بان غاية ما يدل عليه هذا الكلام هو
اشتمال المدينة على ما يوجب فضلها وهذا لا يوجب
حجة اجماع اهلها ، كما لا يدل على انتفاء الفضل

(١٧٥) انظر مصطلحات الاصول للمشكيني ص ٢٩ .

(١٧٦) الشيخ محمد رضا المظفر - اصول الفقه ج ٢ ص ١٠٦ .

(١٧٧) انظر مقائد الامامية ص ٦٦ ، واصول الفقه للمظفر ج ٢

ص ٥٥ ، والاصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد

نقي الحكيم ص ١٢١ . والمآل الجديدة في اصول

الفقه لمحمد باقر الصدر ص ٢٢ ، ومصابيح الاصول

لبحر العلوم ص ٤ ، ومناهج الاحكام للتراقي ص ١٥٨ .

(١٧٨) انظر اصول الفقه للخضري ص ٢٠٦ .

(١٧٩) منتهى الوصول ص ٤١ .

(١٨٠) اصول الفقه للنبهاني ص ٢٠٤ .

(١٨١) انظر الاحكام لابن حزم ج ٤ ص ٥٥٢ . والامدي ج ١

ص ١٢٥ .

عن غيرها فان مكة افضل منها لما تتمتع به من صفات ومزايا ، ومع ذلك فلا اعتبار باجماع اهلها . (١٨٢)

وبهذا يتبين لنا ان الحق ما ذهب اليه الجمهور والامامية (١٨٣) من ان اتفاق اهل المدينة ليس اجماعا ولا حجة ، لانهم بعض الامة قال ابن قدامة : « ان العصمة تثبت للامة بكليتها ، وليس اهل المدينة كل الامة ، وقد خرج من المدينة من هو اعلم من الباقيين بها كعلي وابن مسعود ، وابن عباس ، ومعاذ وابي عبيده ، وغيرهم من الصحابة فلا ينعقد الاجماع بدونهم » (١٨٤) وقال الفتوحى : « لا يكون اجماع اهل المدينة حجة مع مخالفة مجتهد عند جماهير العلماء لانهم بعض الامة لا كلها ، لان العصمة من الخطأ انما تنسب للامة كلها ، ولا مدخل للمكان في الاجماع ، اذ لا اثر لفضيلته في عصمة اهلها ، بدليل مكة المشرفة (١٨٥) وقال الشوكاني : « اجماع اهل المدينة على انفرادهم ليس حجة عند الجمهور لانهم بعض الامة » (١٨٦) .

هـ - اهل الحرمين :

وذهب الجمهور ايضا الى ان اجماع « اهل الحرمين » مكة والمدينة ليس حجة لانهم بعض الامة ولانه لا اثر للمكان في حجية الاجماع والقول بانهما كانتا مجمع الصحابة ومهبط الوحي واهلها اعرف باحوال النبي - ص - فيكون اجماعهم حجة ، يجاب عنه بان غاية ما يدل عليه هذا هو فضلها وليس في دلالة على ان اجماع اهلها حجة وايضا فان الصحابة

- (١٨٢) انظر روضة الناظر ص ٧٢ ، والمنصف ج ١ ص ١١٩ .
- (١٨٣) الاجماع للمدر ص ٦٣ .
- (١٨٤) روضة الناظر ص ٧٢ .
- (١٨٥) شرح الكوكب المنير ص ٢٢٢ .
- (١٨٦) ارشاد الفحول ص ٨٢ .

انتشروا في الارض وتفرقوا في الامصار اثر وفاة النبي - ص - دعاة وفاتحين ولم تعد مكة والمدينة مجتمع الصحابة والتابعين فلا اثر لاتفاق من بقي فيها اذا عارضهم غيرهم لان الحجية للاجماع بالاتفاق ولا اجماع مع وجود مخالف من مجتهد العصر .

٦ - اهل المصرين :

وذهب الجمهور ايضا الى ان اجماع « اهل المصرين » الكوفة والبصرة ليس بحجة لما سبق والواقع انني لم اجد سببا معقولا للقول بحجية اجماع هؤلاء في زمن الصحابة والتابعين ، ولا في اي زمن بعده سوى العصبة المذهبية ، كما يقول ابن حزم (١٨٧) وعليه فان القول بحجية اجماعهم في غاية التهاونت .

والحق ان القول بحجية اتفاق الخلفاء الاربعة ، او الشيخين ابي بكر وعمر او اهل البيت . او اهل المدينة ومكة ، او اهل الكوفة والبصرة ، مع وجود مخالف لهم من المعاصرين لهم ، خارج عن مباحث الاجماع لان القول بحجية امر ، لا يستلزم ان يسمى اجماعا ، ولان ذلك مخالف لمفهوم الاجماع في لغة العرب واصطلاح الاصوليين ، ولان الادلة الدالة على حجية الاجماع عامة ، لم تفرق بين مكان وآخر ، ولا بين هؤلاء وهؤلاء من اتباع هذا الدين ، بل تدل على عصمة الامة في حالة اجماع كافة علمائها في عصر ولان الادلة التي احتج بها القائلون بحجية تلك الاجماع لا تدل على اكثر من فضيلة هؤلاء الاشخاص واهل تلك الاماكن وليس فيها دلالة على سلب الفضل عن غيرهم ولا على ان اقوالهم حجة على غيرهم فضلا عن ان تسمى اجماعا .

(١٨٧) انظر الاحكام لابن حزم ج ٤ ص ٥٦٦ .

مصادر البحث

- ١ - الاجماع في التشريع الاسلامي - محمد صادق الصدر - ط ١ بيروت .
- ٢ - الاحكام في اصول الاحكام - سيف الدين الامدي - مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة .
- ٣ - الاحكام في اصول الاحكام - علي بن حزم - مطبعة العاصمة - القاهرة .
- ٤ - ارشاد الفحول - الشوكاني - ط ١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ .
- ٥ - اسباب نزول القرآن - علي بن احمد الواحدي - ط ١ دار الكتاب الجديد القاهرة ١٩٦٩ .
- ٦ - الاسلام وقضايا الساعة - الشيخ موسى عز الدين - ط ١ دار الاندلس بيروت ١٩٦٦ .
- ٧ - اصول الكافي مع شرحه الشافي - الكليني - والشرح لعبد الحسين المظفر - ط ١ - مطبعة النعمان النجف .
- ٨ - اصول الفقه - الشيخ محمد الخضري - ط ٥ - مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٩ - اصول العامة للفقه المقارن - السيد محمد تقي الحكيم - ط ١ - بيروت ١٩٦٣ .
- ١٠ - اصول الاستنباط - الشيخ علي تقي الحيدري - ط ٢ - مطبعة الرابطة - بغداد .
- ١١ - اصول الفقه - تقي الدين النبهاني - ط ١ .
- ١٢ - اصول الفقه - الشيخ محمد ابو زهرة - مطبعة مخيمر ، القاهرة ١٣٧٧ هـ .
- ١٣ - بحث الاجماع - الشيخ فايد - من محاضراته في كلية الشريعة - جامعة الازهر - ١٩٦٨ .
- ١٤ - تاريخ التشريع - الشيخ محمد الخضري - ط ٧ - مطبعة الاستقامة - القاهرة - ١٩٦٧ .
- ١٥ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير الدمشقي - دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٩ .
- ١٦ - تيسر التحرير - امر بادشاه - مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ١٧ - دليل العقل عند الشيعة - الدكتور رشدي عليان - ط ١ - مطبعة دار السلام - بغداد ١٩٧٣ .
- ١٨ - الرسالة في اصول الفقه - الامام الشافعي - ط ١ مطبعة مصطفى الحلبي - ١٩٤٠ .
- ١٩ - الرسائل (فرائد الاصول) - مرتضى الانصاري - ط ١ مطبعة حجرية - ايران ١٣٢٤ هـ .
- ٢٠ - روضة الناظر وجنة المناظر - ابن قدامة المقدسي - المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٨٥ .
- ٢١ - شرح الكوكب المنير - الفتوحى - ط ١ ١٩٥٣ القاهرة .
- ٢٢ - شرح الجلال على متن جمع الجوامع ، وحاشية العلامة البنانى - دار احياء الكتب العربية .
- ٢٣ - شرح المنار - ابن ملك - طبع في تركيا ١٣١٤ هـ .
- ٢٤ - علم اصول الفقه - محمد معروف الدواليبي - مطبعة الجامعة السورية ١٩٤٩ .
- ٢٥ - عقائد الامامية - محمد رضا المظفر - مطبعة النعمان - النجف .
- ٢٦ - العقيدة والشريعة في الاسلام - جولد زيور - مطبعة دار الكتاب المصري ١٩٤٦ .
- ٢٧ - عقيدتنا في الامام الصادق وسائر الائمة - السيد حسين العاملى - مطابع دار الاندلس بيروت .
- ٢٨ - عدة الاصول - ابو جعفر الطوسي - ط ١ مطبعة حجرية - الهند ١٣١٢ هـ .
- ٢٩ - كتاب الفيه - ابو جعفر الطوسي - ط ١ - مطبعة النعمان - النجف ١٣٨٥ هـ .
- ٣٠ - القاموس المحيط - مجد الدين الفيروز آبادي - ط ٢ - مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٣ .
- ٣١ - كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - جمال الدين الحلبي - المطبعة العلمية بقم - ايران .
- ٣٢ - قوانين الاصول - ميرزا ابو القاسم القمي - ط ١ مطبعة حجرية - ايران - ١٣٧٥ هـ .
- ٣٣ - الفصول في الاصول - محمد حسن بن رحيم - ط ١ مطبعة حجرية ، ايران ١٣٦٦ هـ .
- ٣٤ - فوائد الاصول - محمد علي الكاظمي - ط ١ مطبعة حجرية - ايران .
- ٣٥ - مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي - دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٧٩ هـ .
- ٣٦ - المراجعات - عبدالحسين شرف الدين - مطبعة الاداب - النجف .
- ٣٧ - مصابيح الاصول - الشيخ علاء بحر العلوم - مطبعة طهران ١٣٨٠ هـ .
- ٣٨ - مصطلحات الاصول - علي المشكيني الاردبيلي - المطبعة العلمية بقم - ايران ١٣٨٢ هـ .
- ٣٩ - مختصر الفصول (خلاصة الفصول) في علم الاصول - السيد صدر الدين الصدر - ط ١ مطبعة حجرية - ايران .
- ٤٠ - معراج الاصول - ابو القاسم نجم الدين الحلبي - ط ١ مطبعة حجرية ١٣١٠ هـ .
- ٤١ - الاعتبار ابو القاسم نجم الدين الحلبي - ط ١ مطبعة حجرية - ايران ١٣١٨ هـ .
- ٤٢ - المستصفى - ابو حامد الفزالي - ط ١ - مصطفى محمد القاهرة ١٩٣٧ م .
- ٤٣ - مناهج الاحكام والاصول - الشيخ احمد بن ابي لؤى الترافى - ط ١ مطبعة حجرية - ايران ١٣٢٤ هـ .
- ٤٤ - منتهى الاصول - الشيخ حسن البجنوردي - مطبعة النجف ١٣٧٩ هـ .
- ٤٥ - منتهى الوصول - ابن الحاجب - ط ١ - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- ٤٦ - معالم الاصول - جمال الدين الشيخ حسن - ط ١ مطبعة حجرية - ايران ١٣٧٨ هـ .
- ٤٧ - المعالم الجديدة للاصول - محمد باقر الصدر - ط ١ مطبعة اولى - مطبعة النعمان - النجف .
- ٤٨ - ملخص ابطال القياس والرأي - علي بن حزم - مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ .
- ٤٩ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن - محمد فؤاد عبدالباقى - مطابع دار الشعب .
- ٥٠ - الامام المهدي - علي دخيل ط ١ - مطبعة الاداب - النجف ١٩٦٦ .
- ٥١ - نيل الاوطار - الشوكاني - مطبعة مصطفى الحلبي .

البيروني في حياته وفكره

بقلم

صالح مهدي الفزاوي

اعدادية بعقوبة - محافظة بعقوبة

خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم وما اظنه يراد به الا انه من اهل الرستاق (السواد والقرى) يعني انه من برا البلاد (٣). ولعل من المفيد تحقيق ضبط الباء في كلمة بيرون ، والذي اراد انها بالباء الموحدة المفتوحة لبيان :

الاول ان ياقوت الحموي ضبطها بالفتح مشيراً الى معناها الفارسي وذكر انه سمي بهذا الاسم لان مقامه بخوارزم كان قليلاً ، ويؤيد هذا القول اكثر المؤرخين في انه لم يقيم ببلدته كثيراً وانه كان كثير الرحلات ، واليب الثاني ان لفظة بيرون جاءت في المعجم الفارسي الانجليزي مقابلة لكلمة (out) وبهذا يصح قول ياقوت (٤) . ومما يدعم رأينا هذا ان « نالينو » فطن الى غلط « ابن ابي اصيبعة » لانه « لم يميز بين بيرون خارج مدينة خوارزم والنيرون مدينة مشهورة على شط نهر مهران او نهر السند المسماة نيرون كوت او حيدر آباد السند » (٥) وما ورد في عيون الانباء يعزز الراي القائل بفتح الباء ، لانه جعلها مقابلة في الوزن لكلمة بيرون المفتوحة الباء (٦) . ولد ابو الريحان في خوارزم فيما وراء النهر ، وتعود المصادر التاريخية لتختلف من جديد في تحديد سنة ولادته ، فقد جاء في قسم منها انها كانت سنة « ٣٦٢ هـ » (٧) وذكر القسم الاخر انها كانت سنة « ٣٦٣ هـ » (٨) على ان السيد محمد مسعود في تطبيقه على مقال البيروني في دائرة المعارف الاسلامية جعل ولادته سنة « ٣٥١ هـ » (٩) وقد نشر « سخاو » في الاثار الباقية ما نصه « ان مولد هذا الشخص العجيب النادر والبحر العميق الزاخر

البيروني عقلية مفتوحة ، وذهن نفاذ ، ونفسية متطلعة ابدا الى تشوف الحقيقة والسمي لتحقيق اسمى درجات المعرفة الانسانية ، ومن هنا كانت روحه العلمية الصادقة وتتبع المتواصل . نذر نفسه للجهاد من اجل العلم ، لم تجره دواعي الدنيا اليها ، ولم تأخذ بيده مهاوي الطمع وحب الجساش والسلطان ، فكان بحق العالم الذي كرس حياته للعلم ، وزاده الايمان به ، تعلقا للاخذ منه بكل سبب .

لقد تحدث المؤرخون عن البيروني ، لكن تلك الاحاديث لم تكن كافية لتعطيه حقه من التعظيم والاحلال ، وبقيت اكثر مؤلفاته تنتظر السواعد الخيرة لتنفض عنها غبار الزمن وتتابع الحقب لتسهم مساهمة فعالة في دفع عجلة التقدم العلمي في الوطن العربي . ولعل من المؤسف ان يرى الباحث في مصادر دراسة البيروني علماء الغرب يعرفون عنه اكثر مما نعرف ، ويشيدون به اكثر مما اشدنا ، فمسي ان يكون هذا البحث الموجز حافظا للمثقفين وسدنة العلم والثقافة لدراسة هذا العالم دراسة جادة .

والبيروني هو ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي ، هذا ما اتفق عليه المؤرخون ، الا ان الشيخ صلاح الدين الصفدي انفرد عن غيره من المؤرخين فجعله احمد بن محمد ولدا ترجم له في باب الهمزة (١) و « بيرون » التي ينسب اليها ابو الريحان تسمية لخارج خوارزم مدينة البيروني ، وتطلق على كل من يكون من خارج البلد ولا يكون من نفسها يقال عنه فلان بيروني .

وقد اختلف المؤرخون في ضبط حرف الباء من هذه الكلمة ، فاوردوا قسم منهم بالباء المكسورة والراء المفتوح (٢) واوردوا قسم آخر بالباء المفتوحة والراء المضموم ، وقد ضبطها ياقوت الحموي بالفتح « لان بيرون بالفارسية معناها برا ، وسالت احد الفضلاء عن ذلك فزعم ان مقامه بخوارزم كان قليلاً واهل

(١) تقع ترجمته في الجزء المخطوط ولم استطع الحصول عليه واظن ذلك في الجزء ٦ .

(٢) فيليب حتي ، محسن الامين وغيرهما من المؤرخين .

- (٣) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٠ .
- (٤) انظر المعجم الفارسي الانجليزي - ابراهيم يونس ص ٥٢٢
- (٥) علم الفلك ص ٦٩ .
- (٦) عيون الانباء ج ٣ ص ٢٠ .
- (٧) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤١٧ / تراث العرب العلم ص ١٥٩ / دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ٢٩٧ / جهود المسلمين في الجغرافيا ص ٦٥ .
- (٨) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٩ .
- (٩) ج ٤ ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

والبدر المنير الباهر الامام الشيخ الاستاذ الرئيس الحكيم برهان الحق ابي الريحان محمد بن احمد البيروني انار الله برهانه واسكنه جنانه ورضي عنه وارضاه وجعل اعلى العالين مشواه كان بمدينة خوارزم صبيحة يوم الخميس ثالث ذي الحجة سنة ٢٦٢ للهجرة (١٠) .

كما اختلفت مرة اخرى في تحديد سنة وفاته ، فقد كانت في سنة « ٤٤٠ هـ » (١١) وكانت في سنة « ٤٤٢ هـ » (١٢) وجعلها ابن ابي اصيبه في « ٤٢٠ هـ » (١٣) بينما جعل السيد عباس الغزالي نفسه في حل من صعوبة تحقيق المسألة فجعل وفاته بين « ٤٢٠ - ٤٤٠ هـ » (١٤) وقد ذكر ياقوت « ان السلطان محمودا بن سبكتكين مات في سنة ٤٢٢ هـ وابو الريحان حي بغزنة » ثم عاد مرة اخرى ليقول « ثم اقام بغزنة حتى مات بها ارى في حدود سنة ٤٠٢ هـ عن سن عالية » (١٥) فانت ترى ان التناقض في كلام ياقوت واضح .

وقد نشر « سخاو » في الاثار الباقية رسالة وجدت مكتوبة بخط تلميذه الامام الفاضل ابي الفضل السرخسي صاحب كتاب جوامع التعاليم وكان من اقرب ملازميه واخص خادميته على حاشية بعض كتب الامام الرئيس ابن سينا « توفي الشيخ العالم رحمه الله بعد الغمة في ليلة الجمعة في الثاني من رجب سنة ٤٤٠ هـ » ومكتوب ايضا في موضع آخر بخط غيره « كان عمر الحكيم ابي الريحان البيروني برد الله مضجعه سبعا وسبعين وسبعة اشهر قمرية » (١٦) اذا حاول الباحث الاعتماد على ما جاء في هذه الرسالة التي تحدد زمن وفاته وعمره ، والرسالة السابقة التي تحدد زمن ولادته ، وكلام ياقوت في انه مات عن سن عالية ، يترجح ان وفاته كانت حوالي ٤٤٠ هـ ، وعندني ان هذا التاريخ هو الاصح اذا صدقنا ان السلطان محمودا مات سنة ٤٢٢ هـ وابو الريحان حي ، ثم ان اكثر المصادر التاريخية تتفق على هذه السنة ، ولا عبرة لما أورده ياقوت بعد ذلك من ان وفاته كانت سنة ٤٠٢ هـ . ثم يصرف الكثير عن حياة الطفولة التي قضاها في بلدته خوارزم ، وتتحدث عنه المصادر التاريخية وهو قد تجاوز هذه المرحلة ، ولقد « تلقى العلم على ابي نصر منصور بن عراق ، واتصل بعد ذلك بمنصور بن نوح الساماني ثم مكث في جرجان مدة طويلة » (١٧) في خوارزم قضى اكثر حياته تحت كنف امرائها من بيت مامون بن مامون ، ثم زار حوالي سنة ٣٩٠ هـ شمس المعالي قابوس بن وشمكير (١٨) ويرى « بارتولد » انه ظل في وطنه حتى بلغ الاربعين من عمره مستشارا (١٩) ، على ان رحيله عن بلده كان على اثر حادث عظيم « فغادرها الى محل في شمالها يدعى « كوركنج » وبعد مدة ترك هذه البلدة وذهب الى مقاطعة « جرجان » حيث التحق بشمس المعالي ثم عاد الى « كوركنج »

ويمكن بدهائه من ان يصبح ذا مقام عظيم لدى بني مامون ملوك خوارزم » (٢٠) .

وكانت رحلته الى الهند فاتحة عهد جديد في حياته العلمية ، وقد ذهب اليها في حداته وكانت قد دخلت الاسلام وقتذاك بفضل الحملات المغيرة التي قامت بها جيوش محمود الغزنوي ، ودرس هناك العلوم اليونانية واخذ يستقي من الثقافة الهندية ، ولما عاد من الهند استقر في البلاط الغزنوي .

وتصل حياة البيروني اتصالا وثيقا بحياة الغزنويين وخاصة السلطان محمود وابنه مسعود ، ويروى ان السبب في مصره الى غزنة ان السلطان محمودا لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى استاذه عبدالصمد الاول بن عبدالصمد الحكيم واتهمه بالقرمطة والكفر فاذا له الحمام ، وهم ان يلحق به ابا الريحان ، فساعدته فسحة الاجل بسبب خلصه من القتل ، وقيل له انه امام وقته في علم النجوم وان الملوك لا يستفنون عن مثله فاخذه معه ودخل بلاد الهند واقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم ثم اقام بغزنة حتى مات بها (٢١) . وما يذكر ان السلطان محمودا كان عاقلا خيرا دينيا عنده علم ومعرفة له كثير من الكتب في الفنون ، وقصده العلماء من اقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم (٢٢) .

تباغ بعض المصادر التاريخية في تحديد الفترة التي قضاها البيروني في الهند ، فهي تذكر انه قضى « اربعين سنة فيها » (٢٣) الا ان السيد « حسن البرني » قد فطن الى تلك المبالغة فناقش ما ورد في المصادر التاريخية مناقشة الواثق من صحة معلوماته فهو يرى « ان التفاصيل التاريخية لسياحة البيروني في الهند ليست محل لفة ، فقد تأثر بعض مترجميه المسلمين بدراسته الواسعة لعلوم الهند فبالغوا في تقدير مدة مكوثه في تلك البلاد ، ولكني اظن انه انفق في الهند ما بين سبع او عشر سنوات قبل ان ينام كتاب الهند وذلك قبل وفاة السلطان محمود ، وتشعر بعض كتاباته انه كان في غزنة في سني [٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٦ ، ٤١٨] والسنوات التالية ، فلذا لا ارى انه مكث بالهند سنوات متتابة بل كان يتردد اليها من حين لآخر اثناء اقامته بغزنة ويستعين في اعماله بعلمائها البراهمة » (٢٤) .

ونحن اذا صدقنا رأي السيد البرني - ولا يسعنا الا تصديقه - نستدل على عقلية البيروني المتفتحة وسرعة تلقفه للعلوم اذ استطاع في هذه الفترة القليلة التي قضاها في الهند ان يلم بتلك المعارف القيمة . ويبدو ان تحليل السيد البرني لاعتقاد العلماء المسلمين بمكوث البيروني مدة طويلة في الهند اعتمادا على ما لاحظوه عنده من معرفة واسعة ، صائب ، اذ ليس من المعقول ان يمكث هذه الفترة الطويلة ونحن نعلم انه كان مغرما بالرحلات وطلب العلم .

اما ثقافته فتبدو للباحث وهي في قمة نضوجها واستكمالها، وتبدو طريقته العلمية وقد انتقلت مسارها الصحيح وخطها

(١٠) الاثار الباقية - القسم الالمانى ص ١٦ .

(١١) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٩ / مختصر تاريخ الطب ص ٢٦٦ .

(١٢) تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٤٥ / جهود المسلمين في الجغرافيا ص ٦٧ .

(١٣) عيون الانباء ج ٢ ص ٢٠ .

(١٤) تاريخ علم الفلك في العراق ص ١٢١ .

(١٥) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٠ ، ١٨٥ / بغية الوعاة ص ٢١ .

(١٦) الاثار الباقية - القسم الالمانى .

(١٧) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤١٧ .

(١٨) تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٤٠٢ .

(١٩) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٩ .

(٢٠) تراث العرب العلمي ص ١٥٩ .

(٢١) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٥ / دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ٣٩٨ .

(٢٢) تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٨٧ - ٩٦ .

(٢٣) روفاات الجنات ص ٦٨٨ / تاريخ آداب اللغة العربية : زبدان ج ٢ ص ٣٩٦ .

(٢٤) مجلة ثقافة الهند / سبتمبر ١٩٥٢ / جهود المسلمين في الجغرافيا ص ٦٦ .

امتاز باطلاعه الواسع ومعرفته الغزيرة وروح النقد العلمي الدقيق والعمق في التفكير» (٢١) .

كان البيروني انسانيا في رسالته ، وانت معجب اذ ترى مثل تلك العقلية تتمثل الرسالة السامية التي أصبحت من مفاخر العصر الحديث فقد كان يرى « في وحدة الانجاء العلمي في العالمين الاسلامي والغربي اتحاد الشرق والغرب ، وكأنه كان يدعو الى ادراك وحدة الاصول الانسانية والعلمية بين الشعوب في عالم واحد » (٢٢) .

ولم يكن البيروني شخصية علمية فريدة فحسب ، بل جمع الى جانب علمه اخلاقا حسنة وشخصية محبة الى نفوس الناس وأولي الامر ، فقد نقل عن الشيخ الصفدي قوله « كان البيروني حسن المعاشرة لطيف المحاضرة » (٢٣) وقال باقوت « كان حسن المحاضرة طيب العشرة ، خليقا في الفاظه عفيفا في افعاله لم يات الزمان بمثله علما وفهما » (٢٤) اما شخصيته فيروى عن قطب الدين اللاهيجي في كتابه محبوب القلوب « كان أسمر اللون قصر القامة كث اللحية كبير البطن عافلا كياسا في حركاته وسكناته » (٢٥) ومما يدل على علو منزلته لدى أولى الامر ما رواه باقوت « واما نباهة قدره وجلالة خطره عند الملوك ، فقد بلغني من حظوته لديهم ان شمس المعالي قابوس بن وشمكير اراد ان يستخلصه لصحبته ويحبسه في داره على ان تكون له الامرة المطاعة في جميع ما يحويه ملكه ويشتمل عليه ملكه فأبى عليه ولم يطاوعه ولما سمحت له قروته بمثل ذلك أسكنه في داره وانزله معه في قصره » (٢٦) .

واشتهر البيروني في الفلك والرياضيات اكثر من اشتهاره في المجالات الاخرى ، ويرتبط على الفلك ارتباطا وثيقا بعلم النجوم وقد ضرب بسهم وافر فيه . وليس أدل على ذلك من مخاطراته في بلاط غزنة فقد بعث السلطان محمود في طلب البيروني وهو في حديقة قصره الصيفي ، وقد غرس فيها ألف شجرة ليمتحنه في على النجوم ، فسأله من أي الابواب الاربعة سأخرج ؟ فاجاب البيروني اجمع رأبك واكتبه على قطعة من الورق وضعها تحت وسادتي ، ثم طلب أبو الريحان اسطرلابا واختبر النجوم ثم دون قراره في قطعة من الورق وضعها تحت الوسادة ، ثم قال السلطان محمود هل احدثت الى قرار ؟ فقال البيروني نعم ، وأمر السلطان ان ينقب أحد الحيطان ويتخذ منه بابا خامسا يخرج منه ، ثم أمر باحضار الورقة ولما أحضرت قرأ ما فيها وهو أنه لن يخرج من أحد هذه الابواب الاربعة الا انه ستفتح فتحة في الحائط الشرقي وسيخرج من هذا الباب ، ولما قرأ السلطان هذه الورقة أخذ القنسب منه كل ما أخذ وأمر بأن يلتقى أبو الريحان من فوق سطح القصر ، لكنه لم يصب بأذى لانه سقط على شبكة أقيمت لطرد الذباب فتمزقت واستطاع ان يصل الى الارض ولم يلحق به أي ضرر ، ولما أمر السلطان بادخاله قال يا أبا الريحان هل تثبت عن هذا الحادث أيضا ؟ فأبرز من جيبه كراسة كتب فيها سيلتى بي في هذا اليوم من قصر السلطان لكنني ساصل الى الارض سالما وانفض معافى الجسم ، اعتقله السلطان في غزنة

القبوم ، فاذا ما حاول الباحث ان يتلمس جلورها الاولى فليس بمقدوره ان يظفر بشيء ذي بال . أين تلقى البيروني علمه الاول ؟ من أساتذته وشيوخه ؟ ما نوع الدروس التي كانت تلقى عليه ؟ تلك اسئلة تظل بحاجة الى جواب مقنع ، ان الذي امامنا اشارة ياقوت الى استاذة عبدالصمد الاول ، واشارة اخرى الى استاذة ابي نصر منصور بن عراق ، وتنبه آخر من « بارتولد » انه كان على علم تام بمصادر بغداد والبصرة العلمية ، ويرى « سيدو » ان ابا الريحان اكتسب معلوماته المدرسية البغدادية ، ثم نزل بين الهنود حين أحضره الفزنوي فاخذ يستفيد من الروايات الهندية المحفوظة لديهم قديمة او حديثة (٢٧) ولعل ما يشير الى ثقافته وسعة اطلاعه مراسلاته ومباحثاته مع ابن سينا(*) وكان ايضا ذا مواهب جذبرة بالاعتبار فقد كان يحسن السريانية والسكربتية والفارسية والعبرية عدا العربية وكان ايضا أثناء اقامته بالهند يعلم الفلسفة اليونانية ويتعلم هو بدوره الهندية (٢٨) وكان مشهورا بروح التتبع العلمي ومواصلة الدرس والتحصيل ، ويروي باقوت انه كان « مع الفسحة في التعمير وجلالة الحالة في عامة الامور مكبا على تحصيل العلوم منصبا الى تصنيف الكتب يفتح ابوابها ويحيط بشواكلها وأقرباها ، ولا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر الا في يومي النيروز والمهرجان من السنة ... » (٢٩) .

وليس أدل على حبه للعلم وتعلقه به مما روي عن القاضي كثر بن يعقوب البغدادي النحوي في السطور عن الفقيه ابي الحسن علي بن عيسى اللواحي قال : دخلت على ابي الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج به نفسه وضاق به صدره فقال لي في تلك الحال كيف قلت لي يوما حساب الجدات الفاسدة ؟ فقلت له اشفاقا عليه في هذه الحالة ؟ قال لي يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ، الا يكون خيرا من ان اخليها وأنا جاهل بها ؟ فاعدت ذلك عليه وحفظه وعلمني ما وعد ، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ (٣٠) .

وكان للبيروني منهج علمي يقرده عن غيره من العلماء وبؤهله ليحتل مكانة مرموقة بين كبار العلماء والمفكرين فقد كان يمتاز على معاصريه « بروحه العلمي وتسامحه واخلاصه للحقيقة ، كما كان يمتاز بدقة البحث والملاحظة بنقد فيصيب ، يعتمد على المشاهدة ولا يأخذ الا ما يوافق العقل ، يكتب رسالاته وكتبه مختصرة منقحة وبأسلوب مقنع وبراهين مادية » (٣١) .

لئن كان الجاحظ قد وضع البادرة الاولى في مفهوم البحث العلمي والناقشة العلمية والحياد التام في نقل الخبر ، فان هذه البادرة قبض لها ان تستكمل خيرها وتشتد جنودها لتبرز في أوج عظمتها لدى البيروني .

واتسم منهجه ايضا « بالروح العلمية والنزاهة والحياد التام ، وهو حتى عندما يتحدث عن المعتقدات الدينية يحافظ ما أمكن على العبارات التي يستعملها محتقو كل دين ، واذا فارد دينا بدین آخر فانما يقارنهما مقارنة علمية محضة » (٣٢) .

(٢١) الرحالة المسلمون ص ٥٤ .
(٢٢) العلوم عند العرب ص ١٦٨ .
(٢٣) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥٢ .
(٢٤) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٦ .
(٢٥) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥٢ .
(٢٦) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٢ .

(٢٥) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١١٠ .
(*) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥١ .
(٢٦) تراث العرب العلمي ، ص ١٦٠ .
(٢٧) معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ١٨١ .
(٢٨) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٢ .
(٢٩) العلوم عند العرب ص ١٦٦ .
(٣٠) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١١١ .

حيث بقي فيها ستة أشهر لم يجرؤ أحد على أن يكلم السلطان في أمره ، ثم أطلق بفضل تدخل الوزير أحمد بن حسن اليمندي ، ثم أمر السلطان باحضاره في الغد واعطاه جوادا محلى بالذهب وخلعة سلطانية وعمامة من الطيلسان ووهبه ألف دينار وعيدا وأمة (٢٧) .

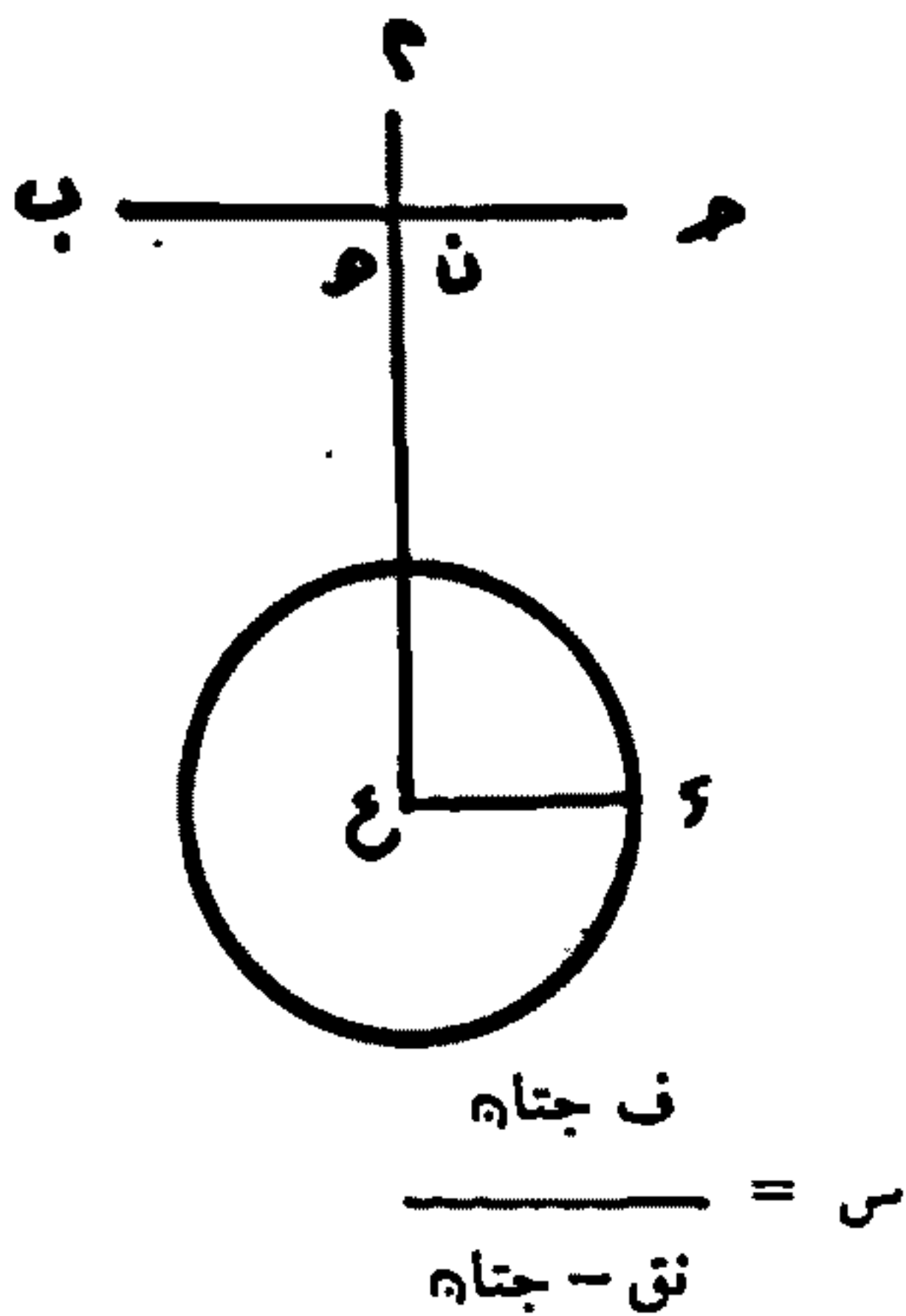
قد تكون هذه القصة ملفقة وقد يكون لها نصيب من الصحة ، فان كانت صحيحة فلا نعرف تفسير ما ورد فيها على ضوء العلم الحديث ولكنها تدل على عبقرية الرجل وعلو كعبه في هذه الصناعة . ومما يدل أيضا على نبوغه في هذا المجال ما رواه باقوت عما جرى في بلاط السلطان محمود « فيحكى انه ورد عليه رسول من أقصى بلاد الترك ، وحدث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الشمالي من دور الشمس عليه ظاهرة في كل دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليل ، فتسارع على عادته بالتشدد في الدين الى نسبة الرجل الى الاتحاد والقرمطة على براءة أولئك القوم عن هذه الآفات ، حتى قال أبو نصر بن مشكان ان هذا لا يذكر ذلك عن رأي يرثيه ولكن عن مشاهدة يحكيه وتلا قوله عز وجل [وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا] فسأل أبا الريحان عنه فاخذ يصف له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الاقتناع وكان السلطان في بعض الاوقات يحسن الاصغاء ويبذل الانصاف فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبين السلطان وقتئذ واما ابنه السلطان مسعود فقد كان فيه اقبال على علم النجوم ... فصنف له كتابا في اعتبار مقدار الليل والنهار » (٢٨) . وقد ناقش البيروني مسألة دوران الأرض ، وهي مسألة قديمة تتابع على مناقشتها العلماء منذ قديم الزمان « ومن القليلين الذين قالوا بحركة الأرض حول محورها من القدماء بعض الفلاسفة اليونانيين أصحاب مذهب فيثاغورس والفلكي « أرسطرخس الموجود سنة ٢٧٠ قبل المسيح ، ثم عند الهند « أريبت » الموجود في أواخر القرن الخامس للمسيح ، أما العرب فلا أدري فيهم أحدا ظن الكرة السماوية ساكنة والأرض دائرة على محورها اللهم الا أبا سعيد السجزي [ويروى السنجاري] الرياضي المشهور الكائن في النصف الثاني من القرن الرابع ، فحسب القسم الآخر غير المطبوع من كتاب جامع المبادئ والذابات لأبي علي الحسن المراكشي من علماء القرن السابع ورد عنه عند وصف الاسطرلاب المعروف بالزورفي هذا النص [قال أبو الريحان البيروني ان مستنبط هذا الاسطرلاب هو أبو سعيد السجزي وهو مبني على ان الأرض متحركة والفلك بما فيه الا السبعة السيارة ثابت ، قال البيروني وهذه شبهة صعبة الحل] وعجيب منه كيف يستصعب شيئا هو في غاية ظهور الفساد وهذا أمر قد بين فسادة أبو علي بن سينا في كتاب الشفاء ، والرازي في كتاب ملخص وفي كثير من كتيبه وغيره » (٢٩)

وقد اعترف البيروني في كتاب مفتاح علم الهيئة وتحقيق ما للهند من مقولة انه « يمكن ايضاح تلك الظواهر (حركة الاجرام السماوية) اذا فرضنا ان الأرض متحركة حركة الرمح على محورها ، وبكلام آخر انه يمكن ايضاح وتعليل حركة الاجرام السماوية اذا فرضنا ان الأرض تدور على محورها دورة كاملة من الغرب الى الشرق نحو كل اربع وعشرين ساعة اي عكس الجهة التي يظهر ان تدور اليها النجوم من الشرق الى

الغرب كما يظهر لمن الناظر » (٣٠) ناقش البيروني هذه المسألة كما رأينا ولم يستطع أن يحقق نتيجة ملموسة ولم يكن بمقدوره ان ينشئ نظرية خاصة به ، ولكنه ناقش المسألة وأظهر عدم اقتناعه بحركة الأرض حتى ولو قال بذلك كبار العلماء كابن سينا والرازي . وليس أدل على مقدرة البيروني في علم الفلك وضبطه لهذه المهنة انه صنع لنفسه اسطرلابا ، كما انه « صنع جهازا خاصا لجامع غزنة يبين اوقات الصلاة بالانقار ولكن امام الجامع لم يقبله لانه كان مؤسسا على النظام الشمسي والشهور الرومية ، فما كان من البيروني الا ان كسر الآلة فأتى ان الروم رجال مثلنا يمشون ويأكلون فهل نترك المشي والاكل لان الروم يمشون ويأكلون » (٣١) .

ومن الاعمال الجيدة في تاديب العلم ان البيروني وضع نظريته الشهيرة في كيفية حساب نصف قطر الأرض ومحيطها فقد ورد في آخر كتاب الاسطرلاب « وفي معرفة ذلك الطريق قائم في الوهم صحيح بالبرهان والوصول الى عمله صعب ، لصغر الاسطرلاب وقلة مقدار الشيء الذي يبني عليه فيه ، وهو ان تصعد جبلا مشرفا على بحر او تربة ملساء ترصد غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط ، ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل وتضرب في الجيب المستوي لتمام الانحطاط الموجود وتقسم المجتمع على الجيب التكويس لذلك الانحطاط نفسه ثم تضرب من القسمة في اثنين وعشرين أبدا وتقسم المبلغ على سبعة فيخرج مقدار احاطة الأرض بالمقدار الذي قدرت به عمود الجبل . ولم يتبق لنا بهذا الانحطاط وكميته في المواضع العالية تجربة ، وجرانا على هذا الطريق ما حكاه أبو العباس التبريزي عن ارسطوطاليس ان اطوال اعمدة الجبال خمسة اميال ونصف ميل بالتقريب ، والى التجربة يلجا في مثل هذه الاشياء وعلى الامتحان فيها يعول وما التوفيق الا من الله العزيز الحكيم » (٣٢)

وقد استعمل البيروني هذه المعادلة في حساب نصف قطر الأرض



نفرض ان قمة الجبل أج الخط الواصل من أ

- (٣٠) مآثر العرب في الرياضيات والفلك ص ٢٠ .
(٣١) جهود المسلمين في الجغرافيا ص ١٦٠ هامش « .
(٣٢) العلوم عند العرب ص ٧١ .

- (٢٧) تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
(٢٨) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٢ .
(٢٩) علم الفلك ص ٢٥٢ .

يوزن الماء الذي ازاحه ذلك الجسم ، وفي الماء المزاج كان يعرف حجم الجسم ، ومن قسمة الجسم في الهواء على وزن الماء المزاج يخرج الوزن النوعي للجسم الموزون بطريقة قريبة جدا من الصواب^(٥١) ولكي يلاحظ القاري النتائج الصائبة التي استطاع البيروني ان يحققها نورد هذا الجدول للمقارنة بين اوزانه واوزان العلم الحديث .

المادة	اوزان البيروني	الاوزان الحديثة
الذهب	١٩٢٦ ١٩٠.٥	١٩٢٦
الزئبق	١٣٧٤ ١٣٥٩	١٣٥٦
النحاس	٨٩٢ ٨٨٢	٨٨٥
النحاس الاصفر	٨٦٧ ٨٥٨	نحو ٨٥٨ ^(٥٢)

ومن المسائل الرياضية التي بحثها شرحه لبعض الظواهر التي تتعلق بضغط السوائل وتوازنها وشرح صعود مياه الفوارات والعيون الى أعلى وتجمع مياه الابار بالرشح من الجوانب وكيف تنور العيون وتصعد مياهها الى القلاع ورؤوس المنارات ، كما خدم العلوم الرياضية خدمة جليلة في انه أوضح استعمال الارقام الهندية مع استعمال الاصفار لقيام الخانات^(٥٣) وشارك هو وابن سينا ابن الهيثم في رايه القائل بان شعاع النور يأتي من الجسم المرئي الى العين^(٥٤) وفي ختام هذا الاستعراض السريع نشير الى بعض كتبه المهمة في هذا الباب مثل : جمع الطرق السائرة في أوتار الدائرة ، التطبيق الى حركة الشمس ، تحقيق منازل القمر ، ترجمة مافي براهين سدهانه من طرق الحساب ، كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب ، والارشاد في احكام النجوم [تراث العرب العلمي ص ١٦٤] .

ويعتبر البيروني من أعظم العلماء في التاريخ وهو يحتل مكانة فريدة بين علماء المسلمين ، اذ هو عالم مؤرخ طبيعي جيولوجي ، وهو يتمتع بحاسة جغرافية حاذقة ، وان ما توصل اليه من نتائج في هذا الجانب يستحق اكبر تقدير . « وقد كانت آراؤه ومروياته في علمي الجغرافيا والفلك شائعة بين الاوربيين المهذيين ، ومما نقله عن اهل الهند « ان على ترابيع خط الاستواء اربعة مواضع هي جمكوت الشرقي والروم الغربي وكلك الذي هو القبة والمقابر لها فلزم من كلامهم ان العمارة في النصف الشمالي بأسره » ثم قال « اما اليونان فقد انقطع العمران من جانبهم ببحر أوقيانوس فلما لم يأنهم خبر الا من جزائر فيه غير بعيدة عن الساحل ولم يتجاوز المخبرون عن الشرق ما يقارب نصف الدور جعلوا العمارة في أحد الرابعين الشماليين لا ان ذلك موجب امر طبيعي فخارج الهواء الواحد لا يتباين ، ولكن امثاله من المعارف موكول الى الخبر من جانب الثقة فكان الربع دون النصف هو ظاهر الامر ، الاولى ان يؤخذ به الى ان يرد دليل لغيره » ومعنى هذا الكلام ان موجب العقل يقضي بوجود جانب مغمور في الجانب الغربي من الكرة الارضية ، ولكنه لا يقطع بوجوده الا بعد المشاهدة وتواتر الخبر من الثقات وهذه هي الحقيقة التي اعتمد عليها كولومبس فافتحم بحر الظلمات على رجاء تحقيق الفكرة المنطقية برؤية العيان^(٥٥) وقد عرف

الى مركز الارض ع ويسمى البيروني Δ ع ا انحطاط الافق وعلى هذا Δ ع = Δ لان كلا منهما تقسم Δ ع ا د ، ورمز الى نصف القطر المنسوب الى الخطوط المساحية اليه ن ق والى ر بنصف قطر الارض وبحرف ف الى ارتفاع الجبل وبزاوية Δ الى الانحطاط^(٥٦) .

وتدل شهادة المؤرخين على علو منزلته في هذا المجال ، فقد روي عن ابن ابي عمير انه كان فاضلا في على الهيئة والنجوم^(٥٧) واعتبره ابن طاووس من علماء الاسلام المشتهرين في هذا العلم^(٥٨) ويعتقد نالينو بانه من اعظم المتكرين المتدعين واكبر المتعلمين واشهر الباحثين والمفكرين واكثرهم ذكاء في العلوم الفلكية والرياضية^(٥٩) على ان البيروني وان قال في التفهيم « وعند الكثير من الناس احكام النجوم من ثمرات العلوم الرياضية لكنني من اقل الناس عقيدة فيه » ظل مرتبطا به خلافا للغاربي وابن سينا وابن رشد^(٦٠) اما جهوده في الرياضيات بمختلف شعبها فلم تكن اقل قيمة عما ورد عنه في مجالات علم الفلك ، فقد روي عن محمد بن محمود النيسابوري قوله « له في الرياضيات السبق الذي لم يشق المحضرون غباره ولم يلحقه الضمرون المجيدون مضماره »^(٦١) ، وقد استطاع ان يحل اعمالا تسمى مسائل البيروني وهي التي لا تحل بالسطرة والفرجار منها قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية وحساب فطر الارض ومن براعته في الهندسة انه كتب في استخراج الاتسار في الدائرة وقد اراد بهذا ان يصحح دعوى لقدماء اليونانيين في انقسام الخط المنحني في كل قوس بالعمود النازل عليها من منتصفها والتنقيح عن خواصه^(٦٢) وناقش البيروني قضية الجاذبية ، وكان العرب قد نقلوا راي الاغريق في الجاذبية وتعليل الثقل ، وفحواه ان الاجسام الثقيلة مجنوبة الى معدنها من مركز الارض وان الاجسام الروحانية مجنوبة الى اصلها في السماء ، ولكن البيروني شك في ذلك ووجه الى ابن سينا سؤاله الذي يدل على ميله الى القول بان الاجسام كلها مجنوبة الى مركز الكرة الارضية وذلك حيث يقول « ما الصحيح من قول القائلين احدهما يقول ان الماء والارض يتحركان الى المركز ، والهواء والنار يتحركان من المركز ، والاخر يقول ان جميعها يتحرك نحو المركز ولكن الانتقال منها يسبق الاخف في الحركة اليه » وقد مهدت هذه الاراء سبيل - نيوتن - الى كشف قانون الجاذبية وتعليل الثقل على الاساس العلمي الحديث^(٦٣) .

وبحث البيروني في مسألة الثقل النوعي او الوزن النوعي واستطاع ان يجد هذا الثقل لحوالي ثمانية عشر معدنا وحجرا كرهما تحديدا صائبا وتبدو النظرية التي استعملها لاستخراج الاوزان منسجمة تماما مع القوانين العلمية الحديثة ، حيث كان يعتمد الى وزن الجسم في الهواء ثم الى وزنه في الماء بعد ان يدخله في وعاء مخروطي الشكل مثقوب على علو معين وبعدئذ

(٦٣) علم الفلك ص ٢٩١ ، تراث العرب العلمي ص ٦٢ .

(٦٤) ميون الانباء ج ٢ ص ٢٠ .

(٦٥) فرج الموم ص ٢٠٦ .

(٦٦) مآثر العرب في الرياضيات والفلك ص ١٩ .

(٦٧) جهود المسلمين في الجغرافيا ص ١٦٤ .

(٦٨) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٠ .

(٦٩) تاريخ العلوم عند العرب ص ١٥٤ ، ١٨٠ وراجع شرح

النظرية ص ١٥٤ - ١٥٦ .

(٥٠) اثر العرب في الحضارة الاوربية ص ٤٢ - ٤٤ .

(٥١) تراث الاسلام ج ١ ص ١٩٥ .

(٥٢) عبقرية العرب في العلم والفلسفة ص ٧١ .

(٥٣) تاريخ الفكر العربي ص ٢٥٠ .

(٥٤) مختصر تاريخ الطب ص ٢١١ .

(٥٥) اثر العرب في الحضارة الاوربية ص ٥١ - ٥٢ .

البيروني عدداً من الحقائق الجغرافية وجمعها في كنه وخصوصاً فيما يتعلق بالبحار ، وعرف المناطق الشمالية في آسيا وأوروبا ، وعرف أن ثمة بقاعاً في الشمال لا تغرب الشمس عنها في الصيف ، كما عرف أن في جنوب خط الاستواء في الفريقين بقاعاً يكون الزمن فيها شتاء عندما يكون الزمن عندنا - في الشمال - صيفاً^(٥٦) ومن مآثره الجغرافية العلمية شرح القول بأن وادي نهر الاندس (مهران) إنما كان في العصور الغابرة حوض بحر قديم ملأته الرواسب ، ومنها وصف بعض المخلوقات العجيبة وبينها ما نسميه اليوم توامي سيام^(٥٧) قام البيروني بعمل خريطة مستديرة للعالم في كتابه التفهيم لبيان موضع البحار وكذلك الآثار الباقية وابتكر طريقة لتصميم خرائط الأرض والسماء ، وله مبتكرات كثيرة في كيفية نقل صورة الأرض الكروية إلى الورق المسطح ورسم الخرائط الفلكية للسموات ، وقد صنع نصف كرة أرضيه قطرها ١٥ قدماً رسم عليها الامكنة والاطوال والعروض وخلفها عند رحيله إلى غزنه ، وقد قيل عن البيروني أنه سبق إلى فكرة وضع خريطة على أسلوب مركاتور^(٥٨) .

وله العديد من الملاحظات في الجغرافية الطبيعية جاءت على نسق رفيع ففراء حين يصف جغرافية آسيا وأوروبا يتحدث عن سلسلة جبلية متصلة ما بين الهمالايا والالب كما نراه قد ميز بين الخليج البحري والمصب النوري ، وفكرته عن العالم غير المعمور تفوق أفكار الكثيرين ممن تقدموه^(٥٩) ويرجع إليه الفضل في أنه وصف لنا الطريق بين فرغانه وشرق تركستان وأهم المدن التي تقع في ذلك الاقليم بالإضافة إلى وصفه لاقليم نيبال وهضبة التبت^(٦٠) وقد اصطلح كثيراً من التقاويم السنوية حتى أظهر تقويماً سنوياً ادعاه لنفسه (غريغوري) بعد ذلك ب ٦٠٠ سنة^(٦١) .

سار البيروني على منهج علمي دقيق في حديثه عن الكثير من المشكلات الجغرافية ، والذي يلاحظه الباحث في تأليفه اتساع مدى المعلومات الجغرافية التي حصل عليها واستيعابه المذهل لتأثير العوامل الجغرافية الاساسي في الشؤون البشرية ، وهو يقدم في كتاب الهند برهانا وإثباتاً على تفهمه للمسائل الجغرافية عندما يناقش هنا وهناك المظاهر الجغرافية للبلاد ، وناقش البيروني مسألة ميل دائرة البروج وكان عدد من ارسادات الهند واليونان قد عالجت المسألة ، فكرس أكثر من ثلاثين سنة من حياته للملاحظة لعله يصل إلى نتيجة محكمة متقنة ولا يخفى أن دائرة الميل كانت في نقص مستمر ولكن البيروني على ذكائه عجز عن اكتشافه ، وعالج العالمان الإبرانيان ميرفي وده خدا جهود البيروني في تسطيح الكرة فقالا أنه سبق إلى فكرة وضع خريطة على أسلوب مركاتور ، ومع أن علم طبقات الأرض لم يصل إلى درجة العلم القائم بذاته في عصر البيروني ننقل نموذجاً ملخصاً من كتاب التحديد .

« عاتنا ليس بأزلي ولكن لا يمكن تحديد عمره أو بسوم

حدوثه بالقبض . إلا أن الحوادث تابعت في زمن مجهول وليس عندنا من التاريخ أو الوحي ما يساعدنا في تحديده ، ولقد نطق القرآن الكريم - وأن يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون - وعندما ندرس السجلات الصخرية والآثار المتبقية نعلم أن هذه التطورات والتحويلات لا بد أن استغرقت دهوراً طويلة تحسب ضغط البرد أو الحر ، الأمر الذي لا نعرف وصفه أو قدره خلافاً للتطورات التاريخية فقد درست وسجلت في الصحائف^(٦٢) والذي يبدو عند قراءة هذه السطور أننا نقرا آراء رجال من رجال الجيولوجيا والآثار في العصر الحديث لا آراء في القرن الرابع الهجري . وتظهر مقدرة البيروني في الاقتصاد أو الجغرافية الاقتصادية عند مناقشته لمسألة تحريم ذبح البقر في الهند ف يرى أن هذا النوع من اللحوم لا يكون سهل الهضم في بلاد حارة كالهند بجانب أن أرض البلاد غالباً زراعي مما يجعل ذبح الماشية ضاراً بالحياة الاقتصادية ، وهو قريب من رأي ديورانت الذي يرى أن السياسة الحكيمة هي التي رسمت فيما مضى تحريم البقرة احتفاظاً للزراعة بحيوان الجر حتى يسد حاجة السكان الذين يتكاثرون^(٦٣) .

ومن تأليفه المهمة في علم الجغرافيا نذكر :

مقالة في تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الأرض ، مقالة في تعيين البلد من العرض والطول كلاهما ، تصور أمر الفجر والشفق في جهتي الشرق والغرب من الأفق ، تهذيب الأقوال في تصحيح العروض والاطوال^(٦٤) .

ولم تكن شهرة البيروني في الفلسفة والطب كشهرته في الرياضيات والفلك ، على أن هذا لا يعني أنه لم يكن له ما يشبه الاهتمام في هذين العلمين ، فقد رويت أخبار عن تمتعه بسمعة حسنة وصدى لا يأس به في هذا الباب وكانت فلسفته في الحياة تمثل نظريته الصائبة واتجاهه السليم .

والذي يبدو أن شهرته في الطب لم تكن كبيرة كالقرايه من مشاهير الأطباء في ذلك العصر ، فلم يترجم له القفطي في أخبار الحكماء ، وأغفله كذلك ابن جليل في طبقات الأطباء . وعلى كل حال فقد روي أنه اشتغل بأمور الطب ، فقد ترجم له ابن أبي أصيبعة ووصفه بأنه « كان له نظر جيد في الطب »^(٦٥) وهو أيضاً « درس الطب وألف فيه كتاباً عدة منها كتاب الصيدلة وقد رتبته على حروف المعجم »^(٦٦) وقال عنه صاحب مختصر الدول « أن أبا الريحان اشتهر بعلم الاوائل وتخصص بأنواع الرياضيات وشعب الطب وصنف بها الكتب الجليلة »^(٦٧) . أما الفلسفة ، فقد جعل لها حظاً كبيراً من عنايته لأنه يعدها ظاهرة من ظواهر المدنية ، ومن الطريف أنه يبين أحسن بيان وجوه التوافق بين الفلسفة الفيثاغورية والافلاطونية والحكمة الهندية والكثير من مذاهب الصوفية ، واعتراه بسمو العلم اليوناني إذا ليس بمحاولات العرب والهنود وبما انتجته جهودهم ليس أقل من ذلك طرافة . وهو يقول أن بلاد الهند لم تنجب فيلسوفاً مثل سقراط . وتبين فلسفة البيروني في أنه يرى أن العلم اليقيني لا يحصل إلا من احسانات يؤلف بينها العقل على نمط منطقي ، وعنده أن مطالب الحياة تجعلنا

(٦٢) من جهود المسلمين في الجغرافيا من ١٦٢ - ١٦٤ .

(٦٣) جهود المسلمين في الجغرافيا من ٦٩ ، من قصة الحضارة .

(٦٤) تراث العرب العلمي من ١٦٤ .

(٦٥) ميون الانباء ج ٢ من ٣٠ .

(٦٦) مختصر تاريخ الطب من ٢٤٦ .

(٦٧) معجم ادباء الاطباء ج ١ من ٥١ .

(٥٦) تاريخ العلوم عند العرب من ٢٠٢ - ٢٠٤ .

(٥٧) تاريخ العرب المطول ج ٢ من ٦٠ ، وقد أشار المؤلف في الهامش إلى أنه أول من أشار إلى الشاي في كتاب له لم يطبع بعد ولم يشر المؤلف إلى اسم الكتاب .

(٥٨) جهود المسلمين في الجغرافيا من ١٤٢ وانظر الهامش .

(٥٩) نفس المصدر من ٦٨ - ٦٩ .

(٦٠) الكشف الجغرافية من ٩١ .

(٦١) حضارة العرب من ٥٥٤ ، الجغرافيون العرب من ١٢٨ .

في حاجة الى فلسفة عملية تميز بها العدو من الصديق والآخر من الشر ، والبيروني نفسه يعتقد انه بهذا لم يقل كل ما يقال ولا آخر ما يمكن ان يقال (٧٨) .

ولعل صفة البيروني العلمية قد غطت على صفته الادبية ، فاشتغاله بتحصيل العلوم المختلفة وتصنيفه الكتب والرسائل العديدة في مختلف المجالات العلمية لم يترك له الوقت الكافي للاشتغال بهذه الصناعة ، وكان مع ذلك « أدبياً عالماً بفنون الادب ، شاعراً كاملاً ذا طبع رقيق وملكة شعرية سامية ، غير انه كان مقلداً لانشغاله بتحصيل العلوم واتقان الفلسفة والحكمة والفلك » (٧٩) وكان البيروني يصف اشتغاله بالادب بأنه تسلية للنفس لا غير (٨٠) وقد اورد له ياقوت ست مقطوعات من الشعر ، وذكر له أطول قصيدة في مدح أبي الفتح البستي من كتاب سر السرور نجد فيها الكثير من الاشارات التاريخية ، ومنها :-

مضى أكثر الأيام في ظل نعمة على رتب فيها علوت كرايا
قال عراق قد غلوني بدرهم ومنصور منهم قد تولى غرايا
وشمس المعالي كان يرتاد خدمتي على نفرة مني وقد كان فاسيا
وأولاد مامون ومنهم عليهم تبدى بصنع صار للحال آسيا
ولم ينقبض محمود عني بنعمة فاغنى وأقنى مفضيا عن مكاسيا (٨١)

وله أيضا :-

ومن حام حول المجد غير مجاهد ثوى طاعما للمكرمات وكاسيا
وبات قريح العين في ظل راحة ولكنه عن حلة المجد عاريا (٨٢)

وله في التجنيس :-

فلا يفردك مني لين مسي تراه في دروسي والقباسي
فاني أسرع الثقلين طرا الى خوض الردي في وقت باسي (٨٣)

أما أسلوبه في النثر فيبدو ناضجا يدل على أن صاحبه لغوي بارع الاطلاع على اللغة وفهم دقائق استعمالها ، ومما تجدر الإشارة اليه أن السيوطي ترجم له في بغية الوعاة ، وكما هو معلوم أن الكتاب مخصص للغويين والنحاة ولعل السيوطي أدرك قيمة البيروني اللغوية ، ولكنه لم يقل فيه سوى ما قال ياقوت (٨٤) .

يبدو أسلوبه في تحقيق ما للهند من مقولة أسلوب أدب دقيق التعبير كثير الارتباط في جملة الكلامية جيد التنسيق ، فإذا حدثك فكانه ابن المقفع في حيك الكلام وتناسق التعبير فلا تستطيع أن تستغني عن كل جملة من جملة ، وكلامه بتسلسل تسلسل المنطقي في مقدماته ونتائجه حتى تحتاج أن تقرأ ما بين السطور وما يحوم عليها من مفاهيم دقيقة وهو يظهر في أسلوبه بشخصية قوية مهذبة متمركزة ذات أناقة في البيان ، وهو أديب متجدد من أدباء العصر العباسي يدخل الكلمة الجديدة والتعبير المبتكر ويتساهل في تعابير الأعداد وعنونة الجاهلية في ذلك فكانه يوحى اليك بأنه جدير بذلك ، أي أدبياً خاصاً منفرداً كالجاحظ من الأدباء المتجددين ومن الذين لا يريدون أن تحول دونهم ودون ثقافتهم المالية استقراطية الالفاظ الجاهلية

- (٦٨) تاريخ فلاسفة الاسلام ص ١٨٥ .
- (٦٩) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥٣ .
- (٧٠) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١١٢ .
- (٧١) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٦ - ١٨٧ .
- (٧٢) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٩ .
- (٧٣) نفس المصدر ص ١٨٩ ، بغية الوعاة ص ٢١ .
- (٧٤) انظر ترجمته ص ٢١ .

وتراكيب الشفوي وامري القيس . وهو في الجماهر لغوي واسع الاطلاع على اللغة ومجازاتها وتطورها ومدى بلاغتها وهو أديب بديع الأسلوب متمتع التناول عليم بطرق الاستشهاد بالقرآن الكريم والامثال العربية (٨٥) وهكذا يبدو البيروني صاحب أسلوب متفرد ، فمن يطالع كتبه ورسائله يجد ظاهرة الوضوح والسلاسة والبعد عن التعقيد واضحة ، فكانه كان بمعزل عن موجة التصنع والتصنع التي سادت أدباء العربية في ذلك العصر .

لقد ورث العلم عن البيروني ثروة كبيرة من الكتب والرسائل ، فقد أنفق حياته يؤلف ويترجم حتى بلغت الكتب التي أنشأها أربعمئة وسبعة عشر كتاباً لما بلغ خمسا وستين سنة قمرية (٦٣ سنة شمسية) (٨٦) وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد الكتب التي جاءتنا عن البيروني ، حيث يرى السيد طوقان انها تربو على مائة وعشرين كتاباً ونقل القليل منها الى اللاتينية والانكليزية والفرنسية والالمانية (٨٧) في حين يذكر صاحب حدية العارفين ما يقارب مائتي كتاب ورسالة (٨٨) وفي الآثار الباقية بعناية سخاؤ قائمة مفصلة بأسماء الكتب والرسائل التي خلفها البيروني ويعتبر الكتاب من المصادر المهمة في هذا الموضوع . وقد اشار ياقوت الى مؤلفات البيروني فقال « تفوق الحصر » رايت فهرستها في وقف الجامع بمرور في نحو الستين ورقة بخط مكتنز (٨٩) ولعل هذه الإشارة تبين العدد الهائل لتلك المؤلفات . ومما يؤسف له ان العديد من مؤلفاته لا يزال مجهولاً . وقد اشتهر من بين هذه المؤلفات : الآثار الباقية ، تحقيق مالهند من مقولة ، القانون السعودي .

١ - الآثار الباقية عن القرون الخالية :

طبع المتن العربي بعناية سخاؤ في لايبزك سنة ١٨٧٦ وترجمته الى الانكليزية مع ملحوظات وفهرست سنة ١٨٧٩ طبعه ثانية بالمتن العربي وشروح الاستاذ سخاؤ لايبزك ١٩٢٣ (٩٠) وقد قامت مكتبة المثنى بتصوير طبعة سخاؤ لكن الكتاب بحاجة الى ترجمة دراسة سخاؤ الى العربية . يبحث الكتاب في أمور عدة ، وخاصة قضايا الزمن فيما هو اليوم والشهر والسنة عند مختلف الامم وفيه جداول عن الأشهر عند العديد من الاقوام ، وفيه مادة تاريخية فيما يتعلق بالملوك القدماء عند الامم المختلفة ، وقد كتب البيروني فصلاً خاصاً في تسطيح الكرة ولعل هذا الفصل هو الاول من نوعه ، ولم يعرف ان أحدا كتب فيه قبله وهو بهذا الفصل وضع أصول الرسم على سطح الكرة ولا يخفى ما لهذا من أثر في تقدم الجغرافيا والرسم (٩١) وقد أهدى البيروني كتابه هذا الى شمس المعالي فابوس بن وشمسكير عندما زاره سنة ٣٩٠هـ (٩٢) .

- (٧٥) اعيان الشيعة ج ٢ ص ٢٢٩ عن الدجيلي في أعيان العرب .
- (٧٦) تاريخ الملوك عند العرب ص ١١٩ .
- (٧٧) تراث العرب العلمي ص ١٦٢ .
- (٧٨) ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦ .
- (٧٩) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٥ .
- (٨٠) معجم المطبوعات العربية عمود ٦١٥ .
- (٨١) الملوك عند العرب ص ١٦٩ وانظر كشف الظنون ج ١ ص ٩ ، وتاريخ الملوك عند العرب ص ٢٢٠ - ٢٢٧ ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزبدان ج ٢ ص ٢٩٧ وهدية العارفين ج ٢ ص ٦٥ .
- (٨٢) تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٠٢ .

٢ - تحقيق ما للهند من مقولة :

ويسمى أحيانا تاريخ الهند أو كتاب الهند . كتب حوالي ١٠٢٠ م وهو يزود معارف المسلمين بمعلومات أولى عن آراء الهندوس في الجغرافيا ونظام الكون الى ما فيه من المعلومات الجغرافية الغريبة عن الممالك المفتوحة (٨٢) . لم يؤلف البيروني كتابه هذا وهو يقصد ابتداء ان يكون كتابا عن جغرافية الهند ولذا كان عمله فريدا في هذه الناحية لمس جوانب متعددة [دين ، فلسفة ، أدب ، قوانين ، تنجيم ، فلك ، جغرافيا] ولم يكن هذا بالتأكيد عملا يسرا بالنسبة لغريب عن البلاد مهما كان تمكنه من العلم وحظه من المعلومات ، وعلاوة على ذلك تأتي معالجة المؤلف لموضوعاته دائما على مستوى أكاديمي يتحرر من مختلف الاهواء دينية أو ثقافية ، ويرى سخاوا ان مؤلف البيروني هذا ذو طابع فريد في الادب الاسلامي باعتباره محاولة جادة لدراسة عالم وثني التفكير دون ان يشرع صاحبه في عمله قاصدا الهجوم والتفنيد بل نراه يداب على ابداء رغبته في ان يكون عادلا غير متحيز حتى ولو كانت آراءه من يعارضه لاتلقى القبول (٨٤) . وقد وصف البيروني الهندود بالاعجاب بانفسهم

(٨٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ٧ ص ٢٤ مادة جغرافيا .

(٨٤) جهود المسلمين في الجغرافيا ص ٢٦٩ .

والاعتداد بامتهم والازدراء بمن هدام وتحدث عن معتقداتهم الدينية وفرق بين دين الفواص ودين العوام ، لان طباع الخاصة تقصد التحقيق في الاصول ، والعامية تقف عند الحسوس ، ولد اطل في وصف الفلسفة الدينية للهند من الاعتقاد بالله والموجودات العقلية والحسية وتعلق النفس بالمادة والادواح وتناسخها (٨٥) والكتاب قريب الشبه بكتاب التاريخ الطبيعي لمؤلفه بلني وكتاب الكون لهيبولت (٨٦) .

٣ - القانون المسعودي :

صنفه للسلطان مسعود بن محمود الفزنوي بعد ان اظهر هذا السلطان ميله لدراسة علم النجوم ويعتقد نالينو ان هذا الكتاب منقطع النظر لانه جامع شامل لغير المادة دقيق المباحث يدل على نبوغ وعبقرية وذكاء (٨٧) .

(٨٥) فتح الاسلام ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .

(٨٦) قصة الحضارة ج ٣ من المجلد الاول ص ١٢٩ وانظر الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٠ ، وتاريخ العلوم عند العرب ص ٢٠ واكتفاء القنوع ص ٢٤٦ .

(٨٧) مآثر العرب في الرياضيات والفلك ص ٢٠ وانظر دراسة نالينو للقانون المسعودي في علم الفلك ص ٢٨-٤٠ وتاريخ العلوم عند العرب ص ٢٠ - ٤٢١ .

من مراجع البحث

- ١٨ - الرحالة المسلمون في العصور الوسطى (زكي محمد حسن ، دار المعارف - القاهرة) .
- ١٩ - مآثر العرب في الرياضيات والفلك (منصور جرداق ، بيروت ١٩٣٧) .
- ٢٠ - نرج المهموم في تاريخ علماء النجوم (ابن طاووس ، النجف) .
- ٢١ - اثر العرب في الحضارة الاوربية (عباس محمود العقاد ، القاهرة) .
- ٢٢ - تراث الاسلام (جماعة من المشرقيين ، الترجمة العربية - الموصل) .
- ٢٣ - عبقرية العرب في العلم والفلسفة (عمر فروخ ، بيروت ١٩٥٢) .
- ٢٤ - تاريخ الفكر العربي .
- ٢٥ - تاريخ العرب المطول (فيليب حتي ، بيروت) .
- ٢٦ - تاريخ فلاسفة الاسلام (دي بور ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨) .
- ٢٧ - هدية العارفين (اسماعيل البغدادي ، اسطنبول) .
- ٢٨ - معجم المطبوعات العربية والعربية (يوسف اليان سركيس ، القاهرة) .
- ٢٩ - كشف الظنون (حاجي خليفة ، اسطنبول) .
- ٣٠ - قصة الحضارة (ول ديورنت ، ج ٣ من المجلد الاول ، ترجمة زكي نجيب محمود) .
- ٣١ - تاريخ المشعوب الاسلامية (بروكلمان ، ترجمة نبيل فارس ومنير البعلبكي ، بيروت) .

- ١ - معجم الادباء (ياقوت الحموي ، طبعة دار المأمون - القاهرة) .
- ٢ - المعجم الفارسي الانكليزي (ابراهيم يونس) .
- ٣ - علم الفلك وتاريخه عند العرب (نلينو ، طبعة روما) .
- ٤ - عيون الانباء (ابن أبي امية ، طبعة بيروت) .
- ٥ - العلوم عند العرب (قدرتي حافظ طوقان ، القاهرة) .
- ٦ - تاريخ علم الفلك في العراق (عباس المزاي ، بغداد) .
- ٧ - تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (قدرتي حافظ طوقان) .
- ٨ - دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) .
- ٩ - تاريخ الحضارة الاسلامية (بارتولد ، ترجمة حمزة طاهر ، القاهرة ١٩٥٨) .
- ١٠ - الانوار الباقية (البيروني) .
- ١١ - مختصر تاريخ الطب (شوكت الشطي ، دمشق ١٩٥٩) .
- ١٢ - بنية الوعاة .
- ١٣ - تاريخ الاسلام السياسي (حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٦٢) .
- ١٤ - روئسات الجنات (الخونساري ، طبعة حجرية) .
- ١٥ - تاريخ آداب اللغة العربية (جرجي زيدان ، القاهرة) .
- ١٦ - مجلة ثقافة الهند (عدد سبتمبر ١٩٥٣) .
- ١٧ - معجم ادباء الاطباء (محمد الخليلي ، مطبعة النوري - النجف ١٩٤٦) .

التأثير الأكدي للغة العربية

بقلم

سلمان التكريني

اعدادبة خالد بن الوليد - بغداد

الذي ما زال المجتمع العربي يعيش في عصور الارتباك والتفرد بدون رابطة نظام اجتماعي متماسك او سياسي .

ان اول المجتمعات المتطورة التي ظهرت في اطراف الجزيرة العربية ومن الشعوب السامية خاصة ، هو الشعب الاكدي الذي اثر تأثيرا بليفا بالشعب البابلي الذي يمت بصلة القربى الوثيقة الى الشعب الاموري الذي نزع من الاراضي الغربية لللال الخصب ، والذي القى ظلاله الاجتماعية والفكرية والسلالية ايضا على الشعب الكلداني فيما بعد ، والذي وحد الثقافة والفكر البابليين بعدئذ ، امتدادا من العراق وحتى بلاد سوريا وفلسطين الذي كان هناك يتنازع السلطات مع الشعب الكنعاني والعمري . ونظرا لهذا التحرك المتراوح على الارض العربية فقد تلاقت الجوانب الحضارية ، كما تلاقت السلالات ايضا . وكما نجد ان الافكار والتقاليد ايضا قد امتدت سيطرتها على تلك المجتمعات ، فلاشك ايضا ان امتدت سيطرة اللغة عبر تلك المجتمعات . وكما صور لنا القرآن العلاقة الوثيقة للفكر العربي بامجاد الشعوب السامية في العراق وبلاد الشام وفلسطين ، نستطيع ان نؤكد على الترابط اللغوي الوثيق عبر هذه المجتمعات ، وكما ان هناك الكثير من العادات والتقاليد والتنظيمات الفكرية قد لعبت دورا في الفكر العربي في الجزيرة العربية مستقاة من شعوب الهلال الخصيب واطراف الجزيرة العربية ، فلا محالة ، ان تلك الشعوب قد تركت آثارها اللغوية على فم العربي وطبعت صوته بطابعها . فليس عبثا ان نلاحظ السباعيات العربية حاسبيا وفلكيا ودينيا والتي اوضحها

ما زال البحث في اللغة ، واللغة العربية بصورة خاصة ، طريا جديدا ، وميدان البحث ما زال خصباً واسعاً يحتاج الى دراسة في العديد من نواحيه . وقد استهوانا بحث فقه اللغة العربية ، ولكن ليس بحثا ذاتيا داخليا في هيكل اللغة العربية وحدها ، انما بحثا مقارنا مقارنا ، خاصة وان الارض العربية حتى قبل الهجرات السامية والهجرات العربية وقبل الفتح الاسلامي على وجه الدقة ، كانت واسعة مترامية الاطراف تطل على ثلاثة بحار ، وتتصل عن طريقها بالعالم الواسع الذي يستظل مجتمعات متحضرة ومجتمعات بدائية . ولا شك ان هذا يلعب دورا رئيسا وبارزا في عملية التحول والتحويل والنقل والامتزاج ، ونحن نعلم بان التلاقح الحضاري يؤتي ثماره سواء كان الشعب غالبا منتصرا ، ام مفلوبا مخذولا . والموجات السامية او الموجات العربية لاشك قد وقع لها مثل هذا الامر بتجوالها في ربوع الجزيرة واطرافها تحت تأثيرات الحاجات المادية . ولا يمكن ان يستمر التقوقع والانزوال والانطواء الذاتي لاي مجتمع سواء غالبا كان ام مفلوبا ، مهما كانت تلعب الدواعي العرقية والعنصرية في تحديد الاقليمية والكيثونة الذاتية له . فهو مثلما يعطى ، لابد ان ياخذ ، ومثلما يفرز لاشك يمتص . ولما كان ميدان بحثنا اليوم هو اللغة ، فسنحاول هنا ان نبين باستقصاء قد لا يكون شموليا ، النواحي التي ادت الى الاستقاء اللغوي المتبادل بين الشعوب التي عمرت شبه الجزيرة العربية على الاقل في العصور الخوالي ، وبالاخص منذ ظهور المجتمعات المتطورة المتوحدة التي تميزت بانظمة اجتماعية وسياسية بارزة المعالم في الوقت

القرآن ، انها متصلة تماما بسبايعات بلاد بابل . والقرآن يقص علينا قصص الشعوب المجتمعات ، ويلمح الى اساطير الاولين الذين بادوا وانقرضوا . وكما نلاحظ ان كلمة تنبت على بساط لغة لا يوجد مثلها في لغات اخرى قد تنتقل بشكلها ومدلولها ايضا . ونحن مازلنا نجد امثال هذه المستنبات اللغوية في العصر الحديث في اللغات الاوربية دلالة على عدم وجودها لديهم حينذاك ، وانهم عرفوها واخذوها عن طريق العرب وقت عرفوهم ، فنقلوها معهم واقتنوها كما يقتنون الاثاث وينقلونه ، بل قد يكون ذلك بطريقة اعز . فلاعجب ان تمتص اللغة العربية وتقتنى مفردات جديدة من لغات تقترب منها بالجيرة والمصاهرة والنسب ايضا ، لعدم وجود مدلولاتها قبلئذ لديهم . ولا يقلل من قيمة شعب او حضارته ، انتصار ذلك الشعب او غلبه . ومن ناحية ثانية ، فان تطور الشعب العربي كان متأخرا ولاحقا لتطور الشعوب السامية الاخرى التي انتشرت في اطراف الجزيرة العربية والهلال الخصيب التي كونت مجتمعات متميزة بنظم اجتماعية وسياسية ، فلاشك ان يسبق التكافل الحضاري في هذه المجتمعات قبل المجتمع العربي . وحينما تكون اللغة مظهرا من مظاهر هذا التكامل الحضاري ، فهي اسبق في المجتمعات السامية منها في المجتمع العربي ايضا .

يجب ان نعلم بان التلاحق الحضاري ونقل التراث الفكري كليا او جزئيا لا يكون ، ولن يكون شكليا مطلقا ، انما يكون ذلك النقل والامتصاص جوهريا مفتوحا ، خاصة واللغة صوت وتوقيع نفسي مترابط مع البنية النفسية في الميدان الاجتماعي لاي شعب تحت ظروف مختلفة متباينة . فليس عشا ان نقلت كلمة بلاتو Plato الى افلاطون وسوكراتيس Socrates الى سقراط ، وموزيك Musik الى موسيقى ، وربما انتقلت الكوليج College الى كلية ، كما نقلت ابن رشد الى افيروس وابن سينا الى افيسينا والحسن الهيثم الى الهازن ودار الصناعة الى ارزينال والخوارزمي الى لوكاريتم ثم لوغاريتم . فان لكل لغة موسيقاها وايقاعها ، ودخول لفظة من لغة الى اخرى لابد من حدوث بعض التغيرات الظاهرية الشكلية ، وقد تحدث بعض التغيرات الداخلية (المعنوية) ، كان تخرج الكلمة من ميدانها الى ميدان آخر ، كما قد تخرج الكلمة في نفس اللغة عن معناها الى معنى آخر كما خرجت كلمة القحبة ، فهي تدل على الكحة (السعال) ولان الذهاب الى دور البغايا كان يستدمي

الكحة (النحنحة) للتنبيه او النداء فتخرج المرأة العاهر لا استقبال ضيفها او زبونها ، فانتقلت القحبة من (السعال) الى العاهر الفاجرة ، كما خرجت الكلمة مستهتره عن معناها ايضا ، فهي تدل فسي الاصل على الولوج بالشئ (الاستهتار) ، لكنها الان تعني المرأة او الرجل اللامبالي او اللامبالية بالقيم الخلقية المتعارف عليها .

وفي لهجتنا الشعبية العراقية الكثير من الالفاظ انتقلت بسرعة البرق من اية لغة اجنبية ، وقد يشتق العراقي الاشتقاقات او ينحت منها النحوت فالاتومبيل Automobile اصبحت « اطرامبيل » والموتورسايكل Motorcycle اصبحت « مطر الملوز » ، ولامب Lamp صارت « لمبة » وكوانتراكت Contract اصبحت « قونطرات » والترينز Trains آضت « طرزينة » وهلم جرا . وقد سمعت بين القرويين من يطلق اسماء للاشياء من شكلها او صوتها ، اذا لم يكن قد سمع باستثنائها من قبل . فمثلا سمعت من يقول « ام غويتات » للدبابة و « طريطرة » للفوتوسيكل حينما زاوهمما لأول مرة اثناء حركة مايس ١٩٤١ كما سمعت من قال « مصوارة » للكاميرا Camera و « المخبرة » للتلفون Telephon (الهاتف) .

وقد تنتقل كلمة بتمامها ، ولا يوجد لها بديل مثل طابو ، فهي تلفظ كما تلفظ بالتركية والپاء الفريية عن حروفنا ، والكمرك والتياترو (اسبانية) والبانكه (هندية) والدوسيه والكليشييه (فرنسيان) والاونسيت واللاينو وامثال هذه الكلمات الكثير والكثير والتي لم نجد لها لحد الان ما يقابلها وان وجدت ، فمازال المجمع اللغوي في العالم العربي في حيص بيص امامها او عاجزا عن ادخالها في حيز الاستعمال ، ناهيك عن كونه ما زال عاجزا ايضا عن تعديل اللحن الذي يقع في اللغة العربية ذاتها ، فلا يوجد شخص او يندر ان يوجد هذا الشخص

(*) لقد وهم الاستاذ سلمان التكريتي (صاحب البحث) في المدلول الشعبي لهذه اللفظة الانكليزية . لان الاستعمال العامي راسخ على « ماطور منيكل » في مقابل العواجة النارية Motor-cycle وهناك تفاوت كبير بين هذين المدلولين ما يسميه العوام العراقيون « مطر الملوز » او « الميرلوز » عند قهرهم من غوام الوطن العربي ، وهذه اللفظة تقمص معنى « المدفع الرشاش السريع الطلقات » وهي تنظر الى الفرنسية Mitraillese بالمعنى ذاته بعد اشتغالها من Mirailleur بل تؤدي معنى اللفظة الانكليزية الدارجة Machine Gun

(رئيس تحرير المورد)

وغيرها على الحروف العربية ، فهو ليس من صميم عملنا في الوقت الحاضر من ناحية ، وقد يكون الفنانون هم اولى بهذا البحث والاستدلال من ناحية ثانية .

لقد كثر الكلام عن اللغة العربية وعلاقتها باللغات السامية الاخرى ، كاللغة الارامية (السريانية) واللغة العبرانية ، وقد يستدل الباحثون على وجود هذا التقارب في القربى والجوار بين هذه الشعوب ، ولكن الذي نعتقده ، هو ان الارامية والعبرانية هما ابعد عن العربية ، مع كل القرابة الموجودة ، وان وجود التشابه بين كثير من المفردات العربية بقريبتها العبرانية ، انما لاشك يحدث ، ولكنه ليس بالصورة التي سنشهد للغة الاكدية ، وهي اول لغة في العالم ، نشأت في ارض الرافدين ، ذات اصول وقواعد واشتقاقات ؛ وقد كانت ذات اساليب عديدة ، منها القصة والاسطورة ومنها الشعر والامثال ايضا . وصحيح ان الشبه كبير بين كثير من قضايا اللغة العربية وقريبتها العبرانية كالوزن الاشتقاقي والقلب والابدال . وقد انتقل مثل هذا القلب من العبرانية الى العربية ، فكثيرا ما يقلب حرف باخيه ، كأن يقلب السين العبرانية شيئا عربية .

عبراني	عربي
سمال	شمال
سعر	شعر
سعراه	شعره
سعراه	شعير
عسره	عشرة
عسريم	عشرين
عسب	عشب
سبء	شتاء
سمله	شملة

او يقلب السين العبراني الى سين عربي .

عبراني	عربي
امش	امس
شبي	سبي
شبييل	سبيل
شبعة	سبعة
شبعين	سبعين
شبت	سبت
شوق	سوق
شطح	سطح

فيلفظ متحف بضم الميم والمتنزه بتسبيق التاء على النون وليس العكس كما يحلو لامانة العاصمة البغدادية وهو الفلظ . والا فكم منا من يعرف ان «الجفجير» هو (المنخل) و«الجمجة» هي (المغرفة) ؟! ونحن في رأينا انه ليس بعيب على لفتنا العربية ان تمتص بعض الالفاظ او جملة الفاظ اجنبية ، كما ليس بعيب على ادبنا ان يقتبس اساليب غريبة معاصرة في فن الكتابة ، اذ قد تضيف اضافات جديدة الى البناء الشكلي لاساليبنا . ولاشك ان الاصاله لا تعني التقوقع والعزلة في دائرة ضيقة مقفلة ، انما الاصاله هي قدرة التعايش والتمثل بعد الهضم ، لتتعاصر مع غيرها من الاقران . والحضارة الاصيله هي التي لا تموت ولا تنقرض كما انقرضت الحضارة العبرية (اليهودية) والتركية في الوقت الذي ما زال اصحاب هاتين الحضارتين يعيشون بين ظهرانينا ، بينما نجد اثار الحضارات الاصيله ما زالت قائمة لحد الان ، وقد تكون لعبت دورا في الانتقال الى شعوب اخرى ، وطورت حضارات تعاصرنا في الوقت الحاضر ، مثل الحضارة الاكدية والبابلية والفينيقية بالرغم من انقراض شعوب هذه الحضارات وزوالها من الوجود . فهذه هي الاصاله وكلما ورثت حضارة واقتبست من الحديث ، كلما دلت على اصالتها . وامامنا اللغات الاوربية عامة ، حافلة بكثير من الالفاظ ليست عربية فقط ، بل فيها الالفاظ السامية التي يعود منها الى اللغة الاكدية ، انتقلت بطرق شتى الى اللغات الاوربية . وان ربطنا الاصاله بعدم الانفتاح والتلاقح والاقتباس ، نفينا عندئذ الاصاله عن جميع اللغات الاوربية مثلما ننفينا عن لفتنا العربية ، وكما لا يلعب الدم الاحمر دورا في الشعور القومي وتكوين القومية ، كذلك ليس للغة دم اسود او ازرق حتى يلعب دورا في تحديد هذه الاصاله . فالقومية كما هو معروف ، هي الارتباط المادي والمعنوي ، وهي الانتماء المعنوي والمصلحي ايضا - ولا نقصد المصلحي هنا الاناني الانتهازي ، انما نعني اشتراك المصالح وتبادلها - وكذلك اللغة ، فانها تظل ذات نكهة وعدوبة ، ويظل الحرف ذا رونق وجمال ، يمثل نفسية الانسان العربي ، وقد يمثل صلابته مثلما يمثل رفته . وقد نتجرا ونقول ؛ ان هذه الحروف لم ترسم عبثا ، انما رسمت بعفوية الشاعر مع التصميم الهادف . فالطاءات والصادات المهملة والمنقوطة تمثل الكثبان الرملية ، والحاءات المهملة والمنقوطة تمثل رؤوس الحيوانات والسينات المهملة والمنقوطة تمثل السهول ، والنقاط تصور الازهار المنتشرة في النجاد والوديان ، وقد يتولى غيرنا تثبيت هذه الامور ،

عبراني	عربي
شميعه	سمع
شمشياه	شمسية
شن	سن
شنة	سنة

وبالإضافة الى القلب ، فقد يحدث ابدال بعض الحروف في العبرانية اذا انتقلت الى اللغة العربية .

عبراني	عربي
تلميد	تلميذ
مهندم	مهندس
مزيج	مذبح (محراب)
مكتاب	مكتوب
ازن	اذن
هص	صه
عيقر	عافر
عويد	عابد
عولم	عالم
رمون	رمان
صلاب	صليب
عقره	عقرب
عس	عث
نبح	نفح
صاه	صاع
عراب	غراب

وقد لا يقتصر التغير على القلب والابدال ، بل قد يحدث الحذف والاضافة

عبراني	عربي
بن	ابن
مجل	منجل
فم	فحم
عز	عنزه
منين ؟ !	من اين ؟ !
كمه	كم
مدوكه	مداك
هوا	هو
سطري	سطر
نصيب	نصب (عمود)
سلام	سلم
نحنو	نحن
صوع	اصبع
سكور	سكران

من هذه المفردات القريبة لفظا ومعنى في العربية بالعربية
للعبرانية استدلل الباحثون اللغويون على وجود مفردات
اخرى لا وجود لاصولها او آثارها في لغتنا العربية، انما
قد وردت الى اللغة العربية عن طريق العبرانية مثل
سفر بمعنى كتاب وعدن التي تعني السرور ،
وصلب بمعنى دق بالمسمار ، فاخذ معناها فسي
العربية (التعليق) وليس الدق بالمسمار ، وآدم في
العربية ليست ذات معنى ، بينما معناها في العبرانية
هو الاحمر ، والشبيه بالتراب والمأخوذ من التراب،
فلاشك ان تكون الادم قد اخذت من آدم العبرانية ،
والسكين هي المدينة العربية ، ومجلة تعني الملف
(العربية) ، ومزمور بمعنى النشيد ، وعنان (غمام
العربية) وصحر (ابيض) ومنها (اصحر العربية) .
وهذا ليس وحده دليلا على هذه القرابة ، وهذا
الاحتكاك الذي ادى الى اقتباس وتزاوج بين اللغة
العربية والعبرانية ، انما هناك ما يوحى الى الاقتباس
العربي الحتمي من العبرانية ، وذلك لوجود عدد من
الاسماء المصدرية النادرة او القليلة لا وزن لها في
العربية ، بينما هي قاعدة اشتقاقية في اللغة العبرانية
فان ملكوت وجبروت على وزن (فعلوت) لا يوجد
غيرهما في انعرية(*) ، بينما نجد في العبرانية بالاضافة
الى ملكوت وجبروت ، تقروت (نصرانية) تقيوت
(تانيث) سفكوت (الماء) وسفروت (العلوم الادبية)
وعبدوت (العبودية) وغيرها الكثير في العبرانية . كذلك
يستدلون بما يوجد من نادر وقليل في العربية على
وزن (فالون) مثل (طاغوت وناسوت ولاهوت
وجالوت) مدينة فلسطينية) فهي كثيرة
في العبرانية . وهناك مفردات اخرى في العبرانية
خرجت عن معناها حينما دخلت اللغة العربية مثل
القيامة ، فهي في العبرانية (الوجود) وصلب
(يدق بالمسمار) واليهود هم اول من دقوا انسانا
بالمسمار ، وهو المسيح الصليب ، وكلمة ساراه
وتعني (الاميرة) والتوره (التوراة) وتعني القانون
وتلمود (درس المطالعة) وبرية (خليفة) وقدوس
(المقدس) وقيوم (وجود ، كينونة) بينما اصبحت
في العربية في مقام اسم الفاعل على وزن صيغة المبالغة
بمعنى الوجود الدائم .

اننا لا نعارض ابدا في كون اللغة العبرانية هي
اقدم من اللغة العربية بأية حال كذلك لا تفترض

* بل يوجد ايضا في العربية : رهوت ولبوت ولبهوت
ورحموت ورجوت وبرهوت

(رئيس تحرير الموردي)

ايضا على انه من المحتمل ان يحدث هذا الاقتباس من قبل اللغة العربية على اعتبار حداثتها وجدتها ، وكون اللغة العربية لم تصبح لغة ادب وشعر الا في القرن الاول للميلاد ، بينما العبرانيون واللغة العبرانية وظهور الديانة اليهودية والنبي موسى ، قد كانت هذه كلها قبل الميلاد ، وهذا حدث تاريخي لا شك فيه ، وليس عليه اي اعتراض ، لكن يجب ان نعلم من ناحية اخرى ، ان اليهود قد كانوا في بلاد مصر الفراعنة ، وقد اجلوا من ديارهم من قبل فراعنة مصر ، او هاجروا ، وقد كانت هذه الهجرة بقيادة النبي موسى ، وقد اثار العالم اليهودي النمساوي فرويد Frued جملة من الشكوك حول كون النبي موسى يهوديا عبرانيا ، بل قد ساق كثيرا من القضايا الاستدلالية على ان موسى ، انما هو فرعونى (او امير فرعونى) او قد يكون من سلالة بعض امراء الفراعنة ، تنازل فقاد اليهود الاذلاء . ونحن نعلم ايضا بان (نبوخذ نصر) قد تمكن من دحر حكومة اسرائيل واخضاعها ، وسبى الالوف من ابناءها وساقهم الى موطنه العراق . وقد اصبح هذا السبي هو نقطة انطلاق التجمع القومي الانتقامي ضد الساميين فيما بعد ، وفي العراق بالذات كتب اليهود الاسرائيليون وليس العبرانيون التلمود والمشنا . ولا شك ان هذا التاريخ والمكان الذي كتب فيه التلمود ، ونعنى به العراق ، انما يدعنا لان نقرر بان لغة الدولة المنتصرة لاشك قد اثرت على لغة الشعب المهزوم المخذول ، وهم اليهود الاسرائيليون . فلا بد ان تلقحت اللغة العبرانية (الاسرائيلية) بكثير من المفردات السامية التي عايشتها في ارض ما بين النهرين ، تلك الارض التي كانت تشع حضارة على العالم منذ الاكديين وحتى الكلدانيين البابليين ومعاصريهم الاشوريين لذلك فنحن نرجح بان هذه المفردات الفريية ، وهذه الازان اللغوية التي وجدت في لغتنا العربية ، انما هي ليست بالتأكيد اقتباسا اصيلا عن العبرانية (الاسرائيلية) ، انما هي اقتباس وتأثير وتفاعل باللغات السامية في ارض الرافدين ، وباللغة الاكدية بالذات واخواتها البابليات والاشورية فيما بعد والتي لعبت دورا عظيما في تلقيح اللغة العبرانية الاصلية للتجاور القطري من ناحية ، ولان الاكديين اسمى حضارة واعرق في سلم التطور من كل الشعوب السامية ، وهم اول الموجات التي تدفقت من باطن الجزيرة العربية ، اذ كان ذلك في حدود ٣٥٠٠ ق.م ، بينما العبرانيون قد وصلوا الى اوج حضارتهم التي

لم تضاه اي حضارة من حضارات الساميين التي سبقتهم او عاصرتهم ، في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد (١٥٠٠ ق.م) ، وفي الحين الذي لا بد وان تؤثر اللغة الاكدية على جاراتها ، وعلى الشعوب المجاورة للشعب الاكدي انذاك ، وتأكيدا لقولنا تروى لنا الاحداث التاريخية على انه في الحروب الاسرائيلية ، كان احد قادة الجيش الاشوري يكلم اليهود باللغة الاشورية (الارامية) التي كان يعرفها اليهود آنئذ ، ويرد عليه القائد اليهودي ، وهو وملكهم «حزقيا» يلقيان التشجيع من نبيهم «اشعيا» لذلك والحالة هذه ولقدم الاكديين ولغتهم ، فلا بد ان يكون هذا الاقتباس اصلا عن اللغة السامية ، التي نشأت في العراق الا وهي اللغة الاكدية ، بل ان المفردات الموجودة في اللغة الاكدية ، والتي لها مشابيات او مقلوبات او مبدلات او محذوفات ومضافات ، لاشك قد انتقلت من اللغة الاكدية الى كل من اللغتين ، العربية بصفة كون العرب مجاورين لارض العراق ، وان العرب وكل الشعوب في تلك الازمان كانت تمارس الزراعة والرعي ، وهذا يستدعي بالضرورة السفر والترحال تبعا لاختلاف المناخ وسقوط الامطار وكثرة موارد المياه والمراعى . وفي تلك العصور الخوالي كانت ارض الرافدين اخصب بقعة من الارض وتزخر بالمراعى وبموارد المياه ، لذلك اصبحت قبلة انظار الموجات السامية للاستيطان من ناحية ان توفرت لها سبل القوة للتغلب على الشعب المقيم فيها ، او الاستفادة موسميا من تلك المراعى ، وان تقع الحرب وتهجر القبائل القادمة من باطن الجزيرة العربية . ولهذه الاسباب وغيرها نجد ان الاصاله والعراقة تكمنان في اللغة الاكدية التي اثرت في تلك اللغات المجاورة سواء كانت العربية او العبرانية ، فان الشهور التي نطلق عليها الان اسم الشهور الفريية (الشمسية) انما هي في الحقيقة شهور اكدية بالذات ، وقد وردت بهذه الصيغ اللفظية في كتابات الاثاريين الذين درسوا اللغات السامية في ارض العراق وبالاخص اللغة الاكدية ، ولكن ترتيب هذه الشهور يختلف عما هو عليه في الوقت الحاضر ، اذ تبدأ السنة الفلكية عند الاكديين بفصل الربيع (منتصفه) ويبدأ بالشهر الرابع (نيسان) وهو الاول عند الاكديين ، وفي هذا الشهر كما هو معروف تاريخيا عن حضارة وادي الرافدين ، كانت تقام الاحتفالات السنوية بمقدم الربيع ، وهو عيد ديني يرأسه الملك للتقرب من الالهة . وهذه الشهور هي :

الأكدي	العربي	ترتيبه	أكدي	عبراني	عربي
نيانو	نيان	الاول	مالكو	مالك	ملك (امير)
ايارو	ايار (مايس)	الثاني	مانو ؟ !	من ؟ !	من ؟ !
سيمانو	حزيران	الثالث	انبو	عينب	عنب
دوموزو	تموز	الرابع	اناکو	آني	اناکا
آبو	آب	الخامس	انب - انبو	انف	انف
اولولو	ايلول	السادس	گمالو	جمل	جمل
تشریتو	تشرين الاول	السابع	شمشي	شمش	شمس
ارخسانو	تشرين الثاني	الثامن	اشرو - اسيرتو	عشره	عشرة
كيسليمو	كانون الاول	التاسع	طابو	طابا	يطيب
طيبیتو	كانون الثاني	العاشر	موشكينو	مكين	مسكين
شباتو	شباط	الحادي عشر	كلبو	كلب	كلب
ادارو	آذار (مارت)	الثاني عشر	امتو	امة	خادم (امة)

وللتأكيد على هذا الاقتباس ، نستعرض قليلا من المفردات الاكديّة والتي لها ما يقابلها لفظا ومعنى بالعبرانية ؛ لنخلص الى رأي يسند اقوالنا في ان الاصل هو اللغة الاكديّة لانها الاقدم فيكون التأثير لها في اللغة العربية وليس للغة العبرانية التي بحسب جماعة بانها ، اي العبرانية ، هي التي اثرت في العربية ، بل ان هذا سهل لنا القول بان اللغة العبرانية قد اشتقت تلك المفردات وغيرها ، من لغات وادي الرافدين بحكم الجوار والاتصال عن طريق التجارة والحروب والسيطرة والاضغاع ثم السبي وكتابة التلمود والمشنا في ارض العراق الذي صار منطلق روح الانتقام من الساميين ردا على تلك الهزيمة التي لاقتها اسرائيل والاسرائيليون :

أكدي	عبراني	عربي
نينورو	ننور	تنور
ارصيتو - اريصتو	ارض	ارض
بتولتو	بتوله	بتول
كامونو	كمون	كمون (نبات)
ايشرو	عريم	عشرين
زمارو	زمر	بزمير (يعزف بالزمار)
لا	لا	لا
ليلاني	ليل	ليلة
لابوسو	لبوس - لبوسه	لباس
مارتو	مرات	بنت (امرأة)
ميتو	ميت	ميت

فعلى هذا لا يمكن ان يدعى مدع بان وجود القليل من المفردات العبرانية التي هي على وزن فعلوت مثل ملكوت وجبروت وعلى وزن فالوت مثل طاغوت وجالوت ولاهوت وناسوت قد دخلت اللغة العربية من اللغة العبرانية ، لكن ان اعطت العبرانية مثل هذه الكلمات الى العربية ، فان العبرانية قد اخذت من اللغات السامية الاخرى اعتبارا من اللغة الاكديّة وامتدادا باللغات الارامية والاشورية ، وهذه الامثلة التي سقناها في الجدول المار الذكر تؤيد لنا بان الاصل القديم للغة هو اللسان الاكدي وليس الاصل البابلي (الارامي والاشوري) حسب ، حينما كان اليهود في السبي البابلي الشهير ، وكتبوا في ظلال اسوار بابل وجدران هياكلها التلمود والمشنا .

لكننا يمكننا ان ندعي بان قرابة العرب من اشقائهم الساميين الاخرين الذين كانوا يعيشون جيرانا لهم في العراق وسوريا ، هي التي لعبت الدور الاكبر في هذا النقل والاقتباس اللغوي والتلاحق الذي لاشك قد حدث بفعل التماس والاتصال . وان

الهجرات التي خرجت من باطن الجزيرة العربية على هيئة موجات ، لا يعني أنها دائما تسير نحو الشمال ، بل قد تلجأ جماعات من هؤلاء الى العودة الى باطن الجزيرة العربية ، كما حدث بالفعل لموجة سامية قد تكون عربية ايضا . ولقد كان اصل هذه الموجة الاول هو باطن الجزيرة العربية ، ثم تقدمت نحو الشمال فسكنت العراق ، ومن ثم ، ولظروف سياسية وفكرية نزحت من طرف الهلال الخصيب الشرقي (العراق) نحو طرف الهلال الخصيب الغربي (سوريا) . وما تلك الموجة السامية او العربية الا موجة ابراهيم الخليل النبي الذي كان يسكن اور الكلدانيين كما ورد في كل من التوراة والقرآن ، ثم انتقل هذا وجماعة من اهله وعشيرته الى فلسطين (ارض الكنعانيين) وهناك لم يجد ايضا ما كان يروم وجدانه ، فاضطر تحت تأثيرات قاسية ايضا الى الهجرة ثالثة الى باطن الجزيرة العربية ، حيث سكن في واد غير ذي زرع (مكة الحجاز) وبنى هناك هيكل العبادة (الكعبة) بيت الله الحرام ، بعد ان انكر شرك اليهود ، وبعد ان انكر اليهود هؤلاء العبرانيين (جماعة النبي ابراهيم الخليل) . ويمثل هذا الانتقال لاشك ان ابراهيم الخليل (الموجة السامية) المهاجرة ، قد نقلت مع ما نقلت من امتعة نقلت ايضا حضارة ولغة ومفردات لغوية ، تطعمت باللغة الاكدية الاولى ، ثم هاجرت عن طريق فلسطين (ارض الكنعانيين) الى باطن الجزيرة العربية (الحجاز) . وهذه امثلة كثيرة على هذه القربى اللغوية بين العربية والعبرانية الحقيقية ، وليست عبرانية اليهود ، ولا يهودية بنى اسرائيل التي هاجرت من ارض مصر الفراعنة الى ارض الكنعانيين (فلسطين) ، انما عبرانية (ابراهيم الخليل الكلداني) الذي تكلم الكلدانية حفيدة اللغة الاكدية :

اكدي	عربي
تينورو	تنور
نييلو	نبيل
سوقو	سوق
سوقاقو	زقاق
شيبيتو	سبعة
ابشرو - ايشيرتو	عشرة
شينا	اثنين
صانو	الثاني
شلاشا	ثلاثون
شلالتو	ثلاثة

اكدي	عربي
اربأ	اربعمون
خامشو - خانشو	خمس
خانشا	خمسون
شوشو	ستون
اربيتو	اربعة
شيشو	سنة
شمانو	ثمانية
اشرا	عشرين
ميا - مياتو	مائة
سيرو	صحراء
صيفرو	يصفرو
صيفر	صغير
صيفرتو	صغيرة
ريشو	راس
ركابو	يركب
مراصو	يمرض
ديانو	يحكم (حاكم - ديان)
دينو	حكم (ادانة)
كرارو	يجري
امسرو	ياسر
طابو	يطيب
ايلياو	يتلألا
اكالو	ياكل
مرصو	مرض
سلامو	يسلم (يسالم)
ساليمو	سلام
ارصيتو - اربصتو	ارض
كيپالو	يستقبل
بتولتو	بتول
كينونو	كانون (موقد)
كامونو	كمون (نبات)
امنو	يمين (اتجاه)
شامو	سماء
ابلو	جبل
دارو - داراتي	دوران
دارو	مستدير (دائرة)
زكرو	اسم

عربي	اكدي	عربي	اكدي
عقرب	أقربابو	ذكر (رجل)	زكارو
شمال	شوميلو	يزمر (يعزف بالزمار)	زمارو
سومر (الظاهر ان	شومير	لا !	لا !
الاصل سومر وليس		ليلة	ليلاتي
سومر)		اسد (لبوة)	لابو
خربوب	خاروبو	بناء	لينو
كوكب	كاكابو	لبنة (اجرة غير مفخورة)	ليتو
طوبى	طابو - طابنو	لباس	لابوسو
مسكين	موشكينو	ماء	مو
تنور (كير)	كيرو	بنت (امرأة)	مارتو
كلب	كلبو	يموت	ميتو
كلبة	كلباتو	ميت	موتو
يلعب	الپو	ملك (امير)	مالكو
أمة (خادم)	امتو	من ؟	مانو ؟
حمار	امارو	ماذا ؟	مينو ؟
ام (وهي قريبة من	يوم	ماء	موشو
المظهر الصوتي		الف (حرف)	اليتو
العامي العراقي)		أمة	امتو
اب	ابو	حمو	امو
آجر (حجر - طابوق)	آكرو	حماة	اميتو
يد	ايدو	ام	اومو
المؤاساة (الطب)	اسو	عنب	انبو
حقل	ايقلو	انا	اناكو
عنب (عريشة)	اريشو	اياي	اباشو
كيس (زميل)	ازاميلو	انف	انپ - انبو
اذن	اوزنو	الاسي (الطبيب)	آسو
زعفران	ازوبيرو - ازوبيرانو	سوقية (قحبة)	اسوقو
اخ	اخو	اتون (موقد)	اتونو
أخت	اختو	باب	بابو
اكدي	اكادو	بيت	بيتو
هيكل (قصر - معبد)	ايكالو	بابل	بابيلو
علو	ايلو	داخن (بالبخار)	نجر
عالي	ايلو	بلى !	بالو
على	ايلي	بين (واضح)	بانسو
عالي	ايلينو	خالق (من البناء)	بانسو
خصب (خصوبة)	خسبو	كحول	كوخلو
كما (مثل)	كيما	جمل	كمالو
كل (جميع)	كلا	اسير	اسيرو
كرم (عنب)	كرام	شمس	شمشي
صحراء (خرابة)	خرابو	عصفور	اسورو
برق	بيرقو	عصفور بحري (طائر	اسور اپاري
قملة	كالمات	البحر)	

ولكن قد نجد الفاظا جديدة وغريبة عن اللغة العربية او مختلفة الاستعمال فيها ، او قد تكون مرادفة لبعض الكلمات العربية مثل مدينة وسكن اذ قد تكون السكنى (السكن) عربية او مدينة غير عربية لعلاقتها بالسكنى (المخففة) وموقع الرأس من الرقبة في الجسم . وقد يحتاج بوجود هذه اللفظة ومثيلاتها في اللغة العربية للدلالة على ان العربية قد استقت من اللغة العبرانية . ونحن مثلما لم ننكر ان ترد في اللغة ، اي لغة ، واللغة العربية من بين اللغات ايضا ، كذلك لانكر ان تستقي اللغة العربية الجديد ، مثلما استقت الجبروت والملوك من العبرانية والسندس والاستبرق من الفارسية ، وغير هاتين وتلك ، ولكننا نود ان نؤكد اخيرا على ان اللغة العربية هي اقرب اتصالا جغرافيا وهجريا من الاقوام السامية (الاكديين والبابليين والاراميين والكلدانيين والاشوريين) الذين سكنوا العراق ، وهم قريبون ايضا من الاقوام السامية العبرانيين وفي مقدمتهم قوم ابراهيم الخليل الكلداني العبراني ، الذين نزحوا من فلسطين (ارض الكنعانيين) الى (الحجاز) . ولان اليهود وبني اسرائيل شكوك في اصولهم البشرية والعرقية من ناحية ، ونزوحاتهم المتعددة وهجراتهم المتكررة ما بين مصر الفراعنة وسيناء وفلسطين والعراق من ناحية ثانية ، تؤكد لنا على ان هؤلاء القوم ، وحتى العبرانيين (قوم ابراهيم الخليل) ليسوا اصولا ولا مصادر تقية ، يستقى منها الا ماندر ، خاصة تلك الالفاظ الجامدة غير الاشتقاقية ، اما الالفاظ الاشتقاقية في لغتنا العربية والتي لها مشابهاتها في اللغة العبرانية ، فنحن لاشك نسلم جدلا بانها عربية اصيلة ، ولا يمكن ان تردنا من لغة اخرى ، بل وقد نقول ان الاقوام السامية المهاجرة من باطن الجزيرة العربية ، لا يمكن ولا يعقل ان يهاجروا في حدود منتصف الالف الرابع قبل الميلاد دون ان تكون لديهم لغة ، مهما كانت مفردات تلك اللغة قليلة ، في الحين الذي عرفت الكتابة في وادي الرافدين في حدود اول الالف الرابع قبل الميلاد ، وبدأوا يدونون قضايا البيع والشراء ، وبدأوا يحسبون ويعدون ويحسون . لاشك ان مثل هذا الامر الذي حدث في سهل شinar ، لن يكون فريدا من نوعه ، ولكنه يمتاز بصفة سبق الحضاري على غيره من السهول والبقاع التي اخذت تنبع فيها الحضارة . وان الانسان السامي الذي هجر ارضه في الجزيرة العربية متوجها نحو ارض الخصب من وادي الرافدين ، لابد ان يكون انسانا قد وصل مرحلة فكرية عالية ، لكن وسائله الانتاجية كانت آنذاك ما تزال بسيطة لا تمكنه من ترقية حياته ، والا

لو لم يكن متفتحا ، وبممتلك ناصية لغة ، يقود بها فرد افرادا آخرين ، ويتوجه بهم جماعة عبر تلك الصحراء والمقازات المجذبة ، نحو العراق ، لاشك انه كان قد مات جوعا وهلك عطشا وصار فريسة للحيوانات الضارية .

ويمكننا ايضا ان الكلمة التي تنتقل من لغة الى لغة ، كان تنتقل من اللغة الاكدي الى اللغة العربية لا تبقى على معناها ، بل تخرج عن ذلك المعنى . وقد يختلف شكلها اللفظي جزئيا ، كان يحدث القلب او الابدال او الحذف او الانفاة او الامالة او التحريك ايضا ، فان (تبولتو) في الاكدي لا تعني العذراء كما في العربية ، انما تعني المراهقة ، لذلك يوجد في الاكدي المراهق ايضا (تبولو) بينما لا يوجد هذا اللفظ في العربية ، وهذا هو سبب وجود الترادف التام في اللغة العربية . وقد يكون في غيرها ايضا مثل سكن ومدينة ، وسفر وكتاب ، وعنان وسحاب .

ان الانتقال كما قلنا اما ان يؤدي الى ظهور ترادف تام في اللغة ، واما ان يخرج بها عن معناها الاصلي كما اشرنا ايضا . وللتدليل على هذا ، نقول انه قد حدث في اللغة العربية حديثا مثل هذا ، اذ اطلقت كلمة (الخام) على النوع الابيض القطني من القماش ، المعروف ان كلمة (خام) في الاصل معناها المادة الطبيعية قبل ان تصنع او تحسن ، نقيلا مثلا عن القماش غير الملون وغير المرقش بانه قماش خام ، فحذفت كلمة قماش وبقيت (الخام) وحدها فصارت اسما علما لدينا ، ومثيلا قيل هذا بطيخ رقي (لان هذا البطيخ كان يؤتى به من الرقبة في سوريا) فحذف العراقيون كلمة البطيخ وبقيت (الرقي) فاصبحت علما ، كما يقال الحموي ، ويقصدون به المشمش الحموي (من حماة) . وفي اللهجة العراقية الشعبية ورد مثل هذه الانماط الكثير ، اذ ان كلمة ململة (عبرانية) ومعناها القماش الرقيق ، ولان اليهود هم الذين كانوا يتعاطون تجارة الاقمشة صاروا يقولون هذا قماش (ململة) اي قماش رقيق ، ثم صار العراقيون يقولون (ململ) على نوع من القماش القطني الرقيق الابيض وهو معروف لدينا ، كما انتقلت ايضا كلمة (لام) من اليهود العراقيين وهي تعني في العبرانية (الجمع الفقير) فصار لفظها لدينا (له) ومنين (العبرانية) وهي من اين ؟ ! ظلت على لفظها في شميمنا (منين ؟ !) .

ان كلمة دين بالعبرانية ، تعني شريعة ، وهي في العربية ذات نفس المعنى ، ولكن ليست هذه الكلمة

ماخوذة من العبرانية ولا العكس ، بل انها اشتقت في كلتا اللغتين من كلمة « ديانو » الاكدية ، وهي بمعنى الحاكم ، ومنها في العربية (الديان) وهو الله . وان كلمة (زمارو) الاكدية خرج منها اللفظ (يزمر) العربي والمزمار ، والمزموار والمزامير العبرانيان وهو يعني (النشيد) . وشين الارقام الحسابية في الكلمات الاكدية هو نفسه (شين) في العبرانية . و (سين) في العربية مثل شوشو (ستون) وتيشو (تسع) وشمشي (شمس) وشامو (سماء) وريشو (راس) وموشو (مساء) . وقد لا نبالغ اذا قلنا ان كلمة (بتول) العربية و (بتوله) العبرانية هما من مصدر واحد ، الا وهو الاكدية اذ وردت فيها مفردتان هما (بتولنو وبتولو) . والظاهر ان تاء النائيث العربية قد اخذت من اللغة الاكدية وما بعدها البابلية ، اذ ان كل كلمة تنتهي بتاء مضمومة او ملحوقه بواو ، فهي مؤنث ، وان خلت من التاء وبقي الحرف الاخير مضموما او ملحوقا بواو ، فهي مذكر فان (امانو ، اميتو ، ليلاتو ، بيتو ، مارتو ، صغيرتو) هي الفاظ تدل على المؤنث ، بينما (بتولو ، صغيرو ، امو ، اخو ، كاكابو) انما هي الفاظ تدل على مذكر . واذا امعنا النظر ، فاننا سنرى ان للاسماء الاكدية مذكرا ومؤنثا مثل (بتولو وبتولنو ، امو واميتو ، كلبو وكلباتو ، اخو واخنو) ، ومثيل هذا في العربية قليل مثل (نمر ونمرة ، ذئب وذئبة ، غزال وغزالة) وهذا يقودنا الى القول بان هذا النمط قد وردنا من اللغة الاكدية ، لان اكثر الاسماء او اغلبها ليس لها مذكر او مؤنث من اشتقاقها مثل

(رجل وامرأة ، ولد وبنت ، جمل وناقة ، خروف ونعجة) ولا نقول (رجل ورجلة ، ولد وولدة ، جمل وجملة ، خروف وخروفة) الا الصفات ، وهذا عام في جميع اللغات .

وقد نتجرا ، فنقول ان جميع الاسماء الاكدية تنتهي بالضمّة ، سواء كانت مؤنثة او مذكرة مثل كلبو وكلباتو وامو واميتو ، وهذا ما عكس حركة الضمة على كل كلمة اسمية مجردة ، فاصبحت هي اول حركة اعرابية ثم تطورت في اللغة العربية ونشأت الحركات الاخرى بعد اتساعها وتمعدها .

المراجع

- ١ - بالفرنسية
Manuel D'epigraphie Akkadienne
Par : René Labat
- ٢ - تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسون .
- ٣ - مختصر تاريخ سوريا ولبنان : فيليب حتي
- ٤ - فقه اللغة : الثعالبي
- ٥ - فقه اللغة : محمد المبارك
- ٦ - فقه اللغة المقارن : د. ابراهيم السامرائي
- ٧ - علم اللغة : د. علي عبدالواحد وافي
- ٨ - دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح
- ٩ - القاموس المحيط : الفيروز اباذي
- ١٠ - القاموس العبري : محمد التونجي
- ١١ - اللغة العبرية وادابها : ربحي كمال

النصوص المحققة

شرح مشكلات ديوان أبي الطيب المتنبي أو الفتح على فتح أبي الفتح رداً على ابن جنى

تأليف
أبي علي بن قزحبة البربردي

تحقيق الدكتور

محسن غياض

كلية الآداب - جامعة بغداد

القسم الاول

المقدمة

باسمه تعالى وله الحمد وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين .

وبعد ، فلا خلاف في ان ابا الطيب احمد بن
الحسين المتنبي هو اعظم شعراء العربية نبوغاً
واكثرهم شهرة واشغلهم للناس في عصره والى يومنا
هذا . واذا كانت بعض الامم تنازع العربية في بعض
شعرائها ، فلا ريب ان ابا الطيب هو شاعر العربية
الذي لا ينازعها فيه منازع ، وكفاها ذاك فخراً وغنى
عن سواه .

ولا نعرف ادبياً نال من اهتمام الامة ورعايتها
ما ناله ابو الطيب وشعره . فقد ظفر ديوانه بما لم
يظفر به ديوان آخر من كثرة الشارحين والدارسين .
وقد بلغت شروح الديوان حتى القرن الهجري
السابع وهو زمن ابن خلكان اكثر من اربعين شرحاً
ما بين مطولات ومختصرات (ولم يفعل هذا بديوان

غيره ، ولا شك انه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره
السعادة التامة) (١) .

ثم زادت الشروح اضعاف ما ذكر ابن خلكان ،
وقد ذكر قسماً منها الشيخ يوسف البديمي (٢)
وصاحب كشف الظنون (٣) .

وقد ضاع قسم من هذه الشروح وبقي القسم
الاعظم مخطوطاً ولم ينشر منها غير بضعة شروح
فقط (٤) .

واقدم تلك الشروح كلها مخطوطها ومطبوعها
شرحاً الامام ابن جنى ، الكبير الموسوم بالفسر (٥)
والصغير الموسوم بالفتح الوهبي على مشكلات شعر

(١) وفيات الاعيان ١/١٠٢ .

(٢) الصبح المتنبي ١٦١ .

(٣) كشف الظنون ١/٨٠٩-٨١٠ .

(٤) نشر شرح العكبري في القاهرة سنة ١٩٢٦ وشرح الواحدي
في برلين سنة ١٨٦١ .

(٥) نشر الدكتور صفاء خلوصي الجزء الاول منه ببغداد
سنة ١٩٧٠ .

المتنبي^(٦) ، وكل الشراح بعد ذلك عيال على ابن جني في شرحه السابقين . وقد كثرت ردود الادباء على الشرح الصغير خاصة ولقي من الاهتمام اكثر مما لقي الشرح الكبير ، وسبب ذلك ان ابن جني تناول فيه ابيات معاني المتنبي خاصة ، وهي اكثر شعره غموضا واشده ابهاما . فكانت لاجل ذلك مادة صالحة للخصومة فيها والجدل في تفسيرها .

وممن رد على ابن جني في شرحه الصغير ، الشريف المرتضى علم الهدى في كتابه (تتبع ابيات المعاني التي تكلم عليها ابن جني)^(٧) وابو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني في كتابه (الواضح في مشكلات شعر المتنبي)^(٨) وابو جعفر القزاز^(٩) وابن الحاجب^(١٠) وابن فورجة البروجردى في كتابه (الفتح على فتح ابي الفتح)^(١١) وهو هذا الكتاب . (والتجني على ابن جني)^(١٢) وقد ضاع فيما ضاع من كتب التراث ونفائسه .

مؤلف الكتاب

هو ابن فورجة البروجردى ، لم تترجم له الا قلة من مصادرنا ، ترجمة موجزة مقتضبة لا غناء فيها . وهي على ذلك كله مختلفة في اسم الرجل اهو ابو علي محمد بن محمد ام حمد بن محمد . وهي مختلفة في سنة وفاته اذ مات سنة ٢٨٠ م بقي حيا الى سنة ٢٧٠ م عمر حتى ادرك سنة ٥٥٠ (١٣) ولا قيمة لذلك كله ، وما هو بضائر في نسبة هذا الكتاب اليه وما كشفه من فضله وعلمه وقد تتلمذ ابن فورجة لابي العلاء الميري وقرا عليه ديوان المتنبي خاصة ، عند زيارة الميري لبغداد .

وفي كتابنا هذا كثير من النصوص التي تدل على تلك التلمذة وتؤكددها ، فمن ذلك قوله (انشدني الشيخ ابو العلاء لنفسه) وقوله (التفسير الاول فائدني من الشيخ ابي العلاء وليس مما استنبطته) .

وكتابه هذا يكشف عن غزارة علمه وعلو كعبه

(٦) انجزنا تحقيقه وسيصدر قريبا عن وزارة الاعلام العراقية .

(٧) معجم الادباء ١٧٤/٥ .

(٨) حققه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ونشره بتونس سنة ١٩٦٨ .

(٩) معجم الادباء ٧١/٦ .

(١٠) فهرست المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية ٢٨/١ .

(١١) كشف القنون ١٢٢٢/٢ .

(١٢) معجم الادباء ٧/٧ .

(١٣) انظر لي ترجمة ابن فورجة والخلاف حوله معجم الادباء ٧/٧ ولوات الوفيات ٢٩٧/٢ وبغية الوعاة ٩٦/١-٩٧ قال ياقوت (ابن فورجة . بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم) .

في علوم العربية ونقد الشعر ، كما يكشف عن تواضع نبيل وخلق دمث ونفس حلوة لينة . واسمعه يقول في خاتمة رد له على ابن جني والقاضي ابي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني (واذا زل الشيخ ابو الفتح عذرناه لكونه عن صناعة الشعر بمعزل . فاما القاضي ابو الحسن فلا عذر له . وانما جنابة العجلة ، وحاشا لله ان ادعي الفضل على تلامذتهما ، فكيف عليهما ، ولعل السهو ان يتفق علي في كثير مما اظنني احزرت اطرافه في هذا الكتاب فضلا عما سواه) هذا ادب التلميذ وتواضع العالم وخلق السلف الصالح وكريم تربيته . وهو بعد ان انتهى في كتابه هذا من تتبع ابن جني والرد عليه وتفنيد آرائه وحججه ، ختم كتابه باجمل ما يختم به كتاب في الرد والمناقضة والاستدراك ، فقال (وما توخينا الفضل علي ابي الفتح بن جني ولا سمت هممنا الى مباراته ، وبودنا لو ادركنا القراءة عليه والاستفادة منه) فدل بذلك على نفس كريمة وشماثل خيرة وبعد عن الهوى . وانه ما قصد بكتابه هذا غير العلم وخدمته .

وقد كان ابن فورجة فيما يبدو من تلك النخبة المباركة من علماء العربية وائمة الاسلام ، التي لا تقترب الى السلطان ولا تجعل من علمها وسيلة لكسب ولا سلما لطمع في مال او جاه ، وترى الخير كله في الابتعاد عن السلاطين والزهد بما في ايديهم ، وقد كشف ابن فورجة عن رايه هذا في نص نادر من هذا الكتاب فقال في معرض رده على ابن جنسي (ولا معنى لحياء المتنبي من الله سبحانه اذا فارق دار عضد الدولة واصطفاه ، بل يجب ان يتقرب الى الله عز وجل بتلك المفارقة والزهد في داره ، اذ كان ملكا ظالما) .

ولعل تعفف ابن فورجة عن الاتصال بالسلطين وزهده في بلاطاتهم ، وانصرافه ، شان النخبة الخيرة من العلماء ، الى تأليفه وتلامذته ، هو الذي اخمل ذكره وجعل الذين ترجموا له يختلفون حتى في اسمه وسنة وفاته . ولو كان ممن تزيت بهم بلاطات الملوك ، لاستفاضت اخباره وكثر عارفوه .

هذا الكتاب

وهذا كتاب في تفسير الشعر ونقده ، وهو احد كتبين لا ثالث لهما ، الفهما ابن فورجة في الرد على ابن جني فيما فسر به ديوان المتنبي . أحدهما (الفتح على فتح ابي الفتح) وثانيهما (التجني على ابن جني) وقد اشارت اليهما المصادر القديمة ما ترجم منها لابن فورجة وما تحدث منها عن المتنبي وشروح

ديوانه (١٤) وفي عصرنا هذا الحديث ذكر الاستاذ بروكلمن وجود احد الكتابين في مكتبة الاسكوريال برقم ٣٠٧٠ وقال انه كتاب (التجني على ابن جني) (١٥) وتابعه في ذلك الاستاذ بلاشير (١٦) ثم صور معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ذلك الكتاب ، واتاح لنا فرصة الاطلاع عليه وقراءته وتحقيقه . وقد ظهر لي ان الاستاذين بروكلمن وبلاشير كانا واهمين في اسم الكتاب ولم يقرأه احد منهما ولا اطلع عليه . وقد وقع بمثل هذا الوهم كل من تابعهما من الادباء والمحققين ، فكتابنا هذا هو نفسه (الفتح على فتح ابي الفتح) وليس كتاب (التجني على ابن جني) .

ولنا على ذلك ادلة لا شك في قوتها ، اولها : ان ابن فورجة يشير في كتابه هذا الى كتاب التجني ويستدرك في هذا الكتاب بعض ما فاته في ذاك ، وهو الاسبق تأليفاً ، فيقول (قد كنت ذكرت هذا البيت في كتابي الموسوم بالتجني على ابن جني وحضرتي الان ما لم اورد سالفاً) ويقول ايضا (هذا البيت قد ذكرناه في كتاب التجني) . وثانيها : ان ابن المرشد سليمان بن علي المري ذكر نصوصاً من هذا الكتاب ، في مختصره الموسوم بـ (مختصر تفسير ابیات المعاني من شعر ابي الطيب المتنبي) (١٧) وقال ان ابن فورجة ذكر هذا في كتابه (الفتح على فتح ابي الفتح) (١٨) وثالثها : ان ليس لابن فورجة غير ذين الكتابين ، التجني والفتح .

واذا كان قد ذكر التجني في هذا الكتاب و اشار اليه كمؤلف سابق ، فمما لا جدل فيه ان ثانيهما وهو الفتح ، كتابنا هذا بعينه ، ولعل العنوان الذي كتب على صفحته الاولى وهو (شرح مشكلات ديوان شعر ابي الطيب المتنبي) من عمل بعض المتأخرين الذين لم يهتدوا الى عنوانه الحقيقي .

والكتاب يقع في خمس وخمسين ورقة متوسطة الحجم (١٦ x ٢٣ سم) في كل ورقة تسعة وعشرون سطراً . وكتب على صفحته الاولى (بقلم نسخ حسن من القرن السابع) وعلى تلك الصفحة ايضا صورتان لختمي تملك الكتاب الاولى (ملكه العبد الفقير يحيى بن محمد الملاح) والثانية (دخل في سلك ملك الفقير

الى الفني الصمد علي بن امر الله بن محمد بدمشق سنة ٩٧١) . وكتب على الورقة الاخيرة منه (تم الكتاب والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وعترته وسلامه وكان الفراغ من تفيقه يوم الثلاثاء) وكتب على جانب تلك الورقة ما صورته (قابلته بالاصل المنقول منه والحمد لله حمد الشاكرين) ولم نجد اية اشارة الى سنة كتابته او الى مكان الاصل المنقول عنه او الى اسم الناسخ الذي نسخ الكتاب وقابله باصله .

موضوع الكتاب ومنهجه :

يشير ابن فورجة في مقدمة الكتاب الى انه الفه استجابة لرغبة شخص سأل ان يتبع الابيات الفامضة في شعر المتنبي ويشرح غريبها ويكشف غوامضها . لكنه لم يصرح باسم ذلك الشخص الذي طلب اليه تأليف الكتاب ، وكانت المقدمة دراسة نقدية ممتازة حاول ابن فورجة فيها ان يضع يده على مفاتيح الفموض والابهام في بعض الشعر العربي . فجعل ذلك انواعاً ثلاثة وقسم الاول منها ثلاثة اقسام والثاني اربعة اقسام اما النوع الثالث فلا اقسام له . وهي محاولة قيمة حصر فيها المؤلف مصادر الفموض والابهام الذي قد يجده المرء في الشعر العربي ، ومن المؤلف ان تسقط من المقدمة بضع ورقات سقط معها القسمان الثاني والثالث من النوع الاول كما سقط النوع الثاني وثلاثة من اقسامه . ولم يبق منه الا القسم الرابع . وبقي ايضا النوع الثالث الذي لا اقسام له . وقد مثل المؤلف لكل قسم ولكل نوع بامثلة من الشعر العربي وبما يماثله من شعر ابي الطيب المتنبي .

ثم بدا كتابه مرتباً الابيات موضع الدراسة ترتيباً هجائياً . وان كان لم يشر الى ذلك ، فبدأ الكتاب بحرف الهمزة وختمه بحرف الياء وجاءت بقية الحروف بينهما ، وهو لم يستوف كل قوافي الديوان . وقد فعل ذلك قبله ابو الفتح ابن جني في كتابه (الفتح الوهبي) ولما كان هذا الكتاب رداً على كتاب الفتح الوهبي وتعقباً لابن جني فيه فقد لزم ابن فورجة منهجه وطريقة تبويبه . والكتاب وان كان في معظمه رداً على ابن جني الا انه لا يخلو من بعض الردود على القاضي الجرجاني في وساطته وابي علي الحاتمي في رسالته الحاتمية والصاحب بن عباد في كشفه عن مساوي شعر المتنبي . وهو في ردوده تلك لا يخرج عما قرناه له من لين الجانب ودماثة الخلق وتجلته للذين يرد عليهم واكباره لهم . ولكنه اذا عرض للرد على الصاحب بن عباد خرج عن طوره وعما الفناه منه ، فكان عنيفاً قاسياً غليظاً واسمعه

(١٤) معجم الادباء ٤/٧ وفوات الوفيات ٢/٢٩٧ وكشف الظنون ٨٠٩/١ .

(١٥) تاريخ الادب العربي ٨٩/٢ .

(١٦) ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين ٢١ .

(١٧) عثرنا على نسخته النادرة في مكتبة الحرم المكي الشريف وانجزنا تحقيقها بالاشتراك مع الدكتور مجاهد الصواف وستنشر قريباً ان شاء الله .

(١٨) مختصر المري ٢٢ .

يقول في بعض ردوده عليه (وما شهدت احدا من الفضلاء وذوي العقول يلزمه غير هذا الظالم فان كان لا يرتضيه هو من بينهم وحده وليس بأفضلهم ولا اعقلهم فلعله ما ذاك) .

وهناك ابيات لم يفسرها ابن جني وفيها من الغموض والابهام ما يحتاج الى شرح وابانة فاستخرجها هو وفسرها لكي لا يشذ عما شرطه على نفسه في كتابه هذا من تتبع غريب شعر المتنبي وغامضه .

وهناك غير هذا وذاك ابيات لا يرفض تفسير ابن جني لها ولا يرد عليه فيها وانما يوافقها فيما ذهب اليه ثم يقترح لها تفسيراً آخر يراه اقرب من الاول واحسن منه (قد فر هذا البيت ابو الفتح فوجود ولم يبق ما يزداد اليه ونحن نتكلم فيه لئلا يشذ عن هذا الكتاب بيت مما له معنى غلق الا ونأتي به) وقال في مكان آخر (وجود ولم يقصر غير ان عندي معنى اسهل من هذا وان كان ما قاله غير ممتنع) .

وهو ينظر للقصيدة كوحدة متماسكة ويربط في تفسير المعنى بين البيت وما بعده وما قبله ، وقد اتاح له هذا ، الكشف عن معاني لم يتوصل اليها ابن جني ولا ادركها . وهو قوي الحجة والمارضة متقن للجدل المنطقي ولا يكتفي بالرد وتفنيد ما يعترض عليه . وانما يفترض وجود من يحتاج عن الرأي المردود ويدافع عنه ثم يفترض له وجوها من الاقوال والادلة ويسارع الى الرد عليها وتفنيدها مقتدرا متمكنا . وقارئ الكتاب يلحظ دون شك تلك الامانة العلمية الصادقة التي يتحلى بها المؤلف في ذكره لآراء خصومه واقوالهم كاملة غير منقوصة قبل رده عليها . وهو امر جدير بالحمد والاعجاب . كما يلحظ شدة اهتمامه برواية الشعر ودقته في توثيق البيت المختلف عليه ، وقد قرأت هذا الديوان تصحيحا ورواية بالعراق على علماء عدة ورواة ذات كثرة (وهو بالوقت الذي لا يقتنع فيه بقراءة الديوان على عالم واحد او رواية واحد كما يفعل الكثيرون من الناس . فانه لا يكتفي بنسخة واحدة من الديوان لتوثيق الرواية وانما يرجع الى نسخ عدة (ووقعت الى نسخ غير واحدة شاميات في كلها كروا) قال ذلك ردا على رواية ابن جني في فتح كاف الكلمة (١٩) .

وهو مع شدة اهتمامه بالرواية وتوثيقها من مصادر مختلفة فانه لا يرى حرجا من الاجتهاد برايه

(١٩) الكلمة موضع الخلاف في بيت المتنبي (المكبري ٢ / ٢١٢)
اني خير الامر لقليل كروا فقلت نعم ولو لحقوا بشائ

مخالفا الروايات المتفقة (هكذا رواه الشيخ أبو الفتح وكلنا رويته ايضا عن عدة مشايخ الا ان الصواب عندي ان يروي سبقها بالنون لما انا ذاكره) .

ولابن فورجة ملاحظات نقدية قيمة على شعر المتنبي عامة وهي ملاحظات توصل اليها بطول صحبته لديوان الشاعر وكثرة تدارسه وعنايته به . ومن ذلك قوله :

(فكيف يوطي وهو يتجنب في شعره تكرير اللفظة الواحدة في حشو البيت فضلا عن القافية فلا تكاد تجد له لفظة مكررة في بيتين في قصيدة واحدة . الا القليل النزر بل لا يتجنب مثل ذلك الطائيان ومن له تمرس بالشعر تمرسه . فدواوين جميع الفحولة مملوءة من التكرير ما خلا هذا الديوان الواحد) .

وقال في ملاحظة ثانية (الا ان له عادة في قطع الكلام الاول قبل استيفاء الفائدة واتمام الخبر ، وقد فعل ذلك في كثير من شعره) .

وملاحظة ثالثة لا تقل قيمة واصالة عن سابقتها (وقد استقرت شعره كله فوجدته لا ينزل عن هذا المذهب في كل ما مدح به فاذا اورد ضميرا في ذم رده الى الكلام الاول تفاديا ان يخاطب به مواجها او يردده الى نفسه مخبرا ، وهذا من ادق ما في شعره من الحسن وادله على حكمته واستيلانه على قصص (سبق) هذه الملاحظات القيمة الممتازة التي لم نجد مثلها عند احد من دارسي المتنبي في القديم والحديث ، تدل بلا شك على طول تدارس المؤلف للديوان وقراءته الواعية المستأنية له وعلى ما وهبه الله من حس نقدي موفور واصالة في البحث والتتبع والاستقصاء .

وبقيت الاشارة الى ما قد يلفت نظر القارئ للكتاب ، وهو تكذيب المؤلف الصريح لابي الفتح ابن جني في احد ردوده عليه فيما زعم سماعه عن المتنبي (وانا احلف بالله العلي ان كان ابو الطيب قط سئل عن هذا البيت فاجاب بهذا الجواب الذي حكاه ابن جني وان كان الا مزيدا مبطلا فيما يدعيه) وابن فورجة ليس اول من اتهم ابن جني بالكذب على المتنبي ، فقد سبقه الى ذلك ابو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني الذي قال في كتابه الواضح (لابي الفتح ثلاث علل اتخذها قواعد في شعر المتنبي اذا ضيق به الامر احداها انه يحيل بالمعنى على الفسر الكبير والثانية ان يقول بهذا اجابني المتنبي عند الاجتماع . والثالثة ان يقرن بالبيت مسألة في النحو يستهلك البيت واللفظ والمعنى) (٢٠) .

ونحن لا نشك في صدق ابن جني وامانة ومن

قرأ على المتنبي حجة على من لم يقرأ ومن سمع عنه حجة على من لم يسمع .

ولكننا نعتقد ان المتنبي لم يكن امينا ولا صادقا في بعض ما فسر من شعره لابن جني وانه ضلله في بعض ما قاله له ولم يشأ ان يفصح له عن كل غوامضه وشوارده التي كان يفخر بها ويطره اختلاف الناس فيها وخصومتهم حولها وهو امر يدل على تعمد المتنبي لذلك تعمدا وقصدا :

انام ملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جراحها ويختصم

وقد احس ابن فورجة بشيء من ذلك ولم يحققه يقينا (واطنه كان يتعمد ذلك) وهناك نص نادر نقله ابن جني عن علي بن حمزة البصري وهو احد رواة المتنبي استضافه عند مروره ببغداد ورافقه في رحلته الى بلاد فارس ، فقد ذكر ان المتنبي قال له بعد ان انشد احد ابياته المعقدة التي اختصم فيها الناس طويلا ، (اتظن هذا الشعر لهؤلاء المدوحين هؤلاء يكفيهم اليسر وانما عمله لك لتستحسنه ، اي لك ، ولا مثالك) (٢١) كان المتنبي اذن يعتمد الى الفموض والتعقيد في بعض شعره عمدا ليشغل به الادباء والعلماء والرواة وليجد في خصومتهم وجدلهم لذته وسعاده . وهو امر يجعله دائما موضع اهتمام الناس ومحاوراتهم واحاديثهم . رجل كهذا لا يمكن ان يفصح بسهولة عن كل معانيه الفاضلة لابن جني الذي يضعها بين ايدي الناس ويقطع بذلك جدلهم وخصومتهم واهتمامهم بشعر الشاعر . من هنا كان تضليله لابن جني ومن هنا تعرض الرجل الى التكذيب والمطاعن .

قيمة الكتاب

ولم يسلم الناس لابن فورجة بصحة كل ما ذهب اليه من ردود على ابي الفتح ولم يتفقوا على صواب كل ما قال . فقد ذكر ابو المرشد سليمان المري في مختصره ان رد ابن فورجة على ابن جني لا يخلو (من الفاظ غير مفيدة ومقاصد في الرد عليه ليست بالرشيدة) (٢٢) وقال الواحدى في مقدمته لشرح الديوان ونقل صاحب كشف الظنون قوله هذا (اما ابن فورجة فانه كسر مجلدين لطيفتين على شرح معاني هذا الديوان سمى احدهما (التجني على ابن جني) والاخرى (الفتح على ابي الفتح)

(٢١) الفتح الوهبي ٢٧ ، اما البيت الذي انشده قبل ذلك .
فقوله :

وكان ابنا عدو كائراه له يادي هروف انيسيان

(انظر العكبري ٢٦١/٤) .

(٢٢) مختصر تفسير آيات معاني المتنبي (المقدمة) .

افاد بالكثير منها غائضا على الدرر وفائزا بالفرر ثم لم يخل من ضعف البنية البشرية والسهو الذي قلما يخلو عنه احد من البرية ، ولقد تصفحت كتابيه واعلمت على مواضع الزلل (٢٣) .

ومع ذلك فان كتابي ابن فورجة كانا ككتابي ابن جني مصدرا اساسيا لكل الذين شرحوا شعر المتنبي بعدهما ، وقد اكثر العكبري والواحدى وسليمان المري من النقل عنه والاستشهاد باقواله يشيرون اليه احيانا ويفعلون ذكره احيانا اخرى وقد تتبعنا ذلك كله واثبتناه في حواشي الكتاب توثيقا لنصوصه من جهة واظهارا لفضل ابن فورجة وسبقه وتقدمه من جهة اخرى . فاذا اضفنا الى ذلك كله ما سبقت الاشارة اليه من الملاحظات النقدية المهمة على شعر الشاعر ومن الاهتمام بضبط رواية الشعر وتوثيقه ، تبين لنا مزية هذا الكتاب وقيمه واهميته بين شروح الديوان الاخرى .

عملي في الكتاب

وقد كان الله سبحانه وفقني للعثور على النسخة النادرة من كتاب ابن جني (الفتح الوهبي) ويسر لي امر تحقيقها ونشرها ، ولما كان كتاب ابن فورجة هذا ردا على ذلك الكتاب ، فقد رايت في تحقيقه اكمالا لعملي الاول وتتمة له . وقد حاولت جهد العاجز المقصر ان اضبط نص الكتاب على احسن صورة مستطاعة وان اوثق نصوصه وشواهد الشعرية والنثرية وما تضمنه من اقوال الذين رد عليهم بالاشارة الى مصادرهما الاولى منبها على الخلاف في الرواية ومشيئا اليه . وقد شذت عني بعض شواهد لم اهتمد الى قائلها ولم اعثر عليها في المصادر التي اطلعت عليها ، وقد نبهت الى ذلك في حواشي الكتاب لعل احدا من فضلاء الباحثين يعثر عليها او على بعض منها فينبهنا عليها ويرشدنا اليها .

وقد قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله (ولعل السهو ان يتفق علي في كثير مما اظنني احرزت اطرافه في هذا الكتاب فضلا عما سواه) .

وانا اقول مثل قوله هذا ، واستغفر الله لي وله . والله الحمد والمنة والفضل جميعا ، والشكر جزيلا مضاعفا لكل الاخوة زملاء الذين ساعدوني في عملي هذا وفي مقدمتهم الاستاذ الدكتور حسين نصار والاستاذ قاسم الخطاط معاون مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية والاستاذ مصطفى عبداللطيف المدرس بجامعة البصرة والاستاذ علي عباس علوان المدرس بجامعة بغداد .

(٢٣) شرح الواحدى ، وكشف الظنون ٨١٠/١ .

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد المقر له بالقصور عن حق حمده المائذ به من التقصير دون بلوغ جهده الراغب من فضله في المزيد المستجير به من التكبر والتكيد وصلواته على الصادق بما أمر القامع لمن كفر محمد المختار وآله الأبرار .

سالت أنا لك الله سؤلك وير لك مامولك - ان اتبع شعر أبي الطيب المتنبى فاستخرج منه الابيات الغامضة واثرحها لك شرحا يأتي على اغرابه واعرابه حتى تكون لمعانيها متصورا وعلى حل عقدها مقتدرا ، وها انا قد شمرت لاسعافك بما سالت ان كان ظنك بعلمي صادقا والقدر على ما ارومه موافقا وبالله استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل .

فأقول : ان ما يستبهم معانيه على الأذهان من الشعر ثلاثة اضرب وفي كلها يضرب هذا الديوان بهم ويأخذ منه بقسم ، وانا اضع في كتابي هذا لكل نوع منها مثالا تعرفه وادلك على مثله من شعر هذا الفاضل لتدرج به الى ما ترومه وتتخذ سلما الى ما تعطو له ويكون لك عوننا على متوخاه وتلتسمه فلا شيء افتق للخواطر في استنباط المعاني من مهاجستها ولا ابعث للقرائح على استشارتها من مكانها من طول مراسها وعد انفاسها ، والله موفقك وهاديك ومرشدك .

فاول نوع منه هو الذي صدك جهل غريبه عن تصور غرضه وهذا النوع مقسم ثلاثة اقسام :

احدها ما لا يتضمن غير كلام مهجور ولفظ مستشع ، وهو كقول الراجز .

أما تريني في الوقار والعله

قاربت امشي القمولى والفنجله

وتارة انبت نيشا ثقليه

خزعة الضبعان راح الهنبله (١)

يخاطب امرأة ازدرته وعيرته شيبه والعله التحير والتبلد يقال : عله يعله عليها والقمولى نوع من المشي يقلب الرجل فيه رجله كأنه من عرج ، يقال : مر يقول . والفنجله : مشي فيه تقارب والنفلة اثاره التراب كأنه لضعفه لا يملك رجله فهو يجرحها جرا ويشير بهما التراب ، ومثلها النملة وبه سمي الرجل نملا . والخزعة والخذعة بالذال أيضا هما نوع من المشي شر ما فيه التراب ومنه ناقة

(١) الاصمعيان ٢٢٥-٢٢٦ لصغير بن صبر .

خزعال اذا كانت تثير التراب اذا سارت ، وليس في كلام العرب فعلا عينه غير لامة غير هذه الكلمة . يقال : مر بخزعل وبخذعل والهنبله نوع من المشي في تواد ، فهذا وامثاله لا يفيد الا معرفة الغريب فاذا عرف انكشف عن معنى ظاهر وعليه شعر أبي حرام العكلي من هذا الجنس ولا تكاد تجد من هذا (٢) . تعالى وبه الثقة .

وهذا القسم تجد منه الكثير في شعر أبي تمام كقوله :

أحمد بن سعيد أذخر الاسى

فيها رواء الحر يوم ظمائه (٣)

يقول اجعل الاسى وهو من التآسي التعزي ذكرك واصبر في هذه الرزية فان الحر يروى يوم عطشه اي يصبر على محنته حتى يحصل له الثواب والشاذ في هذا البيت من الشعر ان الالف واللام في الاسى هي التي بمعنى الذي وتحتاج الى صلة ، يعني اذخر الاسى التي فيها رواء الحر ، وهذا كقولك : ضربت الرجل ضربك ، يعني الذي ضربك ومثل ذلك ايضا من شعره قوله (٤) :

أنت النواي دون الهوى فأتى الاسى

دون الاسى بحرارة لم تبرد (٥)

اي حالت النوى بيني وبين من اهواه واتى الحزن دون العزاء ، اي حال دونه بحرارة وجد لم تبرد ، وقوله (دون الهوى) يريد من اهواه ، يقال : فلان هواي ، يريد من اهواه كأنه سمي بالمصدر ، اي هو ذو هو اي ، كما يقال : فلان معرفتي وودي ، اي ذو معرفتي وذو ودي ، فاما في شعر ابني الطيب ، فهذا القسم ايضا موجود واطنه كان يعتمد الى ذلك تصديقا لقوله :

انام ملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جراها ويختصم (٦)

فمن ذلك قوله :

أحاد ام سدداس في أحاد

لييلتنا المنوطة بالتناد (٧)

(١) الكلام هنا منقطع غير متصل مما يدل على وقوع بعض صفحات من المخطوطة .

(٢) ديوان أبي تمام ٢١٢ بيروت ١٨٨٩ وفيه (ان اسى الفتى) .

(٣) اي أبي تمام .

(٤) ديوان أبي تمام بشرح التبرزي ٤١/٢ .

(٥) ديوان المتنبى بشرح العكبري ٢٦٧/٢ .

(٦) المصدر السابق ٢٥٢/١ .

احاد وسداس معدولتان عن واحد وستة ،
وقوله (ليلتنا) تصغير ليلة ، اراد بذلك تصغير
التعظيم ، كقول لبيد :

دويهة تصفر منها الانامل (٨)

وقوله (في احاد) في بمعنى التوعيه وليس يعني
بها ضرب ستة في احد ، كقول القائل : كم ستة في
خمس . بل هو كقولك خمسة دراهم في الكيس ،
يريد واحدة هذه الليلة ام ستة جمعت في واحدة ،
وخص ستة ولم يقل عشرة وهي اكثر لانه اراد
الاسبوع لان ستة اذا جمعت في واحدة صارت سبعة
وهي ليالي الاسبوع ، وكان ذلك اولى لانه زمان
معلوم كالشهر والسنة وما شاكل ذلك ، ولو قال
عشرة لقال المتعنت فهلا قال : مائة وهي اكثر ، وادى
ذلك الى ما لانهاية له .

وقد ذكر الشيخ ابو الفتح في كتاب له فر فيه
ابياتا انتزعها من جملة ديوانه (٩) ، فقال : خص
ستة لان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة
ايام فكان ذكرها اولى لانها العدد الذي فرغ الله
تعالى فيه من هذا الخلق العظيم وليس ذلك بممتنع
الا ان تلك الستة ايضا اذا جمعت واحدة صارت
سبعة ، فان قال قائل : ان قوله (في احاد) حينئذ
يكون بمعنى الضرب وستة في واحدة ستة فهو لمعري
كذلك ويكون فيه تعسف غير مفيد ، وستاتي اخوات
هذا البيت وما يجري مجراه من عويص معانيه
في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله وبه
الثقة .

القسم الرابع (١٠) : هو الالفاز الصريح ، كقول
الشاعر :

وصادرة معا والورد شتى

على ادبارها اصلا حدود

وعارية لها ذنب طويل

رددت بمضغة مما اشتيت (١١)

معنى قوله (وصادرة معا والورد شتى) سهام
رماها فوردت متفرقة ، يعني وردت الرمية
فلما التقطها من مساقطها ، صدرت عن مواردها

(٨) شرح ديوان لبيد ٢٥٦ .

(٩) يقصد كتاب ابن جني الموسوم بالفتح الوهبي على
مشكلات شعر المتنبي وقد فرغنا من تحقيقه وسيصدر عن
وزارة الاعلام العراقية .

(١٠) هذا دليل اخر على سقوط صفحات المخطوطة الا لم يتقدم
هذا القسم الرابع ثلاثة اقسام . ولعلها اقسام النوع
الثاني .

(١١) عمرو بن لعل في الطرائف الادبية ٧٢ .

مجتمعة ، وحدا على ادبارها يعني ارتجز حين رماها
على عاداتهم في الحروب ، وعارية لها ذنب طويل يعني
نارا لا تكون الا عارية وردها بمضغة يعني
كب عليها مضغة مما اشتهى من اللحوم فكأنه رد
المضغة على وجهها وهذا الجنس في اشعارهم الكثير
من ان يحصى ، وفي شعر ابي الطيب من هذا الباب
قوله :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا

بالسوط يوم الرهان اجدها

شراكها كورها ومشفرها

زمامها والشسوع مقودها

اشد عصف الرياح يسبقه

تحتي من خطوها تأيدها (١٢)

يعني نعله ، وهي ناقتة التي يمتطئها وقد كرر

هذا المعنى في شعره فقال في قصيدة اخرى :

وحيت من خوص الركاب بأسود

من دارش ففدوت امشي راكبا (١٣)

يعني خفه او تمسكه المتخذ من الدارش الاسود
وهو من الجلود غير الادم كالارندج ، فهو راكبه وهو
مع ذلك ماش وشبه الشراك بالكور لانه فوق النعل
كما ان الكور فوق الناقة ، ومشفر النعل كالزمام
لانه يستمسك بصابع الرجل وشسه بالمقود لانه
يشد الى الشراك من مشفر النعل فكأنه مقود يقاد به ،
وزعم ان تأيده فيها يسبق اشد عصف الرياح ، يريد
بذلك قول الناس : فلان يباري الريح جودا ، اي
يسابقها الى الجود ، لانه يسبق الريح على الحقيقة ،
ومثله قوله :

وقد طرقت فتاة الحي مرتديا

بصاحب غير عزهارة ولا غزل (١٤)

العزهارة : الذي لا يحب اللهو ولا النساء ،

والغزل الذي يحب ذلك ، يعني سيفه الذي ارتداه ،
وهو قليل في شعره .

النوع الثالث : ولا اقسام له وهو ما عمناه

اعرابه لمجاز فيه او حذف من اللفظ او تقديم وتأخير
سوغه الاعراب ، وذلك كآبيات الالتقاء التي منها :

محمد زيدا واقتل ابني فانه

احب الى قلبي من السمع والبصر (١٥)

(١٢) المكبري ٢٠١/١ .

(١٣) المكبري ١٢٥/١ .

(١٤) المكبري ٧٨/٢ .

(١٥) لم نثر عليه في مكان اخر .

هكذا ينشده من يغالط فلا تفهم كيف امر بقتل
ابنه وهو احب اليه من سمعه وبصره ولم يجرم محمدا
وهو منادى مفرد علم وانما يريد اقت لابني، اي اخدم
له والقنو الخدمة ، والمقتوي الخادم ، من قول
الشاعر :

متى كنا لامك مقتوبنا (١٦) .

ومحم منادي مرخم ثم قل : دزبدا من الديه
ومنه قول ذي الرمة :

كانما عينها منها وقد ضمرت

وضمها السير ضمها في الاضاميم (١٧)

الافا : جمع اضاه غدير الماء . وميم هذا
الحرف المكتوب موضعه الرفع لانه خبر كانما، ومثله
للفرزدق :

معلق ها من لم تنله سيوفنا

بأسيافنا هام الملوك الخضارم (١٨)

يريد (ها) للتنبيه من الذي لم تنله سيوفنا .
وهام الثانية مفعول معلق . ومثله :

عانت المساء في الشتاء فقلنا

برديه تصاد فيه سخينا (١٩)

(١٦) لمعرو بن كلثوم من معلقته في شرح القصائد السبع لابن
الانباري ٤٠٢ و صدره : نهدنا ونوعدنا رويدا .

(١٧) ديوان ذي الرمة ٥٨٠ وفيه (واحتشها السر في بعض
الاضاميم) .

(١٨) لا يوجد في ديوان الفرزدق .

(١٩) في معجم الادباء ٢٧٢/٦ .

هكذا ينشده المغالط ، وانما يريد بل رديه
فادغم اللام في الراء لقرب مخرجيهما ، يريد قلنا
لابلناردي قد مضى الشتاء وسخن الماء ، وهذا باب
متسع وتكثر شعبه ، وفي شعر ابي الطيب منه
قوله :

حملت اليه من لساني حديقة

سقاها الحجى سقى الرياض السحاب (٢٠)

فرق بين المضاف والمضاف اليه بلفظ الرياض،
يريد سقى السحاب الرياض وهذا كثير في شعر
العرب ، فمعه قول الطرماح :

يصفن بحوزي المرائع لم يرع

بواديه من قرع القسي الكنائن (٢١)

يريد من قرع الكنائن القسي ، ومثله لذي الرمة

كان اصوات من ايفالهن بنا

اواخر الميس اصوات الفراريح (٢٢)

يريد كان اصوات اواخر الميس ، ومثله :

لما رات سائيدا استعبرت

لله در اليوم من لامها (٢٣)

يريد در من لامها اليوم ، وسيمر بك من باب

الاعراب في شعره مواضع .

(٢٠) المعبري ١٥٨/١ .

(٢١) ديوان الطرماح ٤٨٦ .

(٢٢) ديوان ذي الرمة ٧٦ .

(٢٣) الوساطة ٦٤ والفسر ٢٥٢/١ .

أول الكتاب

وهذا أول ما نبدا به من أبيات أبي الطيب
المعتصة ، قوله :

قلق المليحة وهي مسك هتكها

ومسيرها في الليل وهي ذكاء (٢٤)

قلقها : يعني حركتها في مشيتها ، وهتكها
مصدر هتك فلان الستر هتكاً ، وهو مصدر فعمل
متعد ، ولو اتى بمصدر لازم كان اقرب الى الفهم ،
كانه لو قال : انتهكا كان أجود من حيث الصنعة
واقرب الى المفهوم الا انه تبع الوزن ، وقوله :
ومسيرها ، مبتدا وخبره محذوف لعلم المخاطب ،
وكانه يقول : ومسيرها في الليل هتك لها ايضا اذ
كانت ذكاء ، وذكاء اسم للشمس علم لا ينصرف ،
ومثل هذا كثير في اشعار القدماء والمحدثين الا ان
قوله (وهي مسك) زيادة على كثير من الشعراء ممن
تقدمه اذ كان لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذي
تستعمله ، وكأنه ألم بقول امرئ القيس :

الم تريايني كلما جئت طارقا

وجدت بها طيبا وان لم تطيب (٢٥)

ويقول الآخر :

درة كيفما اديرت اضاءات

ومشم من حيثما شم فاحسا (٢٦)

فاما المعنى المتداول ان الطيب يهتك ممن
استعمله اذا اراد كتمان امره ، فكثير ، ومن ذلك
قول بشار :

رب قول من سماد لنا

قد حفظناه فما رفعنا

املي لا نأت في قمر

لحديث وائق الدرعا

وتوق الطيب ليلتنا

انه واش اذا سطعا (٢٧)

واجود منه قول آخر محدث تقدم ابا الطيب :

ثلاثة منعتها من زيارتنا

وقد دجا الليل فوق الكاشح الحنق

ضوء الجبين ووسواس الحلي وما

يطيب اردائها من عنبر عبق

(٢٤) المكبري ١٢/١ .

(٢٥) ديوان امرئ القيس ٦٦ .

(٢٦) في المكبري ١٢/١ دون نسبة .

(٢٧) ديوان بشار ١٠٦/١ والمختار من شعره ٩٧ .

هب الجبين بفضل الثوب تستره

والحلي تنزعه ما الشأن في المرق (٢٨)

قوله : ومسيرها في الليل وهي ذكاء ، يشبه
قوله ايضا :

رات وجه من اهوى بلبل عواذلي

فقلن نرى شمساً وما طلع الفجر (٢٩)

والاصل في ذلك قول القائل :

عجبت لمراها واني تخلصت

الي وباب السجن دوني مفلق

عجبت لمراها وسرب سرت به

تكاد له الارض البسيطة تشرق (٣٠)

انما تعجب من كتمان الليل مع ضوئها وحسنها،
ولولا ذلك لم يكن لتعجبه وجه .

وقوله :

مثلت عينك في حشاي جراحة

فتشابهت كلثاهما نجلاء (٣١)

هذا البيت ظاهر المعنى الا اني شاهدت كثيرا
من الفضلاء يغلطون في معنى قوله (مثلت عينك في
حشاي جراحة) ويظنون ان معناه : خيلتها السي
وصورتها عندي جراحة .

ويقولون : هذا كما تقول فلان غصة في صدري
وشجى في حلقي ، وان لم يكن ذلك حقيقة يراد به
هو يحل محل الغصة من الصدر والشجى من الحلق ،
وكذلك هذه العين تحل محل الجراحة في حشاي ،
وهذا كقوله في شعره ايضا :

ممثلة حتى كأن لم تغارقني

وحتى كأن اليأس من وصلك الوعد (٣٢)

وقوله ايضا :

كانت من الحسناء سولي انما

اجلي تمثل في فؤادي سسولا (٣٣)

اي تخيل ، وهذا خطأ فاحش ، اذ كان آخر
البيت ينقض هذا القول بقوله : فتشابهت ، اذ هي عين

(٢٨) لابي الطاع بن ناصر الدولة في المكبري ١١/١ ورواية عجز
البيت الثاني فيه (وما يفوح من عرق كالعنبر العبق)
وكذلك ذكره الواحدي .

(٢٩) المكبري ١٢/٢ .

(٣٠) دون نسبة في الزهرة ١٦٢/١ مع اختلاف بسر في الرواية
وهو لعنبر بن عتبة العارفي في شرح الحماة للبرزولي

٥٢/١ .

(٣١) المكبري ١١/١ .

(٣٢) المكبري ٢/٢ .

(٣٣) المكبري ٢٢٢/٢ .

واحدة وتشابها فعل اثنين ، ومعنى البيت : مثلت
اي احدثت لعينك مثالا في حشاي ، اي جرحته
جراحة واسعة مثل عينك وهذا كما تقول : مثلت
للفلام خطأ حسنا ، اي جعلت له مثالا للحروف يكتب
مثلها ، ولمعري ان اشتقاق البابين جميعا من المثال
والمثل ، ولكن اختلف المعنيان من حيث اختلاف
الوضع ، فيقول : ان عينك والجراحة التي اجدها
في قلبي تشابها في النجل وهو سعة العين وسعة
الطننة .

وقوله :

نفذت علي السابري وربما
تندق فيه الصعدة السراء (٣٤)

السابري : يحتمل معنيين احدهما ان يعني
الثوب الرقيق واصله ان صاحب البر يعرض من
ثيابه رقيقه وما لا يؤبه له قبل الجيد ، فصار كل
من يعرض شيئا لا يريد العفاء به ، يقال له : عرض
علي عرضا سابريا ، وقد قال الشاعر :

تجافى عن المأثور بيني وبينها
وبدي علينا السابري المضلعا (٣٥)

يريد ثوبا رقيقا او درعا والثاني انه يريد الدرع
وانما سميت بذلك لما فيها من الخروق ، وقد تكون
السابري ايضا الذي يسر الجرح في قول الاعشى :

ترد على السابري السبارا (٣٦)

والسبار الفتيلة التي يسر بها الجرح فاذا
عني به الثوب الرقيق فاتما يريد نفذت عينك
السابري الى قلبي ، ويكون قوله (تندق فيه الصعدة
السراء) حينئذ يريد به ان قميصي شديد على الرمح
نفوذه لهيبتني في القلوب ولان الشجاع موقى ، ويكون
المعنى كقوله ايضا :

طوال الردينيات يقصفها دمي
وبيض السريجات يقطعها لحمي (٣٧)

واذا عني الدرع فلا تحتاج الى ذا التاول وانما
يريد ان عينك وصلت الى قلبي فجرحته ولم تحرق
الدرع او القميص كما قال هو ايضا :

راميات بأسهم ريشها الهدب
تشق القلوب قبل الجلود (٣٨)

وانما معنى هذين البيتين من قول جميل بن
معمر :

وما صائب من نابل قدفت به
يد وممر العقدين وثيق
على نعمة زوراء ايما خطامها
فمتن وايما عودها فعتيق
باوشك قتلا منك يوم رميتني
نوافذ لم يعلم لهن خروق (٣٩)

والذي اتى باغرب من هذا في هذا الباب
القائل :

رمتني بطرف لو كمي رمت به
بل نجيعا نحره وبناثقه (٤٠)

فانه وان لم يذكر حرق جلده فقد عرض بان
مثل رميها ما يبل الكمي نجيعا غير اني لم ادم لانه
لم يجرح يدي وانما وصل الى قلبي قبل جسمي ،
وقوله :

انا صخرة الوادي اذا ما زوحمست
فاذا نطقت فانني الجوزاء (٤١)

صخرة الوادي هي اتان الضحل وهي صخرة
تكون في الوادي قد بل الماء اسفلها فازدادت رسوخا
في الارض .

(٤٢)

فلولا خوف خالقها لقلعتها حسدا ، فهذا يفار
على حبيبه من عينه لمباشرتها اياه بالنظر ، كما ان
قلب ابي الطيب يحسد عينه على مباشرتها للممدوح
بالنظر .

وقوله : ولاقي دون ثابهم طمانا
يلاقي عنده الذئب القراب (٤٣)

الثاني جمع ثابه وهي الحجارة حول البيوت
بني فياوي اليها الراعي ، قال الراجز .

اصبحت بين سمعة وسمع
صرعن ثاباتي اشد الصرع (٤٤)

وقوله (يلاقي عنده الذئب القراب) اي
يجتمعان عليه لاكل الموتى ، اي لاقى طمانا شديدا

(٣٩) ديوان جميل ١٥١ .

(٤٠) لابن الدمينه في لسان العرب ٢١٠/١١ .

(٤١) المعكبري ١٥/١ .

(٤٢) بياض في الاصل . وقد سقط فيه البيت الذي ذكر شرحه
بعد ذلك .

(٤٣) المعكبري ٨٢/١ .

(٤٤) المسر ٢٠٠/١ .

(٣٤) المعكبري ١٥/١ .

(٣٥) لامريء القيسي في المعاني الكبير لابن قتيبة ١٠٧٠٦/٢ .

(٣٦) دون نسبة في لسان العرب ٢/٦ ولم نجده في ديوان الاعشى
طبعة الدكتور محمد حسين .

(٣٧) المعكبري ٥٠/٤ .

(٣٨) المعكبري ٢١٤/١ .

لا بد فيه من القتل . والاصرمان اللئب والغراب ،
سما بذلك لانهما انقطعا عن الناس ، قال المرار :

على صرماء فيها اصرماها
وخريت الفلاة بها مليل (٤٥)

وقيل سما بذلك لان احدهما انصرم عن
صاحبه فلا يلتقيان الا عند ميتة ثم يصرم احدهما
وصال صاحبه ، وصرماء ارض بعيدة عن الماء ، فهذا
ما عناه ابو الطيب .

وقوله :

ولم ترد حياة بعد تولية
ولم تفت داعيا بالويل والحرب (٤٦)

هذا البيت ظاهر المعنى وانما ذكرناه خشية
ان يظن ظان ان قوله (بالويل والحرب) متعلق (تفت)
فانه يكون حينئذ ذما وهجوا ، بل كيف تكون الاغاثة
بالويل والحرب وانما يفاث الانسان بما يزيل الويل
والحرب ، كما قال ايضا :

ومنفعة الفوث قبل العطب (٤٧)

وليس يعني هذا وانما الباء متعلقة بقوله (داعيا)
يقال :

دعوت الويل ودعوت شجني ودعوت ثبوري .
كما قال تعالى (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
وادعوا ثبور كثيرا) (٤٨) وقال الشاعر :

واذا دعت قمريّة شجنا لها
يوما على فتن دعوت صباحي (٤٩)

وقد يقال : دعوت فلانا ودعوت بفلان ودعوت
باسم فلان ، كما قال الآخر :

دعا باسم ليلي غيرها فكانما
أطار بليلى طائرا كان في صدري (٥٠)

وقال آخر :

تداعين باسم الشيب في مثلهم
جوانبه من بصرة وسلام (٥١)

وقال آخر :

فمن يرتجيك بعد نائلة التي
دعت ويلها لما رأت ثار غالب (٥٢)

وقوله :

جزاك ربك بالاحزان مغيرة
فحزن كل اخي حزن اخو الغضب (٥٣)

يقول : جزاك الله مغيرة بهذا الحزن الذي
اصابك فقد ائمت به ، قال الله تعالى (لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم ولا ما اصابكم) (٥٤) والحزن اخو
الغضب لاسباب كثيرة فمنها ان الحزن غضب في
الحقيقة لانه يفضب لما نال منه الدهر فيحزن ، ومنها
ان الرجل يائمه بالحزن ويائمه بالغضب قال الله تعالى
(وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين .
الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفيت
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (٥٥) .

ومنها ان الحزن ينال من الانسان ويخلط عليه
كما ان الغضب ينال منه ويخلط عليه امره ، وقد
دل على ذلك بقوله ايضا في عضد الدولة :

آخر ما الملك معزى به
هذا الذي اثر في قلبه
لا جزعا بل انفا شابه
ان يقدر الدهر على غصبه (٥٦)

الا تراه فرق بينهما وجعل تأثيره في قلبه لا
للجزع ولكن للغضب والانف والحمية ان يقدر الدهر
على غصبه ، وكما فر هذين البيتين فقد فر قوله
(فحزن كل اخي حزن اخو الغضب) بالبيت الذي
يليه وهو قوله :

وانتم معشر تسخو نفوسكم
بما يهين ولا يسخون في اللب (٥٧)

الا تراه قد دل على ان الحزن اخو الغضب
لانه يحزن كيف قدر الدهر عليه ، والحزن والغضب
عند المتكلمين شيء واحد وانما تستعمل الغضب على
من هو دونك والحزن على فعل من فوقك . الا ترى
ان السلطان اذا غضب رجلا على مال فانه يحزن عليه ،
ولو سرقه سارق لغضب عليه .

وقوله :

وما قضى احد منها لبائنه
ولا انتهى ارب الا الى ارب (٥٨)

هذا بيت فلسفي البنية وذاك ان كل طلب

(٤٥) لسان العرب ٢٢١/١ .

(٤٦) المعبري ٨٨/١ .

(٤٧) المعبري ١٠٢/١ وصدرة (سبقت اليهم منابهم) .

(٤٨) الآية ١٢ من الفرقان .

(٤٩) لم نعر عليه .

(٥٠) ديوان مجنون ليلي ١٦٢ .

(٥١) لدي الرمة في ديوانه ٦٠٩ .

(٥٢) لعامة بن عقيل في خماسة ابي تمام ٢٥٦/٢ .

(٥٣) المعبري ٩٤/١ .

(٥٤) الآية ١٥٣ من آل عمران .

(٥٥) الآية ١٢٤ من آل عمران .

(٥٦) المعبري ٢١٠/١ .

(٥٧) المعبري ٩٤/١ .

(٥٨) المعبري ٩٥/١ .

حاجة فانه اذا ادركها احدثت في قلبه اربا اخر ،
 مثال ذلك انك اذا تمنيت ثوبا حسنا فوجدته تمنيت
 رداء مثله في الحسن تلبسه معه ، فاذا وجدت الرداء
 تمنى فرسا تركبها فاذا وجدتها تمنى سلاحا تجمل
 به او تستعين به على الاعداء فاذا وجدته تمنى
 غلمانا واصحابا فاذا وجدتهم تمنى ضيعة تعود
 بفضلها على عيالك واصحابك ويستديم بها تجميلك
 فاذا وجدتها طلبت منزلة من السلطان تحفظ بها
 نعمتك فاذا وجدتها طلبت الفضل على اضرابك من
 اصحابه فاذا بلغت الفضل على جميعهم طلبت الملك
 فاذا نلتها طلبت الخلود ، فهذا متعالم واياه عني
 القائل :

والنفس رغبة اذا رغبتهما
 واذا ترد الى قليل تقنع (٥٩)

والقائل :

تموت مع المرء حاجاته
 وتبقى له حاجة ما بقي (٦٠)

وابو الطيب حيث يقول :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته
 ما فاته وفضول العيش اشغال (٦١)

ومن هذا قول الحجاج بن يوسف على منبره
 (ايها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها اسأل شيء
 اذا اعطيت وامنع شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ
 جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة
 الله وعطفها بزمامها عن معصية الله ، فاني رايت
 الصبر عن محارم الله ايسر الصبر على عذابه) (٦٢) .
 وقوله :

دار الملم لها طيف تهددني
 ليلا فما صدقت عيني ولا كذبا (٦٣)

الالف واللام في (الملم) بمعنى التي . يريد دار
 التي الم لها طيف تهددني . وتهددني الطيف على
 عادة المحبوب في كثرة الدلال والصلف والايصاد
 بالهجران والتجنب ، فقال : ما صدقت عيني لانها
 ارثني ما لم يكن حقيقة ، وما كذب الطيف في التهديد
 فانه قال : لاهجرتك وقد هجر ، ولا بعدن عنك وقد
 بعد ، ولا عذبتك وقد عذب ، وما اشبه ذلك وقوله
 (ما صدقت عيني) معنى قول جبران العود :

سقيا لزورك من زور اتاك به
 حديث نفسك عنه وهو مشغول (٦٤)

واظهر من ذلك قول ذي الرمة :

اراني اذا هومت يامي زرتني
 فيانعمتا لو ان رؤياي تصدق (٦٥)
 وقد قال البحرني :

سرى من اعالي الشام يجلبه الكرى
 هبوب نسيم الريح تجلبه الصبا
 ولو كان حقا ما اتته لاطفات
 غليلا ولا فتكت اسيرا معذبا (٦٦)

وقد ملح بعض المحدثين في هذا المعنى مع
 اكثارهم فيه :

قد جاد طيفك لي بوعدك
 وادالني من طول صدك
 ودنا الي معانقا ومصافحا خدي بخدك
 وظفرت منك بما هويت بحمد طيفك لا بحمدك
 وحللت عقيد ازاره
 حل الخيانة عقد ودك (٦٧)

وانما اوردنا هذا البيت ومعناه ظاهر لان من
 الناس من يظن ان (عيني) في قوله (فما صدقت
 عيني) مفعول وفاعل صدقت الطيف انشائه لانه يعني
 امرأة وهذا كما تقول :

صدقت زيدا الحديث ، وصدقتك سن بكري
 في المثل الجاري فان هذا التاويل لا يغير المعنى ولكنه
 رديء في صناعة الشعر ان يكون ضمير شيء واحد
 مذكرا ومؤنثا يؤتى به في بيت واحد .
 وقوله :

ادمننا طعنهم والقنصل حتى
 خططنا في عظامهم الكموبا (٦٨)
 كعب الانسان جمعه كموب وكذلك كعب الرمح
 جمعه كموب .

قال الشاعر :

وكننت اذا غمزت قناة قوم
 كبرت كموبها او تستقيما (٦٩)

وانما اوردنا هذا البيت ليعلم انه يعني كموب
 الرمح لا كموب الرجل لان الكعب ايضا من العظام ،
 وانما اراد ان كموب الرماح كسرناها فيهم لكثرة

(٦٤) ديوان جبران العود ٥٥ .
 (٦٥) ديوان ذي الرمة ٢٩٠ .
 (٦٦) ديوان البحرني ٥١/١ .
 (٦٧) لم نشر عليه .
 (٦٨) المكبري ١٢٨/١ .
 (٦٩) تزياد الامجم في الفسر ٢٠٦/١ .

(٥٩) لابي ذؤيب الهذلي في جمهرة اشعار العرب ١٢٩ .
 (٦٠) دون عزو في المكبري ٩٥/١ والفسر ٢٢٦/١ .
 (٦١) المكبري ٢٨٨/٢ .
 (٦٢) في جمهرة خطب العرب ٢٨٨/٢ وعيون الاخبار ٢٢٧/٢ .
 (٦٣) المكبري ١١٠/١ .

طعنهم حتى اختلطت بمظامهم ، ولقائل ان يقول :
يعني قطعنا الارجل وكسرنا الاذرع والاسوق حتى
صارت الكموب مخالطة غيرها من العظام ، وحسن
ذلك لما كان الكمب لا يسمى به غير تلك الهنة الناتئة
في الرجل ، وغيرها عظم ، ويكون هذا كقوله :
حتى تتلاقى الفهاق والاقدام (٧٠)

يعني قطعت الرؤوس والارجل فاختلطت
الفهاق وهي مواصل الرؤوس في الاعناق بالاقدام ،
الا ان المتنبي ما اراد غير المعنى الاول اذ كانت الصنعة
فيه ، والفرض تشبيه كموب الرمح بمفاصل العظام
وجمعه بينهما في الحرب وفي الشعر .

وقال الشيخ ابو الفتح : ادما اي خلطنا
وجمعنا ويدعى للمتزوجين فيقال ادم الله بينكما
وانشد :

اذا ما الخبز تادمه بسمن
فذاك امانة الله الشريد (٧١)

وهذا جيد ولا يمتنع ان يكون (ادما) من
الادامة بل الادامة احسن اذ كان يعني انالم نترك طعنهم حتى
اختلطت العظام بكموب الرماح وخلط الطمن بالقتل
لا فائدة فيه كثيرة لذكره فانهما مختلطان وان لم
يقله ابو الطيب .
وقوله :

كان نجومه حلبي عليه
وقد حذيت قوائمه الجيوب (٧٢)

شبه النجوم بالحلي على الليل واراد ان يصفه
بالسبوغ فقال :
وقد حذيت قوائمه الجيوب ، والجيوب الارض ،
يعني كان الليل جعل الارض له حذاء فهو من السماء
متصل بالارض ويجوز ان يعني بذلك طول الليل يريد
ان الارض اذا كانت له نعلا فما يقدر على خلعها
لانه يريد المشي فيها وكأنه نوى ان يشبه الليل بفرس
ادهم عليه حلي من ذهب او فضة وقوائمه منعلة
بالارض ، وكأنه نظر في هذا البيت الى قول امرئ
القيس يصف فرسا اغر :

كان الثريا علقت في مصامه
بأمراس كنان الى صم جندل (٧٣)

يريد بصم الجندل صلابة حوافره الا ان المتنبي
لم يفصح بهذا ولقائل ان يقول : هذه دعوى لا حجة
عليها ، فلمعري ان هذا لكما يقول الا ان الشعر

يحمل معناه على احسن ما يقدر عليه تحقيقا او
مجازا .
وقوله :

اعيدوا صباحي فهو عند الكواعب
وردوا رقادى فهو لحظ الحبايب (٧٤)

يريد : ردوا الكواعب حتى يعود صباحي ، اي
دهري ليل كله ولا صباح لي الا وجوهن وحقق
ذلك بقوله :

فان نهاري ليلة مدلهمة (٧٥)

ويجوز ان يعني ليلى طويل فلو اعدتم الي
الكواعب لقصر ليلى وعاد صبحي ، وهذا تمحل ،
والمعنى ما قد مر ذكره ، وقوله (وردوا رقادى فهو
لحظ الحبايب) .

اللحظ هاهنا مصدر لحظته الحظ لحظا وليس
باللحظ الذي يعني به العين او الجفن وانما قلت هذا
لئلا يتوهم ذلك متوهم فيفسد المعنى وذلك ان اكثر
ما يستعمل اللحظ في معنى العين ، وهذا كقوله ايضا
في مكان اخر :

فبلحظها نكرت قناتي راحتي (٧٦)

يعني مصدر لحظت ايضا اي بنظري اليها
ومثله الملح والرمق ، يقال : لمحته بعيني المحه
ورمقه ارمقه رمقا ، ومثل هذا ايضا قوله :

يشني عنك آخر اليوم منه
ناظر انت طرفه ورقاده (٧٧)
وهو معنى البيت الاول كرهه .
وقوله :

اتاني وعيد الادعياء وانهم
اعدوا لي السودان في كفر عاقب (٧٨)

كفر عاقب قرية بالشام وهي كفور كثيرة مثل
كفر طب وكفر اليهود وكفر توثي وكفر سابا وكفر
سلام . والسودان جمع اسود سالخ يجمع على
اساود وعلى السودان ولا تجمع سالخ كما قالوا :
ابارص ، في سام ابرص ، قال الراجز :

والله لو كنت لهذا خالسا
لكنت عبدا يأكل الابارصا (٧٩)

فجمعوا الاسم الثاني وقد يقال : سوام ابرص
بجمع الاسم الاول وقد جمعت سام ابرص على
البرصة ، وقالوا : ليس في كلام العرب جمع افعل

(٧٤) العكبري ١٢٧/١ .

(٧٥) في العكبري ١٢٧/١ وعجزه (على مقلة من فقدم في غياهب) .

(٧٦) في العكبري ١٦٣/٢ وبقيته (ضعفا وانكر خاتماي الخنصر) .

(٧٧) العكبري ١٧/٢ .

(٧٨) العكبري ١٥١/١ .

(٧٩) الفهر ٢٨٨/١ ولسان العرب ٥/٧ .

(٧٠) العكبري ٢١٧/٢ وصدده (والذي يضرب الكتاب حتى) .

(٧١) الفهر ٢٠٦/١ دون نسبة .

(٧٢) العكبري ١٣٩/١ .

(٧٣) في شرح القصائد السبع لابن الانباري ٧٩ قال : وفي البيت

تفسير ان يكون وصفا لليل او وصفا للفرس .

على فعلة الا هذه الكلمة ، يريد اعدوا لي الداهي
ومكروا بي ، ثم قال :

ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم
فهل في وحدي قولهم غير كاذب (٨٠)

فبين بهذا البيت انهم اعدوا له وشايات وكلاما
وادعى انهم ادعياء الى جدهم وليسوا بمنحققين في
انسابهم بل هم كاذبون فقال : لو كانوا صادقين في
انسابهم لحق لي حذرهم والتوقي منهم ، فاما الان
وقد شاع كذبهم فكل ما وشوا به علي معلوم انه
كذب ، يقول فهل يجوز ان يكون قولهم في وحدي
صادقا وقد علم انهم كاذبون .

وقوله :

اناس اذا لا قوا عدى فكأنما

سلاح الذي لا قوا غبار السلاهب (٨١)

يريد اذا لا قوا اعداءهم كان سلاحهم عندهم
ما لا يعبأ به كالغبار الذي تثيره خيلهم السلاهب وهذه
الالف واللام التي من ذكرها في شرح قوله (وكذا
الكريم اذا اقام ببلدة) (٨٢) يريد : فكان سلاح اعدائهم
غبار الخيل التي ركبوها الطوال ، لقلة احتفالهم به ،
ولولا هذا التاويل لكان تخصيصه السلاهب نافرا
مستهجنا ، فقد علم ان الفارس اذا قال : الفرس
سلهب فانما يعني فرسه الذي هو راکبه ، الا ترى
الى قول حندج بن البكاء قاتل زهير بن جذيمة
(ضربته بالسيف حديد والساعد شديد) (٨٣) كيف
يسبق الى وهمك انه يريد سيف نفسه وساعده .

وقد قال الشيخ ابو الفتح : خص السلاهب
لانها اسرع فغبارها اخف والطف ، وهذا التحمل
لاخفاء به وباضطرابه ، وقوله :

يقولون تأثير الكواكب في السورى

فما باله تأثيره في الكواكب (٨٤)

تأثيره في الكواكب : اثارته الفبار حتى لا تظهر
ليلا وحتى يزول ضوء الشمس بالنهار وحتى تطلع
الكواكب بالنهار . قال الشيخ ابو الفتح : وذلك انه
يبلغ من الامور ما اراد فكان الكواكب تبع له وليس
تبعاً لها .

وهذا وجه في تفسير هذا البيت غير ظاهر ،
ولقائل ان يقول : هذه دعوى من تفسيرك ولا يظهر

لاحد تأثير في الكواكب اذا بلغ هو ما اراد مخالفا لما
ارادت الكواكب بل يظن ان بلوغه ما اراد كان مما
ارادت الكواكب ، وما ذكرناه اظهر وابعد من العنت .
وقوله :

لا تجزني بضنى بي بعدها بقصر
تجزى دموعي مسكوبا بمسكوب (٨٥)

كنى بالبقصر عن النساء (ولا تجزني) دعاء
ولفظه لفظ الامر كما تقول : لا تمت زيد ، اذا دعوت
له ولو كان خبرا لقال لا تجزيني ولا تموت زيد ،
يريد : لا ضنيت كما ضنيت بعدها وان كن قد
جرت دموعهن كما جرت دموعي وهذا كقوله :

ابديت مثل الذي ابديت من جزع
ولم تجني الذي اجنت من ألم (٨٦)
وقوله ايضا :

تشتكي ما اشتكت مر الم الشو
ق اليها والشوق حيث النحول (٨٧)
وهذا الدعاء كقول الآخر :

فلا يبعد الله الديار واهلها
وان اصبحت منهم برغمي تخلت (٨٨)
لا يبعد جزم لانه دعاء ولو كان خبرا لكان رفعا .
وقوله :

قالوا هجرت اليه الفيث قلت لهم
الى غيوث يديه والشايب (٨٩)

يعني ان مصر لا تمطر واذا مطرت خرب كثير
منها واهلها يدعون الله ويسألونه كف المطر لان
انفسهم متضايقة وبعضها فوق بعض ولا مسيل
لمياهها . فهو يقول : لا مني الناس في هجري بلاد
الفيث فقلت : تعوضت عنها بغيوث يديه وشايبهما .
قال الشيخ ابو الفتح : يقول تركت القليل من يدي
غيره الى الكثير من نداءه (٩٠) .

وليس في قوله (هجرت الفيث) ما يدل على
انه هجر القليل من ندى الناس بل يدل على انه هجر
الكثير الى الكثير (٩١) . وما قاله الشيخ ابو الفتح
بعيد من المحتمل الجيد الا انه لم يتثبت ولو فكر لما
عزب عنه هذا القدر ولو عدنا مثل هذا زلة لكان
كتابنا الموسوم بالتجني على ابن جني مغرطا في الكبير .

(٨٥) المكبري ١/١٦٠ .

(٨٦) المكبري ٢/٢٨ .

(٨٧) المكبري ٣/١٤٩ .

(٨٨) لم نشر عليه .

(٨٩) المكبري ١/١٧٣ .

(٩٠) الفسر ١/٣٧١ .

(٩١) في المكبري ١/١٧٣ والواحدى ٦٣٨ .

(٨٠) المكبري ١/١٥١ .

(٨١) المكبري ١/١٥٣ .

(٨٢) لم يتقدم شرح هذا البيت كما ذكر المؤلف وربما كان ذلك
بما سقط من صفحات المخطوطة . والبيت في المكبري ١/١٩
ومعجزة (سال النصار بها وقام الماء) .

(٨٣) الاغانى ١٤/١٠ ونبه خبر مقتل زهير بن جذيمة .

(٨٤) المكبري ١/١٥٦ .

المخبّل السعديّ

حياته وما تبقى من شعره

منة
هاتم الضامن

الاعدادبة المركزية - بغداد

ولم نجد مصدرا يكشف لنا عن اسباب هذه الكنية ، ولم نعرف له ولدا بهذا الاسم . وكل الاخبار التي بين ايدينا تدل على ان له ولدا هو شيبان الذي خرج مع سعد بن ابي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه جزعا شديدا ومضى الى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وانشده قصيدته التي يخاطبه فيها فيقول (٨) :

أشييان ما أدراك ان كل ليلة
غبتك فيها والفوق حبيب
أشييان ان تايي الجيوش بعدهم
يقاسون اياما لهن خطوب

وولدا آخر هو زرارة الذي اخذ بحجر وضرب رأس رجل فقتله ، فطلب له المخبل الدبة من بغيض بن عامر فتحملها عنه فمدحه بقصيدة (٩) ، وتؤيد الاخبار ان زرارة هذا كان شاعرا ، اورد له ابو الفرج ابيانا يفخر بها (١٠) ، ويقول ابن قتيبة : وولده كثير بالاحساء ، وهم شعراء (١١) ، ونسكت المصادر عن ذكر غير هذين الولدين .

والمخبل من الشعراء المعمرين ، فقد عمر في الجاهلية والاسلام عمرا كبيرا ، وامتدت بحياته الاحداث امتدادا طويلا ، وقد اشار الشاعر الى بعض مظاهر الكبر التي لازمته ، ففي قصيدته التي يخاطب فيها ابنه شيبان يقول :

فان بك غصني أصبح اليوم ذاوبا
وغصنك من ماء الشبيب رطيب
فاني حنت ظهري خطوب تناصبت
لمشيبي ضعيف لي الرجال ديب

وفي قصيدة اخرى يقول :

فلئن رايت الشيب خوص لتي
من طول ليل كاتب ونهكار

حياته

المخبل لقب لشاعر مخضرم ، اختلف المؤرخون القدامى في تحديد اسمه ، فهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف (١) ، وهو الربيع بن ربيعة ، أو كعب بن ربيعة (٢) . ولكنهم يتفقون على فحولته بين مخضرمي الجاهلية والاسلام (٣) . ويصرح الشاعر باسمه (ربيع) في أحد أبياته فيقول :

إذا قال صبحي يارببيع الا ترى
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويذكر اسم والده وجده في بيت آخر فيقول مخاطبا الزبرقان :

وابوك بدر كان مشترط الخصي
وابي الجواد ربيعة بن قتال

ومن حيلة هذين البيتين نستطيع ان نحدد اسمه فنقول هو ربيع بن ربيعة وينتهي نسبه بعوف بن قتال الذي ذكره في البيت الثاني ، ولم نجد اشارة الى ان اسمه كعب . ولم يتفرد الشاعر بهذا اللقب ، وانما هناك اكثر من شاعر لقب به منهم المخبل بن شرحبيل ، والمخبل الشمالي (٤) والمخبل القيسي (٥) . ولكنهم لم يبلغوا في الشهرة ما بلغه المخبل السعدي . ويكنى ابا يزيد (٦) واباه عن الفرزدق بقوله (٧) :

وهب القصائد لي النوابع اذ مضوا
وابو يزيد وذا القروح وجروا

- (١) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ٢٢٢/١ نقلا عن ابي عمرو .
وابو الفرج : الاغانى ١٢/١٠ نقلا عن ابي عمرو وابن حبيب
والبكري : السط ٨٥٧/٢ .
- (٢) ابو الفرج - الاغانى ١٢/١٠ والامدي : المؤلف والمختلف
٢٧٠/ والسط ٨٥٧/٢ .
- (٣) ابن سلام - طبقات فحول الشعراء ١٢٤/١ والاغانى ١٢/١٠
والسط ٨٥٧/٢ .
- (٤) الامدي : المؤلف والمختلف ٢٧٠ .
- (٥) الاغانى ٢٠/٢٦٤ .
- (٦) كنى الشعراء (نوادر الخطوط) ٢٩١/٢ .
- (٧) ديوان الفرزدق ٦١٢ .

- (٨) ابو الفرج : الاغانى ١٢/١٠ .
- (٩) ابو الفرج : الاغانى ١٢/٢٢ .
- (١٠) ابو الفرج : الاغانى ١٢/٢٣ .
- (١١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢٢٢/١ .

يتحى باتانه جانباً بعيداً من الصحراء ، بحثاً عن ماء القلات التي لم تبقى فيها الا بقية ماء آجن ، مهبطاً بذلك لصورة الصياد العجلى الأزرق ، الباري لقداحه ، والصانع لاوتاره ، تحسباً للصيد ، ولكنه يخطئ فيلهف أمه ، - وهي عادة التزم بها الشعراء في بناء قصائدهم - منتهياً الى آيات المديح الذي قدمه لعلامة بن هودّة .

وكذلك يبدو التزامه في لاميته التي هجا فيها الزبرقان والتي يسلك فيها الملك نفسه ، ويتابع النقلات الشعرية عينها ، ويلتزم بأشكال البناء الهيكلية الذي تصارف عليه الشعراء ، وأصبح تقليداً شعرياً معروفاً ، نهجه الشعراء في كثير من قصائدهم ، وخرجوا عنه في بعض الأحيان لأسباب فنية أو موضوعية .

وفي هذا الالتزام تبدو مكانة الشاعر بين أقرانه . وفي ظل هذا المنهج الشعري الواضح اكتسب الشهرة التي حملت ابن سلام على وضعه في الطبقة الخامسة ، وفرضت على الآخرين من النقاد ان يمنحوه هذه الثقة في الاستشهاد .

ان لوحات الشاعر ومعانيه التي بثها في ثانيا قصائده ترسم الخطوات الذاتية التي اعترضت مسيرته فهو يتحدث فيها عن قومه وأيامهم ، وفخره بامجادهم ، وخصومته للزبرقان ، وهجائه للحبيثة ، ومديحه لبقيض بن شماس ، وتشوقه لابنه شيبان ، وتصويره لشيخوخته ، واعتذاره لخليفة . وهي علامات بارزة اكتنفت حياته ، واثرت فيها ، وعكست ظواهرها بشكل متميز .

وقد حددنا - ونحن نتابع اشعاره - ان ظاهرة اخرى واضحة تلوح من خلال هذا التابع ، وهي ضياع شعره ، وقد اتضح هذه الظاهرة من خلال الابيات المفردة ، والافكار التباعدة التي تحملها هذه الابيات ، والفجوات التي يتلمسها المتابع من ثانيا المعاني المتناثرة في مقطعاته ، وخلو الكثير منها من الترابط الفني الذي افناه في قصائده الكاملة ، وهي ظاهرة ترتبط بظاهرة اخبار ديوانه المضطربة ، لان الاشارات التي ورد ذكره فيها اشارات عرضية ، وقف عندها البكري (١٦) مرة واحدة في حديثه عن بيتين انشدهما أبو علي القالي (١٧) وعلق عليهما .. « هكذا انشدهما غيره ، ولم ينسبهما احد . وقد رأيت في بعض حواشي الامهات انهما للمخبل ولم يبقا في ديوان شعره » .

ومن المؤكد ان ديوانه وقع بين يدي محمد بن البارل صاحب منتهى الطلب الذي اختار له ثلاث قصائد طويلة ، وهي القصائد الوحيدة التي عثرنا عليها كاملة ، لان صاحب المنتهى قال في مقدمة كتابه « ولم أخل بذكر احد من شعراء الجاهلية والاسلاميين الذين يستشهد بشعرهم الا من لم أقف على مجموع شعره ، ولم أره في خزانة وقف (١٨) . وهذا يعني انه استخرج القصائد من مجموع شعره الذي وقف عليه . وفي بلدان ياقوت اشارتان الى مجموع شعره ، الاولى ذكرها في اعقاب آيات للمخبل قال بعدها (١٩) قال أبو خليفة الفضل بن الحباب حدثني المازني قال : حدثني الاصمعي قال : فرات علي أبي عمرو بن العلاء شعر المخبل السدي » . والاشارة الثانية ذكرها في حديثه عن المضيق (٢٠) فقال : موضع في شعر المخبل السدي »

(١٢) السط / ٧١١ .

(١٤) الامالي ٧٧/٢ .

(١٥) المقدمة - الورقة ٢٢ من المخطوط .

(١٦) ياقوت - معجم البلدان (الاغدره) .

(١٧) ياقوت - معجم البلدان (المضيق) .

وتجلى مظاهر ضعفه وكبره من خلال حرصه الشديد ، وجزعه النفسي على ولده . ولابد ان يكون هذا الحرص والجزع نتيجة طبيعية لكبر سنه ، وضعف قواه . ولهذا كانت حاجته لابنه كبيرة ، فلم يستطع الصبر عنه حتى كاد ان يقلب على عقبيه فعمد الى ابله وسائر ماله فعرضه لبيعه ويلحق بابنه ، وكان به ضئيلاً ، وأخيراً كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى سعد بأمره ان يقل شيبان ويرده الى أبيه ، ولم يزل شيبان عنده حتى مات .. ومن خلال هذه الاخبار يبدو انه كان كبير السن وانه مات في نهاية خلافة عمر أو بداية خلافة عثمان .

ويذكر أبو الفرج (٢١) في خبر عن الاصمعي ان المخبل مر بخليفة بنت بدر اخت الزبرقان بن بدر بعدما أسن وضعف بصره فانزله وقربته وأكرمه ووجبت له وليدة وقالت له : اني آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها فقال : ومن أنت حتى أعرفك واشكرك قالت : لاعليك . قال : بلى والله اسالك . قالت : انا بعض من هتكت بشعرك ظلماً ، انا خليفة بنت بدر ، فقال : واسواتاه منك ، فاني استغفر الله عز وجل واستغفرك واعتذر اليك ثم قال :

لقد ضل حلمي في خليفة انسي
ساعتب نفسي بعددا وانوب
فاسم بالرحمن اني ظلمتها
وجرت عليها والهجاء كنوب

علاقته بخليفة :

تكاد اخبار خليفة تملأ جانباً كبيراً من حياة المخبل ، لما صحبها من اخبار ، وتعلق بها من مسائل ، وانحصر حولها من مشاكل ، فالأخبار تروي ان المخبل خطب الى الزبرقان بن بدر اخته خليفة ، فمنعه اباها ، وردده لشيء كان في عقله ، وزوجها رجلاً من بني جشم . وقد أثار هذا الرد حفيظة الشاعر ، واعتبره انتقاصاً لشخصه ، ولهذا كانت آثارة واضحة في شعره ، وقد حمل هذا الشعور على مهاجمة الزبرقان ، وقد لجج الهجاء بينهما حتى توافقا للمهاجمة واجتمع الناس عليهما .

وربما يكون من اسباب المهاجمة الاخرى ، والتي ساهمت في تسعير نار الهجاء انتصار المخبل لبقيض بن عامر بن شماس الذي كان ينازع الزبرقان الشرف ، للصلة التي تربطه ببقيض من حيث النسب ، أو الصلات التي كان يقدمها له .

ومهما اختلفت الاسباب التي أدت الى هذه الخصومة ، فانها كانت مجالاً من مجالات الفخر ، وميداناً من ميادين الانتصار التي سجل فيها المخبل تقدماً على الزبرقان في الهجاء ، والذي نال من اخته لهتكت بشعر المخبل ظلماً ، مع اعترافه بضلال حلمه فيها وظلمه لها وكذبه عليها .

شعره وطبقته :

الشعر الموجود بين أيدينا من شعر المخبل يمثل قسماً قليلاً ، وان كثيراً من آيائه المفردة تدل على انها بدايات لقصائد لم نستطع الحصول عليها ، أو الوصول اليها ، أو مقاطع من قصائد طويلة لم نحفظ منها كتب الادب غيرها . اما القصائد الطويلة ، وهي ثلاث فتدل على التزام شعري كامل بنظام القصيدة العربية ، ومواصلة صادقة للمنهج الذي سلكه الشعراء القدامى من وقوف على طلل ، الى سؤال عن اهل ، الى حديث عن ناقة قوية . تتبعها صور متلاحقة للعمار الوحشي الذي

(٢١) الاغانى : ١٢/٤٤-٤٥ .

.. وبعد هذا تختفي اخبار الديوان وتضيع مع اختلافه كثير من اخبار الشاعر التي اهلته لان يتبوا مكانا مرموقا بين المعاصرين له . فابن سلام عده من فحول الشعراء . وجعله في الطبقة الخامسة وقرنه بخدش بن زهير والاسود بن يعفر وتميم بن ابي ابن مقبل (١٨) ، ويبدو ان قدرته الشعرية ، وتفوقه في النظم جعلاه في مكانة شعرية رفيعة بحيث انه كان في مصاف النوابغ وامريء القيس والحطيئة ، فقد اورد ابو الفرج اخبارا عن اجتماعه بالزبرقان وعبد بن الطبيب وعمرو بن الازهم يتناشدون الشعر ، وان ربيعة بن حذار الاسدي قال في شعر المخبل : ان شعره شهب من نار الله يلقها على من يشاء (١٩) .

ان شهرة المخبل وفحوته جعلته في مكان مرموق بين الشعراء الذين استشهد لهم على الرغم من قلة هذا الشعر ،

(١٨) طبقات فحول الشعراء / ١٢٤ .

(١٩) ابو الفرج - الاغانى ١٢ / ٤٤ .

ولم يقتصر الاستشهاد على جانب واحد فقط ، وانما شمل عدة جوانب ، فقد استشهد بشعره اللغويون واصحاب المعاجم كابن دريد والجوهرى وابن منظور ، كما استشهد بشعره البلدانون كالبركي وباقوت .

ولابد لنا ان نعرض في ختام حديثنا عن شعره الى تفاوت احاديث النقاد القدامى عن مقدار شعره فابن سلام يقول عنه وله شعر كثير (٢٠) وابو الفرج يقول : وهو من المقلين (٢١) ، ونحن نذهب الى تأييد ابن سلام في قوله ، لان القصائد الطويلة الموجودة والايات المفردة التي تدل على انها من قصائد طويلة والمقطعات الشعرية التي تبدو اجزاء من قصائد ثبت ما ذهب اليه ابن سلام .

(٢٠) طبقات فحول الشعراء / ١٢٤ .

(٢١) الاغانى ١٢ / ٤٠ .

ما تبقى من شعره

(١)

التخريج :

الاغانى ١٣ / ١٩٠ عدا الايات ٩ ، ١١ ، ١٢ ، فهي في الشعر والشعراء ٤٢٠ مع الايات ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ في المقاصد النحوية ٢٣٥ / ٣ ، ٤ ، ٦ ، في السمط ٨٦٩ ، ٦ في الكنز اللغوي ١٠٠ والجمهرة ٢٧٢ / ١ و ٢١١ / ٣ والمختار من شعر بشار ٥٨ وبلا عزو في امالي القالي ٢٤٣ / ٢ ، ١٣ ، ١٤ في السمط ٩٠٠ ، ١٤ في الفاخر ١٨١ وامالي القالي ٢٦٢ / ٢ واللسان (حوب) .

هاجر شيبان بن المخبل السعدي ، وخرج مع سعد بن ابي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه المخبل جزعا شديدا ، وكان قد اسن وضعف فقال : [من الطويل]

- ١ - اهلكني شيبان في كل ليلة
لقلبي من خوف الفراق وجيب
- ٢ - اشيبان ما ادراك ان كل ليلة
غبتك فيها والغبوق حبيب
- ٣ - غبتك عظماها سناما او انبرى
برزقك براق المتون اريب
- ٤ - اشيبان ان تابی الجينوش بحدهم
يقاسون اياما لهن خطوب

١ - المقاصد : واهلكني شيبان في كل شتوة .

٢ - المقاصد : ... ان رب ليلة .

- ٥ - ولا هم الا البز او كل صباح
عليه فتى شاكي السلاح نجيب
- ٦ - يدودون جند الهرمزان كأنما
يدودون اوراد الكلاب تلوب
- ٧ - فان يك غصني اصبح اليوم ذاويا
وغصنك من ماء الشباب رطيب
- ٨ - فاني حنت ظهري خطوب تتابعمت
فمشي ضعيف في الرجال ديب
- ٩ - وما للعظام الراجفات من البلى
دواء وما للركبتين طيب
- ١٠ - اذا قال صجلي يا ربيع الا ترى
ارى الشخص كالشخصين وهو قريب
- ١١ - فلا يعجبك المرء ان كان ذا غنى
ستتركه الايام وهو حريب
- ١٢ - وكائن ترى في الناس من ذي بشاشة
ومن شأنه الاقتار وهو نجيب
- ١٣ - ويخبرني شيبان ان لن يعقني
تمق اذا فارقتني وتحبوب
- ١٤ - فلا تدخلن الدهر قبرك حوبة
يقوم بها يوما عليك حبيب
- ١٥ - اذا قلت ترعى قال سوف تريحني
من الرعي مذعان العشي خبوب

٦ - المختار : يقاسون جيش الهرمزان كأنهم قوارب أحواض

(٢)

التخريج :

الشعر والشعراء ٤٢٠ والاغاني ١٩٦/١٢ والمخصص ١٢/٤ وشرح ديوان الحماسة ٨٦/٤ والخزانة ٥٣٦/٢ والبارع ٩٤ وتهذيب اللغة ١٠٦/٦ واللسان (رها) .

[من الطويل]

- ١ - لقد ضل حلمي في خليفة ضلة
سأعتب قومي بعدها واتوب
- ٢ - واشهد والمستغفر الله انني
كذبت عليها والهجاء كذوب

١ - الاغاني انني سأعتب نفسي .. واموت
شرح الحماسة : نلت لمري في خليفة انني . المخصص
والبارع واللسان : لقد زل

٢ - الاغاني فانس بالرحمن اني ظلمتها
وجرت عليها ..

(٣)

التخريج :

المقاصد النحوية ٢٣٥/٣ ، الاول في الخصائص ٣٨٤/٢ وايضاح شواهد الايضاح ق ٤٦ وتحصيل عين الذهب ١٠٨/١ واللسان (حجب) وينسب للمجنون او لاعش همدان كما ذكر العيني ٢٣٥/٣ وهو في الصبح المنير ٣١٢ وتخريجه ٣٠٦ وهو بلا عزو في المقتضب ٣٧/٣ والجمل ٢٤٦ والانتصار ٣٢ والاصول ١٦٧/١ وابن عقيل ٦٧٠/١ والايضاح العضدي ٢٠٣ وشرح المفصل ٧٤/٢ واسرار العربية ١٩٧ والانصاف ٤٠٣ وعجزه في شرح ديوان الحماسة ٢٨٠/٣ بلا عزو وحاشية الصبان ٢٠١/٢ [من الطويل]

- ١ - انهجر ليلى للفراق حبيبها
وما كان نفسا بالفراق تطيب
- ٢ - اذا قيل من ماء الفرات وطيبه
تعرض لي منها اغن غصوب

١ - شرح المفصل واسرار العربية : سلمى وما كاد

(٤)

التخريج :

اصلاح المنطق ١٤٣ .

[من الطويل]

سيكفيك صرب القوم لحم معرض
وماء قدور في القصاع مشيب

(٥)

التخريج :

شروح سقط الزند ١١٤٣ وهو بلا عزو في امالي ابن الشجري ١٦٤/١ .

[من الطويل]

فقلت لها فيئي اليك فائني
حرام واني بعد ذاك لبيب

(٦)

التخريج :

فصل المقال ١٣٤ .

[من الطويل]

وقد انهب المعزى فبرت يمينه
وما ضر سعدا ماله المنهب

(٧)

التخريج :

المعاني الكبير ٤٧٩ واللسان (عصب) .

[من الطويل]

- ١ - رايتك هربت العمامة بعدما
اراك زمانا فاصعا لم تعصب
- ٢ - ليالي سعد في عكاظ يسوقها
له كل شرق من عكاظ ومغرب

١ - اللسان : حاربا .

(٨)

التخريج :

معجم البلدان (المضيقة) ومراسد الاطلاع ١٢٨٢/٣ .

[من الطويل]

- ١ - فان تك نالتنا كلاب بغزة
فيومك منهم بالمضيقة ابرد
- ٢ - همو قتلوا يوم المضيقة مالكا
وشاط بايديهم لقيط ومعبد

(٩)

التخريج :

الاغاني ١٩٨/١٣ .

[مجزوء الكامل]

- ١ - ادوا الى روح بن حسان بن حارثة بن مندر
- ٢ - كوما مدفأة كان ضروعها حماء اجفر
- ٣ - تابى الى بصص تـ ح المحض بالبن الفضنفر

(١٠)

التخريج :

الآغانى ١٢/١٩٦ ، الرابع فى معجم ما استعجم

١٢٣٣ .

[من الطويل]

- ١ - تدارك حزن بالقنسا آل عامر
قفا حزن والكر بالخيلى اعمر
- ٢ - فاني بلدا الجار الخفاجى وائق
وقلبى من الجار العبادى اوجر
- ٣ - اذا ما عقيلى اقام بدمعة
شريكين فيها فالعبادى اوجر
- ٤ - لعمري لقد خارت خفاجة عامرا
كما خير بيت بالمعراق المشقر
- ٥ - وانك لو تعطي العبادى مثقفا
لراشى كما راشى على الطبع ابخر

(١١)

التخريج :

شرح المفصل ١/٥١ والخزانة ٢/٥٣٥ الاول
فى كتاب سيبويه ١/١٥١ وتحصيل عين الذهب
١/١٥١ وشرح المفصل ١/١٢١ والتبيان للطرسى
١/١١٤ وفى المؤلف والمختلف ٢٧٢ للمتنخل
السعدى ؟

[من السريع]

- ١ - يازبرقان اخا بنى خلف
ما انت ويب ايبك والفخر
- ٢ - هل انت الا فى بنى خلف
كالا سكتين علاهما البظر

١ - شرح المفصل : ويل بدل ويب .

(١٢)

التخريج :

اللسان (شرق)

[من السريع]

والزعفران على ترائبها
شرقا به اللبات والنحر

(١٣)

التخريج :

١- فى الخزانة ٢/٢٧٢ - ٤٢٨ ، ٣-١ فى
شرح ادب الكاتب ٣١٣ ، الاول فى اللسان (حجج) ،
٢-١ فى اللسان ايضا (زبرق) ، الثانى فى المعاني
الكبرى ٧٨ وكنز الحفاظ ٥٦٣ واصلاح النطق ١١
وجمهرة الامثال ١/٢٧٢ والمستقصى ١٠/١١٠

وتفسير القرطبي ٢/١٨١ والمغرب فى ترتيب المغرب
١/١٠٧ ، الثالث فى فعلت وافعلت ١٧ والصحاح
واللسان والتاج (قهر) والغريب المصنف ٢٤٢ وبلا
عزو فى ادب الكاتب ٣٤٤ واضداد ابن الانبارى ٢٣٥ ،
الرابع فى كتاب سيبويه ٢/١٩١ وتحصيل عين
الذهب ٢/١٩١ واللسان (اهل) والخزانة ٣/٢٧٢ ،
وفى جمهرة اللغة بيت مركب من صدر الرابع وعجز
الثانى ١/١٣١ و ٣/٣٤٤ وهو بلا عزو فى الاشتقاق
٢٥٤ ، الثانى بلا عزو فى الصحاح ٨١ والتبيان
والتبيين ٣/٩٧ وعجزه بلا عزو فى شرح المرزوقى
٨١١ .

[من الطويل]

- ١ - الم تعلمى يا ام عمرة انسى
تخاطاني ريب الزمان لاكبيرا
- ٢ - واشهد من عوف حلولا كثيرة
يحجون سب الزبرقان الزعفران
- ٣ - تمنى حصين ان يسود جذاعه
فامسى حصين قد اذل واقهرا

- ٤ - وهم اهلات حول قيس بن عاصم
اذا ادلجوا بالليل يدعون كوثرا

(١٤)

التخريج

[من الطويل]

اساس البلاغة واللسان (غير) .
فانزلهم دار الضياع فاصبحوا
على مقعد من موطن المز اغبرا

(١٥)

التخريج :

معجم ما استعجم ١٢٧٢ .

[من الطويل]

قال يهجو بنى عبشمس من بنى تميم :
ايا شرحتى بين اجبال طيب
وبين الوحاف السود من سرو حميرا

(١٦)

التخريج :

الآغانى ١٣/١٩٥ .

[من الطويل]

- ١ - ان قشرا من لقاح ابن حازم
كراضة حيفا وليت بطاهر
- ٢ - فلا ياكلنها الباهلي وتقمعدوا
لدى غرض ارمىكم بالنواقر
- ٣ - اغرك ان قالوا لمزة شاعر
فناك اباه من خفير وشاعر

التخريج :

منتهى الطلب ق ٣٩-٤٠ ، الاول في معجم ما
استعجم ٨٢٥ وفي ١٣٢٨ (بين مخفق ومطار) ،
٢ ، ٣ في الموازنة ٤٧٩/١ .

١٣ في معجم ما استعجم ٨٤١ ومعجم البلدان
(روضة الاحفار) ، ٤١ في الرسالة الموضحة ١٤٨ ،
٤٢-٤٦ في الاغاني ١٩٧/١٣ .

[من الكامل]

- ١ - اعرفت من سلمى رسوم ديار
بالشط بين مخفق وصحار
- ٢ - وكأنما اثر النعاج بجوها
بمدافع الركنين ودع جوارى
- ٣ - وسألها عن اهلها فوجدتها
عمياء جافية عن الاخبار
- ٤ - وكان عيني غرب ادهم داجن
متمود الاقبال والادبار
- ٥ - ثقب يقيم زارع انهاره
بالمر يقيمهم بين ديار
- ٦ - حتى اذا مال النهار وانزفت
عيني الدموع وقلت اي مزار
- ٧ - قربت حادرة الناكب حرة
خلقت مطية رحلة وسفار
- ٨ - اجدا مداخله كأن فروجها
بلق الموارد من خلال عفار
- ٩ - ويلى بياض الارض من اخفافها
سمر الطباق غليظة الاصفار
- ١٠ - وكأنما رفعت يدي نواحيه
شمطاء قامت غير ذات خمار
- ١١ - وكأنها لما غدت سرورية
معمودة باللحم ام جوار
- ١٢ - وكأنما علقت ولية كورها
وقتودها بمصدر عيار
- ١٣ - غرد تربيع في ربيع ذي ندى
بين الصليب فسوة الاحفار
- ١٤ - فرعى بصوته ثلاثة اشهر
وهراق ماء البقل في الاسار
- ١٥ - حتى اذا اخذ المراغ نسيله
من مدع من خلقه وشوار
- ١٦ - ورمى انابيش الشفا ارساغه
من كل ظاهرة وكل قرار
- ١٧ - وتجنب القربان واختار الصوى
يعدو بهن كفارس المضمار

١٢ - معجم ما استعجم : ... وبين ذي احفار

- ١٨ - ذكر العيون وعارضته سمخ
حملت له شهرين بعد نزار
- ١٩ - يرضى بصحبها اذا برزت لسه
واشد عنها الف كل حمار
- ٢٠ - فأقالها بقرارة فيها السفا
ظماى وطل كأنه باسار
- ٢١ - وتفقداء ماء القلات فلم يجد
الا بقية آجن اصفار
- ٢٢ - فأدارها اصلا وكلف نفسه
تقريب صادقاة النجاء نوار
- ٢٣ - يغشى كرهتها على ما قد يرى
في نفسها من بغضة وفرار
- ٢٤ - ترمي ذراعيه وبلدة نحره
بحصى يطير فضاذه وغبار
- ٢٥ - وتفوته نثرا فيلحق معجلا
ربض اليدين كفائض الايسار
- ٢٦ - يعلو فروع قطائنها من اتسه
بملاحل كرحالة النجار
- ٢٧ - فتذكرا عينا يطير بعوضها
زرقاء خالصة من الحضار
- ٢٨ - طرقا من المفدى طريقا صافيا
فيه الضفادع شائع الانهار
- ٢٩ - والازرق المعجلي في ناموسه
باري القداح وصانع الاوتار
- ٣٠ - من عيشه القترات احسن صنعها
بحصا يد القصباء والجبار
- ٣١ - فذنت له حتى اذا ما امكنت
ارساغه من معظم السيار
- ٣٢ - واحس حبهما فيسر قبضة
صفراء راش نفيها بظنار
- ٣٣ - فرمى فاخطأها ولهف امه
ولكل ما وقى النية صاري
- ٣٤ - فتوليا يتنازعان بساطع
متقطع كملاء الانيسار
- ٣٥ - يتعاوران الشوط حتى اصبحا
بالجزع بين مثقب ومطار
- ٣٦ - فبتلك افضى الهم اذ وهمت به
نفسى ولست ناء عوار
- ٣٧ - وقبيلة جنب اذا لاقيتهم
نظروا الي باوجه انكار
- ٣٨ - حيث بعضهم لارجع ودهمهم
بخلائق معروفنة وجوار
- ٣٩ - والجار اومن سرحه ومحله
حتى يبين لنينة المختار

(١٩)

التخريج :

اللسان (نعر)

[من المتقارب]

إذا ما هم اصلحوا أمرهم
نمرت كما ينمر الأخدع

(٢٠)

التخريج :

١-٣ في الحيوان ١٧٤/٧ ، ١-٤ في شرح
المفصليات ٣٧٠ ؛ الثاني في اللسان (دهرس)
الرابع في النقائض ١٠٦٤ والمحرر ٣٣٨ والمعاني
الكبير ٢١١ و ١٢١٤ والجمهرة ١٤٤/٢ والسمط
٣٦٧ ومعجم ما استعجم ١٣٥ وفصل المقال ١٣٣
ومجمع الأمثال ١٨٠/٢ والمستقصى ١٩٣/٢

[من الطويل]

قال في تعظيم شأن الفيل :

- ١ - اتها مني أم عمرة ان رات
نهارا وليلا بلياني فأسرعنا
- ٢ - فان اك لا قيت الدهاريس منهما
فقد انينا النعمان قبلي وتبعنا
- ٣ - ولا يلبث الدهر المفرق بينه
على الفيل حتى يستدير فيصرعا
- ٤ - كما قال سعد اذ يقود به ابنه
كبرت فجنيني الارانب صمصا

٢ - شرح المفصليات : لقمان قبلي . اللسان : فان ابل
.... قبل

٢ - شرح المفصليات : ولا ينتهي الدهر المواصل بينه
عن الفيل ... ويصرعا

٤ - الجمهرة : واذا قال سعد لابنه اذ يقوده .

(٢١)

التخريج :

الابيات [١ - ١٠] في تاريخ الطبري ٦٢٥/١
والابيات [٣ ، ٤ ، ٥] في معجم ما استعجم ٥٦٤/
والسادس ١٧٥/ في معجم ما استعجم .
قال المخبل ، وهو ربيعة بن عوف السعدي :
[من الكامل]

- ١ - ياعمرو اني قد هويت جماعكم
ولكل من يهوى الجماع فراق
- ٢ - بل كم رايت الدهر زایل بينه
من لا يزایل بينه الاخلاق
- ٣ - طابت به الزبا وقد جعلت لها
دورا ومثربة لها انفاق

- ٤٠ - فلئن رايت الشيب خصوص لمتني
من طول ليل كائب ونهار
- ٤١ - اني لتمرزاني النوائب في الفنى
واعف عند مشححة الاقنار
- ٤٢ - فجزى الاله سرارة قومي نصرة
وسقاهم بمشارب الابرار
- ٤٣ - قوم اذا خافوا عثار اخيهم
لا يسلّمون اخاهم لعثار
- ٤٤ - امثال علقمة بن هوذة اذ سمي
يخشى علي متالف الامصار
- ٤٥ - اثنوا علي فاحسنوا فترافدوا
لي بالمخاض البزل والابكار
- ٤٦ - والشول يتبعها بنات لبونها
شرقا حناجرها من الجرجار
- ٤٧ - حتى تاوى حول بيتي هجمة
ابكارها كنواعم الجبار
- ٤٨ - وكان خلفتها عطيفة شوحط
عطل براهها من خزاعة باري
- ٤٩ - وبقي بهاء النطاف فلم يجد
ماء بتنيهة ولا بغمسار

(١٨)

التخريج :

١-٥ في الاغاني ١٩٤/١٣ ؛ ٦٠٥ في فصل
المقال ٣٥٢ ؛ ٦ في معجم ما استعجم ١٣ و ١٧ ؛ ٣٤١
في اللسان (عضو) ٥ في جمهرة الامثال ٥٢٠/١
ومجمع الامثال ٣٩٢/١ وامثال العرب ٧٢
والمستقصى ١١٧/٢ .

قال يمدح بغيض بن عامر بن شماس :

[من الوافر]

- ١ - لعمر ابيك لا القى ابن عم
على الحدثان خيرا من بغيض
- ٢ - اقل ملامة واعز نصرا
اذا ما جئت بالامر المريض
- ٣ - كساني حلة وجبا بعنى
ابس بها اذا اضطربت غروضي
- ٤ - غداة جنى بني علي جرما
وكيف يداي بالحرب العضوض
- ٥ - فقد سد السبيل ابو حميد
كما سد المخاطبة ابن بيض
- ٦ - فان تمنع سهول الارض مني
فاني بالك سبل العروض

قال يفخر بنصرتهم أبرهة بن الصباح ملك
اليمن وكانت خندف حاشيته :

[من الكامل]

- ١ - ضربوا لأبرهة الأمور محلها
حلبان فانطلقوا مع الأقوال
- ٢ - ومحرق والحارثان كلاهما
شركاؤنا في الصهر والأموال

١ - حلبان : مدينة باليمن . وفي اللسان : صرموا

(٢٦)

التخريج :

الآغاني ١٣/١٩٢ ؛ الثالث في الصناعتين
١٩٥ و ٤٦٣ .

[من الكامل]

قال في الزبرقان بن بدر :

- ١ - أثبت أن الزبرقان يسبني
سفها ويكره ذو الحرين خصالي
- ٢ - أفلا يفاخرني ليعلم أينما
أدنى لأكرم سؤدد وفعال
- ٣ - وأبوك بدر كان مشرط الخصى
وأبي الجواد ربيعة بن قتال

٢ - الصناعتين : ... ينتهي الحمى ... بن قتال

(٢٧)

التخريج :

معجم ما استعجم ١٠٧٠ .

[من السريع]

- ١ - أن اليمامة شر ساكنها
أهل القرية من بني ذهل
- ٢ - قوم أبار الله ساداتهم
فشريدهم كالقمل الطحل

(٢٨)

التخريج :

منتهى الطلب ق ٤٠-٤١ عدا الأبيات ٤٢-٤٤
نهي في طبقات فحول الشعراء ٩٩ مع الأبيات ٣١
(ثم الأبيات ٤٢ - ٤٤) ، ٣٦ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ؛
الأبيات ٣١ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ في الآغاني ١٣/١٩٢ ؛
الثاني في معجم ما استعجم ٢٧٧ والثامن فيه أيضا
١٧٦ ؛ ١٦ في معجم ما استعجم ٤٤٥ ؛ ١٩ في أساس
البلاغة (حلق) ؛ ٢٦ في اللسان وأساس البلاغة
(فتك) ؛ ٣٥ في المعاني الكبير ١٢١٧ وجمهرة اللغة
٤١٩/٢ وأمالى القالي ١٦٠/١ والمعجم في بقية

٤ - حملت لها عمرا ولا بخسونة
من آل دومة رسالة معناق

٥ - حتى تفرعها بأبيض صارم
غضب يلوح كأنه مخراق

٦ - وأبو حليفة يوم ضاق بجمعه
شعب الفبط فحومة فأنفاق

٧ - وله معد والعباد وطبيء
ومن الجنود كتاب ورفاق

٨ - يهب النجائب والنزائع حوله
جرذا كان متونها الإطلاق

٩ - فانت عليه ساعة ما أن له
مما أفاء ولا أفاد عناق

١٠ - فكان ذلك يوم حم قضاؤه
رفد أميل أناءه مهراق

(٢٢)

التخريج :

قال البكري في اللآلي ٧١١ : « وقد رايت في
بعض حواشي الأمهات أنهما للمخبل ولم يقعما في
ديوان شعره . وهما بلا عزو في أمالي القالي ٧٧/٢
[من الوافر]

١ - كسوناها من الریط الیماني
مسوحا في بناقها فضول

٢ - وهدمنا صوامع شيدتها
لها حجب مخالطها نجیل

(٢٣)

التخريج :

حماسة البحري ١٢٥ .

[من الطويل]

وقد تزدرى العين الفتى وهو عاقل
وبجمل بعض القوم وهو جهول

(٢٤)

التخريج :

معجم البلدان (دارة الخرج) .

[من الطويل]

محبسة في دارة الخرج لم تذق
بلالا ولم يسمح لها بنجیل

(٢٥)

التخريج :

معجم ما استعجم ٤٦١ ؛ الأول في اللسان

(حلب) .

الاشياء ٨٣ والسمط ٤١٨ ؛ ٣٧ في الصناعتين
٤٠٠ ؛ ٣٩ ؛ ٤٠ في معجم ما استعجم ٧٧٩ ؛ ٤١٣٩
في اللسان (عين) ٣٩٠ في التنبهات ٣٠٦ وكنيات
الجرجاني ٨٤ ؛ ٣٩ ؛ ٤١ ؛ ٤٠ في شرح ديوان
الحماسة ٨٥/٤ ؛ ٤١ في المخصص ١٢/٤ والبارع
٩٤ ؛ الاول في معجم البلدان (روضة بطن عنان) ؛
الثالث فيه أيضا (روضة عربيات) .

[من الطويل]

- ١ - عفا العريض بعدي من سليمي فحائله
فبطن عنان ريبه فافاكلة
- ٢ - فروض القطا بعد التساكن حقبه
فبلو عفت باحاته فمائله
- ٣ - فميث عربيات بها كل منزل
كوشم العذارى ما يكلم سائله
- ٤ - تمشى بها عوذ النعاج كأنها
فريق يوافي الحج حانت منازلها
- ٥ - ذكرت بها سلمى وكتمان حاجة
لنفسى وما لا يعلم الناس داخله
- ٦ - يظل يؤتيني صحابي كأنني
صريع مدام باكرته نواطله
- ٧ - وما كان محقوقا فؤادك بالصبي
ولا طرب في إثر من توأمله
- ٨ - وما ذكره سلمى وقد حال دونها
مصاريع حجر دؤره ومجادله
- ٩ - وان لم يورعني الشباب ولم يلج
براسي شيب انكرته غوائله
- ١٠ - وفيت فلم اعذر ولم يلق غبطة
مساجل يؤسي قمت يوما اساجله
- ١١ - وقد رابني من بعض قومي منطق
له جلب تروى علي بواطله
- ١٢ - ومن ير عزاً في قرّيع فانه
تراث أبيها مجده وفواضله
- ١٣ - نقلنا له ائمانه من بيوتنا
وحلت الينا يوم حلت رواحله
- ١٤ - وكائن لنا من ارث مجد وسؤدد
موارده معلومة ومنأمله
- ١٥ - ومنا الذي رد المغيره بعدما
بدا جامل كاللوب تبدو شواكله
- ١٦ - اتاح لها ما بين أسفل ذي حنا
فحزم اللوى وادي الرئيس فعاقله
- ١٧ - هزبر هريت الشدي ربال غابة
إذا سار عزته يداه وكأمله

٢ - معجم ما استعجم : نأحاله

١٦ - معجم ما استعجم : اباح لها نوادي اللوى بطن ...

- ١٨ - شميم الحيالا يفارق قرنيه
ولكنه بالصحصحان ينزله
- ١٩ - واعطي منا الحلق ابيض ماجد
نديم ملوك ما تغب توافله
- ٢٠ - وجاعل برد العصب فوق جبينه
يقي حاجبيه ما تثير قنابله
- ٢١ - وليلة نجوى يعتري العي اهلها
كفينا وقاضي الامر منا وفاصله
- ٢٢ - ويوم الرحى سدتنا وجيش مخرم
ضربناه حتى اتكأته شمائله
- ٢٣ - ويوم أبي يكسوم والناس حضر
على جلبان إذ تقضى محاصله
- ٢٤ - فتحنا له باب الحصر وربّه
عزيز تمشى بالحراب اراجله
- ٢٥ - عليه معدّ حولنا بين حاسد
وذى حنق تغلي علينا مراجله
- ٢٦ - وإذا فتك النعمان بالناس محرمنا
فعلينا من عوف بن كعب سلاله
- ٢٧ - فكنا حديد القل عنهم فسرخوا
جميعا واحظى الناس بالخير فاعله
- ٢٨ - ونقلنا له لائن صهرك عندنا
ولا تنس من اخلاقنا ما نجامله
- ٢٩ - فما عيرتنا بعد من سوء جرعة
ولا شيمة ما بوا الخلق حابله
- ٣٠ - فتلك ماعينا وبدر مخلف
على كتفيه ربقه وحبائله
- ٣١ - لعمرك ان الزبرقان لدائهم
على الناس يغدو نوكة ومجامله
- ٣٢ - شرى محمراً يوماً بذود فخاله
نماه الى اعلى اليفاع اوائله
- ٣٣ - راي مجد اقوام صرى في حياضهم
وهدهم حوض الزبرقان غوائله
- ٣٤ - اتيت امراً احمى على الناس عرضه
فمازلت حتى انت متع تناضله
- ٣٥ - فاقع كما اقمى أبوك على استه
راى ان ريماً فوقه لا يعادله
- ٣٦ - فقبلك بدر عاش حتى رايته
يدب ومولاه عن المجد شاغله
- ٣٧ - وينفس ممّا ورثنى اوائله
ويرغب عما اورثته اوائله
- ٣٨ - فان كنت لم تصبح كحظك راضيا
فدع عنك حظي انني عنك شاغله

٢١ - ابن سلام : ... لدائب

على الناس يمدو

التخريج :

المفضليات ١١٣ ، شرح المفضليات ٢٠٧ ،
 منتهى الطلب ق ٣٤ - ٣٥ ، شرح اختيارات المفضل
 ٥٣١/١ ؛ ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩
 في معجم البلدان (الاغدره) .

الابيات ١-٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ في رسالة
 الفجران ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ ٢ ، ٣ في اللسان (سجر)
 والثاني في الفاضل ٨٢ والتصحيح والتحريف ١٣٦
 والمصون ١٩٢ والتنبيه على حدوث التصحيح ٦٩
 وشرح القصائد السبع الطوال ١٩٠ والخصائص
 ٢٨٧/٣ والزهر ٣٧١/٢ ؛ ٣ في الغريب المصنف
 ٦٦٧ ؛ ٤ ، ٥ في امالي المرتضى ٣١/٢ ؛
 ٨٨ ؛ ١٢ ، ١٦ ، ١٧ في الجمان ٢٤٣ ؛ ١٢ في الواضح
 في مشكلات شعر المتنبي ٣٢ واساس البلاغة (جهم)
 واللسان (ظما وخلق) ؛ ١٥ في اللسان (لخم) ؛
 ١٧ في شرح القصائد السبع الطوال ٧٢ واللسان
 (ترك) ؛ ١٩ في معجم ما استعجم ٦٤٧ و ٦٩٥ ؛ ٢٠
 في المحاضرات ٣٠١/٣ ؛ ٢١ في المعاني الكبير ٨٦٩ ؛
 ٢٣ في اللسان (نقر) ؛ ٢٩ في الفاخر ١٢٤ ؛ عجز
 ٣٠ في اللسان (عقم) ؛ ٣٥ - ٣٩ في حماسه
 البحري ٩٨ ؛ ٣٨ في الفصول والفايات ٢٤٧
 واللسان (شكر) مع البيت ٣٩ ؛ ٣٥ - ٤٠ في
 تذكرة ابن حمدون ١٩ .

[من السريع]

- ١ - ذكر الرباب وذكرها سقم
- فصبا وليس لمن صبا حلم
- ٢ - وإذا الم خيالها طرقت
- عيني فمأء شؤونها سجن
- ٣ - كاللؤلؤ المسجور اغفل في
- سلك النظام فخاته النظم
- ٤ - وارى لها داراً باغدره الـ
- سديدان لم يدرس لها رسم
- ٥ - الا رماداً هامداً دفعت
- عنه الرياح خوالده نحم
- ٦ - وبقيبة النوى الذي رفعت
- أعضاده فشوى له جدم
- ٧ - فكان ما ابقى البوارح والـ
- امطار من عرصاتها الوشم
- ٨ - تقرو بها البقر المسارب واخـ
- تلطت بهما الارام والادم
- ٩ - وكان اطلال الجدار والـ
- غزلان حول رسومها البهم

- ٣٩ - وانكحت هزلاً خليدة بعدما
- زعمت براس العين انك قاتله
- ٤٠ - يلاعبها تحت الخبياء وجاركم
- بذي شبرمان لم تنزىل مفاصله
- ٤١ - وانكحته رهوى كان عجانها
- مشق إهاب أوسع السخ ناجله

- ٤٢ - ولما رايت العز في دار اهله
- تمنيت بعد الشيب انك ناقله
- ٤٣ - ولما نر الاخفاف تمشي على الذرى
- ولما يكن اعلى العضاد اسافله
- ٤٤ - ولما يزل عن راس صهوة عصمها
- ولما يدع ورد العراق مناهله

٤١ - اللسان والبارع : وانكحن رهوا .

التخريج :

الابيات [١ ، ٢ ، ٣] في ديوان المعاني ٦٣/٢
 والاول في اساس البلاغة (عرى) .
 [من الطويل]

- ١ - وساقطة كور الخمار حية
- على ظهر غري زل عنها جلالها
- ٢ - تشد يديها بالسنام وقد رات
- مسومة ياوي اليها رعالها
- ٣ - نزلنا فاقينا الكماء دماءها
- سجال المنايا حيث تقى سجالها

التخريج :

التحصيل والتحريف ٢٣٨ .

[من الطويل]
 مددت برحم عند حنظل ابتغي
 بها الود والقربى فضل ضلالها

التخريج :

الجمهرة ٦٧/٢ واللسان (جدل) وبلا عزو في
 شجر الدر ٦٧ وعجز البيت بلا عزو في مجالس
 ثعلب ٤٨٣ .

[من الطويل]
 وسارت الى يبرين خمسا فاصبحت
 تخر على ايدي السقاة جدالها

- ٢٩- وإذا رفعت السوط افزعها
تحت الضلوع مروع شهم
٣٠- وتلد حاذيها بلذي خصل
عقمت فناعم نبتة العقم
٣١- ولها مناسم كالمواقع لا
معر اشاعرها ولا درم
٣٢- وتقبل في ظل الخباء كما
يخشى كناس الضالة الرثم
٣٣- كتركة السيل التي تركت
بشفا الميل ودونها الرضم
٣٤- بليتها حنى اؤديها
رم العظام ويذهب اللحم
٣٥- وتقول عاذلي وليس لها
بغدر ولا ما بعده علم
٣٦- ان الثراء هو الخلود وإ
ن المرء يكرب يومه القدم
٣٧- إني وجدك ما تخلدني
مائة يطير عفاؤها ادم
٣٨- ولئن بنيت لي المشقر في
هضبر تقصر دونه العصم
٣٩- لتقبن عني المنيعة إ
ن الله ليس كحكمه حكم
٤٠- إني وجدت الامر ارشدة
تقوى الاله وشرة الائم

(٣٣)

التخريج :

- ١- في امالي القالي ٢/٢٣٣ ؛ ٥ في حماسة
البحري ٢٣٦ والموازنة ١/١١٩ ؛ الاول في البيان
والتبيين ٤/٧٦ والسمط ٨٥٧ ؛ السادس في اللسان
(غيث) .

[من الطويل]

- ١ - اذا انت عادت الرجال فلاقهم
وعرضك عن غيب الامور سليم
٢ - وإن مقادير الحمام الى الفتى
لسواة ما لا يخاف هموم
٣ - وقد يسبق الجهل النهي ثم انها
تربع لاصحاب العقول خلوهم

- ١٠- ولقد تحل بها الرباب لها
سلف يفل عدوها فخم
١١- بردية سبق النعيم بها
اقرانها وغلا بها عظم
١٢- وتريك وجهها كالصحيفة لا
ظمان مختلج ولا جهم
١٣- كعقيلة الدر استضاء بها
محراب عرش عزيزها العجم
١٤- أغلى بها ثمننا وجاء بها
شخت العظام كأنه سهم
١٥- بلبانه زيت واخرجها
من ذي غوارب وسطه اللحم
١٦- او بيضة الدعص التي وضعت
في الارض ليس لمسها حجم
١٧- سبقت قرائنها وادفاهها
قرد الجناح كأنه هدم
١٨- ويضمها دون الجناح بدقته
وتحفهن قوادم قتم
١٩- لم تعتذر منها مدافع ذي
ضال ولا عقب ولا الزخم
٢٠- وتضل مدراسها المواشط في
جعد اغم كأنه كرم
٢١- هلا تسلي حاجة علقست
علق القرينة جلها جذم
٢٢- ومعد قلق المجاز كبا
ري الصناع إكامه درم
٢٣- للقاريات من القطا تقصر
في حافتيه كأنها الرقم
٢٤- عارضته ملث الظلام بمد
عان العشي كأنها قرم
٢٥- تذر الحصى فلقا اذا عصفت
وجرى بحد سراها الاكم
٢٦- قلقت إذا انحدر الطريق لها
قلق المحالة ضمها الدعم
٢٧- لحقت لها عجز مؤيدة
عقد الفقار وكاهل ضخم
٢٨- وقوائم عوج كأغمدة ال
بنيان عولي فوقها اللحم

٤ - وقد تزدرى النفس الفتى وهو عاقل
ويؤفن بعد القوم وهو حزين

٥ - ولا يعدم الفاي على الفى لائماً
وإن هو لم يشفق عليه يلم

٦ - لينا لجب حول الحياض كأنه
تجاوب أغياث لينا هزيم

(٢٤)

التخريج :

اللسان (ظلم) .

[من الطويل]

تعامن حتى يحسب الناس أنها
إذا ما استحقت بالسيف ظلوم

(٢٥)

التخريج :

أخبار أبي تمام ٤٧ .

[من الوافر]

١ - إذا ذكروا الحطيئة لم يمدوا
حديثاً عند ذاك ولا قديماً
٢ - وما كان الحطيئة غير كلب
رماه الله أن تبج النجوم

(٢٦)

التخريج :

حماسة البحتري ١٥٦ .

[من الطويل]

١ - وقالوا أخانا لا تضع لظالم
عزيز ولا ذا حق قومك ظالم
٢ - راوا أنني لا حقهم أنا ظالم
ولا ناصري أن جاوز الحق مسلمي

(٢٧)

التخريج :

حماسة البحتري ١٥٦ والثاني في اضداد

الاصمي ٥٣ واضداد ابن الانباري ١٩١ واضداد
قطرب ٢٦٨ ومجموعة المعاني / ٧٨ .

[من الطويل]

١ - وأنا أناس تعرف الخيل زجرنا
إذا مطرت سحب الصوارم بالدم
٢ - وأنا لنعطي النصف من لو نضيمه
أقرء ونأبى نخوة المتظلم

٢ - الاصمي : نعطي الحق . اللان : نقر

(٢٨)

التخريج :

الحيوان ٣/٩٠ واللسان (ضلل) .

[من الطويل]

اضلت بنو قيس بن سعد عميدها
وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

(٢٩)

التخريج :

المعاني الكبير ٤٧٥ والتصنيف والتحريف
٢٣٧ والمقاييس ١٥٧/٦ وهو في اللان (حلم
ووده وقبه وثقه وبقه) .

[من الطويل]

وردوا مدور الخيل حتى تنهت
الى ذي النهى واستيقهوا للمحلم

اللان : عدة روايات هي : حتى تنهوا واستيقهوا
وفي رواية اخرى : واستنقت واستيدموا واستنقت .

(٤٠)

التخريج :

معجم ما استعجم ٢٧٢ .

[من الطويل]

غشيت ليلي دمنة لم تكلم
يلبول فالأجراع أجراع توءم

(٤١)

التخريج :

اللسان (عدن) .

[من الطويل]

خوامس تشق العصا عن رؤوسها
كما صدع الصخر الثقال المعدن

(٤٢)

التخريج :

اللسان (خين) .

[من الطويل]

وكان لها من حوض سيحان فرصة
أراغ لها نجم من القیظ خابن

(٤٣)

التخريج :

معجم ما استعجم ١١٠٤ .

[من الطويل]

لقد شاقني لولا الحياء من الصبا
بذي الرمث أو وادي قوي ظمائن

(٤٤)

التخريج :

معجم ما استعجم ٩٢٠ .

[من الطويل]

أرى أبلي حلت دبا بعدما يرى
لها وطننا جنباً عتود فزابن

(٤٥)

التخريج :

معجم ما استعجم ١٤٦ ومراصد الاطلاع
١١٣٦/٢ .

[من الطويل]

تحملن من ذات الازاء كما انبرى
ببز التجار من أوال سفائن

(٤٦)

التخريج :

التصحيف والتحريف ٢٧٠ .

[من الطويل]

وكنا كريمي معشر جم بيننا
تصاف فضاء بحسن صيان

(٤٧)

التخريج :

اللسان (قطم) .

[من الطويل]

ولما رات قطمان من عن شمالها
رات بعض ما تهوى وقرت عيوننا

(٤٨)

التخريج :

الجمهرة ٤٣٣/٢ والحدود العین ١٢٧ واللسان
(أفنّ وحین) وبلا عزو في الفاخر ١٣٧ والمعجم في
بقية الاشياء ٨٠ والغريب المصنف ٣٧٠ .

[من الطويل]

إذا أنت أروى عيالك أفننا
وان حنت أربي على الوطب حيننا

المعجم : فان .

(٤٩)

التخريج :

اللسان (حقن) .

[من الطويل]

وفي ابل ستين حسب ظمينة
يروح عليها مخضها وحقیننا

ما نسب له ولغيره من الشعراء

(١)

التخريج :

خزانة الأدب ٥٢٧/١ والابيات ٧ : ٩ : ٦ مع
آخر لرجل من بني قريع في شرح ديوان الحماسة
١١٤٨ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٤٩/٢
والسابع مع آخر للمعلوط السعدي في عيون الاخبار
١٨٩/٢ .

١ - الا بالقومي للرسوم تبعد

وعبدك ممن حبلين جديد

٢ - وللدار بعد الحي يبكك رسما

وما الدار الا دمنة وصعيد

٣ - لقد زاد نفي بابن ورد كرامة

علي رجالة في الرجال نبيد

٤ - يسوقون اموالا وما سعدوا بها

وهم عند مثناة القيام قعود

٥ - ولا سود المال اللثيم ولا دنيا

لذلك ولكن الكريم يسود

٦ - وكائن راينا من غني مذمم

وصعلوك قوم مات وهو حميد

٧ - وليس الفنى والفقر من حيلة الفتى

ولكن احاطت قسمت وجدود

٨ - وما يكسب المال الفتى بجلاده

لديه ولكن خائب وسعيد

٩ - اذا المرء اعيت المروءة ناشئا

فمطلبها كئلا عليه شديد

(٢)

التخريج :

اللسان (سدف) وهو لنا شرة بن مالك يرد
على المخبل في مادة (خصف) .
اذا ما الخفيف العوبشاني ساءنا
تركناه واخترنا السديف المرهدا

(٣)

التخريج :

عيون الاخبار ١٩٢/٢ وبلاغزو في نور القبس
٢١٦ وهو لمهلل في شرح ديوان الحماسة ١٥٢/٢ .
يكي علينا ولا نكي على احد
انا لاغلظ اكبادا من الابل

(٤)

التخريج :

تقد الشعر ٢٠٥ وهو للفرزدق في بديع ابن
المعتر ٣٥ .
ليفمز عزاً قدعنا عظم راسه
قراسية كالفحل يصرف بازله

(٥)

التخريج :

الاصابة ٤٦٤/٢ . وهما لابن الدمينية في
ديوانه ٣١ وانظر تخريجهما في ص ٢٢١ - ٢٢٢ من
ديوان ابن الدمينية .

١ - من الناس انسان ديني عليهما

مليان لو شاءا لقرقياني

٢ - خليلي اما ام عمرو فمنهما

واما عن الاخرى فلا تسلاني

المصادر

- تذكرة ابن حمدون - لابن حمدون ، مطبعة النهضة بمصر ١٩٢٧ .
- التصنيف والتحرير - لابي احمد العسكري ، تحقيق عبدالعزيز احمد ، الحلبي بمصر ١٩٦٢ .
- تفسير القرطبي - للقرطبي ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧ .
- التنبية على حدوث التصحيف - لحمزة الاصنهاني ، تحقيق محمد اسعد طلس ، مطبوعات مجمع دمشق .
- التنبيهات على اغاليط الرواة - لعلي بن حمزة ، تحقيق اليماني ، دار المعارف بمصر .
- تهذيب اللغة - للازهري ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٢ - ١٩٦٧ .
- ثلاثة كتب في الاضداد - تحقيق هفتر ، بيروت ١٩١٢ .
- الجمان في تشبيهات القرآن - لابن نايف ، تحقيق احمد مطلوب وخديجة الحديشي بغداد ١٩٦٨ .
- الجمال - للزجاجي ، تحقيق ابن ابي شنب ، باريس ١٩٥٧ .
- الجمهرة - لابن دريد : تحقيق كركو ، حيدر آباد الركن ، ١٩٢٥ - ١٩٢٦ .
- جمهرة الامثال - لابن هلال العسكري ، تحقيق ابو الفضل وقطامش ، مصر ١٩٦٤ .
- حاشية الصبان - طبع البابي الحلبي بمصر .
- حماسة البخاري - للبخاري ، تحقيق شيخو ، بيروت ١٩١٠ .
- الحيوان - للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون الحلبي ١٩٢٨ .
- خزانة الادب - للبغداد ، بولاق ١٢٩٩ .
- الخصائص - لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب بمصر ١٩٥٢ .
- ديوان ابن الدميني - تحقيق احمد راتب النفاخ ، مصر ١٢٧٩ .
- ديوان طرفة - بشرح الشتري ، باريس ١٩٠١ .
- ديوان الفرزدق - تحقيق الصاوي ، مصر ١٩٢٦ .
- ديوان المعاني - لابن هلال العسكري ، طبع القدسي ١٢٥٢ هـ .
- رسالة الحور العين - لنشوان الحميري ، تحقيق كمال مصطفى ، مصر ١٩٤٨ .
- رسالة الفران - تحقيق بنت الشاطيء ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .
- سبط اللاتي - للبكري ، تحقيق اليماني ، دار الكتب المصرية .
- شجر الدر - لابي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد عبدالجواد الاصمعي ، دار المعارف بمصر .
- شرح اختيارات الفضل - للتبريزي ، تحقيق فباوة ، مطبوعات الجمع العلمي بدمشق .
- شرح ادب الكاتب - للجواليقي ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة ١٢٥٠ .
- شرح ديوان الحماسة (ت) - للتبريزي ، نشر محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة حجازي بالقاهرة .
- شرح ديوان الحماسة (م) - للمرزوقي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٥١ .
- شرح القصائد السبع الطوال - لابن بكر بن الانباري ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف بمصر .
- شرح الفصل - لابن يعيش ، ادارة الطباعة المنيرة بمصر .

- اخبار ابي تمام - للصولي ، تحقيق سائر وعزام والهندي ، مصر ١٩٢٧ .
- ادب الكاتب - لابن قتيبة ، نشر محمد محيي الدين عبدالحميد ، السعادة بمصر ١٩٦٢ .
- اساس البلاغة - للزمخشري ، مطبعة دارالكتب المصرية ١٢٢١ هـ .
- اسرار العربية - لابي البركات الانباري ، تحقيق محمد بهجت البيطار ، دمشق ١٩٥٧ .
- الاشتقاق - لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ .
- الاصابة - لابن حجر ، القاهرة ١٢٢٨ هـ .
- اصلاح المنطق - لابن السكيت ، تحقيق شاكر وهارون ، دار المعارف بمصر .
- الاصول - لابن السراج ، تحقيق عبدالحميد الفتلي .
- الاضداد - للاصمعي (ضمن ثلاثة كتب في الاضداد) .
- الاضداد - لابي بكر بن الانباري ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، الكويت .
- الاضداد - لقطرب (طبع في مجلة اسلاميكا المجلد الخامس سنة ١٩٢١) .
- الاغاني - لابي الفرج الاصبهاني ، طبع دار الكتب المصرية .
- امالي ابن الشجري - طبع حيدر آباد الدكن ١٢٤٩ هـ .
- امالي القالي - طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٦ .
- امالي المرتضى - تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٥٤ .
- الاتصار - لابن ولاد ، مصورة بحوزة الدكتور مهدي الخزومي .
- الانصاف - لابي البركات الانباري ، نشر محمد محيي الدين عبدالحميد ، السعادة بمصر ١٩٦١ .
- ابضاح شواهد الابضاح - للقيسي ، مخطوطة الاسكودريال رقم ٥ (انظر الابضاح العسدي) .
- الابضاح العسدي - لابي علي الفارسي ، تحقيق حسن شاذلي فرهود ، مصر ١٩٦٩ .
- البارع - لابي علي القالي ، تحقيق هاشم الطمان .
- البديع - لابن المعتز ، طبع الحلبي بمصر ١٩٤٥ .
- البديع في نقد الشعر - لاسامة بن منقذ ، تحقيق بدوي وعبد المجيد ، مصر ١٩٦٠ .
- البيان والتبيين - للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٤٨ .
- التاج - للزبيدي ، مصر ١٢٠٦ - ١٢٠٧ .
- تاريخ الطبري - للطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر .
- التبيان - للطوسي - طبع النجف .
- التبيان في شرح الديوان - المنسوب للعسكري ، تحقيق السقا وآخرين ، مصر ١٩٥٦ .
- تحصيل عين الذهب - للاعلام الشتري ، على هامش الكتاب لسيبويه .

محاضرات الادباء - للراغب الاصفهاني ، بيروت .
 المحبر - لابن حبيب ، حيدر آباد الركن ١٩٤٢ .
 المختار من شعر بشار - للتجيبى ، تحقيق محمد بدر الدين ،
 مطبعة الاعتماد بمصر
 المخصص - لابن سيدة ، بولاق ١٢١٨ .
 مرصد الاطلاع - لصفي الدين عبدالمؤمن البغدادي ، تحقيق
 البجاوي ، مصر ١٩٥٤ .
 الزهر - للسيوطي ، تحقيق جاد المولى وابو الفضل والبجاوي،
 مصر ١٩٥٨ .
 المستقصى - للزمخشري ، حيدر آباد الدكن ١٩٦٢ .
 المصون - لابي احمد العسكري ، تحقيق عبدالسلام هارون ،
 الكويت ١٩٦٠ .
 المعاني الكبير - لابن قتيبة ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٩ .
 معجم البلدان - لياقوت الحموي ، نشر وستفالد ، لايبزك
 ١٨٦٦ - ١٨٧٠ .
 المعجم في بقية الاشياء - لابي هلال العسكري ، تحقيق الابياري
 وشليبي ، دار الكتب المصرية ١٩٢٤ .
 معجم ما استعجم - للبكري ، تحقيق السقا ، مصر ١٩٤٥ .
 المغرب في ترتيب العرب - للمطرزي ، حيدر آباد الدكن ١٢٢٨ هـ
 الفضليات - للمفضل الضبي ، تحقيق شاكروهارون ، دار
 المعارف بمصر .
 المقاصد النحوية - للميني ، على هامش خزائن الادب .
 مقاييس اللغة - لابن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مصر
 ١٢٧١ .
 المقضب - للمبرد ، تحقيق عبدالخالق عزيمة ، منشورات
 المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .
 منتهى الطلب - لابن ميمون ، مصورة بحوزة الدكتور نوري
 القيسي .
 الموازنة - للامدي ، تحقيق احمد صقر ، دار المعارف بمصر .
 النقائض - لابي عبيدة ، نشر بيفن ، لندن ١٩٠٥ - ١٩١٢ .
 نقد الشعر - لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ١٩٦٢
 نوادر المخطوطات - تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٥١ -
 ١٩٥٤ .
 نور القبس - لليغموري ، تحقيق زلهام ، بيروت ١٩٦٤ .
 الواضح في مشكلات شعر المتنبي - لابي القاسم عبدالله بن عبد
 الرحمن الاصفهاني ، تحقيق محمد الطاهر بن
 عاشور ، تونس ١٩٦٨ .

شرح الفضليات - لابي محمد القاسم الانباري ، تحقيق لائل ،
 بيروت ١٩٢٠ .
 شروح سقط الزند - للتبريزي والبطلوسي والخوازمي ، طبعة
 دار الكتب المصرية .
 الشعر والشعراء - لابن قتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر ،
 دار المعارف بمصر .
 الصحابي - لابن فارس ، تحقيق مصطفى الشويبي ، بيروت
 ١٩٦٢ .
 الصبح المنير - تحقيق جابر ، لندن ١٩٢٨ .
 الصحاح - للجوهري ، تحقيق احمد عبدالغفور عطار ، القاهرة
 ١٩٥٦ .
 الصناعتين - لابن هلال العسكري ، تحقيق البجاوي وابو
 الفضل ، القاهرة ١٩٥٢ .
 طبقات فحول الشعراء - لابن سلام ، تحقيق محمود شاكر ، دار
 المعارف بمصر ١٩٥٢ .
 عيون الاخبار - لابن قتيبة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٥ .
 الغريب المصنف - لابي عبيد القاسم بن سلام مخطوطة المتحف .
 الفاخر - للمفضل بن سلمة ، تحقيق عبدالعليم الطحاوي ،
 مصر ١٩٦٠ .
 الفاضل - للمبرد ، تحقيق الميني ، دار الكتب المصرية ١٩٥٦ .
 فصل المقال - للبكري ، تحقيق عباس وعابدين ، بيروت ١٩٧١ .
 الفصول والفايات - للمعري ، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٢٨ .
 فملت وفملت - للزجاج (ضمن كتاب فصيح ثعلب نشر خفاجي،
 مصر ١٩٤٩)
 الكتاب - لسيبويه ، بولاق ١٢١٦ - ١٢١٧ .
 الكنايات - للجرجاني ، نشر محمد بدر الدين النمساني ،
 القاهرة ١٩٠٨ .
 كنز الحفاظ - للتبريزي ، تحقيق شيخو ، بيروت ١٨٩٥ .
 الكنز اللغوي - تحقيق هنر ، بيروت ١٩٠٢ .
 لسان العرب - لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
 المؤلف والمختلف - للامدي ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ،
 الحلبي بمصر ١٩٦١ .
 مجالس ثعلب - لثعلب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دارالمعارف
 بمصر .
 مجمع الامثال - للميداني ، نشر محمد محي الدين عبدالحميد ،
 السادة بمصر ١٩٥٩ .
 مجموعة المعاني - لجهول ، الجوانب ١٢٠١ هـ .

مقدمة في كلمات اتفقت فيها الدال والذال خطأ وختلفت معنى

تأليف
ابن أم قاسم المرادي

تحقيق
طه حسن

كلية الآداب - جامعة الموصل

تقديم

- ١ -

مؤلف الرسالة هو بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي المغربي بالمصري ثم المالكي (١). كنيته (أبو محمد) (٢). ولا نعرف عن شخصية (محمد) هذا شيئا. إذ لم يذكر المؤرخون أن المرادي تزوج أو نجّل ولدا بهذا الاسم. وكني في كشف القنون بـ (أبي علي) (٣). ومن المحتمل أن يكون ذا كنيّتين، وأنهما أطلقتا عليه كما هو المعتاد بين الناس الذين يكتنون قبل زواجهم.

اشتهر المرادي بـ (ابن أم قاسم)، وذلك لامرأة تبنّته اسمها (زهراء) كانت من بيت السلطان (٤). وذكروا أن (أم قاسم) هذه كانت جدته أم أبيه، جاءت من المغرب فعرفت بالشيخة (٥)، فكانت شهرته تابعة لشهرتها.

ولد المرادي بمصر (٦)، فعرف بالمصري. ولم نقف على تاريخ يحدد سنة ولادته، كما أن المصادر لم تسفنا بأخبار شافية عن هذا الرجل، فنحن لا نعرف شيئا عن طفولته ونشأته شأنه ذلك شأن كثير من كبار علمائنا القدامى، وكذلك لم نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى أسرته غير الخبر الذي ذكرناه آنفا، وهو تبنى (أم قاسم) ورعايتها له في طفولته بسبب جاهها ومكانتها.

وإذا ما رحنا نتلمس نشاطه في فترة الشباب فلا نجد ما يميننا على الحديث، إذ لم نصادف في المراجع التي تناولته ما يتيح لنا التعرف إلى حياته بالتفصيل. وإذا كان قد ترجم له عدة من أصحاب الطبقات، وكان له ذكر بسين

النحويين واللغويين والقراء، فإن الذي ذكره قليل ومعاد، ينقل فيه بعضهم عن بعض.

عاش المرادي في النصف أول من القرن الثامن الهجري بمصر، وكانت حينذاك تحت ظل المالكين البحرية الذين استطاعوا أن يردوا هجمات الفول عن مصر والشام، وبنشؤوا دولة ضمت إليها علماء الأقطار الإسلامية الذين رحلوا إليها تخلصا من هجمات الفول والصليبيين، وشجعتهم على مواصلة الدرس والبحث بما فرضت لهم من رواتب هيات لهم الفراغ للتأليف والتدريس.

في هذه البيئة استمر المرادي ينتقل في مساجد القاهرة ومدارسها ويتردد على حلقات العلم والآداب والوعظ، متصلا بعلماء أفاضه في اللغة والنحو والاصول والقراءات والوعظ. وقد تبعت أسماء العلماء الذين ذكروا شيوفا له، فوجدتهم قلة لا يتجاوزون أصابع اليدين عددا، وهم (٧): أبو عبدالله الطنجي (٨)، وأبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن عبدالله الفمادي التونسي النحوي (٩) (ت ٧٢٤هـ)، وشرف الدين عيسى بن مخاف بن عيسى المفيلى (١٠) (ت ٧٢٦هـ)، وسراج الدين عمر بن محمد بن علي الدمنهوري (١١) (ت ٧٥٢هـ)، ومجد الدين اسماعيل بن محمد بن عبدالله التستري النحوي القري، (١٢) (ت ٧٤٨هـ)، وشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد المؤمن المشهور بابن اللبان (١٣) (ت ٧٤٩هـ)، وأنس

(٧) تراجع: الدرر الكامنة ٢/٢٢٢. غاية النهاية ١/٢٢٧. بنية الوعاة ١/١٧٥. شذرات الذهب ٦/١٦٠.

(٨) ترجمته في بنية الوعاة ٢/٧٠.

(٩) ترجمته في بنية الوعاة ٢/٢٢١.

(١٠) ترجمته في الديباج المذهب ص ١٨٤، وحسن المحاضرة ١/٢٦٠.

(١١) ترجمته في غاية النهاية ١/٥٩٧، وشذرات الذهب ١/١٧٢.

(١٢) ترجمته في غاية النهاية ١/١٦٨، وبنية الوعاة ١/٥٥٥.

(١٣) طبقات النافعية الكبرى ٥/١٢٣. الوافي بالوفيات ٢/١٦٨.

(١) الدرر الكامنة ٢/٢٢٢. غاية النهاية في طبقات القراء

١/٢٢٧.

(٢) غاية النهاية ١/٢٢٧.

(٣) كشف القنون ١/٤٠٦.

(٤) الدرر الكامنة ٢/٢٢٢.

(٥) الدرر الكامنة ٢/٢٢٢. بنية الوعاة ١/١٧٥.

(٦) حسن المحاضرة ١/٥٣٦.

الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) (١١) .

استفاد المرادي من هؤلاء الشيوخ ، ونهل من علوم عصره ، وأخذ يتابع الدرس والتحصيل ، حتى أصبح ذا أهلية للتدريس والتصدر في حلقات العلم ، فظل في مصر يعلم ويصنف حتى وافاه الأجل في يوم عيد الفطر سنة (٧٤٩هـ) ودفن بـ (سرياقوس) (١٥) بعد ما خلف كتباً ومصنفات تزيد على الثلاثين في التفسير والمروء والقراءات ، إلى جانب ما خلفه في اللغة والنحو ، وأهم مصنفاته :

- ١ - أرجوزة في قراءة أبي عمرو .
- ٢ - أرجوزة في مخارج الحروف وصفاتها ، وله شرح عليها
- ٣ - أعراب البسطة .
- ٤ - تفسير القرآن الكريم . في عشر مجلدات .
- ٥ - تلخيص شرح أبي حيان على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .
- ٦ - توضيح مقاصد الألفية . وهو شرح على الفية ابن مالك .
- ٧ - جمل الأعراب .
- ٨ - الجنى الداني في حروف المعاني .
- ٩ - رسالة في (الألف) .
- ١٠ - رسالة في (كلا وبلى) .
- ١١ - رسالة في (لو) .
- ١٢ - شرح الاستعاذة والبسطة .
- ١٣ - شرح باب وقف حمزة وهشام على الهمز مسن الشاطبية .
- ١٤ - شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد - لابن مالك .
- ١٥ - شرح الجزولية - لأبي موسى الجزولي .
- ١٦ - شرح القصيدة الشاطبية - للشاطبي .
- ١٧ - شرح الفصول النحوية - لابن معط .
- ١٨ - شرح الكافية في النحو - لابن الحاجب .
- ١٩ - شرح الكافية الشافية - لابن مالك .
- ٢٠ - شرح المفصل - للزمخشري .
- ٢١ - شرح المقصد الجليل في علم الخليل - لابن الحاجب .
- ٢٢ - شرح الواضحة في تجويد الفاتحة - لبرهان الدين الجميري .
- ٢٣ - منظومة في الدال والذال مع شرحها . وهي الرسالة التي بين يدي القاري ، وستكلم عليها مفصلاً .
- ٢٤ - منظومة في الظاء والضاد .
- ٢٥ - المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد - لعلم الدين السخاوي .

- ٢ -

والرسالة التي نشرها عبارة عن قصيدة (بائية) من البحر البسيط ، تشتمل على خمسة وعشرين بيتاً ، ضمنها

- (١٤) تفصيل ترجمته في كتاب : أبو حيان النحوي - للدكتورة خديجة العديني . وإراجع : طبقات الشافعية ٢١/٦ ، والدرر الكامنة ٣٠٢/٤ .
- (١٥) غابة النهاية ٢٢٨/١ . وسرياقوس : بلدة في نواحي القاهرة . إراجع : مرصد الاطلاع ٢٩/٢ ، ومجمع البلدان ٢١٨/٣ .

المرادي جملة من الكلمات التي اتفقت في رسم الدال والذال ، واختلفت في المعنى ، مع شرح مختصر لهذه القصيدة يخلو من مقدمة يبين فيها المؤلف سبب التأليف وطريقة البحث .

اتبع المرادي في عرضه الموضوع الطريقة الاعتيادية في شرح التون ، وهي تقوم على ذكر البيت من القصيدة تسم شرحه ، وذلك بسرد الكلمات المتشابهة في رسم الحروف ، والتي تشتمل على الدال والذال وبيان المعنى اللغوي لهذه الكلمات مع الاستشهاد لما يذكر بآيات من الذكر الحكيم ، وبأحاديث نبوية أو أبيات من الشعر العربي ، وقد يستأنس برأي عالم لغوي ، أمثال الجوهري وأبي عبيدة وغيرهما .

رجعنا في تحقيق هذه الرسالة إلى نسختين خطيتين : الأولى - تضم القصيدة وحدها . والثانية - تشتمل على القصيدة وشرحها . وهي نسخة وحيدة لم أفد على غيرها في مكتبات العالم . واسم المرادي مثبت على هاتين المخطوطتين ، ففي الأولى وردت العبارة : (هذه القصيدة للإمام العلامة بدر الدين بن قاسم المرادي رحمه الله ...) . وعلى صفحة عنوان المخطوطة الثانية كتبت العبارة : (مقدمة في كلمات اتفقت فيها الدال والذال خطأ واختلفا معنى للعلامة ابن أم قاسم المرادي) . وهذا يجعلنا نطمئن إلى نسبة الرسالة إلى المرادي ، إذ ليس ثمة ما يقدح في هذه النسبة ، كما أن سكوت كتب الطبقات لا ينهض دليلاً على عدم صحة نسبتها إلى صاحبها ، لأن هذه الكتب لم تلتزم باستقصاء مؤلفات الأقدمين كلها ، وحسبنا أن المرادي نفسه ذكر في كتابه (الجنى الداني) رسائل لم نجد لها ذكراً في غيره من الكتب ، وهي : رسالته في (الألف) ، ورسالته في (لو) ، ورسالته في (كلا وبلى) و (أعراب البسطة) .

أما المخطوطتان اللتان رجعنا إليهما في التحقيق فهما :

أولاً - النسخة (أ) : وتشتمل على القصيدة فقط ، وهي مكتوبة بخط مغربي متأخر على ظهر الورقة الرابعة من كتاب (زهر الأكم في الأمثال والحكم) - لأبي علي الحسن بن مسعود التونسي . والكتاب من مخطوطات مكتبة (فاتسح) باستانبول تحت رقم (٢٩٤٥) ، وتم نسخه على يد أحمد بن محمد بن قاسم ذاكور ضحوة الخميس السابع عشر من شعبان عام (١١٢٢هـ) (١٦) .

ثانياً - النسخة (ب) : وهي من مخطوطات مكتبة (قليج علي) باستانبول ضمن مجموع رقمه (١٠٢٤) في مجلد سقط غلافه الأول ، ويقع في (٢٩) ورقة ، قياس (٢١×٢١سم) ويشتمل على حوالي (٤٧) رسالة كلها مكتوبة بخط النسخ الواضح في أوائل القرن الحادي عشر الهجري (١٧) . ولما يأتي وصف موجز لهذه الرسائل :

(١٦) وفي مكتبة الرباط نسخة من القصيدة بشرح محمد الحاج بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن المالكي البيتوري الشرشولي (ت ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م) ، لكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (الملحق ١٦/٢) .

(١٧) أثبت على بعض الرسائل سنة (١٠١٦هـ) تاريخها للنسخ . وقد أضيفت إلى أول المجموع رسالة بعنوان : تحقيق تعريب الكلمة (المعجمة) لابن كمال باشا ، نوامها عشر ورقات كتبت في يوم الخميس من شهر صفر سنة (١٠٢٥هـ) ، وخطها يختلف من خط سائر النسخ .

- ٢٦ - نور الاصفاء في بيان عصمة الانبياء - لشرف الدين بن عبدالقادر (٢٢٤ - ٢٤٢) .
- ٢٧ - تحرير البيان في تقرير شعب الايمان - « ١ » (٢٤٤) - (٢٥٢) .
- ٢٨ - عقلة المستوفز - لمحمد بن العربي الطائي (٢٥٤) - (٢٧١) .
- ٢٩ - تفسير قوله تعالى : (الله نور السماوات والارض) لابي حامد الغزالي (٢٧٢ - ٢٩٢) .
- ٣٠ - الاعلام بحكم عيسى عليه السلام - للسيوطي (٢٩٢ - ٣٠٥) .
- ٣١ - السؤالات البديعة والاجوبة الرفيعة - « ١ » (٣١٤ - ٣٠٥) .
- ٣٢ - بلفة المحتاج في مناسك الحاج - للسيوطي (٣١٤ - ٣١٩) ، الفها في ليلة ثاني عشر جمادي الاخرة سنة (٨٧١ هـ) .
- ٣٣ - مقدمة في كلمات انفتحت فيها الدال والدال خطا واختلفت معنى - للمراي .
- ٣٤ - المورد في الكلام على المولد - لتاج الدين عمر بن علي بن سالم المالكي الاسكندري الشهير بابن الفاكهاني (٣٢٢ - ٣٢٣) .
- ٣٥ - الشماريخ في علم التاريخ - للسيوطي (٣٢٢ - ٣٢٣) .
- ٣٦ - مسائل كتبها احمد بن محمد الفيمي الخرجي (٣٢٢ - ٣٢٨) .
- ٣٧ - رسالة الحاصل بالمصدر - لعلي بن الامير بير محمد الشهر بليثي زاده . الفها سنة (٩٧٨ هـ) ، ونسخت صبيحة نهار الثلاثاء (١٠١٦ هـ) .
- ٣٨ - رسالة في قولهم : (رابع عشري شهر رمضان) - لاحمد الفيمي .
- ٣٩ - رسالة في مسألة الكحل - « ٢ » (٣٤٢ - ٣٤٨) .
- ٤٠ - فضل الجلد لفقد الولد - للسيوطي . كتبت سنة (١٠١٦ هـ) .
- ٤١ - مزبل الترح عن منظومة ابن فرح - لابي عبدالله عز الدين بن جماعة الكثاني (٣٥٩ - ٣٦٣) واول المنظومة :
غرامي صحيح والرجا فيك مفضل
وحزني ودمعي مرسل ومرسل
- ٤٢ - المعجزة الزينية في السلاة الزينية - للسيوطي (٣٦٤ - ٣٦٩) .
- ٤٣ - بنية الاريب في حديث بدعة الحاريب - للسيوطي (٣٧٠ - ٣٧١) .
- ٤٤ - منظومة في الاعتقاد - للافاضي (٣٧٢ - ٣٧٨) مطلعها : الحمد لله العزيز الفرد ذي الطول ذي الاحسان اي ذي الايدي .
- ٤٥ - رسالتان في بيان الاستمارة - للمولى الفاضل الشهير بمصام الدين (٣٩٩ - ٤١٠) .
- ٤٦ - شرح القصيدة الخمرية - لابن كمال باشا (٤١٩ - ٤٢٩) .

- ١ - تفسير سورة الملك - لابن كمال باشا (الورقة ١ - ٧) .
- ٢ - تحرير على سورة الملك - لمولانا سنان افندي (الورقة ٧ - ١٢) .
- ٣ - تفسير سورة الملك - لابي السعود العمادي (٢٢ - ٣٠) .
- ٤ - تفسير سورة الفاتحة - لجلال الدين العواني (٢٢ - ٢٤) .
- ٥ - رسالة لمحمد الغفاجي على البيضاوي في قوله تعالى : (ولئن قتلتم في سبيل الله او تم ...) .
- ٦ - رسالة على تفسير البيضاوي تعالى : (او لم يروا الى الارض كم انبتنا فيها ..) للمولى المدعو بطورسون زاده (٢٥ - ٢٩) .
- ٧ - رسالة على آيات قرآنية متعلقة بفرق فرعون (٢٩ - ٥١) .
- ٨ - المقالة الياقوتية - للسيوطي (٥٢ - ٥٨) .
- ٩ - ندر الكلم وغرر الحكم - للسيوطي (٥٨ - ٦٠) .
- ١٠ - مقامة الرياحين - للسيوطي (٦٩ - ٧٧) .
- ١٢ - المقامة الفتية - للسيوطي (٧٨ - ٨٦) .
- ١٣ - شرح الشيخ ابن العماد الافقي الشافعي على المنظومة في الاداب التي مطلعها (٩٢ - ١٢٢) :
الحمد لله مني لربي مسيخ النعم والشكرتم الثنا للمانع النحل (كذا) .
- ١٤ - وصول الاماني باصول التهاني - للسيوطي (١٢٢ - ١٣٦) اول الرسالة : (الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فقد طال السؤال عما اعتاده الناس من التهنة بالعيد والعام والشهور والولايات ...) .
- ١٥ - ما جاء في التراويح من الآثار والاحاديث - للسيوطي (١٢٧ - ١٤٠) .
- ١٦ - رسالة في تعبد النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة - لعلي بن محمد المشتهر بليثي زاوة (١٤٢ - ١٥٩) . وهو جواب عن سؤال وجهه عبدالكريم بن الشيخ حسين . تم تأليف الرسالة في اواخر شوال سنة (٩٧٩ هـ) ونسخت صبيحة نهار الثلاثاء (١٢) ربيع الاول سنة (١٠١٦ هـ) .
- ١٧ - مباحث في التفسير - لاحمد بن محمد الفيمي الخرجي . كتبه مؤلفه في اواخر ذي القعدة سنة (١٠٠٤ هـ) .
- ١٨ - رسالة في التفسير - لاحمد بن محمد الفيمي (١٦٨ - ١٩٥) .
- ١٩ - رسالة على بيتين من الشعر نظمها علي جلبي بن امير الله جلبي . مؤلفها : احمد بن محمد بن ابي الفتح البرني الشافعي السعدي (١٩٦ - ٢٠٠) .
- ٢٠ - ابحاث في تفسير سورة الفاتحة - « ١ » (٢٠٢ - ٢٠٩) .
- ٢١ - رسالة في القسام المجاز - لابن كمال باشا (٢١٢ - ٢١٤) .
- ٢٢ - رسالة في المجاز - « ٢ » (٢١٥ - ٢١٦) .
- ٢٣ - رسالة في « كاو » - لابن كمال باشا (٢١٦ - ٢٢٠) .
- ٢٤ - رسالة في التضمين - لابن كمال باشا (٢٢٠ - ٢٢٤) .
- ٢٥ - رسالة في التغلب - لابن كمال باشا (٢٢٦ - ٢٣٠) .
- ٢٦ - (٢٣٠ -) .

الى بدء كل صفحة من الاصل ، فوضعت ارقاماً تدل على ذلك ورمزت لوجه الورقة بالرقم مقرونا بالحرف (ا) ولظهرها بالرقم مقرونا بالحرف (ب) .

وكتبت النص على ما نعرفه اليوم من قواعد الاملاء ، وكانت جملة من كلماته على خلاف ذلك ، لا سيما في كتابة الهمزة مثل : (جات=جاءت . الفدا= الفداء . العشاء= العشاء . القراءة=القراءة) . وحاولت التقييد بالنص الاصلي ، ومع ذلك اضطررت الى تصحيح الفاظ وردت مخالفة للقواعد الصحيحة ، واضفت كلمات اقتضاها السياق ، واشرت الى كل تغيير في الحاشية ، ووضعت ما اصفته بين معقوفتين [] مستعينا على التصحيح والاضافة بكتب اللغة وغيرها . والذي ير لي هذا التدخل ان ناسخ الرسالة غير مؤلفها ، ولو كان الناسخ هو المؤلف نفسه لما سمحت لنفسي بمثل هذا التدخل ، لان المخطوط انذاك صورة لثقافة المؤلف .

هذا وتقع رسالة المرادي في (٧ صفحات) من هذا المجموع في كل صفحة (٢١) سطرا ، تبدأ بوجه الورقة (٢١٩) وتنتهي بوجه الورقة (٢٢٢) تشتمل الصفحة الاولى على العبارة الآتية : (مقدمة في كلمات انتقلت فيها الدال والذال خطأ واختلفا معنى ، للعلامة ابن ام قاسم المرادي رحمة الله عليه) (١٨) .

انخلت هذه النسخة أصلا في التحقيق ، واستفدت من النسخة (ا) ، فاشرت الى مخالفتها لقصيدة الاصل في الحواشي ، الا حين يكون ما في الاصل خطأ فاني اثبت الصواب في الاعلى واشير الى خطأ الاصل في الحاشية ، مهمل ما لا فائدة في ذكره : كسقوط نقط وغيره . وحرصت على الإشارة

(١٨) استندت في اثبات عنوان الرسالة الى هذه العبارة بعد تصحيح لفظة (اختلفا) الى (اختلفت) ، لمود الضير الى (كلمات) .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
 وبعد فهذه مقدمة مختصرة في الكلامات القوامات
 الدالة على ما اتفقت في الشكل واختلفت في
 تعدد المعاني من اسم المرادى من جهة الله عليه
 السلام حديث الطائفة من ان في الدلالة على ما
 هذه الاشارة تنقح ما ذكره جرح في الدلالة
 والذال فذلك دليل على ان الله عز وجل
 من الماهل والاسخلاق بل دابة من ماء وهو كما
 والاداب في الارض تعني الارض ونحو ذلك فذلك
 بين ذلك اي ترددين واصله من الذي هو
 فيه فذلك واصله ذيب ومنه ذباب السيف من
 الذي يضرب به ومنه الذباب الذي في طرد
 ويدبر الشيء والاهمال بل قد ورد في الامام قدس
 من الماهل ويدبر انما العذاب اي يقع ويبد
 بلحنة السيئة ومن العجم بدو منه فيه والذرية
 الا انها تراه من تارة في فعله والاهمال من
 واهل ذليل تملوا اذا اردت في الامام تمل اربابا
 من الماهلة وهم داخرون اي ساعون اذ لا
 ووجه ان جرحه واخرين يقال دخر الرجل بالشيء دحرا
 واخره عن ان يسم الذخيرة والذخائر يقال
 اذخرت الشيء اذخره دحرا

لماذا

واذا اشترى في الذخيرة من جده ذم ياءه في اسم الاعمال
 واما الاربعة بطولها وهي انشاء من الذخيرة
 والذخيرة تسمى من اربابها والذخيرة جمع فاعرف السبا
 من الماهل من طعم الله ذرة اي خيرة وقيل لبنة الذي
 انشأه ومنه الذم لا يرد ذرة اي لا كثر خيره ويقال
 ذرة اللبن يدور ذرة والذرة المجهمة ذرة قال
 الجوهرية وهي اسفل النمل ومنه مثقال ذرة
 وذريرة من الماهل وذريرة كتاب خفي من الاعمال في شبه
 من الماهل بل في الامر فالذخيرة امر ونحو ذلك
 الكتاب بل في المجهمة مخففا اذ ذرة قال الجوهرية في الذرة
 الكتاب مثقال ذرة الجوهرية ذرة في الكتاب ذرة
 كقصة
 رافع واهل دمان الهالكين قل حليم الزمان بكر متعاطيا
 الدمار في الدال الماهلة للملاذ ومنه قد مرناهم
 تدير او قد مرناهم عليهم يقال ذرة ودرية تعني قاتل
 الجوهرية والذخيرة تسمى الذخيرة من الماهل في الماهل
 ان عجمه ومن قولهم حامي الذخيرة واذم السجدة
 وقال ادمه الماهل اليه واذا به بالتصريح في اية حكمه عجم
 من الادب الماهلة من وددع ما وجب منه واذا
 اليه باحسان والماضي خلاف المضى والماضي بالجموع
 والمتصلا قاضي به ومنه لن يفرحكم بها اذى من

الحمد لله وكفى

اي يدفع . (ويدروون بالحنة السيئة) (١١) .
ومن المعجم : (يذروكم فيه) (١٢) ، والذرية ، الا
انها تشرك همزتها . وقيل : هي فعلية (١٣) من
« الدر » او نحو ذلك .

(ص) وداخر اي ذليل مهمل واذا

اردت ذخرا فاعجمه تنل ادبا

(ش) من المهملة : (وهم داخرون) (١٤) ، اي
صاغرون اذلاء . و (ويدخلون جهنم داخرين) (١٥)
يقال : دخر الرجل بالفتح [دخورا ، ودخـر
بالكسر] (١٦) دخرا ، وادخره غيره . ومن المعجم :
الذخيرة والذخائر ، يقال : ذخرت (١٧) الشيء اذخره
ذخرا ، ومنه :

[١٢] واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد

ذخرا يكون كصالح الاعمال (١٨)

واما الادخار بالمهملة ، وهو الانتقاد فمن
الذخر (١٩) :

(١١) الرعد ٢٢/١٣ : (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وانما
الصلاة و اتفقوا ما بذقناهم سرا وعلاية ويدروون
بالحنة السيئة اولئك لهم عقي الدار) .

(١٢) الشورى ١١/٢٢ : (فاطر السماوات والارض جمل
لكم من انفسكم ازواجاً ومن الانعام ازواجاً يذروكم فيه
ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) .

(١٣) في ب : (فعية) وهو تحريف ؛ جاء في تهذيب اللغة
« ذرا » ١٥/١ (وذهب جماعة من اهل العربية الى ان
« ذرية » اصلها الهمز ، روى ذلك أبو عبيد عن أصحابه ،
منهم أبو عبيدة ويونس وغيرهما من البصريين . وذهب
غيرهم الى ان اصل « الذرية » فعلية من الدر) .
ويراجع : لسان العرب « ذرر » ٢٩١/٥ و « ذرا »
٢١٢/١٨ - ٢١٣ .

(١٤) النمل ٢٨/١٦ : (او لم يروا الى ما خلق الله من
شيء ينفيو ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً وهم
داخرون) .

(١٥) غافر ٦٠/٤٠ : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان
الذين يشكروني عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) .

(١٦) زيادة يقتضها السياق ، جاء في اللسان « دخر »
٢٦٤/٥ : (دخر الرجل بالفتح يدخر دخورا فهو داخر ،
ودخر دخرا ذل) .

(١٧) في ب : (اذخرت) وما اثبتناه من تهذيب اللغة « دخر »
٢٢١/٧ والصحاح « دخر » ٦٦٢/٢ .

(١٨) لم افق على قائل البيت .

(١٩) في ب : (الذخر) بالدال المهملة ، والصواب ما اثبتناه ،
جاء في لسان العرب « دخر » ٢٨٩/٥ : (وامـل
الادخار الادخار وهو افتعال من الاخر . ويقال : اذخر
يدخر فهو ملتخر ، فلما ارادوا ان يدغموا ليخف
النطق قلبوا التاء الى ما يقاربها من الحروف وهو

وبعد ، فهذه مقدمة لضبط الكلمات التي
جاءت الدال والدال فيها ، اتفقت في الشكل ،
واختلفت في المعنى ، للعلامة ابن ام قاسم المرادي
رحمة الله عليه (١) :

(ص) اسمع هديت (٢) لالفاظ مهذبة

في الدال (٣) تنفع من يتلو ومن كتب

(ش) هذه الالفاظ تتفق مادة حروفها في الدال
والدال .

(ص) فذاك دب على رجليه مهملة

وذب عن نفسه اعجامها وجبا

(ش) من المهمل : (والله خلق كل دابة من
ماء ...) (٤) ، وهو (٥) كل ما يدب ، و (الا دابة
الارض) (٦) ، يعني (٧) الارضة ، ونحو ذلك :
(ملذبذين بين ذلك ...) (٨) ، اي مترددين ، واصله
من « الدب » وهو الطرد ، فكرر فيه الدال (٩) ،
واصله « ذبب » ، ومنه ذباب السيف : طرفه الذي
يضرب به . ومنه الذباب : لانه يذب ؛ اي يطرد ،
واشبه ذلك .

(ص) ويدرا الشيء بالاهمال يدفعه

ويدرا الخلق للاعجام قد نبا

(ش) من المهمل : (ويدرا عنها العذاب) (١٠)

(١) قبل القصيدة في ا : (الحمد لله ، هذه القصيدة للامام
العلامة بدر الدين بن تاسم المرادي رحمه الله ،
مشتملة على بيان الدال والمهملة والمعجمة متفقي البنى
مختلفي المعنى ، وهي هذه ...) .

(٢) في ب (هديت) بالبناء للمعلوم ، وما اثبتناه من ا .

(٣) ا : في الدال .

(٤) النور ٥/٢٤ .

(٥) في حاشية ب (وهي ط) اشارة الى ان ظاهر الكلمة
(وهي) .

(٦) سبأ ١٤/٢٤ : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على
موته الا دابة الارض تأكل مناه ...) .

(٧) في ب : نعتي . (وهو تصحيف) .

(٨) النساء ١٢٣/٤ .

(٩) في ب (فكرر فيه ذبب) . والمعنى يستقيم بما اثبتناه .

(١٠) النور ٨/٢٤ .

(ص) والذر يهمل وهو الخمر أو لبن
والذر يعجم جمعا فأعرف السبا
(ش) من المهمل قولهم : لله دره ، أي خيره ،
وقيل : لبنة الذي ارتضعه . وفي الهم : لأدر دره ،
أي لاكثر خيره . ويقال : در اللبن يدر درورا .
والذر - المعجم - جمع ذرة . قال الجوهري (٢٠) :
(وهي أصغر النمل) (٢١) ، ومنه : (مثقال
ذرة) (٢٢) .

(ص) ودبر الامر أهمله وقد ذبر الـ
كتاب خف مع الاعجام أي كتب
(ش) من المهمل : (يدبر الامر) (٢٣) .
(فالمدبرات أمرا) (٢٤) ويقال : ذبرت الكتاب - بذال
معجمة مخففا - أذبره . قال الجوهري : (والذبر :
الكتابة ، مثل الزبر) (٢٥) . الهروي (٢٦) : ذبرت
الكتاب : قرأته ، وزبرته : كتبه .

(ص) وافتح وأهمل دمار الهالكين وقل
حامي (٢٧) الدمار بكسر معجما غلبا
(ش) الدمار - بفتح الدال المهملة - الهلاك ؛
ومنه : (فدمرناهم تدميرا) (٢٨) و (دمر الله

الدال المهملة ، لانهما من مخرج واحد . فصارت اللفظة
مدخرا بذال ودال ، ولهم فيه حيث مدحيان : أحدهما
وهو الأكثر أن تقلب الدال المعجمة ذالا مشدودة . والثاني
وهو الأقل ، أن تقلب الدال المهملة ذالا وتدغم فيها
فتصير ذالا مشدودة معجمة) .
(٢٠) اسماعيل بن حماد ، أبو نصر الفارابي ، صاحب كتاب
(الصحاح) . توفي سنة ١٩٣ هـ . يراجع : معجم
الأدباء ٢٦٦/٣ . أنباء الرواة ١٩٤/١ . بنية الرواة
٢٤٦/١ .
(٢١) الصحاح ٢٦٣/٢ .
(٢٢) النساء ٤٠/٤ : (أن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وتكرر
الشاهد في يونس ٦١/١٠ . سبأ ٢/٢٤ و ٢٢ . الزلزلة
٧/٩٩ - ٨ .
(٢٣) يونس ٢/١٠ : (أن ربكم الله الذي خلق السماوات
والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر
الامر ...) وتكرر الشاهد في : يونس ٢١/١٠ .
المرعد ٢/١٣ . السجدة ٥/٣٢ .
(٢٤) النازعات ٥/٧٩ .
(٢٥) الصحاح ٦٦٢/٢ .
(٢٦) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (١٥٤ - ٢٢٤ هـ) .
من مصنفاته : التريب المصنف ، وغريب الحديث ،
وغيرهما . يراجع : مراتب النحويين ص ٩٣ . طبقات
النحويين والنحويين ص ٢١٧ . الفهرست ص ٧١ .
(٢٧) في ١ : وقد أحس .
(٢٨) الفرقان ٢٥/٣٦ : (نقلنا النبا إلى القوم الذين
كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا) .

عليهم) (٢٩) ، يقال : دمره ودمر عليه بمعنى . قال
الجوهري : والدمار - بكسر الدال المعجمة - ما رأى
الرجل مما يحق أن يحميه ، ومنه قولهم : حامي
الدمار (٣٠) ، وأذمر الشجاع .

(ص) وقل أداء إليه مهمل وأذى
بالقصر يعجم فانهم حكمه عجبا (٣١)
(ش) الاداء - بالمهملة ممدود - دفع ماوجب ،
[و] منه : (وأداء إليه باحسان) (٣٢) ، والاداء
بمعنى القضاء (٣٣) . والأذى - بالمعجمة والقصر -
ما تأذي به ، ومنه : (لن يضروكم الا أذى) (٣٤) .
(ص) [٢] ودمة الضان بالاهمال مربضها
والذمة العهد بالاعجام قد عذبا
(ش) قال الهروي في حديث ابراهيم (٣٥) : لا
بأس بالصلاة في دمة الفم (٣٦) : قيل : دمتها

(٢٩) محمد ١٠/٤٧ : (أفلم يسيروا في الأرض لينظروا كيف
كان عاقبة الذين قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين
أمثالها) .
(٣٠) في الصحاح ٦٦٥/٢ : (ويقال : الدمار ما وراء
الرجل مما يحق عليه أن يحميه ، لانهم قالوا : حامي
الدمار كما قالوا : حامي الحقيقة) .
(٣١) ورد البيت في ب مصحفا كما يأتي :
وقل اذا مهمل إليه واذا بالقصر معجم فانهم حكمه عجبا
(٣٢) البقرة ١٧٨/٢ : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
الانصاف في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء
إليه باحسان ...) .
(٣٣) في ب : (والأداء خلاف القضاء) والصواب ما أثبتناه ،
جاء في الصحاح ٢٤٦٣/٦ : (وقضى فلان نجه
قضاء ، أي مات . وقد يكون بمعنى الاداء والانهاء) .
وفي اللسان ٢٧/١٨ : (وأدى دينه تأديه أي
قضاء ، والاسم الاداء) . ويراجع : تهذيب اللغة
٢١٢/٩ .
(٣٤) آل عمران ١١١/٣ .
(٣٥) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران
النخعي . من أهل الكوفة (٤٦ - ٩٦ هـ) ، من أكابر
التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث . يراجع :
طبقات ابن سعد ٢٧/٦ . تهذيب التهذيب ١٧٧/١ .
حلية الأولياء ٢١٩/٤ .
(٣٦) في غريب الحديث - للهروي ٤٢٢/٤ - ٤٢٣ : (قال
أبو عبيد في حديث ابراهيم أنه كان لا يرى بأسا بالصلاة
في دمة الفم ، هكذا يروى الحديث . قال أبو عبيد :
وانما هو دمة الفم ، بالنون في الكلام ، والمدة ما دمت
الابل والفم وما سودت من آثار البقر والإسوال ،
وجمعها دمن) .

مريضها ، كانه دم بالبول والبصر ، اي البس وطي(٣٧) . وقال بعضهم : اراد دمنة ، فحذف النون وشدد الميم(٣٨) . واللمة - بالمعجمة - العهد ويقال : اللمة ما يجب ان يحفظ . وقال ابو عبيدة(٣٩) . واللمة تلمم من لا عهد له(٤٠) ، وهو ان يلزم الانسان نفسه ذمما ، اي حقا يوجب عليه ويجري مجرى المعاهدة من غير معاهدة ولا مخالفة.

(ص) واقرا هداي بدال غير معجمة

بعكس زيد هدى في القول اي صخبا(٤١)

(ش) هدى : بمعنى ارشد ، بدال مهملة ، ومنه : (فمن اتبع هداي) (٤٢) ، و (اهدنا الصراط) (٤٣) ، وانك لتهدي - بدال معجمة - من الهديان .

(ص) وعاد اي صار اهمله وعاذ به

اعجم(٤٤) وكن لسوى ماصح مجتبيا

(ش) عاد يعود بمعنى رجع وصار ، اهمله ، ومنه : (وان تعودوا نعد) (٤٥) . وعاذ يعوذ بالله عوذا ومعاذا وعازا : اعتصم ، ومنه : اعوذ بالله ، ومعاذ الله ، واستعذنا بالله .

(ص) وشد شدة او شدا بمهملة

وشد هذا شدوذا معجما عربيا

(ش) شد الرجل يشد شدة : اذا كان قويا . والاشد : جمع شدة ، مثل نعمة وانعم . وشده - ايضا - شدا : اوثقه ، ومنه : (اشدد به ازري) (٤٦) ، و (اشدد على قلوبهم) (٤٧) ، و شد الشيء - بالمعجمة - فهو شاذ من الشذوذ . (ص) [٣] :

والنار موقودة بالدال(٤٨) مهملة

بعكس موقوذة اي نالت العطشا

(ش) وقدت النار - بالمهملة - تقد وقودا فهي موقودة . [و] وقد الشاة - بالمعجمة - يقدها فهي موقوذة ، وهي التي تقتل بعصا او حجارة لا حد لها فتموت بلا ذكاة ، ومنه : (المنخنقة والموقوذة) (٤٩) .

[ص] وان تقل نفدت فيه بصائرکم

اعجمه لا نقد الشيء الذي ذهب

(ش) يقال : نقد - بالمعجمة - من النفوذ في الشيء ، ومنه : (ان تنفذوا من اقطار) (٥٠) السماوات والارض(٥١) ، وفي الحديث : (ينفذهم البصر) (٥٢) ونقد الشيء - بالمهملة - يعني نقد وذهب(٥٣) ومنه :

(٤٦) طه ٣١/٢٠ .

(٤٧) يونس ٨٨/١٠ : (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) .

(٤٨) في ب : بالنار (وهو تحريف) .

(٤٩) المائدة ٣/٥ : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لئير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع ...) .

(٥٠) اقطار : مكررة في ب .

(٥١) الرحمن ٢٢/٥٥ : (يامشر الجن والانس ان انظمن ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفسلوا لا تغفون الا بسلطان) .

(٥٢) في صحيح البخاري ١٠٥/٦ : (من ابي هريرة رضى الله عنه قال : اتى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوما بلحم فقال : ان الله يجمع يوم القيامة الاولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمهم الداعي وينفذهم الجهر وتلدن الشمس منهم ...) . ويراجع : صحيح مسلم ٥١/٤ . الفائق في غريب الحديث ١١٧/١ . النهاية في غريب الحديث ٩١/٥ . اللسان ٥٢/٥ .

(٥٣) كلا في ب ، ولعلها : فني وذهب .

(٣٧) عبارة ب : (كانه دم بالزور اي اللبس) ، وهو تحريف صوبناه من النهاية في غريب الحديث ١٣٤/٢ واللسان ٩٧/١٥ .

(٣٨) وردت بمد هذه الكلمة عبارة : (والدال في ذلك) ، وقد حذفناها لزيادتها . جاء في اللسان ٩٧/١٥ : (قال بعضهم : اراد في دمنة النغم فحذف النون وشدد الميم) .

(٣٩) ابو عبيدة مصر بن المنى التميمي (١١٤ - ٢٠٨ هـ) صنف مجاز القرآن وغيره . يراجع : اخبار النحويين البصريين ص ٥٢ . طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٢ . الفهرست ص ٥٢ .

(٤٠) في اللسان ١١٢/١٥ : (ابو عبيدة : اللمة ، التلمم من لا عهد له) .

(٤١) في ب : (اذ صخبا) . وما ابتناء من ا .

(٤٢) طه ١٢٣/٢٠ : (قال اهبطا منها جعيما بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم منى هدى . فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) .

(٤٣) الفاتحة ٦/١ : (اهدنا الصراط المستقيم) .

(٤٤) في ب : واعجم .

(٤٥) الانفال ١٩/٨ : (ان تفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ...) .

(ش) الدليل - بالمهمل - المرشد ، واحد
الأدلة ، وبالمعجمة من الدل ، ومنه : (أدلة على
المؤمنين أعزة على الكافرين) (٦١) . قال طرفة يجمع
بينهما (٦٢) :

وأعلم علما ليس بالظن أنه
إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وان لسان المرء - ان لم تكن له (٦٣)
حصاة - على عوراته للدليل
(ص) والنذر يعجم (٦٤) والانداز أجمع لا

ما قل أو كان للاسقاط منتبها
(ش) نذر ينذر وينذر أيضا ندرا : واحد
النذور ، بالمعجمة وأنذر اندارا فهو منذور (٦٥)
ونذير : أبلغ وأعلم ، ولا يكون الا في التحذير ،
بالمعجمة . ونذر الشيء ينذر فهو نادر ، أي قليل ،
بالمهمل . وكذلك نذر ينذر وينذر (٦٦) أيضا ندرا :
يسقط . وأندره غيره اندارا : أسقطه .
(ص) وان ذكرت غداء فهي مهملة

وان ذكرت الغدا أعجم وقد قربا
(ش) الغداء - بالمد والفتح والمهمل - خلاف
العشاء ، وهو ما يؤكل غدوة . والغداء - بالكسر
والمعجمة - ما يتفذي به البدن .
(ص) والجذب يعجم لكن (٦٧) أن آرذت به

عيباً وذما فاهمله وقل : جذبا
(ش) جذب الشيء جذبا : أماله اليه ، وجبذه
أيضا ، بالمعجمة وجذب الشيء - بالمهمل - أي ذمه
وعابه ، وكل عائب : جادب ، وفي حديث عمر أنه
جذب الثمر بعد العشاء (٦٨) .

- (٦١) المائدة ٥/٥ : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن
دينه ف سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على
المؤمنين أعزة على الكافرين ...) .
(٦٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٨ .
(٦٣) في ديوان طرفة : ما لم تكن له .
(٦٤) في ب : يجمع . وما أبتناه من ا .
(٦٥) في ب : فهو منذور . والضواب ما أبتناه .
(٦٦) لم أف على رواية الكسر أو الفتح في هذا الفعل .
(٦٧) في ب : لكن اذا . وما أبتناه من ا .
(٦٨) الحديث في الفائق - للرمخري ١٧٥/١ بلفظ : (عمر
رضي الله عنه - جذب الثمر بعد العشاء) . وكلمة =

(ما عندكم كم ينقد وما عند الله باق ...) (٥٤) و
(لنقد البحر) (٥٥) .

(ص) ونحو يستنقدوا ثم أنقذه
أعجمه لا تقد المال الذي طلبا
(ش) (٥٦) أنقذه واستنقذه - بالمعجمة - أي
أنجاه وخلصه ، ومنه : (لا يستنقدوه منه) (٥٧) .
وتقد المال - بالمهمل - عجله وأنقذه ، ومنه :
ولما رأيت الناس دور محللة
تيقنت أن الدهر للناس نافد (٥٨)

(ص) وان تقل «قدر» الإهمال يلزمه
والضم والكسر للأعجام قد نـبا
(ش) يقال : قدر الشيء ، على قدره ، ومنه :
(ما قدروا الله حق قدره ...) (٥٩) . أي ما عرفوه
حق معرفته ، وقدر عليه رزقه : ضيق ، وقدر
بمعنى قدر من التقدير ، وقدر من القدرة ، كله
بفتح الدال المهملة . وقدر - بالضم - وقدرته أنا ،
أي قدرته ، بالمعجمة .

(ص) جد الثمار وجد السر مهملا لا
ان قلت جذ بمعنى القطع فاجتنب
(ش) جد الثمرة يجدها جدا ، أي صرمها .
وجد في الامر بالمهمل وجد الشيء - بالمعجمة -
قطعه ، ومنه : (عطاء غير مجذوذ) (٦٠) .
[٣ ب] أي غير مقطوع .

(ص) وفي الدليل من الارشاد يهمل لا
من ذلة دمت للافضال منتدبا

- (٥٤) النحل ١٦/١٦ .
(٥٥) الكهف ١٨/١٠٩ : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا) .
(٥٦) في ب : ص (وهو تحريف) .
(٥٧) الحج ٢٢/٥٣ : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ،
ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقلوا منه
ضئف الطالب والمطلوب) .
(٥٨) لم أف على قائل البيت .
(٥٩) الحج ٢٢/٧٤ .
(٦٠) هود ١١/١٠٨ : (وأما الذين سمعوا ففى الجنة خالدون
فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك عطاء
غير مجذوذ) .

(ص) والدفر يهمل وهو لنتن لا ذفر

اي كل ربح ذكي فاتبع العربا

(ش) الدفر - بالمهمله واسكان الفاء - النتن

خاصة [١٤] ويقال : دفراله ، اي نتنا ، ومنه قيل :
الدنيا [ا م] (٦٩) دفر . والدفر - بالتحريك
والمعجمة - كل الربح ذكية من طيب (٧٠) ، ويقال :
مسك اذفر ، وروضة ذفرة .

(ص) والهد في المنطق الاعجام يلزمه

وما سواه باهمال فطب (٧١) ادبا

(ش) هد الشيء : اذا هدمه - بالمهمله -

معروف . وهذا في القراءة هذا : امرع . والهد :
السرعة (٧٢) .

(ص) وقولهم مدر اهلل سوى مذر (٧٣)

وهكذا شذر المعروف للادب

(ش) المدر : جمع مدره ، بالمهمله . وقولهم :

شذر مذر ، بالمعجمة ، يقال : تفرقوا شذر مذر .
اي في كل وجه .

فوائد العلم يحويها ويجمعها

من لم يكن همه ان يجمع الذهبا

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

والحمد لله وحده ، وصلى الله

على من لا نبي بعده

والله

اعلم

= (الثمر) على ما يظهر تحريف لكلمة (السر) الواردة
في غريب الحديث ٣٠٨/٢ : (في حديث عمر رضي الله
عنه انه جذب السر بعد عنقة) وفي اللسان « جذب »
٢٥٠/١ : (وفي الحديث : جذب لنا عمر السر بعد
عنقة) وفي سنن ابن ماجه ٢٢٠/١ : (عن عبدالله بن
مسعود قال : جذب لنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم السر بعد الشاء) ومثله في مسند الامام احمد
٢٨٩/١ و ٤١٠ بلفظ « السر » .

(٦٩) زيادة عن الصحاح « دفر » ٦٥٨/٢ وفيه نص عبارة
المرادي . وقال ابو عبيد في غريب الحديث ٥٤/٢ :
(وزعم الاصمعي ان العرب تسمى الدنيا ام دفر) .
وبراجع ايضا ٢٣٦/٢ .

(٧٠) عبارة الصحاح « ذفر » ٦٦٣/٢ : (كل ربح ذكية من
طيب او نتن) .

(٧١) في ا : نصب .

(٧٢) في ب : ولهذا السرعة . (وهو تحريف) .
(٧٣) صحف الشطر الاول في ب كما يأتي : (مدرا اهلل سوى
مذر) . وما ائتناه عن ا .

المصادر

- ٨ - حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ابو نعيم الاصفهاني ،
مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٥ .
- ٩ - الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، ابن حجر المصقلاني
حيدر آباد الدكن ١٣٤٩ هـ .
- ١٠ - الديباج الذهب في معرفة اعيان النعمان ، ابن فرحون ،
مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ .
- ١١ - ديوان طرفة بن العبد ، مع شرح الاعلم ، تصحيح مكس
سلفسون ، برطرنده ١٩٠٠ .
- ١٢ - سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، القاهرة
١٩٥٢ .
- ١٣ - شلرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ،
مكتبة القدسي ١٣٥١ هـ .
- ١٤ - الصحاح ، الجوهري ، تحقيق احمد عبدالغفور عطار ،
مطابع الكتاب العربي بمصر .
- ١٥ - صحيح البخاري ، مطبعة البابي الحلبي ١٣٧٧ هـ .
- ١٦ - صحيح مسلم بن الحجاج ، القاهرة ١٩٦٠ .

- ١ - ابو حيان النحوي ، الدكتوراة خديجة الحديثي ، بغداد
١٩٦٦ .
- ٢ - اخبار النحويين البصريين ، السمراني ، تحقيق طه محمد
الزيني ومحمد عبدالنعم خلافي ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٣ - انباء الرواة على انباء النحاة ، القفطي ، تحقيق محمد
ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ وما بعدها .
- ٤ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ،
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤
- ١٩٦٥ .
- ٥ - تهذيب التهذيب ، ابن حجر المصقلاني ، حيدر آباد
الدكن ١٣٢٥ هـ .
- ٦ - تهذيب اللغة ، ابو منصور الازهري ، تحقيق عبدالسلام
هارون وغيره ، القاهرة ١٩٦٤ وما بعدها .
- ٧ - حسن المعاصرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي ،
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ وما
بعدها .

- ١٧- طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، القاهرة ١٢٢٤هـ .
- ١٨- الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، بيروت ١٩٥٧ .
- ١٩- طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ٢٠- غابة النهاية في طبقات القراء ، ابن الجوزي ، نشره برجستراسر . مطبعة السعادة بمصر ١٩٢٢ .
- ٢١- غريب الحديث ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ وما بعدها .
- ٢٢- الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ، تصحيح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٤٥ .
- ٢٣- الفهرست - ابن النديم ، مكتبة خياط ، بيروت ١٩٦٤ .
- ٢٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، الحاج خليفة ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٩٦٧ .
- ٢٥- لسان العرب ، ابن منظور ، طبعة بولاق .
- ٢٦- مراتب النحويين ، أبو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٢٧- مرصد الاطلاع في الامكنة والباق ، ابن عبدالحق ، لبنان .
- ٢٨- المسند ، أحمد بن حنبل ، بيروت .
- ٢٩- معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، بمنايا مرجليوت ، الطبعة الثانية ١٩٢٢ وما بعدها .
- ٣٠- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، بيروت ١٩٥٧ .
- ٣١- النهاية في غريب الحديث ، ابن الاثير الجوزي ، تحقيق محمود الطناحي وطارح أحمد الزاوي ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦٢ .
- ٣٢- الوالي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، بمنايية ديرنبرغ وجماعته ، سنة ١٩٤٩ وما بعدها .
- ٣٣- Geschichte der Arabischen literature, Von, Carl Brockelmann, S. II, Leiden 1938.

فهارس المخطوطات والبيبلوغرافيات

فهرست وصفی لمخطوطات مكتبة كلية البنات جامعة بغداد

اعداد الدكتور

رزوق فرج رزوق

جامعة بغداد - كلية الاداب - (قسم اللغة العربية)

٦ - اشعار في التصوف لحسين السعداني
البرزنجي (١٢٩٢ هـ) . رقمه ١٠

ج - أربعة كتب أدبية هي : -

١ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر
لابن الاثير (٦٣٧ هـ) . رقمه ١١

٢ - شرح العيون في شرح رسالة ابن
زبدون لابن نباتة (٧٦٨ هـ) . رقمه ١٢

٣ - حلبة الكميت لشمس الدين النواجي
(٨٥٩ هـ) . رقمه ١٣

٤ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص
لعبد الرحيم العباسي (٩٦٣ هـ) .

رقمه ١٤

وقد قمت بتصنيفها ثم بفهرستها فهرسة وصفية فهرست
بالشعراء والادباء اصحاب هذه الدواوين والكتب ، وذكرت اور
كل مخطوط وآخره ، واسم ناسخه وتاريخ نسخه ، وعدد
اوراقه وعدد سطور كل صفحة ، رامزا بالحرفين (ق) و (س)
الى الكلمتين (ورقة) و (سطر) .

المخطوط (رقم ١)

القرآن الكريم

اسم النسخ - الحاج اسماعيل النافع
الماغوسوي من تلاميذ سليمان بناد الموروي .

تاريخ النسخ - سنة ١٢٠٢ هـ .

وصف الاوراق - ٤٠٢ ورقة ، ١٣ سطراً .

١٥ × ١٠ سم .

المخطوط (رقم ٢)

القرآن الكريم

اسم النسخ - محمد مراد بن ادريس مرز
من تلاميذ محمد خلوصي .

تأسست هذه المكتبة سنة ١٩٤٦ وهي السنة
التي تأسست فيها كلية البنات ، لتؤدي واجبها
التثقيفي والتعليمي نحو الطالبات خاصة ، فتعينهن
على اعداد دروسهن ، وكتابة بحوثهن ، وتتهيء لهن
سبيل الاستزادة من الثقافة العامة .

وقد نمت هذه المكتبة بفضل استمرار العناية
بها ، فناهز عدد كتبها العربية والانكليزية اربعة
عشر الفا ، فضلاً عن مجموعة صغيرة من
المخطوطات ، ومجموعة من المجلات العلمية والادبية
والفنية . وتعد المكتبة اليوم واحدة من مكبات
جامعة بغداد الكبيرة . وللمكتبة فهارس منظمة
وفقاً لطريقة التصنيف العشري المعروفة بطريقة
ديوي مع تعديلات اقتضتها طبيعة الكتب العربية ،
وتحتوي المكتبة على طائفة من نوادر الكتب
ونفائسها ، جلها طبع في اوربا خلال القرن التاسع
عشر ، وتضم اربعة عشر مخطوطاً ، هي :

أ - أربع نسخ من القرآن الكريم . ارقامها ١ - ٤ .

ب - ستة دواوين شعرية ، هي : -

١ - ديوان أبي الطيب المتنبي (٣٥٤ هـ) .
رقمه ٥ ب

٢ - ديوان الشريف الرضي (٤٠٦ هـ) .
رقمه ٦

٣ - ديوان بطل ابن التعاويذي (٥٨٣ هـ) .
رقمه ٧

٤ - ديوان ابن الفارض (٦٣٢ هـ) .
رقمه ٨

د - ديوان عبدالغفار الاخرس (١٢٩٠ هـ) .
رقمه ٩

تاريخ النسخ - سنة ١٢٧٥ هـ .

وصف الاوراق - ٣٧٨ ورقة ، ١٥ سطراً ،

١٢×١٧ سم .

المخطوط (رقم ٣)

القرآن الكريم

وصف الاوراق - ٢٠٨ ورقات ، ١٥ سطراً ،

١٢×٨ سم .

ملحوظات اخرى - مكتوب بخط نسخي

دقيق . وفي ورقته الاولى زخرفة جميلة . وفي

آخر المخطوط دعاء هذا اوله : « اللهم بلغ واوصل

نواب ما قراناه وتلوناه ... »

المخطوط (رقم ٤)

القرآن الكريم

وصف الاوراق - ٢٢٣ ورقة ، ١٥ سطراً ،

١١×١٧ سم .

ملحوظات اخرى - مكتوب بخط نسخي

جيد . في اوله وآخره زخرفة جميلة . وفي آخر

المخطوط دعاء هذا اوله : « اللهم ربنا تقبل منا ختم

القرآن ... »

المجموع الخطي (رقم ٥)

(١) ديوان ابن الفارض

الشاعر - أبو حفص عمر بن علي بن مرشد

المعروف بابن الفارض (- ٦٢٢ هـ) . حموي

الاصل ، مصري المولد والوفاء . نشأ في بيت علم

وورع ، وسلك طريق الصوفية ، وذهب الى مكة

ومكث بها خمسة عشر عاماً ، وعاد الى القاهرة

فأقام بالازهر . وهو اشعر المتصوفين . وديوان

شعره هذا جمعه سبطه علي . وقد طبع مراراً .

وشرحه كثيرون .

اول المخطوط - الشيخ والده ولم يفته منه

سوى قصيدة كان نظمها بالحجاز الشريف

(الورقة ١١)

آخره - نادى بنفس عارضيه معارضا

يا عاشقين تزودوا من قربه

ثم الديوان المبارك بحمد الله وحسن توفيقه ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين

الطاهرين والحمد لله رب العالمين . (الورقة ١٥٨) .

نوع الخط - نسخي جيد .

اسم الناسخ - عبدالله بن محمد علي

البغدادي .

تاريخ النسخ - جمادى الاولى سنة ١١٠٠ هـ

وصف الاوراق - ٥٨ ورقة ، ٢١ سطراً ،

٢٩×١٩ سم .

ملحوظات اخرى - المخطوط مخروم من اوله ،

ينقصه جزء من مقدمة الديوان النثرية الطويلة ،

اما شعر الديوان فيبدأ في أواخر الورقة (١١٠)

بالقصيدة البيائية التي مطلعها :

سائق الاظمان يطوي البيد طي

منعماً ، عرج على كئيبان طي

(ب) ديوان ابي الطيب المتنبي

الشاعر - ابو الطيب احمد بن الحسين

الكندي (- ٣٥٤ هـ) . كوفي المولد ، شامي

النشأة . وفد على سيف الدولة بطلب ومدحه بما

خلد اسمه ابد الدهر ، ثم مضى الى مصر ومدح

اميرها كافورا الاخشيدي ، ولكنه لم ينل عنده ما

كان يؤمله من تقلد امانة او ولاية فتركه مغضباً

وهجاء . وقصد العراق ففارس ، ثم عاد الى

العراق فخرج عليه اعراب كان قد هجا بعضهم

فقتلوه . والمتنبي من اشعر شعراء العربية ان لم

يكن اشعرهم ، وديوان شعره مشهور ، وقد

طبع مراراً .

اول المخطوط - قال ابو الطيب احمد بن

الحسين بن الحسن المتنبي الكندي ، ولد سنة

ثلاث وثلاثمائة ، وتوفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ،

وقد سأل سيف الدولة اجازة أبيات وقال (عفي

عنه) مرتجلاً :

عذل العواذل حول قلبي التائه

وهوى الاحبة منه في سودائه

(الورقة ٥٩ ب)

آخره - فكر راجعاً حتى قتل وقتل معه ولده

المحسد . وهذا ما وجدناه . والله اعلم ...

(الورقة ١٩٦ ب)

نوع الخط - نسخي جيد .

اسم الناسخ - عبدالله بن محمد علي البغدادي

تاريخ النسخ - جمادى الاولى سنة ١١٠١ هـ .

وصف الاوراق - ١٣٧ ورقة ، ٢١ سطراً ،

٢٩×١٩ سم .

ملحوظات اخرى - على الحواشي الجانبية

شروح موجزة . وبين الورقة (١٩٥) والورقة

(١٩٦) - وهي الورقة الاخيرة - خرم .

المخطوط (رقم ٦)

ديوان الشريف الرضي

الشاعر - أبو الحسن محمد بن الحسين بن

موسى الرضى العلوي الموسوي (- ٤٦ هـ) .
مولده ووفاته ببغداد . وهو اشعر الطالبين ، وقد
طبع ديوان شعره غير مرة . وله مؤلفات تدل على
ادبه وتضلعه عن العلوم اللسانية والعقلية منها
« اعجاز القرآن » و « المجازات النبوية » ومجموعة
ما دار بينه وبين ابي اسحاق الصابي من الرسائل .
اول المخطوط - هذا ما الفه وصنفه الرضى
(رضى الله عنه) من الشعر ، ويبدأ في كل قافية
بالمدائح والتهاني ، ثم بالافتخار وشكوى الزمان ،
ثم بالمراثي والزهد ، ثم بالنسيب وذكر المشيب ،
ثم بالاغراض المختلفة ، ثم بزيادات وجدت بعد موت
الرضي (رضى الله عنه) بخطه خارجة عن ديوان
شعره ، فأثبتت في آخر كل قافية منفردة لتمييز
عنها ... (الورقة ١ ب) .

آخره - كالذي يخطب الظلام وقد اذ

هر من خلفه النهار المضي

هذا آخر ديوان شعر الشريف السيد الرضى على
الكمال والتمام . نفع الله به ، وغفر لقائله وكاتبه
ولوالديه ولمن استغفر ولجميع المسلمين . والحمد
لله حق حمده وصلى على خيرته من خلقه محمد
المصطفى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً . (الورقة
٥٢٤ ب) .

نوع الخط - رقمي واضح .

اسم الناسخ - ابن ابراهيم بن حاجي صالح
محمد .

تاريخ النسخ - غير مذكور .

وصف الاوراق - ٥٢٤ ورقة ، ١٥ سطراً ،
٢١×١٦ سم .

ملحوظات اخرى - مقدمات القصائد مكتوبة
بالحمرة . والديوان مؤلف من جزأين ينتهي اولهما
بالورقة ٢٦٤ ا . واولى قصائد الديوان همزية ،
مطلعها :

جزاء امير المؤمنين ثنائى

على نعم ما تنقضي وعطاء

(الورقة ١٢)

المخطوط (رقم ٧)

ديوان سبط ابن التعاويذي

الشاعر - ابو الفتح محمد بن عبيد الله المعروف
بسبط ابن التعاويذي وبابن التعاويذي (- ٥٨٣ هـ) .
مولده ووفاته ببغداد ، وكان يتولى بها الكتابة في
ديوان المقاطعات . هو شاعر المراق في عصره ، وقد
طبع ديوان شعره في القاهرة سنة ١٩٠٣ . له ايضا
« كتاب الحجة والحجاب » .

اول المخطوط - اجل واحيانا اتمل بكثرة

اشغالي ، وآونة اعتذر اليهم باضطراب احوالي . .
آخره - مقطوعة مطلعها :

وليلة مظلمة

مثل وجوه الكفر

نوع الخط - اعتيادي . ولم يرد اسم النسخ
وتاريخ النسخ .

وصف الاوراق - ١٨٩ ورقة ، ٢٠ - ٢١
سطراً ، ٢٩٥×٢٠٥ سم .

ملحوظات اخرى - المخطوط مخروم من اوله
وآخره . وعليه تملكان هما : « السيد علي علاء
الدين بن السيد نعمان خير الدين آلوسي زاده
البغدادي سنة ١٣٠٢ » و « حسن بن الحاج محمود
باجه جي . . محرم ١٣٠٦ » .

المخطوط (رقم ٨)

ديوان عبد الفقار الاخرس

الشاعر - عبد الفقار بن عبد الواحد بن وجب
(- ١٢٩٠ هـ) . لقب الاخرس لحبسة كانت في
لسانه . ولد في الموصل وسكن بغداد وتوفي بالبصرة .
يعد من ابرز شعراء زمانه . ومن آثاره ديوان شعره .
وقد جمعه احمد عزة العمري وسماه « الطراز
الانفس في شعر الاخرس » . واكثره في المديح
والاخوانيات ، وقد طبع .

اول المخطوط - حرف الالف . قال يمدح
الافاق بالاتفاق ، مفتي قطر المراق محمود الوسي
زاده تفعمده الله برحمته ورزقه بحسنه وزياده .

اتراك تعرف علي وشغائي

يا داء قلبي في الهوى ودواني

(الورقة ١١)

آخره -

نجمتان في سرور وهنا

دائم بالوصل لم ينفصل

وبحمد الله قد نال المشي

وظفرنا منكم بالامس

نوع الخط - فارسي . ولم يرد اسم النسخ
وتاريخ النسخ .

وصف الاوراق - ١٨٨ ورقة ، ٢٥ سطراً .
٢٠×١٢ سم .

ملحوظات اخرى - يبدو الديوان تاماً ولكن
في اوراقه الاخيرة قصائد يظهر ان النسخ غفل عن
كتابتها في مواضعها من الديوان المرتب وفقاً للسياق
المجائي للقوافي فكتبها في آخره . وشعر قصائد في
مدح بندر شيخ المنتفك ، وحسام الدين الحلبي
قائمقام على باشا الحلبي ، وعبد القادر افندي
قائمقام العمارة (الورقة ١٧٨ ب - ١٨٨ ب) .

المخطوط (رقم ٩)

اشعار في التصوف

الشاعر - السيد حسين السعداني البرزنجي الحسيني . انظر التعريف به في « اول المخطوط » .
اول المخطوط - « هو السيد العالم الفاضل الممدود من الاكابر والامائل ، بل من الاولياء الاكامل ، السيد حسين السعداني البرزنجي الحسيني (قدس سره) . ولد كما بخط والده سنة ١٢٢٥ : وتوفي سنة ١٢٩٢ . وله كرامات ظاهرة وخوارق متواترة ، واشعار رقيقة وتآليف بالقبول حقيقة ، وكان (قدس سره) معتدل القامة ، غزير العلم ، وافر الحلم ، يحبه كل من يراه ، وقبره قرب بلدة سليمانة ... »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لواهب العقول
والشكر لبارئ الاصول
فياض كرائم المبادي
وهاب عظام اليايدي
المبدع في الهوى قبابا
الفتاح باسمه الكتاب
(الورقة ١١)

آخره -

في الليل كهائم اتاجي محنا
في البيت اطوف ثم اشكوشجنا
في جانب دارها اذا البرق بدا
اني انا ابكي كفمام حزنا

نوع الخط - اعتيادي

اسم النسخ - « كتبه مصطفى لاجل اخيه الاعظم والافخم علي رضا افندي البناشي العسكري المحترم حفظه الله تعالى ... »
(الورقة ١٤)

تاريخ النسخ - ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٢٣ هـ
وصف الاوراق - ٤١ ورقة ، ١٢ - ١٤ سطر ، ٢١ × ١٥ سم .

ملحوظات اخرى - ليس كل شعر هذه المجموعة في التصوف - كما جاء في عنوانها - فهناك قصيدة في مدح الرسول (ص) (الورقة ٣١ ب) وقصائد في مدح السلطان عبد المجيد ، والوزير مصطفى رشيد باشا الصدر الاعظم ، وشيخ السلمين السيد احمد الحاج عارف حكمة بك ومحمد منيب باشا (الورقة ٤ ب - ١٢ ب) ، وقصيدة ذكر الناظم فيها تاريخ أسرته ، وجمل عنوانها ما يأتي : « مبحث في احوال الناظم السيد حسين

الحسيني وخروجهم من المدينة وانشارهم في البلاد وتوطنهم في بلاد الاكراد بقريّة برزنجية » (الورقة ٩ ب) وعدد من القصائد في « حكاية ليلي ومجنون » (الورقة ١٣ ب - ١٤١) .

المخطوط (رقم ١٠)

كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر

المؤلف - ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (- ٦٣٧ هـ) أحد اخوة ثلاثة عرف كل منهم بأبن الاثير ، مولده بجزيرة ابن عمر ووفاته ببغداد . نشأ وتفقه بالموصل . و « المثل السائر » من اشهر كتب البلاغة والنقد الادبي ، وقد طبع مرارا . ولابن الاثير تآليف اخرى منها :

« المعاني المختصرة » و « الوشي المرقوم في حل المنظوم » وديوان رسائل ...
اول المخطوط - نسال الله ربنا ان يبلغ بنا من الحمد ما هو اهله ...
(الورقة ١ ب)

آخره - العربية على اتساعها وتشعب فنونها واغراضها ، وعلى ان لغة المعجم بالنسبة اليها كقطرة من بحر .

نوع الخط - نسخي واضح . ولم يرد اسم النسخ .
تاريخ النسخ - ٥ شعبان سنة ١١٤٢ هـ .
وصف الاوراق - ٢٥٧ ورقة ، ٢٧ سطر ، ٢٠ × ١٥ سم .

المخطوط (رقم ١١)

شرح العيون [في] شرح رسالة ابن زيدون

المؤلف - ابو بكر جمال الدين محمد بن محمد ابن نباتة المصري (- ٧٦٨ هـ) . مولده ووفاته بالقاهرة . كان ابرز شعراء عصره ، ويتميز شعره بالسهولة والطرافة . له رسائل احتلدي فيها طريقة القاضي الفاضل . وله تآليف كثيرة منها : « سجع المطوق » و « مطالع الفوائد » و « الفاضل من شعر الفاضل » و « المختار من شعر ابن الرومي » .
اول المخطوط - الحمد لله الذي لا يجب الحمد الا له .

آخره - ولا اخلى ابواب علمه ونعمه على كلا الحالين من طالب (الورقة ١٨٧ ب) .

نوع الخط - اعتيادي .
اسم النسخ - عبد الوزاق بن محمد امين بن الملا رجب الافغاني .
تاريخ النسخ - سنة ١٢٧١ هـ .

وصف الاوراق - ١٨٧ ورقة ؛ ٢١ سطراً ،
١٥x٢٢ سم .

ملحوظات اخرى - العبارات التي تقدم
القوائد مكتوبة بالحمرة .

المخطوط (رقم ١٢)

حلبة الكميت

المؤلف - شمس الدين محمد بن حسن بن
علي النواجي (- ٨٥٩ هـ) . مولده ووفاته
بالقاهرة . اديب شاعر له مؤلفات كثيرة ، منها
« حلبة الكميت » هذا . وهو في الخمر والندماء وما
يتعلق بهما ؛ وقد طبع . ومنها « مراتع الغزلان »
و « تحفة الاديب » و « التذكرة » و « روضة
المجالسة » .

اول المخطوط - سقط شيء من اوله . وهو
يبدأ ب « فقالوا الحقنا به ، فقاهاهم حتى انتهوا
الى حاله ، فانتبه ابو الهندي فراهم ... »

ندامى بعد عاثرة تلاقوا

تعمهم الفتوة والسماح »

(الورقة ١١)

آخره - سقط شيء من الاخر ايضا . وجاء
في الورقة الاخيرة : وتلطف البديع الهمداني بقوله :
وفتيان صدق^(١) كاقران الثريا

على طرف من العيش الرخيم

(الورقة ٢٣٦ ب)

نوع الخط - نسخي واضح ، ولم يرد اسم
الناسخ وتاريخ النسخ .

(١) كلا . والصواب حلف كلمة (مدق) .

وصف الاوراق - ٢٣٦ ورقة ، ١٧ سطراً ،
١٩x١٤ سم .

المخطوط (رقم ١٣)

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص

المؤلف - زين الدين ابو الفتح عبدالرحيم بن
عبدالرحمن العباسي (٩٦٣ هـ) . ولد بالقاهرة .
ووفد الى القسطنطينية زمن السلطان بايزيد بن
محمد الفاتح فآكرمه ، وعاد الى القاهرة ، ثم قصد
القسطنطينية ثانية واستقر بها . كان منشئاً بليفاً ،
عارفاً بالحديث ، عالماً بالتاريخ . وكتابه « معاهد
التنصيص » جملة كالشرح لآيات « تلخيص المفتاح »
للقرطبي ، وتكلم فيه على معاني آيات الشواهد
وتراجم قائلها . وقد طبع .

اول المخطوط - الحمد لله الذي اطلع في سماء
البيان اهلة المعاني ...

آخره

ومن يناوئه يعش بئساً

يسحب ذيل الخاسر الخاسر

وقد يسر الله تعالى الكريم باتمامه ويكتمل
نظامه بحوله وقوته ...

(الورقة ١٣٢٣)

نوع الخط - نسخي جيد .

اسم الناسخ - لم يذكر الناسخ اسمه ، ولكنه
ذكر انه نسخ هذا المخطوط عن نسخة بخط المؤلف .

تاريخ النسخ - غير مذكور .

وصف الاوراق - ٢٢٣ ورقة ، ٢٨ سطراً ،
٢٦x١٥ سم .

فهرست مخطوطات دير الآباء الكرمليين ببغداد

اعداد

حكمت عصفاني

مديرية الوقاية الصحية العامة - بغداد

المقدمة

منذ سنوات وأنا اتردد الى خزانة كتب دير الآباء الكرمليين في بغداد . وفي كل زيارة من هذه الزيارات للدير كان يقع امام ناظري مختلف التصنيف العلمية والتاريخية والادبية ، واغلب هذه النفايس مما جمعه العلامة الخالد الذكر الاب انتاس ماري الكرمللي المتوفى في ٧ كانون الثاني سنة ١٩٤٧ وفي الفترة الاخيرة لفت نظري عند اعداد بعض ابحاثي (١) مجموعة من المخطوطات المختلفة ، منها ما هو من مؤلفات الاب انتاس ماري الكرمللي وبخط يده ومنها ما هو غير ذلك من المخطوطات العربية التي جمعها الاب المذكور . فرغبت في الاطلاع على جميع ما يحويه الدير من مخطوطات ففاتحت الاب الفاضل روبرت الكرمللي ، المسؤول عن المكتبة ومخطوطاتها ، برغبتي هذه فلبى طلبي مشكورا ووضع تحت تصرفي جميع المخطوطات التي يملكها الدير وهي التي قمت بفهرستها في هذا الكتاب .

فبلغ مجموع المخطوطات (٥٥) مخطوطا في مختلف العلوم والفنون .

وهذه المخطوطات قسمتها الى قسمين : -

- ١ - المخطوطات الباقية من مؤلفات الاب انتاس ماري الكرمللي والتي هي بخط يده ، ويحتوي هذا القسم على (٢٨) مخطوطا .
- ٢ - المخطوطات العربية والاجنبية التي ليست من مؤلفات الاب الكرمللي ، وعددها (٢٧) مخطوطا (٢) .

(١) لقد انصرفت منذ عدة سنوات الى وضع كتاب بعنوان (المستفاد من انساب نصارى بغداد) وهذه الابحاث والتنقيبات تخص كتابي النوه به اعلاه .

(٢) بلغ المخطوطات العربية من هذه المجموعة ٢٠ مخطوطا -

- ١ - اما خطة العمل في هذا الفهرست فهي : -
- ١ - تدوين اسم المخطوط كاملا حسبما ورد في اصل الكتاب .
- ٢ - ذكر اسم مؤلفه وسنة وفاته اذا كانت معروفة بالتاريخين الهجري والميلادي .
- ٣ - طول المخطوط وعرضه بالسنتيمتر مع ذكر عدد اوراقه او صفحاته وعدد سطوره .
- ٤ - ايراد عبارة اول المخطوط وآخره ما امكن .
- ٥ - ذكر نوع الخط ونوع الورق المكتوب عليه .
- ٦ - تاريخ كتابة المخطوط واسم ناسخه اذا كان مذكورا او معروفا .
- ٧ - بيان نوع جلد المخطوط وفيما اذا كان ذا ميزة خاصة .
- ٨ - هل المخطوط قد طبع ام لا ؟ .
- ٩ - التعريف الموجز بالمخطوط كلما دعت الحاجة الى ذلك .
- ١٠ - واخيرا فقد سرنا على طريقة علمية مستحسنة وهي ادراج اهم عناوين او مضامين الكتاب كما وردت في صفحات المخطوط وطبقنا هذه الطريقة على القسم الاول ، اي مؤلفات الاب انتاس ماري الكرمللي وذلك لانتاحة الفرصة لمعرفة محتوياتها من قبل الباحثين والدارسين وما تحويه من فوائد نفيسة قيمة .

فهارس الكتاب الهجائية :

وقد الحقنا في نهاية الكتاب فهرسين هجائيين الاول باسماء المخطوطات من كتب ورسائل . والثاني

- واما البقية فهي : اثنان بالفارسية وخمسة باللغات الاوربية كما سيرد بيانه في تضافيف الكتاب .

فهرس اعلام الناس وهو يتضمن اسماء المؤلفين والناسخين وغيرهم ممن ورد ذكرهم في تضاعيف هذا الكتاب .

واخيرا لا يسعني الا ان اقدم جزيل شكري للاباء الكرملين كافة لما لمسته منهم من حفاوة وتشجيع حين اتاحوا لي الفرصة لدراسة مخطوطات الدير وتقديمها للقراء بهذا الشكل الذي آمل ان يسد فراغا في المكتبة العربية في العراق والعالم العربي .

وختاما وانا اضع بين يدي القارئ الكريم هذا الفهرس آملا ان اكون قد اديت بعض ما علي من واجب في هذا المجال مستمحا القراء عذرا ان لم اكن موقفا فيما عرضت تمام التوفيق سائلا المولى تعالى ان يسدد خطي الجميع الى ما فيه الحق والصواب انه نعم المولى والمجيب .

الرموز المستعملة في هذا الفهرست

لقد استعملت الرموز الآتية التماسا للاختصار :-

سم :	ستمت
ص :	صفحة
و :	ورقة
س :	سطر
هـ :	هجري
م :	ميلادي

القسم الاول

ان جميع ما سيرد من مخطوطات في هذا القسم هو من مؤلفات العلامة المرحوم الاب أنستاس ماري الكرمللي المتوفى في ٧ كانون الثاني سنة ١٩٤٧^(١) .

١

اديان العرب وخرافاتهم

ابتدا به الاب الكرمللي في ٧ شباط سنة ١٨٩٦ ، ولم يطبع .
اوله : « قال ابن الكلبي : حدثني ابي ان حجرا كان في بني اسد وكانت له عليهم اتاوة ... » .

اما موضوعات الكتاب فهي :-

١ - اديان العرب في الجاهلية .

(١) للوقوف على اسماء مؤلفات الاب أنستاس الكرمللي فليراجع كتابي كوركيس مواد « الاب أنستاس ماري الكرمللي ، حياته ومؤلفاته » و « معجم المؤلفين العراقيين » .

- ٢ - عبادة الشمس .
 - ٣ - مجوس العرب وزنادقتهم .
 - ٤ - نصارى العرب في الجاهلية .
 - ٥ - معبودات اليونان عربية الاصل .
- وفي تضاعيف الكتاب اوراق بيض غير مكتوبة . والكتاب مجلد تجليدا حديثا .
٢٢x١٧ سم ؛ ٣٤٤ ص ؛ ٢٢ س .

٢

اسرار الموازين او خصائص الاوزان والحروف

ابتدا به الاب الكرمللي في ٧ شباط سنة ١٨٩٦ . ولم يطبع .
اوله : « النقيب في اللغة كالامين والكفيل ... » .

وهذه اهم موضوعات الكتاب :-

- ١ - حاجتنا الى معجم عصري وان يكون متقن التصوير .
 - ٢ - الفاظ عربية الاصل عادت الينا عن طريق اجنبي .
 - ٣ - خصائص الحروف في مواقعها المختلفة .
 - ٤ - عريبات لها مقابلات في الساميات ومنها في اليافثيات .
 - ٥ - افعال مجهولة البناء متعدية المعنى .
 - ٦ - الكسرة في الاسماء ومدلولاتها .
 - ٧ - الضمة ومدلولاتها في الاسماء .
 - ٨ - الفتحة ومدلولاتها في الاسماء .
 - ٩ - الافعال المحولة من الفاعلية الى المفعولية ومن اللزوم الى التعدية .
- نسخة مجلدة تجليدا حديثا على ورق اسمر عادي .

٢١x١٦ سم ؛ ٥١٨ ص ؛ ٢٣ س .

٣

اسرار الموازين والجموع

ابتدا به الاب الكرمللي في ٥ شباط سنة ١٨٩٦ . ولم يطبع .
اوله : « اوزان اغفلها الصرفيون ... » .

واهم موضوعات الكتاب هي :-

- ١ - اوزان اغفل ذكرها الصرفيون : الاسماء ، الافعال .
- ٢ - الفاظ مفردة بدون هاء وجمعها بالهاء .
- ٣ - موازين الاسماء والمصادر والنعوت .
- ٤ - كيف نشأت اللغة العربية .

- ٥ - جموع الخماسي وما فوقه وغرائب الجموع .
 - ٦ - صيغة منتهى الجموع .
 - ٧ - الجموع في الاسماء .
 - ٨ - فضل اللغة العربية على جميع لغات العالم .
- والكتاب مجلد بجلد حديث يتخلل صفحاته اوراق بيض .

١٦٥٥ x ٢١ سم ؛ ٧٦٧ ص ؛ ٢٢ س .

٤

الانباء التاريخية

للأب أنستاس ماري الكرمللي . قال في مقدمة الكتاب : هي تعليقات شرعت بجمعها في رحلتي الى مصر والشام واستانبول وديار الافرنج في اول ايلول سنة ١٩٠٤ . وهو باللغتين العربية والفرنسية ، ولم يطبع .

اوله : « الابدال : في النهاية لابن الاثير (في حديث علي (رض) الابدال بالشام هم الاولياء والعبياد ... » .

وهذه اهم مواد الكتاب : -

- ١ - الياس والخضر وفنحاص .
- ٢ - الزرازة والزراورة والزراودة والسرارة .
- ٣ - ياجوج وماجوج .
- ٤ - الكتب النادرة في مكتبة كوبريلي في استانبول .
- ٥ - الجرامقصة .

١٧ x ٢٢ سم ؛ ١٥٨ ص ؛ ١٩ س .

٥

الغرائب

ابتدا به الاب الكرمللي في ٧ شباط سنة ١٨٩٧ . ولم يطبع .

اوله : « فوائد مجملية في اللفظة العربية ... » .

والكتاب مجلد تجليدا حديثا وبورق اعتيادي .

واهم ابواب الكتاب هي : -

- ١ - قواعد في الوضع .
- ٢ - خصائص الحروف والتراكيب العربية .
- ٣ - غرائب الجمع .
- ٤ - اللغة العامية عند العرب .
- ٥ - منقرضات اللغة العربية .
- ٦ - الضرائر الشعرية .
- ٧ - غرائب المصادر .

١٥٦٠

- ٨ - اغلاط الشعراء واكابر الكتاب .
 - ٩ - الاشتقاق والمجاز وقواعد في الوضع .
 - ١٠ - خصائص لغة العرب .
- ٢١ x ١٦ سم ؛ ٤٧٢ ص ؛ ٢٤ س .

٦

السحائب

ابتدا به الاب الكرمللي في ٧ شباط سنة ١٨٩٧ . ولم يطبع .

اوله : « فوائد التوكيد والتكرير والتطويل وهو من باب اضافة الشيء الى نفسه ... » .

الكتاب مجلد ومغلف بالجلد يتخلل صفحاته اوراق بيض غير مكتوبة .

اهم مواده كما وردت في ثبت الكتاب الصفحة ٣ ، هي : -

- ١ - الفاظ لا مفرد لها .
- ٢ - التقييد بعد التصميم وبالعكس .
- ٣ - المعربات وذكر اصلها .
- ٤ - الفاظ مشتركة في جميع اللغات .
- ٥ - الاضداد .
- ٦ - الحركات المجهولة .
- ٧ - معاني الصيغ العربية .
- ٨ - الفاظ عربية يجهلها المربون .

٢١ x ١٦ سم ؛ ٣٥٦ ص ؛ ٢٣ س .

٧

الشوارد اللغوية في الاشعار البدوية

جمعها الاب أنستاس ماري الكرمللي في سنة ١٨٨٦ . ولم يطبع (١) .

(ماورد هنا من ص (١) الى ص (٩٩) منسوخ عن اوراق كانت عائدة الى المسيو آشيل مراد وكان ترجمان القنصل الفرنسي في بغداد) (٢) .

اوله : « رسالة من فتح الله [خياط] الى آشيل مراد ترجمان القنصلية الفرنسية في بغداد ... » .

الكتاب يحوي اشعارا بدوية وحكايات شعرية جمعها الاب أنستاس من مختلف المصادر وسممها من بعض المارة .

١٩ x ١٤ سم ؛ ٢٦٠ ص ؛ ١٦ س .

(١) حينما بتحقيق هذا الكتاب ، وسنشره مما قريب .

(٢) تولى المسيو آشيل مراد في شباط سنة ١٨٩٥ م .

بدوات الخاطر

ابتدا به الاب الكرملی فی دیر المحرقة فی جبل
الكرمل فی ١٩ آذار سنة ١٩٢٥ ، ولم يطبع .
يبدأ بإيراد شيء من أغلاط « اقرب الموارد » (١)
للشرتوني .

وأهم موضوعات الكتاب هي : -

- ١ - أداة التعريف .
 - ٢ - توضيح التعريف .
 - ٣ - تأصيل التنوين .
 - ٤ - حل مقدمات .
 - ٥ - أسماء تدل على طائفة معدودة .
 - ٦ - تصريف الالفاظ .
 - ٧ - اعجميات ولها مقابل في العربية مع
تصحيفاتها .
 - ٨ - تعريب الكلمة الدخيلة الواحدة .
 - ٩ - المتربات واحوالها وتحويلها .
- نسخة مجلدة تجليدا حديثا مكتوبة على ورق
ابيض حديث .
٢٠.٥ x ١٦.٥ سم ؛ ٤٤٤ ص ؛ ٢٢ س .

جمهرة اللغات

ابتدا به الاب الكرملی فی ٧ شباط
سنة ١٨٩٧ ، ولم يطبع .
أوله : « أصل اللغة العربية ... » .
وهذه أهم موضوعات الكتاب : -

- ١ - لغات قبائل العرب .
- ٢ - اسرار تراكيب الحروف .
- ٣ - فصيح كلام العرب ودرجاته في ديارهم .
- ٤ - اطوار اللغة العربية .
- ٥ - سر الحروف العربية .
- ٦ - الحروف المقودة او المركبة .

نسخة مجلدة تجليدا حديثا .
٢١.٥ x ١٦.٥ سم ؛ ٣٨٨ ص ؛ ٢٣ س .

الخطرات المقيدة

ابتدا به الاب الكرملی فی دیر المحرقة
فی ٩ آذار سنة ١٩٢٥ ، ولم يطبع .

- (١) معجم لغوي تأليف سعيد الشرتوني ، المتوفى سنة ١٩١٢ ،
طبع في بيروت (١-٢ عام ١٨٨٩) .

أوله : « الشعر والغناء والتمثيل ... » . (١)

وهذه أهم محتويات الكتاب : -

- ١ - العربية مفتاح اللغات . (٢)
- ٢ - أداة التعريف في التاريخ . (٣)
- ٣ - أعربيات : قریش والخليفة والادب . (٤)
- ٤ - غرائب لغوية عجيبة .
- ٥ - المبهل والمبهل والماهل .
- ٦ - المذمر أم السماوة . (٥)
- ٧ - المبقری وأصلها .

نسخة مجلدة تجليدا حديثا مكتوبة على ورق
ابيض صقيل .

٢١ x ١٤ سم ؛ ٨٥٠ ص ؛ ٢٣ س .

خواطر علمية وسوانح دينية

ومنتورات ادبية ولغوية وتاريخية

ابتدا به الاب الكرملی فی ١٠ تموز
سنة ١٨٩٥ ، وهو باللغتين العربية والفرنسية ، ولم
يطبع .

أهم موضوعات الكتاب هي : -

- ١ - حكايات عامية شعبية .
 - ٢ - الحضر .
 - ٣ - صحف ابراهيم عليه السلام .
 - ٤ - فوائد في البايبة .
 - ٥ - الصابئة في العرب .
 - ٦ - قصة مار أوفيمس .
- ٢٢.٥ x ١٧ سم ؛ ٦١٣ ص ؛ ٢٢ س .

العجائب اللغوية

ابتدا به الاب الكرملی فی سنة ١٨٩٧ ،
ولم يطبع .

أوله : « قراه وقراه : بزيادة الباء ... » .

أما أهم مواد الكتاب فهي : -

- ١ - شواذ المصدر ومقيساتها .

- (١) عنوان مقالة ارسلت الى الدكتور احمد زكي ابو شادي
اجابة لاقتراحه على الاب سنة ١٩٢٧ .
(٢) مقالة نشرت في الهلال ٢٧ : ص ٢٠٦ - ٢١٥ .
(٣) نشرت في القنطف ٧٤ : ص ١٦٠ .
(٤) عنوان مقالة ادرجت في القنطف ٧٥ [١٩٢٩] ص ١٩٧
- ٢٠٢ .
(٥) عنوان مقالة نشرت في مجلة لغة العرب ٧ : ص ٢٣١ -
٢٣٢ .

- وتكياتها ومساجدها وخاناتها ومبانيها
ومحلاتها... الخ .
- ٣ - اوجه الاعراب عند العرب والاعراب .
- ٤ - الصابئة والصابئون .
- ٥ - الصليب (١) .
- ٦ - طيور البصرة .
- ٧ - لغات جزيرة العرب .
- ٨ - اصنام العرب .
- ٩ - الديانة عند العرب .
- ١٠ - معادن بلاد العرب .
- ٢١x١٦٥ سم ؛ ٦٦٥ ص ؛ ٢٢ س .

١٥

فوائد الشرائد او الشوارد

- ابتدا به الاب الكرملى في دير المحرقة
في ١٩ آذار سنة ١٩٢٥ ، ولم يطبع .
- أهم محتويات هذا الكتاب هي : -
- ١ - الحرب بين الكلم وقتلها (٢) .
- ٢ - خصائص العامية المصرية .
- ٣ - عيسى وموسى في القرآن .
- ٤ - فضل العربية على اللغات الاخرى .
- ٥ - العربية تجلي الفواض .
- ٦ - اغلاط المستشرقين (٣) .
- ٧ - الفرع والاصل .
- ٨ - غنى العربية عن الاعجمية .
- ٢٠x١٦ سم ؛ ٤٤٨ ص ؛ ٢٢ س .

١٦

تشكول المحققين من المؤرخين واللغويين

- ابتدا به الاب الكرملى في ٧ ايار
سنة ١٨٩٦ ، ولم يطبع .
- أوله : « النصارى في عهد بني أمية ... » .
- وأهم ما في الكتاب من موضوعات هي : -
- ١ - النصارى في عهد بني أمية .
- ٢ - من حوادث داود باشا الوزير .
- ٣ - الشبك .
- ٤ - العرب وأخبارها في التاريخ .
- ٥ - زيادات على المعاجم العربية .

- (١) مقال نشر في المشرق ١ [بيروت ١٨٩٨] ص ٦٧٣-٦٨١ .
- (٢) وقد نشره في جريدة « الاهرام » المصرية بتاريخ ١٩٣٧/٩/٢٧ .
- (٣) وقد نشره في مجلة الجمع العلمى العربى بدمشق ١٤ [١٩٣٦] ص ٢٢٥ - ٢٤٧ .

- ٢ - تصرف العرب بالمعربات .
- ٣ - التسمية بالمصدر .
- ٤ - فارسيات الاصل وتركية وهندية .
- ٥ - اغلاط العرب في اصل المعربات .
- ٦ - غرائب الاشتقاق وتاصيل الزائد .
- ٧ - معاني الاوزان الفعلية ومعانيها ونواذرها .
- ٨ - القلب والابدال .
- ٩ - المؤلف في الخط والمختلف في النقط .
- ١٠ - قصر المدود ومد المقصور .
- ١١ - لغات العرب في الاعراب والقواعد العامة .
- ١٢ - غرائب صيغ اسم الالة .
- ١٣ - اصول بعض الالفاظ العربية .
- ٢١x١٦٥ سم ؛ ٣٨٤ ص ؛ ٢٤ س .

١٣

الفرائب

- ابتدا به الاب الكرملى في ٧ شباط
سنة ١٨٩٧ ، ولم يطبع .
- أوله : « اوجه الاعراب او اللحن : قال ابو
عثمان عمرو بن بحر حدثنا عتام ابو يحيى عن الاعمش
عن عمارة بن عمير قال (كان ابو معمر يحدثنا
فيلحن ...) » .
- وهذه أهم موضوعات الكتاب : -
- ١ - اللحن .
- ٢ - الحمل على الضد او على النظر .
- ٣ - غرائب الجمع في العربية .
- ٤ - مفاعيل الوقف على آخر الالفاظ .
- ٥ - تصحيح الاجوف والناقص .
- ٦ - الفاظ لم تفسر .
- ٧ - العرب البائدة واصلهم ولغتهم .
- ٨ - اعراب الاسماء الخمسة .
- ٢١x١٦٥ سم ؛ ٤٠٨ ص ؛ ٢٢ س .

١٤

الفر النواضر والدر الزواهر

- ابتدا به الاب الكرملى في ٥ شباط
سنة ١٨٩٤ ، ولم يطبع .
- أوله : « تاريخ آداب اللغة العربية : هي
احدى اللغات السامية وارقاها ... » .
- أما أهم موضوعات الكتاب فهي : -
- ١ - الالوسي ترجمته : نعمان الالوسي .
- ٢ - بغداد : نظرة في احوالها وجوامعها

٦ - معنى العراق .

٧ - مظاهر النهضة الحديثة .

٨ - استيقاظ الاسلام .

والكتاب باللغتين العربية والفرنسية ومجلد
تجليدا حديثا .

٢٠.٥ x ١٦.٥ سم ؛ ٨٠٠ ص ؛ ٢٠ س .

١٧

اللمع التاريخية والعلمية

الجزء الاول - وقد بدا به الاب الكرمل في
سنة ١٨٩٥ ، ولم يطبع .

اوله : « تاريخ بعض ابنية بغداد ... » .

واهم موضوعات الكتاب كما وردت في
الصفحة ٦٨ من المخطوط هي : -

١ - تاريخ بعض ابنية بغداد .

٢ - ذكر المذابح التي حدثت في بلاد الارمن
سنة ١٨٩٥ .

٣ - من كتاب الجلوة لليزيدية .

٤ - سلاطين مسقط وزنجبار .

٥ - جسر بغداد في سنة ١٩٠٢ .

٦ - الحروف المتداينة واصلاها .

٧ - لمعة تاريخية عن اليزيدية .

٨ - فوائد عن الصبة .

٩ - فوائد عن كردستان .

١٠ - طرف تاريخية في جوامع بغداد .

١١ - سكان اذربيجان الكلدان والناطرة .

١٢ - المنتفك وثورتهم .

١٣ - زبيد ونسبهم وقبائلهم المختلفة .

١٤ - تصحيح كتاب الاغانى للصبهاني .

١٥ - نصارى العرب .

١٦ - اصل كلمة كعبة ومكة وكربلاء . (١)

٢٠.٥ x ١٥ سم ؛ ٧٠٧ ص ؛ ١٩ س .

١٨

اللمع التاريخية والعلمية

الجزء الثاني - ابتدا به الاب الكرمل في
سنة ١٩٠٧ ، ولم يطبع .

اوله : « هذا السفر فيه جميع ما شاق وراق
من كلام عموم بلغاء الكتاب المحدثين والمشهورين
بحسن الاسلوب ... » .

(١) مقالة نشرت في مجلة المقتبس ٢ : ص ٢١٥ - ٢١٩ .

اهم موضوعات الكتاب هي : -

١ - مطاردات ومسابقات في بغداد .

٢ - الطاعون في بغداد عام ١٩٠٨ .

٣ - حال العراق واعمال ناظم باشا في بغداد .

٤ - جغرافيو العرب .

٥ - غرق بغداد . (١)

٦ - مشاهير علماء نجد في النهضة الاخيرة .

٧ - الكويت والمحمرة .

٨ - الكويت والدولة العلية .

٩ - اليزيدية والاتراك .

والكتاب مجلدا تجليدا حديثا مكتوب على
ورق اسمر عادي .

٢٠.٥ x ١٥ سم ؛ ٨٦٩ ص ؛ ٢٠ س .

١٩

المجموعة الذهبية

شرع الاب الكرمل بجمعها في اول كانون الثاني
سنة ١٩١٥ حينما كان منفيا في قيصرية في الاناضول
من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٦ على ماورد في صدر
الكتاب ، ولم يطبع .

والكتاب مكتوب بثلاث لغات هي العربية
والفرنسية والتركية . وجملة الكتاب عبارة عن
خواطر وآراء وابحاث سجلها الاب انتاس عندما
كان في منفاه في قيصرية كما اشار الى ذلك في الورقة
الاولى من المخطوط .

واهم ماورد من موضوعات هذا الكتاب ،
هني : -

١ - القلب والابدال .

٢ - فنك الترك بالارمن .

٣ - امثال تركية مع ترجمتها .

٤ - مقابلة العربية للسكونية .

٥ - مستدركات عربية على المعاجم .

هذه النسخة مجلدة تجليدا حديثا ومكتوبة
على ورق اعتيادي .

٢٢.٥ x ١٥ سم ؛ ٤٣٤ ص ؛ ٢٢ س .

٢٠

مختارات المفيد

ابتدا به الاب الكرمل في ٧ ايلول سنة ١٨٩٤
وهو باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والاخيرة
هي الغالبة عليه ، ولم يطبع .

(١) عنوان مقال ادرج في مجلة المشرق « بيروت » ١٠ : ص ٦٥١ .

المساعد (١)

المجلد الاول - بدأ به الأب الكرملّي في سنة ١٨٨٣ ، واليك وصفه : في الصفحة الاولى من المجلد الاول يقول الأب الكرملّي ما نصه : « بملك الفقير لمولاه بطرس ميخائيل ماريني » (٢) . ثم هذه الملاحظة : « اطالع محيط المحيط مرة كل خمس سنوات واطلق عليه ما يبدو لي ، وذلك منذ سنة ١٨٨٣ وانا الفقير اليه تعالى الأب انتاس ماريني الكرملّي .

ولم تفتني مادة من مواده لاني طالعت كلمة فكلمة ، فطالعت احدي عشرة مرة الى سنة ١٩٣٨ » (٣) .

والمساعد عبارة عن معجم (محيط المحيط) (٤) وقد وضع الأب الكرملّي ورقة بيضاء بعد كل ورقة منه يدون فيها ما يعن له وما استدركه عليه . يبدأ المجلد الاول من المساعد بالحرف (ا) وينتهي بانتهاء حرف الخاء .

وبعده يأتي ملحق يتكون من ٤٨٠ صفحة مدون فيها زيادات على ما جاء في المتن .

وهو مجلد تجليدا حديثا ومظلف بالقماش .
٢٦ x ١٦.٥ سم ؛ ٧٤٦ ص ؛ السطور مختلفة .

المساعد

المجلد الثاني - ويبدأ بحرف الخاء وينتهي بنهاية حرف الراء . وبعده يأتي ملحق يتكون من ١٩٩ صفحة كتب منها ٤٥ صفحة فقط .

٢٦ x ١٦.٥ سم ؛ ٣٩٨ ص ؛ السطور مختلفة .

(١) مهدت مؤخرا وزارة الاعلام الى صديقنا العلامة الاستاذ كوركيس عواد والاستاذ عبدالحميد العلوجي بتحقيق هذا المعجم الفريد وقد تم انجاز الجزء الاول منه ، وفي نشره خدمة جليلة لابناء الضاد .

(٢) هذا اسم الأب انتاس الكرملّي قبل ترجمه وانخراطه في سلك الرهبان على ما سبقت الاشارة اليه .

(٣) من اراد التوسع في وصف هذا المعجم النفيس للجرايع كتاب كوركيس عواد « الأب انتاس ماريني الكرملّي ، حياته ومؤلفاته » . ص (٢٢ - ٢٦) مطبعة الماني ١٩٦٦ .

(٤) هو معجم « محيط المحيط » لمؤلفه المعلم بطرس البستاني ، التوفى سنة ١٨٨٣ م ، وقد طبع في مجلدين ضخمين بيروت سنة ١٨٧٠ .

اما اهم موضوعات الكتاب فهي : -

- ١ - رحلة الاب انتاس ماريني الكرملّي (المعلم بطرس ميخائيل ماريني) (١) ، وتبدأ من صفحة ٤٠٦ - ٤١٨ .
 - ٢ - مجموع الالفاظ الموجودة في الامثلة .
 - ٣ - عالم الحيوان ومراتب الحيوانات .
 - ٤ - سياحة ابن بطوطة الى بغداد .
- ١٧ x ٢١ سم ؛ ٤٨٠ ص ؛ ٢٤ س .

معين المحقق ومعين المدقق

الجزء الثاني - بدأ به الأب الكرملّي في سنة ١٩٠٨ ، ولم يطبع .

(اما المجلد الاول فقد سرق عند سقوط بغداد سنة ١٩١٧) (٢) .

اوله : « السلي او السلى او بلاد السرق ... » .

وهذه اهم مضمين الكتاب : -

- ١ - السلي او السلى او بلاد السرق (٣) .
- ٢ - معاهد بغداد العمومية عند سقوطها الاول (٤) .
- ٣ - استئصال شاة الاثقياء في بغداد .
- ٤ - فتنة بني لام في العمارة .
- ٥ - فرمان السلطاني بحق المرسلين الكرمليين .
- ٦ - النهضة الادبية في العراق (٥) .
- ٧ - القرامطة .

- ٨ - هرم تمدن الشرق وشباب ادرجت في مجلة تمدن الغرب .
- ٩ - اللغة العامية توأمة اللغة الفصحى .

- ١٠ - اول من وضع كلمة (مجلة او ضيغة) .
- ١١ - مغامز المعاجم العربية .

- ١٢ - أسماء معبودات العرب المجهولة .

٢٠.٥ x ١٥ سم ؛ ٨٨٠ ؛ ٢١ س .

(١) هذا اسم الأب انتاس الكرملّي قبل دخوله في سلك الرهبانية .

(٢) راجع حادثة تلف وسرقة خزانة الأب انتاس الكرملّي ، في جريدة العرب البغدادية الصادرة عام ١٩١٧ . الامداد (٧) ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) نشرت في المشرق ١١ [١٩٠٨] ص ٢٥٤ - ٢٥٧ .

(٤) نشر في المشرق ايضا ١١ [١٩٠٨] ص ٣١٦ - ٣١٧ .

(٥) نشر في مجلة الزهور المصرية ١ : ص ١٨٥ - ١٩٣ .

المجلد الثالث - ويبدأ بحرف الزاي وينتهي
بنهاية حرف الصاد . وبعده يأتي ملحق يتكون
من ٢٨١ صفحة كتب منها ١٩٠ صفحة .

٢٦x١٦ر٥ سم ؛ ٥٦٩ ص؛ السطور مختلفة .

المجلد الرابع - ويبدأ بحرف الضاد وينتهي
بنهاية حرف القاف . وبعده يأتي ملحق يتكون
من ٣٢٤ صفحة كتب منها ٢٥٣ صفحة .

٢٦x١٦ر٥ سم ؛ ٨٠٦ ص؛ السطور مختلفة .

المجلد الخامس - ويبدأ بحرف الكاف وينتهي
بنهاية حرف الياء . ثم يأتي ملحق عدد صفحاته ٢٣٢
صفحة كتب منها ١٥٤ صفحة وبنهاية هذا الملحق
يتم هذا المعجم بمجلداته الخمسة . (١)

ان صفحات هذا المعجم الضخم ملئت كلها
بشتى الاصطلاحات والمعاني والاشتقاقات العربية
فهو بحق اعظم تأليف الاب انتاس الكرمللي واغناها
واوسسها .

٢٦x١٦ر٥ سم ؛ ٦٧٩ ص؛ السطور مختلفة .

نفثات يراعة الكرمللي او التحقيقات العصرية

الجزء الاول - للاب انتاس ماري
الكرمللي ، لم يطبع .

اوله : « الاوهام العائرة هي من قولهم غارت
القصيدة اي سارت بين الناس » .

اهم موضوعات الكتاب هي : -

(١) وصف الاب انتاس ماري الكرمللي معجمه هذا في مجلته
« لغة العرب » وصفا شاملا للتراجع . (٧ [١٩٢٩]
ص ٨٢٢ - ٨٢٣) .

١ - الاوهام العائرة - (نظر لغوي) - . (١)

٢ - الحيوان في كتاب الامتاع والموانسة . (٢)

٣ - هل عرف العرب البلهارزية . (٣)

٤ - المدخل الى علم الحيوان . (٤)

٥ - الالحاد : اصل هذه اللفظة لغة واصطلاحا . (٥)

نسخة مجلدة تجليدا حديثا ومكتوبة على ورق
اسمر اللون .

٢٣x١٧ سم ؛ ٥٩٥ ص ؛ ٢٢ س .

نفثات يراعة الكرمللي

الجزء الثاني - يحوي الجزء الثاني مقالات
ومراسلات بين الاب الكرمللي وجماعة من العلماء
والادباء بين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٤٤ .

والكتاب مجلد تجليدا حديثا ونقش في ظهره
عبارة (نفثات يراعة الكرمللي) .

اهم ما فيه من موضوعات : -

١ - الكامخ والشطيرة (٦) .

٢ - مي ومية (٧) .

٣ - اول لغة عمومية وضعها عربي لا غربي (٨) .

٤ - فضل العرب على علم الحيوان (٩) .

٢٠x١٤ر٥ سم ؛ ٥٦٦ ص ؛ ٢٢ س .

(١) نشره فيما بعد في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق
١٧ : (ص ١٠٦ - ١١٢) .

(٢) نشره فيما بعد في مجلة المتنظف (١٠٠ [القاهرة ١٩٤٢]
ص ٢٤٥ - ٢٥٠) .

(٣) مقالة نشرت في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق (١٦ : ص
١١٥ - ١١٩) . وفي مجلة الكلية الطبية العراقية (٦ :
ص ٢٣٩ - ٢٤٤) .

(٤) مقالة ادرجت في المتنظف (١٠١ [القاهرة ١٩٤٢] ص
٥٠٠ - ٥١٢) .

(٥) مقال نشر في مجلة الزمراء البغدادية (٢ : ص ٦ - ٧) .

(٦) مقال نشر في جريدة الامرام المصرية في العدد ١٨٧٠٢ في
١٩٣٧/١/١٩ .

(٧) مقالة ادرجت في جريدة الامرام بتاريخ ١٦/٨/١٩٣٧ .

(٨) مقال ادرج في جريدة الامرام الصادرة في يوم
١٩٣٧/١١/٢٢ بالعدد ١٩١٠٧ .

(٩) مقال ادرج في مجلة الجمع العلمي العربي (١٩ [دمشق
١٩٤٤] ص ٢١٥ - ٢٢١) .

القسم الثاني

المخطوطات الاخرى

لقد رجعت اثناء فهرسة هذه المخطوطات الى مراجع شتى ولا سيما فهرس الكتب والمخطوطات كما استندت الى الكتب والمصنفات الآتية :-

- ١ - كشف الظنون عن اُسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة . (مجلدان طبعة وزارة المعارف التركية الاولى - استانبول ١٢١١ هـ) .
- ٢ - ايضاح الكتون في الدليل على كشف الظنون : لاسماعيل باشا البغدادي . (مجلدان طبعة وزارة المعارف التركية - استانبول ١٩٢٥ - ١٩٢٧) .
- ٣ - هدية العارفين اسماء المؤلفين وَاثار المصنفين : لاسماعيل باشا البغدادي . (مجلدان . طبعة وزارة المعارف التركية . استانبول ١٩٥١ - ١٩٥٥) .
- ٤ - معجم المطبوعات العربية والعربية : ليوسف آليان سركيس . (القاهرة ١٩٢٨) .
- ٥ - الاعلام : لخير الدين الزركلي (الطبعة الثانية : ١٠ مجلدات - القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٥٩) .
- ٦ - معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة (١٥ مجلدا . دمشق ١٩٥٧ - ١٩٦١) .
- ٧ - اكتفاء القنوع بما هو مطبوع : تاليف انور فانيك . (القاهرة ١٨٩٦) .
- ٨ - تاريخ علم الفلك في العراق : لمباس الغزاوي . (بغداد ١٩٥٨) .
- ٩ - التقويم الهجري والميلادي : تاليف فريمان - جرنفيل : ترجمة الدكتور حسام محي الدين الالوسي . (بغداد ١٩٧٠) .

١- تاريخ الادب العربي لبروكلمان وعنوانه :

Brockelmann (Carl), Geschichte der Arabischen Litteratur. (2nd Edition, 2 Vols., Leiden 1943-1949).

وذيله :

Supplementband. (3 Vols., Leiden 1937-1942).

٢٩

القرآن الكريم

نسخة نفيسة مزوقة ومذهبة في جميع صفحاتها مكتوبة بخط الثلث الجيد وباللون الاسود وتحت كل آية من الايات ترجمتها بالفارسية بخط فارسي وبالحبر الاحمر . تعود هذه النسخة الى القرن العاشر الهجري (القرن ١٦ م) .

غلاف وجلد هذه النسخة مزخرف بزخارف نباتية لطيفة وبطريقة الكبس بالحرارة . في آخرها ختم احد مالكيها وهو الحاج علي الحسيني .

١٧×٢٧ سم ؛ ٢٧٢ ؛ و ١٥ س .

٣٠

القرآن الكريم

نسخة كبيرة الحجم مزوقة ومذهبة مكتوبة بخط الثلث وتحت كل سطر من الايات ترجمة بالفارسية مع تعليقات فارسية ايضا . وهي مجلدة بجلد عادي وعلى ورق صقيل جيد .

جاء في آخرها قول الناسخ : « قد فرغت بحمد الله تعالى في ٨ صفر سنة ٩٠٩ هـ » ، (١٥٠٣ م) .

في ظهر الورقة الاولى ما يلي : « هذا القرآن كان في حوزة النواب اشرف الدولة شريف الملك ناصر جنك رمضان علي خان وزير ملك اودة . ووصل الي بالارث وانا اقل الطلاب محمد بن علي الحسيني » . وقد اقتناها الاب انتاس ماري الكرمل في سنة ١٩٠٩ كما هو مدون في صدر الصفحة الاولى .

١٧×٢٠ سم ؛ ٤٦٠ ؛ و ١٢ س .

٣١

الوافسي

تاليف محمد بن مرتضى المعروف بمحسن الكاشي المتوفي سنة ١٠٩٠ هـ (١٦٧٩ م) .

وقد رتبته بخمسة عشر كتابا كل كتاب يختص بموضوع وهذا المجلد يضم الكتب الخمسة الاخيرة وهي :-

- ١ - الكتاب الحادي عشر : كتاب المطاعم والمشارب والتجملات .
- ٢ - الكتاب الثاني عشر : كتاب النكاح والطلاق والولادات .
- ٣ - الكتاب الثالث عشر : كتاب الجنائز والفرايض والوصيات .
- ٤ - الكتاب الرابع عشر : كتاب الروضة .
- ٥ - الكتاب الخامس عشر : كتاب في المشيخة .

اوله : « الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد واله الطاهرين ، اما بعد فهذا فهرس ما في هذا المجلد كتبه لتسهيل الاطلاع على موضع كل باب والله الحمد » .

نسخة نفيسة مجلدة ومغلقة بجلد احمر وبخط نسخي جميل منقولة عن نسخة المؤلف التي كانت عند ابنه محمد المدعو بعلم الهدى وقد قرأ هذا الكتاب بكامله على ولده المؤلف فأجاز له ان يروي عنه ما جاء في هذا الكتاب .

ديوان البحتري

لأبي عبادة الوليد بن عبدالله بن يحيى الطائي
المعروف بالبحتري المتوفى سنة ٢٨٤ هـ
(٨٩٧ م) ، وقد طبع غير مرة .

نسخة مكتوبة بخط الثلث الجيد ناقصة الاول
والآخر وكل صفحة من الديوان تقسم الى قسمين
مستطيلين مذهبين وفي بداية كل قصيدة تبدأ
الكتابة بالحبر الاحمر مكتوبة على ورق صقيل
جيد .

اولها :

ياخا الازد ما حفظت الاخاء

لمحب ولا ذكرت الوناء

اما قوافي الاشعار فهي مرتبة على النحو
التالي :

- | | |
|--------------------|--------------------|
| ١ - قافية الهمزة . | ١١ - قافية الظاء . |
| ٢ - قافية الباء . | ١٢ - قافية الطاء . |
| ٣ - قافية التاء . | ١٣ - قافية العين . |
| ٤ - قافية الجيم . | ١٤ - قافية الفين . |
| ٥ - قافية الحاء . | ١٥ - قافية الفاء . |
| ٦ - قافية الدال . | ١٦ - قافية القاف . |
| ٧ - قافية الراء . | ١٧ - قافية الكاف . |
| ٨ - قافية الزاء . | ١٨ - قافية اللام . |
| ٩ - قافية السين . | ١٩ - قافية الميم . |
| ١٠ - قافية الصاد . | |

وآخر الديوان هذه الابيات :

ايما حله ووصل قديم

صرمته مناظبا الصريم

نافرات من المشيب وقد كن

سكونا الى الشباب المقيم

٢٢٥x١٥ سم ؛ ٥١٦ ص ؛ ٢١ س .

شرح ديوان المتنبى

لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي ، المتوفى
سنة ٤٦٨ هـ ، (١٠٧٥ م) ، وقد طبع .

نسخة قديمة جدا تعود الى القرن السادس
لهجرة بخط نسخي معتاد وبعض الصفحات لاتقرأ
لفدما . يتخلل النسخة خروم استكملت باوراق
مكتوبة بخط متأخر . والديوان ناقص الاول والآخر

جاء في اخره ماياتي : « وقد وقع الفراغ من
تنميقه بيدي الفقير الحقير الراجي الى الله الملك
السلام سلام الله ابن عبدالسلام ابن عبدالقادر ابن
عبدالسلام الجابري في سابع شهر ربيع المولود من
شهور سنة عشر ومائة والف من الهجرة المباركة » ،
(١٦٩٨ م) .

٢٢٥x١٨٥ سم ؛ ٨٤٣ ص ؛ ٢١ س .

القانون في الطب

لأبي علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن
علي بن سينا المعروف بالشيخ الرئيس المتوفى
سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٦ م) .

اوله : « الحمد لله حمدا يستحقه بعلو
شأنه » ، وقد طبع غير مرة .

نسخة كاملة جيدة بخط نسخي واضح مجلدة
بجلد اعتيادي .

جاء في آخر المخطوط « تم الكتاب الاول من
القانون والحمد لله رب العالمين ، حرره اضعف عباد
الله تعالى وهو الضعيف حسين بن علي بن محمد
الموسى ، سنة سبعمائة » . الموافق سنة ١٣٠٠ م .

٢٠٥x١٤٥ سم ؛ ٣٦٢ ص ؛ ٢١ س .

مجرباب الشيخ ابن سينا

وهي ارجوزة طبية في ١٤٦ بيتا ، لأبي علي
الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا ،
المعروف بالشيخ الرئيس ، المتوفى سنة ٤٢٨ هـ
(١٠٣٦ م) ، وقد طبعت غير مرة .

اولها :

بدات باسم الله في نظم حسن

اذكر ما جربته طول الزمن

نسخة حديثة مكتوبة بخط النسخ على ورق
اعتيادي وهي غفل من اسم ناسخها وتاريخ
نسخها .

آخرها :

والحمد لله على انعامه

ثم صلاة الله مع سلامه

على النبي المصطفى التهاني

وآله وصحبه الكرام

١٩٥x١٤٥ سم ؛ ١٧ ص ؛ ١١ س .

تحرير اقليدس الصوري

لنصير الدين محمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) ، وقد طبع .

نسخة نفيسة تامة من هذا الكتاب مزينة بـ (٤٦٨) شكلا هندسيا بخط نسخي جميل وعليه تعليقات كثيرة بخط فارسي . مجلد تجليدا بسيطا . وهو مقسم الى خمس عشرة مقالة . اوله : « الحمد لله الذي منه الابتداء واليه الانتهاء » .

والمخطوط غير مؤرخ الا انه يعود الى القرن التاسع او العاشر للهجرة .

جاء في آخره : « تمت الكتاب بمون الله الملك الوهاب » .

١٩×١٢ سم ؛ ٢٢٢ ص ؛ ٢٠ س .

شرح المجسطي

والمجسطي لبطليموس الاسكندري اما الشرح فلا نعلم واضعه لسقوط اوراق من اول الكتاب ، وهو ناقص الاول والآخر .

يبدأ الموجود منه بقوله : « القدر الرابع بين الجنوبي من الاربعة المصطنعة وبينه نحو ثلثا ذراع في رأي العين » .

نسخة غير مؤرخة من القرن الثامن للهجرة على ورق حريري قديم بخط النسخ وقد تلفت بعض حواشي المخطوطة فاصلحت بورق حديث .

آخره : « جدول كوكبة الكلب الاكبر ... » .

٢٥×١٦ سم ؛ ٢٠٤ ص ؛ ١٥ س .

اكر مولاناوس

وهو كتاب في الاشكال الكروية لميلاوس او منلاؤس الهندسي الفلكي الاسكندراني الاصل الذي كان قد رصد النجوم في مدينة رومة سنة ٩٨ م ، وقد طبع .

اوله : « اقول بعد حمد الله والثناء عليه بما يليق به والصلاة على محمد واله ... » .

نسخة نفيسة من الكتاب ناقصة الآخر ، وقد اتلفت الارضة بعض اوراقها فاصلحت بورق حديث . يحتوي الكتاب على اشكال ورسوم

فقد سقط من اوله ٢٣ صفحة ، يبدأ الموجود منه بهذا البيت :

احاذر ان يشق على المطايا

فلا يمشي بنا الا بسواكا

وينتهي بهذين البيتين :

اروح وقد ختمت على فؤادي

بحبك ان يحل به سواكا

وقد حملتني به شكرا طويلا

ثقيلا لا اطيع به حراكا

٢٦×١٧ سم ؛ ٣٩٩ ص ؛ ٢٠ س .

شرح ديوان المتنبي

لابي الحسن علي بن احمد الواحدي .

نسخة ثانية جيدة بخط نسخي جميل واضح وابياته مكتوبة بالحبر الاحمر والشرح بالحبر الاسود . وقد طبع هذا الشرح في برلين سنة ١٨٦١ بعناية المستشرق الالماني فريدريخ دايتريشي .

وقد سقطت الورقة الاولى من الديوان حيث يبدأ الموجود منه بقوله :

« من نأثاة الاسلام الى ايام ظهور دولة العباسية » .

وآخره :

« اخترت دهمائين يا مطر

ومن له في الفضائل الخير »

نسخة مكتوبة في القرن التاسع للهجرة .

٢٢×١٧ سم ؛ ٤٩٠ ص ؛ ١٩ س .

شرح قصيدة بانث سعاد

القصيدة لكعب بن زهير المتوفى سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م) ، مدح بها النبي (ص) ، مطلعها :

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم اثرها لم يفد مكبول

نسخة كاملة من هذه القصيدة وشرحها بخط عادي وتجليد بسيط .

جاء في آخر المخطوط : « تمت على يد الفقير المعترف بالتقصير علي بن احمد ... (١) الشافعي ، غفر الله له ولوالديه والمسلمين اجمعين في ثالث صفر عام ستة وثمانين مائة ٨٠٦ هـ » (١٤٠٣ م) .

وممن تملكها : الشيخ سليمان العاملي .

٢٢×١٤ سم ؛ ١٥٠ ص ؛ ٢١ س .

هندسية متقنة بخط فارسي مع تعليقات كثيرة في الحواشي . ولم نجد ما يشير الى مؤلف هذه النسخة . وقد تملكه عدة اشخاص منهم سليمان وجدي سنة ١١٥٨ هـ وآخر سنة ١١٨١ هـ ثم انتقل الى لطف الله دفتر زادة سنة ١٢٦٧ هـ واخيرا تملكه الاب انتاس ماري الكرملني سنة ١٩١٩ .

٢٢٥ x ١٣٥ سم ؛ ١٢٥ ص ؛ ١٩ س .

٤١.

الأكسر

لثاودوسيوس وهو ثلاث مقالات و ٥٩ شكلا . اوله : « الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله وصحبه اجمعين كتاب الاكسر لثاودوسيوس وهو ثلاث مقالات وتسعة وخمسون شكلا » .

نسخة تامة بخط فارسي جميل على ورق صقيل ومجلدة تجليدا بسيطا .

آخره : « تمت المقالة الثالثة وبها تمت الكتاب بعون الله الوهاب سنة ١٠٨٣ » ، كتبه العبد الاقل محمد زمان معلم .

لهذا الكتاب نسخ عديدة في مكتبات الشرق والغرب .

١٨٥ x ٩٥ سم ؛ ٨٧ ص ؛ ١٤ س .

٤٢

ذيل تاريخ بغداد

لمحب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) . ولم يطبع .

قطعة منه بخط الثلث الجيد على ورق ابيض صقيل .

اوله : « ابراهيم بن احمد ابي المفاخر الازجي ابو اسحق الخياط المنعوت بالبرهان ... » .

وآخره : « حرف الدال المعجمة : ذوالفقار بن محمد اشرف بن ابي جعفر محمد ابن الصمصام بن الحسن ... » .

٢١ x ١٤ سم ؛ ٢٠ ص ؛ ٢٠ س .

٤٣

الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم

الفه باللغة اليونانية متي جيفالا رئيس اساقفة

قبرص . وتقله الى العربية البطريرك مكاريوس بن زعيم الحلبي المتوفى سنة ١٦٧٢ . وهو يتناول تاريخ دولة الروم من عهد الملك قسطنطين الى زمن السلطان العثماني مراد الرابع . ولم يطبع . وهو ناقص الاول والآخر .

يبدأ الموجود منه : « الثاني عشر ايواكيم الرجل الفاضل نفى بأمر السلطان » .

النسخة الاصلية المنقول عنها هذه النسخة موجودة في خزانة المتحف العراقي ببغداد برقم ٨٢٠ مخطوط .

٢٩ x ٢١ سم ؛ ١٩٧ ص ؛ ٢٧ س .

٤٤

مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود

تأليف عثمان بن سند البصري ، المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) ، وقد طبع .

اوله : « الحمد لله الذي نور مطالع السعود من التراجم بالبدور السافرة ... » .

نسخة منقولة عن الاصل المحفوظ في خزانة المتحف العراقي ببغداد ، بخط نسخي واضح على ورق ابيض صقيل والنسخة ناقصة الآخر حيث وصل ناسخها الى الصفحة ١٢٨ ولم يتمها .

٢٩ x ٢٠ سم ؛ ١٢٨ ص ؛ ٢٨ س .

٤٥

مجموعة في الآلات الروحانية وغيرها (١)

فيها :

١ - الاستيعاب للوجود الممكنة في صنعة الاسطرلاب : لابي الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨) .

ويبدأ من اول المجلد الى صفحة (١١٦) وقد ا تلفت الارضة منه (٧٠) صفحة وسلم الباقي . فيه عدة رسوم هندسية وفي نهايته يقول ناسخه : « تم كتاب الوجود الممكنة في صنعة الاسطرلاب للبيروني . وقد وقع الفراغ من تعليق هذه النسخة اللطيفة في يوم السبت سادس عشر شهر جمادى الثاني سنة ١٠٩٤ من الهجرة النبوية المحمدية . كتبه العبد

(١) ادرج وصف هذا المخطوط النسخ في مجلة الهلال ج ٢ [١٩٢٢] صفحة (١٩٩ - ٢٠٠) بعنوان : مخطوط وحيد في الصناعات الرائجة .

الاقل ابن مرحوم جاج برخور دار محمد ربيع
اصفهاني المشهور بالرئيس . تمت .

٢ - وصف الاحراق بضوء الشمس المنعكس عن
مرآة قريبة :

ويبدأ من الصفحة (١٢٤) وينتهي
بصفحة (١٧٣) مع رسوم توضيحية هندسية
مختلفة ولم نجد اسم مؤلفه ولا ناسخه . اوله
بعد البسملة :

« من حق الملك صمصام الدولة وشمس
المللة على من عرف قدر النعمة في عنايته باظهار
العلوم حتى يشيع في الناس ذكره ... » .

٣ - كتاب لعطارد بن محمد الحاسب في المرايا
المحرقة : يبدأ من الصفحة (١٧٦) وينتهي
بصفحة (٢٠٤) وهو شرح لكتابين قديمين
احدهما لاثمى والآخر لثاسوس الفيلسوف .
في المرايا المحرقة كما قال المؤلف في
المقدمة . اوله بعد البسملة : « قال عطارد بن
محمد الحاسب : ان علوم الاوائل فرط اعجاب
منه مال الى علومهم » .

واخيره : « هذا آخر كتاب محمد بن
خلف والحمد لله على محمد سيدنا واله
وصحبه الطاهرين » .

٤ - كتاب عمل الساعات المائية التي ترمى
بالبنادق : مجهول المؤلف يبدأ من الصفحة
(٢١٨) وينتهي بصفحة (٢٤٥) ويحتوي على
عدة رسوم . اوله : « اذا اردت ذلك ان شاء
الله فاعمد الى نحاس فاتخذ منه خزانة للماء
يكون ارتفاعها ثلاثة اشبار في قطر شبرين » .

٥ - كتاب دوائر الدواليب المتحركة من ذواتها
وفيه دوالي عجيبة : تأليف كامل النجار ؛
والاصل لهرتل اليوناني . ويبدأ من الصفحة
(٢٤٦) وينتهي بصفحة (٢٦٤) . يحتوي على
عدة رسوم توضيحية لعمل الدواليب .

جاء في صفحة (٢٥٩) عند نهاية الكلام
على الدوالي : « تم كتاب كامل النجار في
الدواليب والحمد لله رب العالمين » .

٦ - كتاب الحق القمري : كتبه محمد علي
التبريزي الانصاري سنة ١٠٩٣ هـ . ويبدأ
من صفحة (٢٦٤) وينتهي بالصفحة (٢٧٥) .

اوله : « اذا اردت ان تضع الحق
القمري فاضرب لنا صفيحة صبر » .

٧ - ومن صفحة (٢٧٨) الى نهاية صفحة (٣٠٠)
عدة فوائد منقولة عن كتب وهي : -

٢ - فائدة نقلت عن كتاب شرح المقاصد .

ب - انواع الادوية ووصفها .

ج - فائدة من كتاب ميزان الحكمة للحكيم
عبدالرحمن الخازني .

٨ - كتاب قسطا بن لوقا في الوزن والكيل ، الى
ابي بكر بن عبدالرحمن القاضي . ويبدأ من
صفحة (٣٠٢) وينتهي بصفحة (٣١٢) وهوتام
الاول والاخر رتبة على ثمانية ابواب هي : -

١ - الباب الاول : في حد الوزن والكيل .

٢ - الباب الثاني : في الاصول المستعملة في الوزن
وعلة اختلافها .

٣ - الباب الثالث : في الاوزان المستعملة في صناعة
الطبيب .

٤ - الباب الرابع : في الاوزان التي يستعمل في
الاكيسال .

٥ - الباب الخامس : في عمل جدول فيه اوزان
الرطوبات وما بينها من الاختلاف .

٦ - الباب السادس : في الاوزان المستفيدة
الاستعمال ويختلف باختلاف البلدان التي
يستعمل فيها .

٧ - الباب السابع : في المقادير التي يذكر في كتب
الطب غير محدودة .

٨ - الباب الثامن : في ذكر الاوزان كلها ما ذكر
منها فيما تقدم وما لم يذكر على ترتيب احرف
الف باء تاء في لغة اليونانيين ليسهل وجود اي
وزن قصد منها .

١٩ × ١٢ سم ؛ ٣١٢ ص ؛ ٢٣ س .

٤٦

معجم العمراني

العمراني : هو ابو الحسن الخوارزمي المتوفى
سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥) .

اوله : « اقط مثال ابل واقط بالتحريك ... » .

نسخة ناقصة الاول والاخر حديثة نقلت
عام ١٩٢٨ عن نسخة ناقصة في خزانة عباس الغزاوي
بخط الثلث الجيد مجلدة تجليدا حديثا .

آخره : « قطية قريبة في طريق مصر قرب
الغرمي » .

٢٤ × ١٦ سم ؛ ٤١٢ ص ؛ ١٣ س .

للخليل بن احمد الفراهيدي البصري المتوفي سنة ١٧٥ هـ (٧٩١) .

أوله : « بحمد الله نبتدي ، ونستهدي وعليه نتق كل وهو حبنا ونعم الوكيل ، هذا ما الفه الخليل بن احمد البصري رحمة الله عليه ... » .

نسخة حديثة من هذا الكتاب خُطت بنوعين من الخط الاول خط النسخ ويبدأ من اول الكتاب وينتهي الى صفحة (١٤٦) والباقي بخط الثلث حتى نهاية الكتاب في صفحة (٦١٥) على ورق صقيل عسلي اللون . وهو مجلد تجليدا حديثا .

آخره : « تم حرف العين بحمد الله ومنه . وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما . وحبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم الهادي ونعم الدليل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » .

ثم يأتي مايلى : (قوبلت هذه النسخة على النسخة المحفوظة في النجف وهي نسخة سقيمة وعلى نسخة شكري الفضلي وهي تامة وجيدة) .

٢٨ × ٢٠ سم ؛ ٦١٥ ص ؛ ٢١ س .

أصل هذا الكتاب مترجم من اللاتينية عربيه الآباء الكرمليون الايطاليون في سابق العهد وقد اجتمع على نقله الى العربية عدة آباء في اوقات مختلفة .

أوله : « رتبة طقس الزامير التي تتلى من بعد التطهير ... » .

نسخة نقلها سنة (١٩١٠) توفيق ابراهيم ، احد النساخ الذين كانوا ينسخون الكتب للاب انتاس ماري الكرمللي ، عن نسخة مؤرخة سنة (١٨٦٥) كتبها الكونت جبرائيل اصفر المتوفى ببغداد سنة ١٩٢٣ .

والنسخة الموصوفة ذات خط نسخي جميل على ورق ابيض صقيل ورؤوس ابواب الكتاب بالحبر الاحمر ، وفي نهايته فهرس صغير بالصلوات المذكورة في الكتاب .

١٩ × ١٣ سم ؛ ٣١٢ ص ؛ ١٧ س .

(١) نشر الاب انتاس ماري الكرمللي نسخة من هذا الكتاب بـ (١٤٤) صفحة سنة ١٩١٤ وقد حالت الحرب العالمية الاولى دون اكمال طبعه .

ديوان شعر بالفارسية للشاعر الفارسي عبدالرحمن بن احمد الجامي المتوفى سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢) . وهو من مثنويات هفت اورنگ .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين » :

الهي غنجة اميد بكشاي

گلی از روضه جاوید بنمائي

نسخة نفيسة مزوقة ومطعمة بالميناء بخط فارسي دقيق جميل على ورق عادي ثخين يتخلل هذا الديوان صور جميلة متقنة في الصفحات (١١٣ ، ١١٩ ، ١٧٧ ، ٢٠٠) تشرح قصة يوسف وزليخا .

آخره : « تمت الكتاب بعون الملك الوهاب في تاريخ شهر ذي قعدة الحرام ١٢٠٤ در اردوى كيهان پوى بندگان سليمان نشان قيصر پاسبان خديو زمان وخرو گيتي ستان اقا محمد خان دام اقباله وخلص الله ملكه الى يوم القيامة ... » .

٢١ × ١٣ سم ؛ ٢٩٩ ص ؛ ١٤ س .

للشاعر مكتبي الشيرازي المتوفى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) .

وقد سقطت منه الورقة الاولى فخفي اسم الكتاب .

اول الموجود :

« اي قطرة ابر وذرة ريح

در حلقة طاعت به تبيح »

نسخة نفيسة مزوقة ، مجلدة ومطعمة بالميناء بخط فارسي دقيق وعلى ورق ترمذي ، يتخلل الكتاب ثلاث صور ملونة جميلة في الصفحات (٢٠ و ١٠٩ و ١٦٥) . والنسخة كتبها احمد الحسيني للحاج محمد باقر التاجر الاصفهاني على ماورد في آخر الكتاب .

آخره : « بتاريخ بيست وششم شهر رمضان المبارك سنة ١٢٤٦ سمت اتمام پد يرفت اميدكة مطبوع افتد ... » .

١٥ × ٩ سم ؛ ١٨٤ ص ؛ ١٢ س .

(١) لقد افادنا بعنوان هذا الكتاب والكتاب الذي بعده الدكتور حسين على محفوظ فله منا الشكر الجزيل .

المخطوطات المكتوبة باللغات الاوربية

٥١

آلام يسوع المسيح والزامير وفرض العذراء

تأليف الاب ماري يوسف ليسوع ، رئيس رسالة بغداد للآباء الكرمليين المتوفى سنة ١٨٩٨ . ولم يطبع الكتاب .

نسخة حديثة باللغة الفرنسية : مجلدة ذات ورق ابيض وخط جيد .

١٦٥ سم x ١١٥ سم ١٩٤ س .

٥٢

آلام يسوع المسيح

تأليف الراهبة كاترينه امريك Catherine Emmerich وتعريب الاب ماري يوسف ليسوع رئيس رسالة بغداد الى المار ذكره . ولم يطبع .

والكتاب وان كان بالعربية الا انه بحروف لاتينية : وهو مجلد تجليدا بسيطا وبورق اعتيادي .

١٦٥ سم x ١١٥ سم ٢٦١ ص ١٩٠ س .

٥٣

رحلة حول العالم

هذه الرحلة لشخص مجهول دون فيها باللغة الفرنسية ما شاهده من بلدان زارها في مختلف انحاء العالم ولا نعلم متى قام بهذه الرحلة ولا متى انتهى منها لسقوط ورقة من اولها .

ويؤخذ من عبارة وردت في صدر الصفحة الاولى ان هذا المخطوط قد سرق من مكتبة الابهاء الكرمليين سنة ١٩١٧ ، ثم اشتراه الاب انتناس عام ١٩١٨ واعاده الى تلك المكتبة .

زار المؤلف دولا كثيرة منها ، فرنسا ، المانيا ،

اسبانيا ، ايطاليا ، مصر ، تركيا ، ايران ، الهند .

نسخة حديثة مكتوبة على ورق اسمر ومجلدة تجليدا بسيطا .

١٥٥ سم x ٩٥ سم ١٦٨ ص ١٧٠ س .

٥٤

مجموع تاريخ

باللغة الفرنسية كتب في اواخر القرن التاسع عشر لا نعرف كاتبه ، ويبدو انه لم يطبع .

نسخة حديثة غير مجلدة مكتوبة على ورق اصفر عادي ، ويتضمن :

١ - نظرة اجمالية عن نوح واولاده سام وحام ويافث (ص ١ - ٢٦) .

ب - نبذة صغيرة في تاريخ الريان (في ثلاث صفحات) .

ج - نبذة في تاريخ العرب (في سبع صفحات) .

١٩٥ سم x ١٤ سم ٧٢ ص ٢٩ س .

٥٥

مختصر فلسفة القديس توما الاكويني

الفه باللاتينية الاب انتناس ماري الكرمل المتوفى عام ١٩٤٧ م .

ابتدا به في ٢٠ ايلول سنة ١٨٨٩ م وضمنه تعليقات وشروح باللغة العربية . ولم يطبع . وجعله ابوابا وهي :-

١ - المنطق .

٢ - الطبيعيات .

٣ - الاخلاق .

٤ - ما وراء الطبيعة .

والكتاب مجلد تجليدا بسيطا على ورق اسمر قديم ثخين .

٢٢ سم x ١٨ سم ٢٢١ ص ٢٢١ س مختلفة .

الْعَرَضُ وَالْقَدْرُ وَالْتَعْرِيفُ

المساعد

للأب انتاس ماري الكرمل

تحقيق الاستاذين تورميس عواد وعبد الحميد العلوي

نقد الدكتور

إبراهيم السامرائي

جامعة بغداد - كلية الآداب
قسم اللغة العربية

ونقرأ عنها في معاجمهم^(١) وجدناها مع معانيها المتفرعة منها . ولهذا رأينا في مصنفات السلف اللغوية نقصا بينا ، فآخذنا منذ ذلك الحين بسد تلك الثغرة مدونين ما لا نجد في كتب لساننا . فاشترينا في سنة ١٨٨٣ محيط المحيط للبستاني ووضعنا

(١) عرف عن الأب الكرمل أنه كان ينقر عن فصاح العربية ويستعمل اللفظ الغريب ويترك الشائع الماتوس حرصا على احياء ذلك الغريب المهجور كان يستعمل « نجار » ويترك « أصل » فهو يقول ص ٦٧ : « وقد ذكرنا في جانب كل لفظة نجارها ... » اقول : لما كانت هذه صفة الأب العلامة فمن حقنا أن نقر عن كل ما يستعمله . فالمعجم لدى الأب جمع « معجم » ولا نعرف في العربية « مفعول » بضم الميم وفتح العين يجمع على « مفاعل » والفصح فيه « مفاعيل » فيقال على هذا « معاجيم » ولما كانت هذه غير مستعملة بديل عنها إلى الجمع المؤنث « معجمات » . والمعاجيم مثل المسانيد جمع مسند .

.. ولكن ابن منظور ذكر في لسان العرب (مادة : دنق) أن كل جمع جاء على فواعل ومفاعل يجوز أن يمد بياء . وعلى هذا أيضاً صاحب المصباح المنير . وورد في تاج العروس (مادة : سند) : « وحديث مسند : واحاديث مساند ومسانيد بزيادة التحيبة اشباعاً . وقد قيل أنه لفظة : وحكى بعضهم في مثله القياس أيضاً . كذا قاله شيخنا » . وفي العربية مما جاء على مفعول ويجمع على مفاعل : مصحف (مصاحف) ، ومخدع (مخادع) ، ومجدد (مجاهد) ، ومطرف (مطارف) ، ومضجر (مضاجر) .

[رئيس تحرير المورد]

المساعد معجم من المعجمات الحديثة وصاحبه الأب انتاس ماري الكرمل وهو من اعلام اللغويين العرب في عصرنا وقد حققه وعلق عليه وقدم له الاستاذان الفاضلان مقدمة ضافية بدلا فيها جهدا مشكورا اشتملت على سيرة الأب وعلمه وتصانيفه وما كتب عنه لبيان منزلته الرفيعة في التأليف اللغوي ثم تكلمنا على المعجم المساعد فجاءت هذه المقدمة مشتملة على فوائد جمة . ثم ان الجهد الذي بذلاه كبير جدا في نص الكتاب واثبات حواشيه ومراجعة اصوله . ومن عرف الاصل والطريقة التي اتبعها المصنف في الكتاب ادرك مبلغ الجهد الذي بذله الزميلان الكريمان .

وكان لي ان قرأت « المساعد » قراءة مستطلع مستفيد فوجدتني مدركا العلم الجرم الذي اودعه فيه مصنفه الفاضل كما اعجبت بجهد المحققين الفاضلين . غير اني وجدت ان من خدمة العلم ان اسجل تعليقاتي على نص الكتاب .

ويحسن بي ان اثبت شيئا مما قاله الأب انتاس الكرمل في صفة معجمة هذا كما فعل المحققان الفاضلان .

قال الأب في بحثه الموسوم بـ « معجمنا ، او ذيل لسان العرب » ص ٦٧ :

« منذ اخذنا نفهم العربية حق الفهم ، وجدنا في ما كنا نطالع فيه من كتب الاقدمين والمولدين والعصريين ، الفاظا جمة ومناحي متعددة لا اثر لها في دواوين اللغة ، بخلاف ما كنا نتعلمه من اللغات الغربية . فاننا كنا كلما جهلنا معنى كلمة

ورقة بيضاء بعد كل ورقة مطبوعة فتضاعف حجم الكتاب حالا^(٢) ، واخذنا نقيده فيه كل ما نعثـر عليه ، ثم لاحظنا ان الذي يفوتنا اكثر مما نحرص على التمسك به ، وكنا نعلل النفس بان يتم هذا المجموع عن قريب فنطبعه وسميناه منذ ذلك الحين « ذيل اللسان » لاننا وجدنا معجم ابن مكرم اوفى كتب اللغة التي بأيدينا . ومن الغريب ان صاحب « تاج العروس » الذي نقل شيئا كثيرا من لسان العرب ، فانه قدر عظيم مما جاء في « اللسان » مع ان السيد مرتضى الزبيدي استدرك الفاظا كثيرة جمعها من طائفة من المؤلفين وهي ليست في « اللسان » وذهل عما في هذا السفر الجليل .

ثم يقول بعد ان عرض لطريقته في صنع معجمه: وفي بعض الاحيان نبهنا^(٣) الى الاغلاط التي انزلت الى لغتنا بما دسه بعض الوراقين او النساخين ، او دسه فيها بعض ضعفاء النظر من اللغويين او من الاجانب المتعربين^(٤) الذين افسدوا

(٢) كانه اراد ما نعمله في عامتنا الدارجة اي تضاعف حجم الكتاب بسرعة والا فما اظن الطرف الدال على العاليسة مقصودا في هذا الاستعمال .

(٣) قلت لابد من التنقيح ونحن نقرا ما كتبه العلامة اللغوي ، ذلك اننا نتطلب منه الفصح والافصح . المعروف ان « التنبيه » يعدي بحرف الجر « على » كما استعملها المصنف نفسه في غير هذا المكان اما ان يعدي بـ « الى » لخطا .

والمعروف ان الفعل « نبه » قد يستغرق مفعوله بلا حرف وقد يعدي بـ « على » كما ذكر الدكتور ابراهيم السامرائي ، وقد يعدي بالباء في قولهم « نبه باسمه » اي جعله مذكورا (اللسان : نبه) وقد يعدي بـ « الى » (اقرب الموارد والمنجد : نبه) .

[رئيس تحرير المورد]

(١) وصف الاجانب بالمتعربين غير سديد فهم المستعربون . قال الازهري : المستعربة عندي قوم من المعجم دخلوا في العرب ، فتكلموا بلسانهم ، وحكوا هيئاتهم ، وليسوا بصرحاء فيهم . وقال الازهري : ويكون التعرب ان يرجع الى البادية ، بعدما كان مقيما بالحضر ، فيلحق بالاعراب . ويكون التعرب المقام بالبادية . هذا هو المشهور الفصح قال الشاعر :

تعرب اباي ، فهلا وقاهم من الموت رملا عالج وزرود
الا ان الليث قال : تعربوا مثل استعربوا (كذا) فقط .

ويبدو ان الاب الكرملي هنا على مذهب الليث ،

وليس في ذلك ما يعمده عن السداد وقديما رسخ أبو زيد الانصاري على أن يقال : أعرب الاعجمي وتعرب واستعرب .

[رئيس تحرير المورد]

لفتنا في حين ارادتهم الحسنى لها ، ولا يخفى على القارئ ان ما جمعناه هو « المستدرك على اللسان » ولهذا اسميناه « ذيل اللسان » . اما الالفاظ التي تروى في هذا الديوان النفيس فاننا « لسم نتعرض لذكرها » على اننا تعرضنا في بعض الاحيان لاشياء ذكرها ابن منظور ذكرا ناقصا ، فجئنا نحن واشرنا الى هذا النقص . وكل مرة ذكرنا « ايضا » فهو اشارة الى تنمة ما جاء في اللسان عن تلك اللفظة بعينها .

في هذا الذي ذكره المصنف العلامة عرض للطريقة التي اتبعها في تصنيف « معجمه » وهو انه وضع ورقة بيضاء بعد كل ورقة مطبوعة من « محيط المحيط » ، ولكنه لم يشر الى انه حرر على صفحات « محيط المحيط » تعليقاته واستدراكاته وتصحيحاته ثم زاد عليها بوضع الاوراق البيض . وهذا يعني انه لم يتبع طريقة الجزازات وافراد جزازة او اكثر الى كل مادة من المواد . ونتج عن هذا ان المادة الواحدة توزعت في عدة امكنة وهذا ماوقف عليه المحققان الفاضلان فلقيا منه نصبا .

وقد ذكر في هذا الذي اثبتته فاستغرب كيف ان صاحب « تاج العروس » الذي نقل شيئا كثيرا من « لسان العرب » فانه قدر عظيم مما جاء في « اللسان » .

اقول : وليس من داع الى هذا الاستغراب وذلك لان الزبيدي صاحب « التاج » شرح « القاموس المحيط » وسمى معجمه « تاج العروس من جواهر القاموس » ، وفي هذا الشرح استدراك على ما في القاموس وزيادة عليه . فلم يجعل من منهجه استيفاء ما في « اللسان » ذلك ان موضوعه شيء آخر . وصاحب التاج كما نقل من « اللسان » نقل من « الصحاح » ومن « مفردات الراغب » وغيره من الكتب ، فلم يكن ثمة ذهول منه كما اشار الكرملي .

كأنني احس ان المصنف كان في حيرة من امر هذه المواد المجموعة التي دعيت آخر الامر بـ « المساعد » ، ذلك انه كان يريد ان تكون « المستدرك على اللسان » الذي اسماه « ذيل اللسان » . وكان هذه التسمية لم يجدها مناسبة لانها لا تنطبق على الكتاب في صورته النهائية فسماه « المساعد » .

اقول : حاولت ان التمس سببا علميا او فنيا حدا المصنف الجليل الى هذه التسمية فلم اجد . لم يكن الكتاب ذيل « اللسان » ذلك ان مواد كثيرة من مواد اللسان نقلها المصنف في « مساعده » ، فهو ليس استدراكا على « اللسان »

كما سنتبين ذلك من مراجعة المواد . وهو ليس استدراكا على المعجمات الاخرى كذلك كما سنرى . وهو ليس معجما عاما بحيث انك تفتحه فتلتصق بالمادة التي تريدها باتباع نظامه ، فقد توجس في المادة التي تريدها وقد يخلو منها . فانت لا تستطيع ان تجد فيه مادة « اثم » . وهو يكتفي من مادة « اثم » بـ « المأثم » ويتركه ما عدا ذلك . وهذا ليس لانه مستدركا فقد يستوفى مواد اخرى كل الاستيفاء .

ثم اني لم المح شيئا من خطة ومنهج اتبعهما في تصنيفه فهو مثلا يذكر المواد العربية الفريسية ولا يذكر ابن وجدها احيانا ثم لا يذكر كيف استعملت احيانا في حين انه يورد احيانا المادة العربية وهي مستعملة في نص من النصوص . وقد يورد اللفظ العامي الدارج ولكنه لا يستوفى هذه الالفاظ العامة بحيث يكون ادخالها في المعجم من منهجه ، كأن يذكر « آجغ » فيقول : « هي عند اهل بغداد من العامة كالفاهي وكتاهما بمعنى الواضح غير المشبع من الألوان .. »

يذكر هذا ولا يذكر ما جاء من العامي الدارج مبدوءا بالهمزة غير هذه الكلمة مثل « آيري » . ثم ان قول « عند اهل بغداد من العامة » قيد في استعمال هذا اللفظ فهو معروف مستعمل في عامية حواضر عراقية اخرى .

ولا ادري كيف يستخدم الاب وهو اللغوي الضليع من العربية لفظ « الفاهي » وهو من العامة العراقية ولا يعرفه غير العراقيين من العرب (**) . ان « الفاهي » في لغة عامة العراقيين لناقص الملح من الاطعمة المطبوخة او للالوان غير الغامقة اي ما ندعوها في ايامنا فاتحة . وما اظن ان شيئا من هذا يصح ان يدخل في معجم علمي وذلك لجهل غير العراقيين من العرب بهذه الكلمة فضلا عن انها عامية فهي ليست من مادة « فها » الفصيحة التي هي مقلوب « هفا » ، كما انها ليست من « فه » لان الفهاهة شيء غير هذا (***) .

(*) لم يكن الاب الكرمللي نسيج وحده في هذا المضمار ، فقد سبقه الى هذا الاستخدام السيد مرتضى الزبيدي في تاج العروس .. عندما ذكر الفاظا عامية مصرية لا يعرفها غير المصريين من العرب .

[رئيس تحرير المورد]

(**) ان مادة (فه) في (لسان العرب) لا تؤيد =

وهو ينقل معربات كثيرة وردت في معجم آخر هو « مفردات ابن البيطار » وهو كتاب مطبوع ، فكان ينبغي له ان يشير الى هذا الكتاب (**) فاذا وجد زيادة في التعريف ذكرها مؤيدة بالنص . ان « المستدرك على لسان العرب » او « ذيل لسان العرب » لا فائدة به اذا كانت هذه المواد المستدركة واردة في معجم قديم كمفردات ابن البيطار او المعرب للجواليقي . وينبغي ان نتخذ نموذجا من « المستدرك على المعجمات العربية » الذي صنعه دوزي المستشرق الهولندي ، ولذلك سسماه « التكملة » كما سمي الصاغاني (٥) كتابه الذي اكمل به المعجمات في ايامه « التكملة » . ان المستشرق الهولندي قد صنف « ملحقه » من المواد التي وجدها في النصوص القديمة ولم يجدها في المعجمات .

ومن الحق ان اقول ان ما وجده المصنف الاب العلامة من المواد مستعملا في كتب التاريخ والادب وغيرها وضبطه و اشار اليه من اجل الاعمال وهو مستدرك بحق ، وذلك لان اصحاب الدواوين اللغوية لم يسيروا الى تلك المعاني المستحدثة التي عرفت في عصر من العصور كما سنرى من مراجعتنا للمواد .

ثم ان ذكر المصنف لما يقابل تلك المعربات او المستحدثات في اللاتينية او الاغريقية من الاعمال المفيدة وان كان قد سبقه اليها المستشرقون .

ثم ان القول بان مادة من المواد العربية من اصل يوناني او لاتيني او شيء اخر ينبغي الا يلتصق

= منزع الدكتور السامرائي ، فقد جاء فيها : « فهفه : اذا سقط من مرتبة عالية الى سفلى » اي اخذ سبيله الى النقص ، سواء اكان هذا النقص في ملح الطعام ام في التدرج اللوني . [رئيس تحرير المورد]

(*) هذه المعربات التي اوما اليها الدكتور السامرائي نسبها الاب الكرمللي الى ابن البيطار دون ان يذكر كتابه ، وهذه النسبة وحدها تفني عن الاماع الى مفردات ابن البيطار .

[رئيس تحرير المورد]

(٥) هو الحسن بن محمد الصفاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ الذي سمي كتابه « التكملة والذيل والملة » وهو ما استدركه على « الصحاح » طبع منه جزوان (مجمع اللغة العربية في القاهرة) .

بسرعة من غير استقصاء واستقراء(*) ، لأن ذلك محتاج الى دليل ونص تاريخي ولا يتأتى ذلك بالنظر الى مشابهة اصوات كلمة ما من العربية باصوات اخرى من لغة اعجمية . لا استطيع ان ادرك ان مادة « ادب » وهي قديمة متشعبة المعاني فيها آتية من الكلمة اليونانية Édupés وهي تعني في اليونانية الطيب والمُنْذِب واللذيد .

اظن ان تجربة « ادى شير » صاحب « الالفاظ الفارسية العربية » وتجارب الآخرين ومنهم طائفة من الالباء النصارى غير موقفة ، لانهم جأروا على العربية ، فقد زعم غير واحد من هؤلاء الالباء الموقرين ان « كتب » و « قرا » من المواد السريانية وهي دخيلة في العربية . ولا ادري كيف فاتهم ان هذه المواد العربية هي سامية الاصول فوجودها في العربية والسريانية والعبرانية والاكدية الاشورية وغير هذه من اللغات السامية امر طبيعي تؤكد الحقيقة التاريخية من وجود اللغة السامية الام .

على اني لا انكر ان يكون في العربية دخيل معرب اقتبسته العربية في عصور مختلفة من لغات عدة لسبب من الاسباب . وقد اشار الى ذلك القدماء والمحدثون .

ولنرجع الى « المساعد » لاقول لم اختير هذا الاسم بعد ان تبين لنا انه ليس ذيلًا للسان العرب وليس مستدركا على المعجمات العربية قديمها وحديثها لانه لا يستوفي الاستدراك . وليس

(*) المعروف ان « المساعد » هو حصيلة الدرس اللغوي الذي كابده الاب الكرملى بصبر جميل . وبعيداً عن اطار « المساعد » اضاء الكرملى للناس ما كان يعنيه بمنبت اللفظة العربية عندما تكون لها وشيجة بلفظة يونانية او لاتينية . . وذلك في اكثر مؤلفاته الاخرى ومقالاته الصحفية . وكفى بالقاريء قناعة ان اضع بين يديه ما ذكره الكرملى في ص (٤٣٠) من كتابه (اسرار الجموع والموازن - المخطوط) حيث قال : ان ثمانية اعشار الكلم اليونانية مأخوذة من العربية . وقال ايضاً : . . ومن اغرب ما وجدته ان اليونانيين قد ياخذون مادة كلمة من العرب ، ثم يعود العرب بعد زمن مديد فيأخذون من تلك المادة المتيوتنة الفاظاً يدخلونها في لغتهم .

[رئيس تحرير المورد]

تصحيحاً لـ « محيط المحيط » لانه يصحح حيناً ويهجر الموضوع صفحات طويلة من المصنف . وليس لي ان اقول الا ان لفظ « المساعد » يعني انه « مفيد » افادة اي كتاب نرجع اليه . ثم بعد هذا العرض وبيان الفجوات في هذا المعجم من حيث عدم الاستيفاء وعدم ذكر كل شئ كما انه ليس مستدركا اجدني ميلاً الى انه ليس « معجماً » بل هو كتاب لغوي يصح ان اسميه « فوائد معجمية » او « تعليقات معجمية » . .

على اني اعود فاقول ان هذا لا يقدر من قيمة الكتاب ومنزلته ومقدار العلم الذي اوعبه مصنفه العلامة الكبير فيه . ثم اكرر ما قلت في بداية هذا البحث من ان المحققين الفاضلين قد اخرجوا منه كتاباً جم الفوائد بما بدلاه من جهد صادق في تنظيمه .

ولابد ان اعرض لمادة هذا المصنف البارع فاقول :

قال المصنف الاب انتاس الكرملى :

١ - الالف هي الحرف الاول من حروف المباني وحروف الجمل . ويقال بالعبراني والسرياني اليه انتهى كلام المصنف .

اقول : قوله : « هي » الحرف الاول اشارة الى كلمة « مادة » فهو يريد : مادة الالف هي الحرف الاول . .

وقوله : يقال لها بالعبراني والسرياني اليه . احسب ان الزميلين لم يستطيعا قراءة خط المصنف على الوجه الصحيح .

فالصواب ان « الالف » وهو الاسم في العربية يقابله آلف بالعبرانية وآلف بالسريانية وانا واثق ان المصنف الجليل قد اراد هذا الا ان الخط قد حجب الحقيقة(*) .

٢ - الارغيس

قال ابن البيطار : اسم بربري وهو قشر اصل شجرة البرباريس انظر المفردات ٦/١ اقول لم يزد المصنف على كلام ابن البيطار شيئاً فكان ينبغي ان يجتزىء بالاشارة اليه :

(*) باعتباري احد محققي « المساعد » اقول اننا استطعنا قراءة خط الكرملى على الوجه الصحيح ، ولم نجد الرسم الذي اقترحه الدكتور السامرائي لكلمة « اليه » وانما وجدنا الكلمة كما نشرناها .

[رئيس تحرير المورد]

ومن المفيد ان اوجز فاقول : ان هناك
الفاظا كثيرة نقلها المصنف من « مفردات ابن البيطار »
وزاد على مادة ابن البيطار ذكر ما يقابلها باللغة
اللاتينية واللغة الفرنسية ، وهو شيء حسن لو
اوجز فيما نقله واكتفى بالإشارة اليه .

٣ - الأب

علم للانوسوم الاول
وقد قال ابو الفداء في تاريخه « ١٤/١ » من طبعة
الاستانة : « تؤمن بالله الواحد الأب مالك
كل شيء »

وهذا من فضائل هذا المعجم اي انه يترصد
مواده من النصوص المعتمدة وبذلك اضاف مادة
معجمية لا نعرفها في المعجمات .

٤ - الابنوس

وهو شجر ...

اقول جمع المصنف في هذه المادة ما ذكره
« الفيومي في « المصباح المنير » وما ذكره البستاني في
« محيط المحيط » ، وما كتبه الشرتوني في « اقرب
الموارد » ونبه على ان مادة « اقرب الموارد » من
« المصباح المنير » لكن الشرتوني لم يشر الى ذلك .
ثم ذكر ما ورد في « البستان » ، وما ورد في « تاج
العروس » وما ورد في « اللسان » .

وزاد على ذلك بان الابنوس ورد في سفر
حزقيال ١٥/٢٧ كما في الترجمة البروتستانية .
وبعد كل هذا ايجوز لنا ان نعد « مساعدنا » « ذيلنا »
لللسان العرب ؟ والذي اراه ان تكون الاضافة التي
جاء بها المصنف من سفر حزقيال وحدها مادة
هذه الكلمة ثم يشار في الحاشية الى المادة
في المصادر المختلفة التي اشرنا اليها .

٥ - أبولونيوس

اقول : اوضح المصنف اصل هذه المادة
وعلاقتها بـ « بليس » كما في « اخبار الحكماء »
ص ٦٥ . وفي خلال شرحه قال : (راجع معلمة
الاسلام) .

وبودي ان اعلق على هذه الكلمة التي كانت
موضوع مقالات عدة في مجلة لغة العرب شارك
فيها الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله - وفي
هذه المقالات انكر الاب الكرمل كلمة « دائرة
معارف » وكلمة « موسوعة » وشاركه في رايه
الدكتور مصطفى جواد . ثم عاد الدكتور مصطفى
جواد فاستحسن « دائرة معارف » في كتابه
« المباحث اللغوية في العراق » .

اقول : ان « دائرة معارف » خير من « معلمة »
هذه المشتقة المصنوعة الجديدة . لقد ذكر الدكتور

مصطفى جواد في « كتابه » من النصوص القديمة
ما يشير الى ان كلمة « دائرة » استعملت في معنى
قريب من المعنى المراد في عصور سلفت .

ولكني اعود فاقول : انهما انكرا « الموسوعة »
لأنها تخالف الحقيقة ، فهي « واسعة » للعلوم
والفنون والآداب لا « موسوعة » ، وكان ينبغي ان
تكون بزنة اسم الفاعل . وهذا صحيح ، ولكن
« الموسوعة » لا تعدم وجها من الصواب في
العربية ، فالعلوم في « الكتاب » هي « الموسوعة »
فيه ، قال تعالى : « وسع كرسيه السموات
والارض » (٦) فالكرسي هو الواسع والسموات
والارض موسوعة فيه .

٦ - آتوس

قال المصنف : جبل مشهور بعباده ويسميه
نصارى العرب الجبل الاسود (Mont Athos)
اقول : ايجاز المصنف في هذه المادة منخل في حين
انه اسهب في مواد معروفة لا تستحق اطنابا ورد
في كلام الاب المصنف عليها . قال : جبل مشهور .
اقول ان هذه الشهرة لا علم للقاريء العربي غير
النصراني بها ، فما الجبل ؟ واين يكون ؟

٧ - الأجع

سبق الكلام عليه في هذا البحث .

٨ - آشي

بلاد في الجهة الشمالية من جزيرة
صومطرة ...

اقول : من المفيد ان يشر الى البلدان
التي لم ترد في كتب البلدان .

٩ - آقجة

كتبها المصريون ولفظوها « اتشا » وهي كلمة
تركية معناها : الضارب او الضاربة الى البياض .
وهي نقد صفيتركي عرف في مصر والعراق ...
اقول : حسن ان يذكر هذه الالفاظ العامية
لو كان ذكر هذا النوع من الالفاظ من نهج
المصنف في « معجمه » ، ولكني لم أجده يستوفي
الكلمات العامية المبدوءة بهذا الحرف فاين مئات
الالفاظ من ذلك .

١٠ - الآل

المعروف ان السراب هو ما تراه نصف النهار
واما ما تراه في اول النهار وآخره فهو الآل .
والسراب يقابل اللفظة الفرنسية Mirage .

اقول : ان الذى ذكره المصنف تلخيص
وايجاز لما هو في المعجمات العربية ولم يرد المصنف
الا ذكر المقابل الفرنسي الذي يجده الشدة في أي
معجم صغير عربي فرنسي .

١١ - آتون كوبرى

أي جسر الذهب

اقول : والمادة استغرقت نصف الصفحة .
وهي مدينة عراقية واهلها يتكلمون العربية
والكردية والتركمانية . وعلى أن المصنف تكلم كثيرا
على هذه المادة الا انه اغفل بيان موقعها ليفيد من
ذلك غير العراقي في الاقل .

اما قوله : أي جسر الذهب وهو اسم
الشعبة العليا من الزاب الاصفر فقير كاف .

١٢ - الآهون

اسم امام الجامع في لغة مسلمي الصينيين
وهي مأخوذة من آخند الفارسية

ويحتمل ان تكون الفارسية من اليونانية
Arkhn وفي العربية « أركون » « فخفت » .

اقول : ان قوله : « ويحتمل ان تكون
الفارسية من اليونانية » حسن ومفيد
وهذا يعني أن علما اكيدا لا يشير الى هذه
المقولة .

وقوله « أركون » في العربية . كلام
موجز ايجازا مخلا بالكلمة غريبة مفتقرة للايضاح
وبيان المصدر الذي وردت فيه . ومن المفيد
ان اشير ان « أركون » من الاعلام لدى البربر
من الجزائريين في عصرنا .

وكان من المتوقع ان يعرض لمادة « آهين »
لنوع من المعادن بعد « آهون » ولكنه اغفل
ذكرها . ومن اجل ذلك قلت انه لم يلتزم بخطة
واضحة ونهج سليم (*) .

١٣ - الآين

او الآين وهي امور التشريفات ومراسيم
الحفلات . وفي معجم الادباء لياقوت ٤٩٢/٥ كتاب
يعرف بالتذكرة لابن مسيلمة

آين نامہ او آئین نامہ قال المسمودي في
« التنبيه والأشراف » تفسير آين نامہ : كتاب
الرسوم وهو عظيم

(*) لقد ذكر الأب الكرملی لفظة « آهين » في مادة
« آهن » .. وسيراها القاريء في الجزء الثاني
من « المساعد » .

[رئيس تحرير المورد]

اقول : فات المصنف ان يذكر كتاب
« الآين » لابن المقفع المتوفى ١٤٢ هـ الذي نقل
عنه ابن قتيبة في « عيون الاخبار » نقولا كثيرة .
وقد ذكره ابن النديم في الفهرست .

ومن المفيد جدا ان يسجل المصنف
المستحدثات اللغوية ذات الدلالة الحضارية ، ولكن
قوله : « امور التشريفات ومراسم الحفلات »
غير سديد لان التشريفات من مصطلح عصرنا
الحاضر ، وهي قد تكون غير معروفة في اقطار
عربية غير العراق في حين ان الكلمة قديمة
ولها حيزها القديم فينبغي ان يستعار لها من
اللفظ للتعريف بها ما كان لها في العصور
التاريخية .

ولا ادري ما المراسم ؟ ان كونها على
« مفاعل » يشير الى انها جمع مرسوم . وهي مما
استعاره العثمانيون من العربية . ومن غير شك ان
المؤلف يريد ان تكون جمع « مرسوم » فالاولى ان
تكون « مراسيم » . ان الاستعمال التركي للمراسم
هو الذي ولد الفاظ الرسمي والرسمية
والرسميات . والمصطلح القديم « الرسوم » .
ومن اجل ذلك كان كتاب هلال الصابي « رسوم
دار الخلافة » (٧) .

١٤ - الاب

المقر الرئيسي الذي تتعلق به عدة مواطن
Centre وجاء ايضا بمعنى المثال الذي
يحتذى به Type ويقال في المونث في معنى ذلك
كله الام Maison Centrale, Plante type
انتهى كلام الاب .

اقول : لولا ان المصنف العلامة قد ذكر المقابل
الفرنسي لضلت المراد من انص العربي الذي
اثبتته ، ذلك اني ما اهتمت الى مدلول معنوي
يعبر عنه بـ « الاب » او « الام » .

(٧) فاني ان اذكر ان « الآين » ورد في كتاب « التاج » المنسوب
الى الجاحظ في الصفحات ١٩ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ٧٧ جاء
في ص ٢٠ قوله في الكلام على يزيد بن عبد الملك : واستخف
بآين الملكة والآن للندماء في الكلام ... وجاء في حاشية
ص ١٩ : قال السيد صديق حسن خان في « لف القمط
في تصحيح ما تستعمله العامة من العرب والدخيل والمولد
والانلاط » ما نصه : آين بمعنى العادة . واصل معناه
السياسة المسيرة بين امرأة عظيمة . اعجمي عربي
المولودون . هذا كله حاشية الحق احمد زكي باشا .
وجاء في الكتاب اللغوي ٢٧٢/٣ في تفسير سورة
النمل : « وعن الاسكندر انه اشهر عليه بالبيات فقال :
ليس من آين الملوك استرالى الظفر » .

ثم كان من الواجب ان يستدل على اثبات هذا المعنى بذكر مظنة واحدة ورد فيها الاستعمال في الاقل .

ومن المفيد ان اشير الى ان «المقر» يوصف بـ « الرئيس » على فعيل هو الصواب ، اذ لو كان المقر منسوباً الى الرئيس لجاز ان يوصف بـ « الرئيسى » . ان « الرئيس » في هذا التركيب الوصفي لا يتصل بمنصب رئاسة البتة ، بل يعني « الاول » و « المقر الرئيسى » كما اراد المصنف هو المقر الاول او المركزي باصطلاح عصرنا . وعلى هذا كان « الرئيسى » اصوب من « الرئيسى » .

١٥ - الاباء

غير ممدود : القصب

اقول : لما كان الشكل مثبتاً فلاشارة الى انه « غير ممدود » غير سديدة وذلك لان الاولى ان يقال : مهموز بدلا من « غير ممدود » . ان الشكل يدفع اللبس والوهم فلا يتقرا المهموز ممدودا .

١٦ - الاباء

الكلأ الذي تعتلفه الماشية ..

اقول : لقد استوعبت هذه المادة اكثر من نصف صفحة من المعجم اتى فيها الاب المصنف على الكلمة في اللغات السامية ، ثم عند اليونان والفرس وكأنه اراد ان يقول ان الكلمة تنظر الى ما يقابلها في هذه اللغات . لقد ابتدا هذه المادة بما ذكره الشرتوني في « اقرب الموارد » وهو من اهل هذا العصر ، ثم اتى بقول ثعلب ، ثم عقب على ذلك بما هو معروف في عدة لغات سامية .

اقول : لو انه نظر في « لسان العرب » وفي كتب التفسير لابتدا بالاية الكريمة « وفاكهة وابنا » . قال ابو حنيفة : سمي الله تعالى المرعى كله ابنا . وقال الفراء : الاب ما تاكله الانعام . وقال مجاهد : الفاكهة ما اكله الناس ، والاب ما اكلت الانعام ، فالاب من المرعى للدواب كالفاكهة للانسان . ثم ياتى كلام ثعلب الذي اجتزا به الاب المصنف من بين الاقوال القديمة جميعها وهو : كل ما اخرجت الارض من النبات . وفي حديث انس : ان عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - قرا قوله ، عز وجل : وفاكهة وابنا ، وقال : فما الاب ، ثم قال ما كلّفنا وما امرنا بهذا .

ترك المصنف جميع هذه المادة ولم يذكر

الاية وهي اقدم نص في هذه المادة ، ولم يشر ولو بالاحالة الى هذه الفوائد الموجودة في كتب التفسير وفي « لسان العرب » .

١٧ - الاباء

الاجمة من القصب والجمع اباء (لسان العرب في : ا ب ا)

اقول : هذه الاحالة على لسان العرب بعد ذكر الموضوع بايجاز هو المنهج السديد الذي يتبع ، ثم يذكر بعده الفوائد الاخرى التي لسم ترد في كتب اللغة القديمة وهذا ما فعله الاب المصنف .

١٨ - الاباء

الاشتياق الى الوطن وهي تقابل Nostalgie
اقول : ان الاب اوجز المادة القديمة ايجازا مخلا ، فالذي نعرفه ان الاب (بتشديد الباء) هو النزاع الى الوطن . واب الى وطنه يؤب ابنا وابابة : نزع ، والمعروف عند ابن دريد الكسر ، وانشد لهشام اخى ذي الرمة .

واب ذو المحضر البادي ابائه

وقسّوت نية اطناب تخيم

ان المصنف الجليل قد اوجز هذه المادة ايما ايجاز ولم يتدرك عليها شيئا الا القابل الفرنسي .

١٩ - ابنت

يقال ابنت اليوم اشد حره ، وابنة القصب : شدته وسورته . وابنت مخفف حمت انتهى كلام الاب .

اقول : ان هذه المادة جاءت وافية طويلة كثيرة الفوائد في « اللسان » اما ما ذكره الاب فهو اختصار شديد لما في « اللسان » . وكان على المصنف اما ان يذكر المادة كما وردت في « اللسان » او ان يشير الى ما في « اللسان » ويزيد عليه ما وجده من الفوائد ليكون « المساعد » ذبلا للسان .

٢٠ - ابند

وفي هذه المادة جاء المصنف بـ : ابند وابنده وتابند الآيد والابدة والابند الى آخره . وقد ذكر في « ابند » و « تابند » معاني لم نرها في المعجمات القديمة . وهذا شيء حسن ولكنه يفتقر الى ذكر النصوص التي وردت فيها هذه المعاني ، ومن حق القارىء ان يطالب المصنف بهذه الفوائد الضرورية . ولقد فعل هذا في « الابدة » فجاء

بنصوص وردت في « نهاية الارب » و « صبح الاعشى » ، وهذا عمل معجمي نافع .

٢١ - ابدأ

قال المصنف لا آتيك ابدا اي لا آتيك الى آخر حياتي ، ومثله عوض قال الاعشى :

عوض لا نتفرق (راجع : تاج العروس في سح) . وابدأ تأتي بعد الفعل المستقبل (المضارع) و « قط » بعد الماضي وقد يعكس .

اقول : صنع المصنف مثلا على طريقة النحاة وتخلص منه انى قاعدة في الاستعمال ، كانه اراد ان يقول ان ابدا تأتي بعد النفي للفعل المستقبل . والذي اعرفه ان « ابدا » ظرف زمان لا يقتصر استعماله على ما ذكره الاب في معجمه .

ثم زاد الاب هذه المادة فنقل فيها عن الدكتور مصطفى جواد .

قال مصطفى جواد : وتأتي ابدا بعد الفعل الماضي المتضمن للقسم والدعاء والاستقبال كما في قول بشار (الاغاني ٨٨/٣) ، لا تعرضت لهجاء سفلة مثل هذا ابدا .

وبعد « ليس » كما في قول ابي طالب في « شرح نهج البلاغة » لابن ابي الحديد ٣٠٩/٣

فيندم بعضكم ويذل بعض
وليس بمفلس ابدا ظلوم

ولا مانع من استعمالها بدلا من « قط » كما في قول ابي الهندي :

ابا الوليد اما والله لو عملت
فيك الشمول لما حرمتها ابدا

وقال ايضا : جاء في « مختار الصحاح » : « لام التعريف ساكنة ابدا » .

ثم أتى بجملة من « المحاسن والاضداد » وبيتا فيه غير منسوب ، وبيت اخى عمرو بن ود ترثيه :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله
بكيته ابدا ما دمت في الابد

انتهى كلام الدكتور مصطفى جواد .

اقول : هذا الذي ذكره مصطفى جواد لم يكن كافيا ان يصنع منه قاعدة نحوية . . لقد ذكر انه يأتي بعد الفعل الماضي المتضمن للقسم والدعاء والاستقبال . وقد جاء قول بشار شاهدا على الدعاء والاستقبال فإين القسم ؟ ثم ورد بعد « ليس » ، فكان عليه ان يقول ان

« ابدا » تأتي بعد النفي للمستقبل . وهذا ما دلت عليه الشواهد التي عثر عليها .

ان القاعدة النحوية ينبغي ان تؤخذ من استقرار واف لنصوص كثيرة . وما اظن من السداد ان تصنع القاعدة النحوية في « ابدا » ولا يخطر ببال هذا المستقري للقاعدة ان الكلمة وردت في ٢٨ آية من القرآن الكريم . وفي هذا القدر العظيم من النص القرآني وهو اقدم ما نعرف من النصوص واثقها ما يعضد القاعدة التي أتى بها كل من الاب الكرملی والدكتور مصطفى جواد وما ينقضها .

قال تعالى : « ولن يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم » (البقرة ٩٥) جاءت « ابدا بعد الفعل النفي الذي خلص الى المستقبل » .

وقال تعالى : « خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم » (التوبة ٢٢) جاءت « ابدا » في حشو الجملة التي تفيد المستقبل مع السدوم والاستمرار .

وقال تعالى : « ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره » (التوبة ٨٤) وفي هذه الآية جاءت « ابدا » مع الماضي المنقطع وهو « مات » .

وقال تعالى : « قال ما اظن ان تبید هذه ابدا » (الكهف ٣٥) وفي هذه الآية وردت مع الفعل المستقبل .

وقال تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا » (انور ٢١) وفي هذه الآية جاءت « ابدا » في حشو الجملة الماضية .

وقال تعالى : « لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا » (الحشر ١١) وفي هذه الآية جاءت ابدا في جملة القسم والفعل من غير شك مستقبل . وكان على الدكتور مصطفى جواد ان يستدل بها على جملة القسم .

وقال تعالى : « وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا » (المتحنة ٤) وفي هذه الآية جاءت ابدا مع الزمن الماضي .

وقد اجتزأت بهذا القدر من الايات التي استعملت فيها « ابدا » استعمالات عدة لا اجترى ان استنتج منها قاعدة نحوية لتباينها وبكفي ان اعرضها ليستدل بها في الاستعمال .

اقول : ليس من سداد المنهج ان يكتفى بابيات شعر وتطوى شواهد آيات محكمات .

قال : وردت في لسان العرب بصورة «أبيد» (على التصغير) والذي في تاج العروس «أبيد» أما القاموس وسائر معاجم (كذا) الاقدمين فبصورة «أبيد» وهو المحيط والاقيانوس . وهو نبات مثل زرع الشعير وله سنبلة ..

ثم ذكر ما يقابلها بالفرنسية واللاتينية « وهذا من اضافات الاب المفيدة .

اقول : ان ما جاء في تاج العروس «أبيد» هو مصحف وما اكثر التصحيف والتحريف في « تاج العروس » (الطبعة القديمة) .

المخلد .

اقول لماذا لها مادة وهي تتصل بـ «أبد» المضعف الذي ذكره في اول المادة قبل ان يأتي الكلام على «أبدا» الظرف .

قال المصنف عربيته الثفال . ويراد بالابريق كل اناء يستعمل للماء وغيره ،

اقول : كان ينبغي ان ينص على انه معرب وقد ذكر في «المعرب» للجواليقي وغيره من الكتب وفي معجمات العربية وكان ينبغي على المصنف ان يشير الى الاضافات التي جاء بها وحدها .

ثم انه قال : وعربيته الثفال . وكان عليه ان يذكر الشيء بصورة المختلفة . جاء في «ثفل» من «اللسان» : وانثالة الابريق . وفي حديث ابن عمر ، رضى الله عنه : انه اكل الدجر وهو اللوباء ثم غسل يديه بالثفالة . وهو في التهذيب الثفال . قال ابن الاعرابي : الثفال الابريق ، وذكره ابن الاثير في النهاية بالكر والفتح .

قال المصنف : عند اللغويين ذكر السلاحف وهو اترق والفيلم ..

ثم تكلم على هذا الحيوان كلاما طويلا فيه كثير من الفوائد العلمية وقال : فالمراد بالابس ومثله الحمس (وهذه لفظة في الاولى او ان الاولى لفظة في الثانية) ضرب من الزحافات من رتبة السلاحف

ثم قال : وطعام الحمسة الخيوانات الحبة كصغار الضفادع والاسماك

اقول : لا شيء على هذه المادة الثرية بفوائدها الا لفظ «الخيوانات» . فالذي اعرفه وثقفته في كتب انصرف ان الواو تمل فتقلب ياء وذلك

اذا اجتمع ياء وواو وكان الاول منهما ساكنا قلب الواو ياء وادغم في الياء نحو سيد واسئها سينود . ولولا ان الكلام على معجم مهم لمالم جليل لضربت عن هذه الدقائق صفحا . وعلى هذا فالصواب الحينات .

الأبس مادة طويلة كثيرة الفوائد ، وهي احدى المواد الكثيرة التي جعلت من «المساعد» كتابا نفيسا . ولكن اتساءل كيف جاء ترتيبها بعد التلوة بياء أي بعد «الابستا» وكان حقها ان تكون مع الكلمات البدوءة بمد اي انه همزة تليها همزة ومكانها بعد «آب» . غير ان المصنف الفاضل لم يراع الضبط انتام في الترتيب فقد خرج على النظام مرات .

تكلم المصنف على هذه المادة كثيرا ورد على المشرقين قولهم : انه معرب ديابلس Diablos من اليونانية وقال : ان الفرق بين ديابلس وابليس ظاهر لا يخفى على بصير .

اقول : يذهب المصنف العلامة الى هذا الإنكار مع انه قال في اشياء مثل هذا مع وجود الفرق الظاهر والا كيف تكون «أدب» وهي كلمة شبيهة ثرية المعاني من اليونانية edupé وتعني الطيب او العذب او اللذيذ !

قال المصنف : قد تحذف منها الواو لضرورة الشعر كقوله :

بأبه اقتدى عدى في الكرم

ومن يشابهه أبه فما ظلم

اقول : ليس حذف الواو من «أبو» لضرورة الشعر فبؤ لفة وهذه اللفة تعنى حذف الواو والالف والياء والاعراب بالحركات الظاهرة على الباء وكذا على الخاء من «أخ» والميم من «حم» والى هذه اشار ابن مالك في الفيته :

وفي أب وتاليه ينسدر

وقصرها من تقصهن اشهر

اي ان هذه اللفة التي اشرنا اليها قليلة . والشاهد على هذه اللفة البيت المتقدم وهو لرؤبة بن العجاج .

اقول : هو شاعر من اهل المجون والتحامق

(٨) انظر «أبو العبر» مقالة للدكتور يزوق فرج يزوق في مجلة الجامعة المستنصرية العدد الثاني ١٩٧١ .

والفكاهة وهو ابو العباس محمد بن احمد المعروف
بحمدون الحامض عاصر من الخلفاء الرشيد
والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وادرك
ايام المستعين .

الا ان المصنف ذكر في هذه المادة مقالة موجزة
لاحمد زكي باشا نشرت في المقتطف (٤١/٤٣٨) تكلم
فيها صاحبها على ابي العبر هذا . ثم ختمها
المصنف بقوله : « وقد علمنا من صاحب تاج
العروس ان اسمه احمد بن محمد بن عبدالله بن
عباس الهاشمي » ثم احال على مجلة لفة العرب
٦ (١٩٢٨) ٢٢٩ .

اقول : لا ادري لم اقتصر المصنف على
التعريف باسم الشاعر على « تاج العروس » ، فكان
الترجم مجهول الترجمة ، وهذا ما يوحيه الى
القارئ . ان الشاعر مترجم وله اخبار في :

عيون الاخبار ٢٤٩/٣ : اشعار اولاد
الخلفاء ٣٢٤ ، الاغاني ٢٠/٢٢٥ : جمع الجواهر
٦٧ ، غرر الخصائص الواضحة ٣١٠ : نوات
الوفيات ٢/٣٥٥ ، الوافي بالوفيات ٢/٤٢ ، الفيت
المجم ٢/٢٧١ .

ثم ان الاب الكرمللي قد ذكر في مجلة لفة
العرب انني اشرنا اليها رايا غريبا وهو ان كلمة
opéra الفرنجية تقابل عبرة العربية وقد
دخلت هذه الكلمة العربية في اللغات الاوربية عن
طريق الايطاليين لان العرب كانوا قد احتلوا جنوب
ايطاليا وتكلموا لغتهم فدخلت هذه الكلمة مع كثير
من الكلمات العربية في اللغة الايطالية .

٣٠ - تأتي منه او عنه بمعنى اتى او حدث
او حصل منه او صدر او نبع او نشأ او تولد منه
غير عربية اذ لم يذكرها اصحاب « المعاجم » .
(كذا) .

اقول : قد تكون الكلمة غير موجودة في
« المعجمات » ولكن ذلك لا يقدح في عروبتها ،
فقد عرفنا ان استقراء اصحاب المعجمات للعربية
ليس بالشافي ولا الوافي . ذلك ان كثيرا من المادة
اللغوية لا نجدوها في المعجم ولكننا نجدوها في النصوص
الموثوقة كما اثبت المصنف في « المساعد » وكما اثبت
غيره من اصحاب المعجمات الحديثة . ان الذهاب
الى ان هذه الكلمة او تلك غير عربية ينبغي ان يحصل
بعد استقراء واف للنصوص ، وهذا شيء يقرب
من المستحيل . وخير دليل على ما اقول ما
ذهب اليه المصنف الجليل من ان هذه الكلمة
نفسها غير عربية لان اصحاب « المعاجم » لم

يذكروها في حين انها وردت في لامية الاعشى
المشهورة وهو قوله :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة

اذا تاتي يكاد الخصر ينخزل

٣١ - مؤثفة

امراة مؤثفة اي لزوجها امرأتان سواها
وهي ثالثها شبهت باثافي القدر ...

اقول : كان ينبغي ان يشار الى « مثفاة » وهي
في المعنى نفسه : ومثفاة من « اثفية » .

٣٢ - الاجاص

قال المصنف : يسمي عوام ببغداد الاجاص
prune عنجاصا ... ثم قال : ويقلب البغداديون
عنجاصا ثم قال : ويقلب البغداديون
الهمزة عينا فيقولون عجاصة ثم اقحموا بين العين
والجيم نونا فقالوا عنجاصة .

اقول : وليست النون مقحمة بين العين والجيم
بل ان النون تتولد من فك ادغام الجيم
وابدال النون بالجيم الاولى . وهذه مسألة
صوتية نعرفها في باب الادغام . والابدال عادة
يكون بالنون او يكون بابدال الباء باحد حرفي
الادغام مثل اما وتكون ايما ، قال الشاعر :

ايما الى جنة ايما الى نار
وكذلك الفنان والفنان .

٣٣ - الاجل

مما قال المصنف في هذه المادة : « وفي تاج
العروس (مادة : قرر) « والشمس تجري
لمستقر لها »

اي لمكان لا تجاوزه وقتا ومحلا . قيل لاجل
قدر لها .

اقول : كان الاولى ان ينص على ان ما جاء
في تاج العروس آية من سورة يس وقد فات
المحققين استدراك ذلك .

٣٤ - اجم

جاء المصنف في هذه المادة بشيء من « لسان
العرب » وزاد عليها ما توهمه من اليونانية وهو
Agnos على ابدال الميم بالنون . ثم افرد مادة
للأجاسي وهو الطائر الذي لا يفارق الأجسام
كالطيور ، ثم عاد فجاء بمادة جديدة هي الاجمة
التي قال عنها انها الغابة من القصب تغيب فيها
السباع ونحوها ...

اقول : كان الاولى ان تكون « اجم » و« اجمة »
« آجامي » مادة واحدة .

وهي حبة بغداد او دملة الجزيرة او حبة السنة عند بعض اهل سورية .

وذكر المصنف رابا لمصطفى جواد كان قد كتب به اليه : « اعتبر العوام هذه القرحة في اولادهم (شقيقة) لهم لكثرة فشوها فيهم ، كما انهم يزعمون ان للمرأة قرينة من الجن بيدها نفعها ومضرتها . وعلى هذا التأويل فر الحديث (اكرموا عماتكم النخل) لان النخلة لقدمها مع الانسان وتقدم زمانها على غيره جعلت كالعمة للانسان فكانها اخت آدم عليه السلام » . انتهى كلام الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله -

اقول : في هذا الراي غرابة وطرأفة وفيه شيء يتصل بتأويل الحديث الشريف لم اجده في كتب الحديث .

ثم قال المصنف : والاخت : عندي ، تصحيف الاخذ بمعنى التأثير . يقال اخذ الخمر فيه « اي اثر » .

اقول : ان هذا التصحيف غريب ، وانما اميل الى ان العامة استعارت لفظ الاخت لهما للازمة هذه الدملة لصاحبها . ولا بد من انقول : ان المصنف استعمل « بعض » للدلالة على اكثر من واحد خلافا للمشهور فقال : « عند بعض اهل سورية » مع انه استعملها مرارا عدة بمعنى الواحد .

قال : يقولون : الياء اخت الواو اي تجاورها (عن معجم ما استعجم ص ٦٤٤) .

اقول : وفي كتب الصرف ان الياء اخت الواو ايضا . واضيف على ذلك ان في كتب النحو مبحث « كان واخواتها » .

يقال . اخذ الشيء ومعه اذا جعله معه . انتهى كلام المصنف

اقول : هذا معنى جديد مولد لا وجود له في دواوين اللغة فكان يحسن بالمصنف ان يذكر ابن وجده وفي اي نص ورد على عادته حين يذكر المعاني المولدة . ومن احسن الامثلة على ذلك ما جاء في المادة التي جاءت بعد « اخذ » هذه وهي استعمال جديد لـ « اخذ » وكان حق المادتين وثالثة ورابعة وكلها « اخذ » ان تصبح مادة واحدة .

اقول في « اخذ » الثانية ذكر الاب العلامة : يقال هذا الاناء ياخذ رطلا من كذا اي يسع . ورد في « لسان العرب » (مادة : صوع) الصاع مكيال لاهل المدينة ياخذ اربعة امداد » . انتهى . وهذا عمل معجمي ذو فائدة عظيمة فهو استدراك على المعجم القديم ، اذ لم يرد هذا المعنى فيه في مادة (اخذ) الاولى .

اخذ عليه في شيء وبخه عليه . قال صاحب الاغاني (١٨/٢) : وقد اخذوا عليه (اي عدي بن زيد) في اشياء عيب فيها » .

اقول : ان النص المأخوذ من « الاغاني » لا يؤيد المعنى « وبخ » اي انهم لاموه وانتقدوه في اشياء عيب عليها . وارى ان الفعل هو المجهول من « عاب » لا « عيب » المجهول من المضعف . وفي هذه المادة اثبت المصنف استعمالا عاميا لدى العراقيين قال : ويقول العراقيون : هذا الجبل مثلا ياخذ ويعطي اي يزيد وينقص وبالفرنسية *élastique*

اقول : كان الاولى ان ينص على ان هذا الاستعمال عامي دارج ، اما قوله : « ويقول العراقيون » لا يعني ان الاستعمال عامي دارج .

ثم زاد المصنف هذه المادة باستعمال اخر هو :

وفلان ياخذ ولا يعطي اي يزيد ما عنده ولا يعطي شيئا . قال الجاحظ في كتاب الحيوان : « واذا كانت الكنوز جامدة ينقص ما اخذ منها » وفي ص ١١٩ : « فان الخصاء ياخذ منهم ولا يعطيهم وينقصهم ولا يزيدهم » .

اقول : ان هذا الاستعمال في « اخذ » هو المعنى الحقيقي او المعنى الاول المعروف لدى الخاص والعام الذي نستعمله كل يوم ، وليس هو استعمالا خاصا يحتاج الى نص نرصده في نص قديم .

اما الاستعمال الاخير لهذه الكلمة الذي اثبتته في هذه المادة فهو : « وهذا الرجل لا ياخذ ولا يعطي اي لا يسمع كلاما ولا يجيب عن شيء » . اقول : هذا استعمال لابد من الاشارة اليه ولكنه من اللغة الحديثة التي تقرب من العامي الدارج فكان على المصنف ان يشير الى هذا اللون الشعبي من الاستعمالات .

قال المصنف : اخذه بطنه شعر بأن يحدث (راجع المثل : بقطيه بطبك) (مجمع الامثال ١٩/١)
اقول : لو جمع المصنف هذه المادة (٣٩) مع الاستعمالات السابقة في مادة واحدة لكان خيرا من تشتيت هذه المسألة الواحدة .

٤ - اخذ

قال المصنف : اخذه من فوق : علاه وغلبه (عن التاج في مستدرك : دمع) .
اقول : وهذا شيء يجب ان يضاف الى المادة في مجموعها ولا يوءلف مادة قائمة بذاتها .

استدراك : ويحسن بي ان اضيف الى هذه الاستعمالات لـ « اخذ » ما وجدته في المعجم العربي الفرنسي صنعة المستشرق الفرنسي Blachère مما لم يرد في المعجمات العربية القديمة وهي :

- (١) اخذته الخمر (٢) ولا تاخذكم بهمسا رافة (٣) امرأة تاخذها العيين اي تعجب (٤) اخذته الالسة اي لاكنه الالسة بغير الحق (٥) اخذته الاكف اي كثرت عليه الايدي (٦) فلان يؤخذ بالجزية (٧) اخذهم بالعذاب (٨) اخذتهم الصيحة (استعمال قرآني) (٩) خذوا حذرکم (استعمال قرآني) .

ثم يختم المصنف « اخذ » فيتناول « اتخذ » ويثبت لها معنى واحدا هو اتخذ ارضا اي اخذها اخاذة له . ولا يوضحها او يؤيدها بنص . ثم يعود الى « اخذ » ليقول اخذ اللبن حمض . ولا ادري لم لم تضم هذه الاخيرة الى تلك المعاني التي اوردها في « اخذ » .

١ - الاخاذة

قال المصنف : وجمع الاخاذات وهي الاراضي الخربة التي يدفعها مانكها الى من يعمرها ويستخرجها (عن المغرب) .

اقول : هذا معنى جديد للكلمة وقد جاء في نص قديم وهو قد ينأى عن الاستعمال القديم . جاء في « لسان العرب » : ان الاخاذة الارض ياخذها الرجل فيحوزها لنفسه ويتخذها وحيها .

٢ - الادب

قال المصنف : الادب مشتق من الاديب لا من ادب (الفعل المضموم العين في الماضي والمضارع) كما اشتقوا الفلسفة من فيلسوف . والاديب معرب edupé اي الحسن الصوت الطيب الذي يؤنس السامعين بسحر مقاله

اقول : ليس من دليل لغوي تاريخي على ان الادب مشتق من الاديب لا من الفعل ، كما انه ليس من دليل لغوي تاريخي انهم اشتقوا الفلسفة من فيلسوف . والذي اراه انهم عربوا Philosophie فقالوا فلسفة كما عربوا جغرافيا ، وكما عربوا في عصرنا هذا Physiologie فقالوا فلسجة ثم ترجموا المصطلح الى علم وظائف الاعضاء .

ثم ان مادة ادب الثرية في العربية ذات المعاني الكثيرة التي لم يستوفها المصنف في المساعد بعيدة عن الكلمة اليونانية وليس من هذه الصفة « اديب » اشتقت مادة ادب ثم اخذ منها الفعل على حد قول المصنف العلامة .

٣ - اذا

قال المصنف : بعد اذا لا تأتي الا الجملة الاسمية من غير ان تسبق بالباء . تقول : خرجت اذا الاسد بالباب لا : اذا بالاسد في الباب . وتعتبر الباء زائدة بعدها .

اقول : ان قوله : « بعد اذا لا تأتي الا الجملة الاسمية » يشعر ان هذا هو الوجه الوحيد في استعمال « اذا » . والصحيح ان يميز بين « اذا » هذه واسمها الفجائية وبين « اذا » الشرطية التي تدخل على الفعل وتكون للشرط . .

وفي اثناء كلامه الطويل على « اذا » الشرطية قال : « واما قول البعض « اذا لا سمح الله حدث كذا » او « ان لا سمح الله حدث كذا » فهو خطأ

اقول : لما كان الكلام على الاستعمال الفصيح في كتاب لغوي ذي قيمة تاريخية كبيرة ، وجب علينا ان ننقر عن الفصيح والا نتجاوز ذلك الى المرجوح والمولد والمستحدث . وينبغي على هذا ان على المصنف العلامة الا يسوغ لنفسه فيستعمل « البعض » وقد قال اللغويون انثقات ان « ال » لا تدخل على « بعض » كما لا تدخل على « غير » فلا يقال « البعض » كما لا يقال « الغير » وقد استعمل المصنف « البعض » في مادة « الاسر » ص ٢٠٩ .

٤ - الاكلة

قال المصنف : قال ابن منظور في « لسان العرب » : « الاكلة ، مقصور ، داء يقع في العضو ، فيتاكل منه » .

اقول : والذي في « اللسان » : « داء يقع في العضد فيتاكل منه » .

٤٥ - الائمة

قال المصنف : التل من القف ونحوه . انتهى كلام المصنف .

اقول : وهذا اقل ما نجده في اي معجم قديم ، فايـن الفائدة الجديدة ؟

٤٦ - اكو

يستعملها اهل العراق بمعنى (يوجد) . ويقولون (ما اكو) او (ماكو) اي ما يوجد .

Ekho والفعل (اكو) معرب من اليونانية

بمعنى يوجد وقد نقله اليهم الصائبة وهذا النقل قديم من ايام العباسيين ...

اقول : كان الواجب ان ينص على انه من اللغة الدارجة العراقية في عصرنا . ثم ان قوله معرب من اليونانية يحتاج الى دليل لغوي تاريخي غير تشابه الكلمة . اما عندنا فهي عربية اصيلة حذف منها النون تخفيفا ، ومازال اهل الجزائر يقولون « كايـن » بمعنى موجود فايـن التعريب من اليونانية ؟

ثم ان « كان » التامة في فصح العربية تفيد الوجود والحصول ومنه قوله تعالى :

« انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » . وكقوله تعالى : « وان كان ذو عسرة فنظرة » وكقول الشاعر :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي
اذا كان يوم ذو كواكب اشهب

٤٧ - الا

وقد تكلم فيها المصنف فاتي بأشياء كثيرة مفيدة استقراها في كتب اللغة والادب والتاريخ ، وهذا عمل معجمي ذو فائدة كبيرة يضيف الى المعجمات مما لم يستقره اصحابها .

وقد جاء في هذه المادة : وقال ابن قتيبة في

« الامامة والسياسة » (١٣٣/٢) : « ولم يختلف منهم احد الا وحضر » .

اقول : كان على المصنف الجليل ان يلتفت الى النص فيعلق على قوله : « الا وحضر » فمعجىء الواو بعد الا مما لا نعرفه في الاساليب الفصيحة والفصح : الا حضر وكذا في لغة القرآن الكريم : ولعلها من زيادات النساخ تأثرا بالوجه غير الفصح .

٤٨ - الاله

قال : معرب عن العبرية ، واصله (ال يهود)

.....

اقول : لا وجه للتعريب في هذه الكلمة ذلك انبا سامية الاصل فهي من الكلمات المشتركة التي ترد في كل اللغات ومنها العربية .

وبعد فهذه مسائل يسيرة ليست هنوات في هذا السفر العظيم ذي الفوائد الجسيمة التي جاء بها هذا العالم الضليع من العربية ومن غيرها من اللغات . وهو يسط امام القاريء صفحات مشرقة تهديه الى نظرات جديدة في اللغة واصولها وكيف تتطور فيها المعاني(*) .

ثم ان هذا المعجم ليضيف الى العربية حين تكمل اجزاؤه فوائد جلية . ومن الحق ان اشير في ختام هذا البحث الى جهد المحققين الفاضلين فلا يقدره حق قدره الا من عرف المعجم في صورته الحقيقية .

(*) وبهذه الملاحظ النفيسة الذكية البادفة اسبغ استاذنا الفاضل الدكتور ابراهيم السامرائي على « المساعد » ما يستقيم كلمة سالحة في معرض التقويم الموضوعي .. وهو بذلك يستاهل اصدق الثناء .

[رئيس تحرير المورد]

ملاحظات وأستدراكات على كتاب « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سزكين

بقلم

أكرم العمري

جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم التاريخ

ان اسجل بعض ملاحظاتي المتواضعة والتي بدت لي خلال قراءة الجزء الاول منه وهو الذي يتناول علم التفسير وعلوم الحديث . . .

١ - يهتم سزكين بتتبع الاسانيد للتعرف على الموارد التي يستقي منها مؤلفو الكتب ، ولا شك انه يمتلك خبرة وممارسة في ذلك حيث سبق ان اصدر دراسة عن موارد البخاري (١) .

وفيما يلي هذه الملاحظة حول منهجه :
عندما يكون في سلسلة الاسناد اثنان او اكثر من المصنفين في نفس الموضوع ويكون المؤلف اللاحق قد اقتبس من المؤلف السابق عليه ، كان يقتبس الطبري في تفسيره من تفسير مجاهد باسانيد مختلفة بعض رجالها صنفوا كتباً في التفسير ايضاً واقتبسوا فيها من مجاهد كذلك ، فان سزكين يقرر ان الطبري اقتبس روايات مجاهد من كتبهم التي بدورها اقتبست من تفسير مجاهد . اما اقتباس الطبري مباشرة من تفسير مجاهد فانه يقره عندما لا يكون ثمة مصنف في سلسلة سند الطبري الى مجاهد ، ويعتمد سزكين في ذلك على التطابق بين نصوص تفسير الطبري ونصوص المصنفات الاسبق التي اعتمدت على تفسير مجاهد (٢) . . .

في سنة ١٩٦٧ م صدر عن مطبعة بريل بليدن كتاب [تاريخ التراث العربي] لفؤاد سزكين باللغة الالمانية ، ومنذ ايام صدرت الترجمة العربية للجزء الاول من هذا الكتاب حيث نقله الى العربية الدكتور فهمي ابو الفضل (٣) . والكتاب يمثل محاولة جديدة اعقبت محاولة بروكلمان ومحاولات اخرى اسبق للتعريف بكتب التراث العربي ما فقد منها وما بقي مع رسم اطار للحركة الفكرية وتطورها عبر القرون الاولى من تاريخ الاسلام . وقد ضمن سزكين كتابه معظم مادة كتاب (تاريخ الادب العربي) لبروكلمان وقد اعاد فحصها وتدقيق مصادرها ، كما استدرك على بروكلمان و اضاف وعدل في طريقة تناوله الموضوعات لذلك فهو ليس مجرد استدراك على بروكلمان بل هو كتاب قائم بنفسه وان كان سزكين يحيل على بروكلمان في بعض المواضع التي لم يجد لديه فيها اضافات وتعديلات اساسية . والحق ان الكتاب ثمره جهود مضنية وصبر طويل وتمرس كبير فحق على الناطقين بالضاد والمعنيين بالتراث الفكري ان يرحبوا بمؤلفه ويقوموا جهده بما هو اهله ، ويتناولوه بامعان النظر فيه وتدقيق مادته ، فهو يحتاج الى القراءة المتفحصة الناقدة لسعة نطاقه ووفرة مادته وكثرة احكامه ، وقد اعتصر فيه مؤلفه جهده وجهود من عني بكتب التراث قبله من العرب والمسلمين والمستشرقين . وقد رايت

(*) احتازت « المورد » ملاحظات الاستاذ اكرم العمري واستدراكاته على الكتاب المذكور في شهر آب ١٩٧٢ وقد تاخر نشرها تجاوباً مع الاجل الفصلي الذي عاهدت المجلة قراءها عليه .
[رئيس تحرير المورد]

(١) بعنوان :
Buharinın Kaynakları, İstanbul — 1956.

(بالتركية) .

(٢) انظر سزكين : تاريخ التراث العربي ١٧٢/١ ومثل ذلك
١٨٥/١ فيما يتعلق بتفسير ابن عباس حيث من المحتمل =

ويبدو لي أن ما توصل إليه سزكين مجرد احتمال وثمة احتمال آخر معتبر هو أن المؤلفين الذين وقعوا في اسانيد الطبري عن مجاهد يمكن أن يكونوا أيضا رواة لنسخة من تفسير مجاهد كما أنهم مقتبسون منه، وعندئذ يكون نقل الطبري مباشرة عن تفسير مجاهد وليس بواسطة الكتب التي اقتبست من تفسير مجاهد، ولن يغير التطابق بين اقتباسات الطبري وتلك الكتب من قيام هذا الاحتمال.

٢ - يرى سزكين أن بالإمكان الحصول على التفسير القديمة المفقودة في صورتها الأولى « عن طريق جمع اسانيدها من تفسير الطبري وغيره وترتيب الاقتباسات حسب آيات القرآن (٣) ». وأقول ليس ثمة احتمال أن الطبري وغيره قد أهملوا بعض روايات التفسير القديمة ولم يقتبسوها في مؤلفاتهم لذلك فإنه يتمذر القطع بكمال الكتاب المجموع بواسطة المقتطفات المقتبسة منه والحصول عليه بصورته الأولى.

٣ - يذكر سزكين أن الخطيب البغدادي حصل على حق رواية بعض الكتب من اسانيدته في دمشق مثل تفسير ابن عباس، وكتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله لقتادة السدوسي والناسخ والمنسوخ لعطاء الخراساني وتفسير أبي داود شبل المكي وتفسير مقاتل وغيرها (٤)، والصواب أن هذه المؤلفات أدخلها الخطيب معه إلى دمشق عند رحلته إليها من بغداد وكان قد حصل على حق روايتها من شيوخه ببغداد وغيرها (٥).

٤ - قال سزكين بأن « أبا صالح البذيل بن حبيب الدنداني - رواية تفسير مقاتل بن سليمان - أضاف إلى تفسير مقاتل في بعض المواضع من اسانيد من الآخرين » وأحال سزكين على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧٨/١٤-٧٩. ولكن ما ذكره الخطيب في هذا الموضع

= أن ابن اسحق رواه كما اقتبس منه في المغازي أيضا، وكذلك انظر ١٨٧/١ منه.

(٣) تاريخ التراث العربي ص ١٧٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٨ على التوالي.

(٥) انظر المالكي: تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق الارقام ١٠، ٥، ٤٩، ٨، ١٢ ووقع فيه الاسم « مقاتل بن حبان » والصواب « مقاتل بن حبان » وقد نشر العشي كتاب المالكي ورتبه ضمن مؤلفه « الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها » ص ٩٢ - ١١٢.

هو « حدث - يعني اباصالح الهذيل بن حبيب الدنداني - عن حمزة بن حبيب الزيات، روى عن مقاتل بن سليمان كتاب التفسير » وهذا لا يقطع باضافة الدنداني الى تفسير مقاتل من طريق حمزة الزيات ولا غيره حتى لو حدثنا ان مارواه عن حمزة هو في التفسير أيضا. وقد ذكر سزكين النسخ الخطية التي وصلت إلينا من تفسير مقاتل بن سليمان، فكان من الضروري له فحصها - اذا اراد تثبيت هذه الملاحظة - للتأكد من وقوع الاضافة.

٥ - يرى سزكين (ص ٢٢٣) أن التحمل بطريقة المكاتب (أجازة) « لم ينتشر إلا في عصر الزهري، وعندما شغل امراء الامويين بهذه الطريقة بعينها، وعلى نطاق واسع وجد الزهري نفسه - فيما يروي - مضطرا إلى اقرار جوازها » ويحيل سزكين إلى كتاب الكفاية للخطيب البغدادي ص ٢١٨.

ولكن الخطيب يذكر في هذا الموضع قبول الزهري ومعاصره الحسن البصري وعشام بن عروة التحمل بطريقة الاجازة ولا يشير إلى تأثير الامراء الامويين في ذلك. ويبدو أن سزكين يستند إلى قول الزهري « كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء ». فرائنا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين حيث استفاد منه سزكين ص ٢٤٥ وأحال فيها إلى طبقات ابن سعد وحلية الاولياء، فيجب أن يحيل في ص ٢٢٣ حاشية (٢) إلى هذين المصدرين وأضيف إليها تاريخ يعقوب الفسوي ق ٢١٣ و٢ حيث نقل عبارة الزهري أيضا.

٦ - يختصر سزكين أحيانا بعض الاسماء فيقتصر على الاسم الأول فقط مثلا « أبان يروي عن انس » (٦) والمقصود أبان بن أبي عياش (٧) لكن أبانا بن صالح يروي عن انس أيضا (٨) فأيهما قصد سزكين؟ أن الواجب في مثل هذه الحالات ذكر الاسم كاملا.

٧ - يقول سزكين (٩) بأن طريقتي السماع والقراءة سميتا « الرواية على الوجه » ويستشهد

(٦) تاريخ التراث العربي ص ٢٢٧.

(٧) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩٧/١.

(٨) المصدر السابق ٩٤/١.

(٩) تاريخ التراث ص ٢٤٠.

لذلك في الحاشية رقم (٢) بمثالين أحدهما في ابن سعد وفيه أن عبيد الله (١٠) بن عبد الرحمن روى كتب الثوري على وجهها وروى الجامع . . أما المثال الآخر فمن تاريخ بغداد للخطيب (١٦٣/٤) وفيه «استعار أبو العباس - يعني محمد بن اسحق السراج - من أبي بكر بن أبي خيثمة شيئا من التاريخ فقال : يا أبا العباس عليّ يمين أن لا أحدث بهذا الكتاب إلا على الوجه ، فقال أبو العباس : وعليّ عزيمة أن لا أكتب إلا ما استفيد ، فردّه عليه ولم يحدث في تاريخه عنه بحرف » . والذي يبدو لي من هذا الخبر الأخير أن أبي خيثمة كان لا يقبل الانتخاب من تاريخه بل يحدث به على الوجه - أي كاملا دون انتخاب - وأنه أعطاه إلى السراج وأوضح له شرطه ، لكن السراج رفض لأنه يريد أن ينتخب منه ما يفيد فيسمعه ولا يتعلق الأمر برفض ابن أبي خيثمة إعطاء حق رواية تاريخه بالأجازة لأنه أجاز للبعض ذلك ، وكتب الأجازة بخطه (١١) . ومع ذلك فلا يعني القطع بمعنى «الرواية على الوجه» لكنه احتمال سجلته ، وعسى أن يبادر من له علم بذلك إلى توضيح وتحديد المعنى .

٨ - يقول سزكين (ص ٢٤٩) « ويعتبر البخاري في تاريخ الرواية الإسلامية أول من ذكر معظم الروايات دون أسناد » ثم ذكر كثرة التعليق والفقرات اللغوية والتاريخية التي ترد فيه مصدرة بـ « قال » و « ذكر » و « روى » دون أسناد ، ثم قال « أن الأسناد لم يعرف شكله الاكمل عند البخاري فالواقع أنه بدأ من البخاري يفقد مكانته » .

واقول كان ينبغي عليه هنا التنبيه إلى أن هذه التعليقات التي أوردها البخاري دون أسناد ليست من « الجامع المسند الصحيح المختصر في أمور رسول الله صلى عليه وسلم وسننه وأيامه » وهو العنوان الذي ربما اختاره البخاري لكتابه ليكون أول تنبيه على عدم اعتبار التعليقات منه حتى لو صحت أسانيدنا من طرق أخرى غير البخاري . وإن الأحاديث التي أوردها البخاري

مسندة موصولة وعددها بلا تكرار ٢٦٠٢ حديثا هي التي تكون « الجامع المسند الصحيح » الذي يتمثل فيه منهج البخاري وتنطبق عليه شروطه المعروفة . وفيها تظهر الأسانيد بأكمل صورها وأعلى طرقها وأدقها ، فلا يصح القول بأن الأسناد « بدأ من البخاري يفقد مكانته » خاصة وأن من صنف بعد البخاري - وخاصة أصحاب بقية الكتب الستة - التزم الأسناد المتصل أيضا .

إن الحكم الذي سجله سزكين حول تاريخ الأسناد يبدو غريبا غرابة تقبضه الذي كان قد سجل كل من كائتاني وشاخت وهو أن الأسانيد المتصلة متأخرة (١٢) .

وقد عاد سزكين (ص ٣٠٧) إلى تأكيد ملاحظته هذه وتسجيل أحكام جديدة حديثة وغريبة على صحيح البخاري ، مثل قوله « بأن الصفات المنسوبة إلى الكتاب غير صحيحة » وأنه « مصادفة حسنة » و « أن البخاري قد استخدم كتب الحديث وكثيرا من الكتب اللغوية والتاريخية والفقهية كذلك دون انتقاء ودون توفيق » وأنه يفقد كثيرا من سمته مصنفًا جامعا شاملا « بسبب التعليق » .

وقول بأن صحيح البخاري تعرض لاستدراكات وشروح عديدة وأن مادار حوله من دراسات عميقة ووافية هي التي أكسبته الثقة المطلقة التي دعمت مكانته التي نالها منذ تأليفه حين شهد له بالصحة أثمة النقاد مثل علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل حيث عرضه البخاري عليهم (١٣) .

ومن الغريب أيضا قول سزكين « أن البخاري استخدم كتب الحديث وغيرها دون انتقاء ودون توفيق » ، وسزكين - وقد درس موارد البخاري أقدر من سواه على تصور العدد الكبير من الأجزاء والصفحات والمسانيد التي كانت في متناول البخاري وفيها القوي والضعيف والصحيح والسقيم ، فهل استوعب البخاري ذلك أم انتقى الصحيح منها مما سمعه على ثقات الشيوخ ؟

لقد صرح البخاري بأنه انتقى أحاديث

(١٢) انظر أكرم العمري : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٩ .

(١٣) انظر (محمد أبو زهر : الحديث والمحدثون ص ٢٧٨) .

(١٠) ورد في تاريخ التواتر باسم «عبدالله» والصواب ما ذكره كما في ابن سعد ج ٧ قسم ٧٢/٢ وابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٤/٤ .

(١١) انظر : مياض : الإلاع ص ١٠٤ حاشية (١) . والقاسمي : قواعد التحديث ص ٢٠٦ .

صحيحه من ستمائة الف حديث (١٤) ثم كيف لم يوفق البخاري في اختيار مصادره ، وقد نال اعجاب ورضا النقاد المعاصرين والمتأخرين ممن افرغوا جهودهم وامضوا اعمارهم في خدمة الحديث ؟ واي توفيق يناله كتاب اعظم مما نال صحيح البخاري حين عده النقاد اصبح كتاب بعد كتاب الله تعالى ؟ ولماذا يفقد صحيح البخاري كثيرا من سمعته مصنفها جامعا شاملا بسبب التعاليق وهي منذ البدء لم تعد من الجامع المسند الصحيح ؟

٩ - ذكر سزكين (ص ٢٥٢) ان ابا اسحق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني « الف عددا من الكتب يبدو ان الطبري افاد منها في التاريخ والتفسير وتهذيب الآثار » وعند مراجعة فهارس تاريخ الطبري يتبين انه لم يرو فيه عن الجوزجاني مطلقا .

١٠ - وصف سزكين (ص ٣٦٩) كتاب الطبقات لمسلم بن الحجاج بانه يقتصر على الصحابة معتمدا على نسخة الكتاب الخطية الموجودة في مكتبة احمد الثالث باستانبول . واضيف : ان السخاوي (١٥) ذكر انه يتناول التابعين ايضا . مما يدل على وجود نقص في النسخة التي وصلت الينا منه .

١١ - ذكر سزكين (١٦) ان الخطيب البغدادي اقتبس من كتاب المتدا لابي محمد الحسن بن علي القطان - ابن علويه ، والصواب ان الخطيب ذكر هذا الكتاب ولم يقتبس منه (١٦) .

١٢ - قال سزكين (ص ٤٢٣) عن كتاب السنن للنسائي « كان يضم في شكله الاول عددا من الاحاديث الضعيفة التي قام المؤلف بحذفها بعد ذلك » ، وتجدر الاشارة هنا الى رأي السيد احمد صقر وهو ان ابن السني تلميذ النسائي هو الذي اختصر السنن وسمى المختصر ب « المجتبى » وفند احمد صقر رواية ابن الاثير في (جامع الاصول ١/ ١١٦) التي تقول بان النسائي حذف الاحاديث الضعيفة من كتابه السنن (١٧) والتي يبدو ان سزكين اعتمد عليها في رايه الذي سجله .

- (١٤) الخطيب : تاريخ بغداد ٨/٢ وابن حجر : هدي الساري مقدمة فتح الباري ص ٥ .
(١٥) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ص ٦٢٨ .
(١٦) تاريخ بغداد ٣٧٥/٧ .
(١٧) انظر مقدمة المجلد الاول من فتح الباري لابن حجر الذي اعادت طبعه (بالاولفست) لجنة احياء التراث الاسلامي بالقاهرة ص ٢٢ .

١٣ - ينبغي استبدال كلمة « المخطوطات » في ص ٢١٥ حاشية (١) ب « المقتطفات » لان سزكين ذكر مقتطفات ولم يذكر اية مخطوطة .

١٤ - لم يعثر سزكين (ص ٤٤٤) على ترجمة محمد بن العباس بن نجيع البزاز واقول ان ترجمته في تاريخ ١١٨/٣ وقد توفي سنة ٣٤٥ هـ .

١٥ - اشار سزكين (ص ٤٧٠) الى نقص نسخة الظاهرية من كتاب معجم الصحابة لابن قانع ولم يشر الى نقص نسخة كوبريلي منه ايضا ، وقد طالعتها فاذا بها تنقص الجزءان الاول والثاني واول الجزء الثالث .

١٦ - مخطوطات فاته ذكرها ولم يذكرها بروكلمان : لقد استوعب سزكين عددا كبيرا من المخطوطات ولكن يبدو ان حصرها لازال متعذرا رغم ظهور العدد الكبير من فهارس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات العالم ، وفيما يلي بعض المخطوطات القليلة التي فاته ذكرها كما فات بروكلمان من قبله

١ - صحيفة جابر بن عبدالله (١٨) (ت ٧٨ هـ) وهي مخطوطة في مكتبة شهيد علي بتركيا (١٩) .

٢ - الامالي (٢٠) للحسين بن اسماعيل الحاملي منها الجزء الخامس في تشتربتي ، ذكره آربري .

٣ - الفوائد المشهورة بالفيلانيات (٢١) لابي بكر محمد بن عبدالله الشافعي منبها الجزء الاول في مكتبة الحرم المكي ، وبه تكمل نسخة الظاهرية (٢٢) .

١٧ - مخطوطات ذكرها بروكلمان ولم يذكرها سزكين ولم يحل عليه : لقد ذكر سزكين المخطوطات التي اوردها بروكلمان في العادة او احال عليه حين لا يجد اضافة اساسية على مادة بروكلمان ، لكنه في بعض المراجع اهمل مخطوطات ذكرها بروكلمان ولم يبين سبب ذلك ، ومن طريقته ان يبين ان كان بروكلمان قد وهم في ذكره لها . من ذلك .

- (١٨) انظر سزكين : تاريخ التراث العربي ص ٢٥٥ .
(١٩) ذكر ذلك صبحي السامرائي (انظر مقدمته لكتاب الخلاصة في اصول الحديث للطبي ص ١٠) .
(٢٠) انظر سزكين : تاريخ التراث العربي ص ٤٥٢ .
(٢١) انظر سزكين : تاريخ التراث العربي ص ٧٦ .
(٢٢) ذكر ذلك الاباني : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ص ١٢٨ .

- ٥ - معجم شيوخ ابن عدي (٣٦) الجرجاني صاحب الكامل (سزكين ٤٩٢) .
- ٦ - كتاب كبير في الضعفاء (٣٧) لابي الفتح الازدي (سزكين ص ٤٩٤) .
- ٧ - مؤلفات لابي بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلسي (سزكين ٩٩-٤) وهي المستخرج على صحيح البخاري (٣٨) ، والمسند الكبير (٣٩) وكتاب احاديث الاعمش (٤٠) : ومسند عمر (رض) في مجلدين (٤١) ومعجم شيوخه (٤٢) .
- ٨ - كتاب العلل (٤٣) لابي احمد النيسابوري الحاكم الكبير (سزكين ص ٥٠٢) .
- ٩ - كتاب التاريخ لابي حفص ابن شاهين (٤٤) (سزكين ص ٥١٦) .

١٩- كتب مطبوعة حديثا ذكر سزكين نسخها الخطية فقط ولم يستدرك المترجم ذلك : من ذلك .

- ١ - كتاب الزهد والرقائق (٤٥) لعبدالله بن المبارك (سزكين ص ٢٧٠) .
- ٢ - كتاب الجهاد (٤٦) لعبدالله بن المبارك (سزكين ٢٧١) .
- ٣ - كتاب التاريخ (٤٧) لخليفة بن خياط (سزكين ص ٢٩٨ - ٢٩٩) .
- ٤ - كتاب الطبقات (٤٨) لخليفة بن خياط (سزكين ص ٢٩٩) .

كتاب الضعفاء الكبير للبخاري ذكر بروكلمان (٢٣) انه مخطوط في باتنه ١ : ٥٥٧ رقم ٢٩٣٢ - ٢٩٣٧ ولم يذكر سزكين (٢٤) حتى اسمه مع استيعابه لما ذكر بروكلمان من مؤلفات البخاري واستدراكه عليه . وكذلك كتاب الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج ذكر سزكين (٢٥) نسخة الخطية واغفل نسخة باتنه ٢ : ٥٣٨ التي ذكرها بروكلمان (٢٦) .

١٨- مؤلفات ابن ترجم لهم لم يذكرها هو ولا بروكلمان (٢٧) : لم يقتصر سزكين على ذكر المؤلفات الخطية والمطبوعة التي وصلت اليها بل تعداها الى ذكر المؤلفات المفقودة وهو امر ضروري في تسجيل تاريخ الحركة الفكرية ، وقد فاته ذكر بعض مؤلفات من ترجم لهم ومنها :

١ - مسند نعيم بن حماد الخزاعي (٢٨) (سزكين ص ٢٨٨) .

٢ - مؤلفات لابي محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي (سزكين ص ٤٤٨) وهي المسند (٢٩) وكتاب الفوائد الكبير (٣٠) وكتاب فوائد الرازيين (٣١) وكتاب فضائل الامام احمد (٣٢) .

٣ - كتب لمحمد بن مخلد الدوري العطار (سزكين ص ٥٤) وهي كتاب معجم شيوخه (٣٣) وكتاب المسند الكبير (٣٤) .

٤ - كتاب التاريخ الكبير (٣٥) لابي العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي (سزكين ص ٥٥ - ٥٦) وذكر ان النجاشي ذكر له ١٦ كتابا ولم يسمها (سزكين) .

- (٣٦) ذكره السخاوي في الاغلام بالتوبيخ ص ٩٤٢ .
- (٣٧) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ص ٩٦٧ والسخاوي : الاغلام ص ٨٧٧ ويبدو من ملاحظة روز نسال ان ابن عبدالبر اقتبس منه في جامع بيان العلم وفضله واصيف ان الخطيب البغدادي وابن حجر العسقلاني اكثرا الاقتباس منه الاول في تاريخ بغداد والثاني في الاصابة .
- (٣٨) ذكره الذهبي في تذكره الحفاظ ٩٤٨ والسبكي في طبقات الشافعية ٨/٢ والكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٦٦ .
- (٣٩) المصادر السابقة لكنه في الرسالة المستطرفة ص ٦٥ .
- (٤٠) الكتاني : الرسالة المستطرفة ص ١١٠ .
- (٤١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٩٤٨ .
- (٤٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٩٤٨ والشمعاني : انساب ١٨٠/٥ والسبكي : طبقات الشافعية ٨/٢ .
- (٤٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٩٧٦ .
- (٤٤) المصدر السابق ٩٨٨ .
- (٤٥) طبع بيروت بعناية الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي .
- (٤٦) طبع في الشام بعناية نزيه .
- (٤٧) طبع في الشام بعناية سهيل زكار وفي العراق بعناية اكرم العمري سنة ١٩٦٧ م .
- (٤٨) طبع في الشام بعناية سهيل زكار وفي العراق بعناية اكرم العمري سنة ١٩٦٧ م .

- (٢٣) تاريخ الادب العربي ص ١٧٩/٢ .
- (٢٤) تاريخ التراث العربي ٢٤٧/١ .
- (٢٥) المصدر السابق ٣٦٩ .
- (٢٦) تاريخ الادب العربي ١٨٥/٢ .
- (٢٧) اقتصرنا فقط على المؤلفات المتعلقة بالحديث فان كان لهم مؤلفات في مواضيع اخرى اهلتها .
- (٢٨) ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ١٥٦ .
- (٢٩) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ٨٣ والسبكي في طبقات الشافعية ٢٢٥/٢ والكتاني : الرسالة المستطرفة ٧٢ .
- (٣٠) و (٣١) ذكرهما السبكي في طبقات الشافعية ٢٢٥/٢ .
- (٣٢) ذكره ابو يعلى في طبقات الحنابلة ص ٥٥ .
- (٣٣) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٢٤٢/١ .
- (٣٤) ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٢٢٣ .
- (٣٥) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٢٠٨/٢ والمالك : نسية ما ورد به الخطيب دمشق رقم ٣٢٢ .

- ٥ - تسمية فقهاء الامصار (٤٩) للنسائي
(سزكين ٤٢٥ - ٤٢٦) .
- ٦ - كتاب الثقات (٥٠) لمحمد بن حبان السبتي
(سزكين ٤٧٣)
- ٧ - معرفة المجروحين ولضعفاء من
المحدثين (٥١) لمحمد بن حبان السبتي
ايضا (سزكين ص ٤٧٤) .
- ٨ - كتاب امثال الحديث (٥٢) للرامهرمزي
(سزكين ص ٤٨٠)
- ٩ - المعجم الصغير (٥٣) لابي القاسم الطبراني
(سزكين ص ٤٨٦)
- ١٠ - السياق (٥٤) لعبد الفافر بن اسماعيل
الفارسي (سزكين ٥٤٥)
- ١١ - مسند ابي عوانة (٥٥) يعقوب بن اسحق
الاسفراييني (سزكين ٤٣٧) .

- (٤٩) نشره صبحي السامرائي ضمن « مجموعة رسائل في علوم
الحديث » مطابع المجد - القاهرة - ١٣٦٩ هـ .
- (٥٠) طبع المجلد الاول منه في حيدر آباد الدكن .
- (٥١) طبع منه المجلد الاول في مطبعة دائرة المعارف العثمانية
بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٧٠ م بتحقيق عزيزك القادري
النقشبندي .
- (٥٢) طبع بتحقيق امة الكريم القرشية في حيدر آباد الدكن
سنة ١٩٦٨ م .
- (٥٣) نشرته المكتبة السلفية في المدينة المنورة سنة ١٩٦٨ م
بتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان .
- (٥٤) طبع بعناية ريتشارد نيلسون فراي ، لندن ، موبون -
١٩٦٥ م .
- (٥٥) طبع منه المجلدات الاول والثاني والرابع والخامس في =

- ٢٠ - اسقط سزكين ص ٢٩٤ عبارة « من روي عنه »
من عنوان كتاب « تسمية من روي عنه من
اولاد العشرة وغيرهم من اصحاب رسول الله »
لعلي بن المديني ، وهو اختصار مخل فان شرط
ابن المديني ان يكونوا ممن روي عنهم الحديث .
- ٢١ - نسب سزكين (ص ٣٩١ حاشية) كتاب الزينة
لابي حاتم عبدالرحمن بن حماد الرازي
(ت ٣٢٢ هـ) ، وانما هو لابي حاتم احمد بن
حمدان الرازي (ت ٣٢٢ هـ) وقد طبع بتحقيق
حسين بن فيض الله الهمداني (القاهرة -
١٩٥٧) .

- ٢٢ - لم يترجم ليعقوب بن سفيان الفسوي
(ت ٢٧٧ هـ) في المحدثين رغم انه من الحفاظ
وبالتالي لم يذكر كتابه (كتاب المعرفة والتاريخ)
بل ذكره في علم التاريخ من الطبعة (الليدنية)
ولم يترجم هذا القسم الى العربية بعد ،
ونظرا لكون معظم هذا الكتاب يتناول رجال
الحديث ومروياتهم من الاحاديث فان الاولى
ذكره ضمن علم الحديث .

- ٢٣ - وقعت اخطاء وتصحيحات في مواضع عديدة
من الكتاب واحسب ان معظمها مطبعية وقد
رايت تسجيل ما انتبعت اليه في الجدول
التالي :

= حيدر آباد الدكن ١٩٦٢ - ١٩٦٦ م ولم يكمل بعد ، اما
المجلد الثالث منه فمفقود .

الصفحة	الطر	الخطأ	الصواب
١٤٦	١١	عبدالله بن زياد	عبيدالله بن زياد ، والي العراق المشهور
١٤٨	٢	٣٠ هـ	١٣٠ هـ
١٤٩	١٨	ابي عمر بن العلاء	ابي عمرو بن العلاء
١٥٢	٥	١٨٩٠	١٨٩ هـ
١٦٢	١٥	السمرتاني	السجستاني
١٧٨	٦	الفريبة	الفريبة
١٧٨	حاشية (٢)	سقط رقم الصفحة	—
١٧٩	حاشية ٢ س ٣	الجبر	الجبر
١٨٠	٢١	العباسي	العباس
١٨٢	حاشية ٢	٢٤٠/٨	٢٤٠/٧
١٨٥	١٤	المنبهة	المنبهة
١٨٨	١٤	وجريج	وابن جريج
٢٠٢	١٠	ابراهيم	ابراهيم

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢٠٤	١٥	مالك الاوزاعي	مالك والاوزاعي
٢٠٥	٨	زادان	زاذان(٥٦)
٢١٧	١٤	يصلنا	يصل الينا(٥٧)
٢٣١	١١	يجوز	يحوز
٢٣٦	١٤	الزهري عن صالح	صالح عن الزهري
٢٣٦	٢١	ان الحكم قال	ان قال الحكم
٢٣٦	حاشية ١٠	سقط رقم المجلة	وهي المجلة الثانية
٢٣٧	٣	نورد	نود
٢٣٧	حاشية ٧	سقط رقم الصفحة وهو ١٠١ لكن النص الذي استعمله سركين انما هو في ٢٨٦/١١	
٢٣٨	٢	منعمر	منعمر
٢٣٨	١٣	الى مائة	يحتاج تدقيق
٢٤٠	حاشية ٢	عبدالله	عبيدالله(٥٨)
٢٤٢	١٠	الطيالبي	الطيالسي(٥٩)
٢٤٤	٣	الصاحبي	الصحابي
٢٤٤	١٦ - ١٧	في كتب هذه اصول الحديث	في كتب اصول الحديث هذه
٢٤٨	١٦	حدثت	حدثت
٢٤٩	٢١	الشعر	الشعراء
٢٥٥	١	جابر عبدالله	جابر بن عبدالله
٢٥٦	٢٠	وقرا عليه قسم آخر	وقرا عليه قسما آخر
٢٧٣	٢٥	فايد	فيد
٢٩٢	٢	العلم	العلل
٣٠٠	١٠	بقي	بقي
٣١٠	٢١	الجملة تحتاج الى اعادة صياغتها لتفهم	
٣٥٩	١٠	المقصح	المفصح
٣٧٩	١١	٨١١ هـ	٩١١ هـ
٤١٩	٤	وكتاهم	وكتاهم
٤٢١	١٠	الاسماع	الاسماء
٤٢٨	٥	رحيم	دحيم
٤٤٤	١٤	نجيح	نجيع(٦٠)

(٥٦) انظر الاكمال لابن ماكولا ١٦٢/٤ .
(٥٧) وكذلك حيثما تكررت هذه الكلمة .
(٥٨) انظر تهذيب التهذيب ٢٤/٤ وابن سعد ج ٧ قسم ٧٢/٢ .
(٥٩) وكذلك ص ٢٧٥ س ١٢ .
(٦٠) تاريخ بغداد للخطيب ١١٨/٣ .

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٤٤٦	٧	الحسن	الحسين
٤٤٦	١١	للجوزي	لابن الجوزي
٤٥٥	١٣	نصر	نضر
٤٥٥	٢٢	٥٩ - ٦٨	٦٨ - ٦٩
٤٥٨	١٣	الز	البزاز
٤٧١	الاخير	راوية	رواية
٤٨٠	٨	بج	بن
٤٩٣	٣	اساس	اسامي
٤٩٤	٩	الازردي	الازدي
٤٩٩	٧	اسماعيل العباس	اسماعيل بن العباس
٥٢٢	٢	بكر	ابي بكر
٥٣٠	الاخير	عبدالرحمن بن اسحق بن سنده	عبدالرحمن بن محمد بن اسحق بن مندة
٥٢٨	٢	ابو عبدالله بن محمد	ابو عبدالله محمد
٥٦٠	١٩	ابي البرقان	ابي بكر البرقاني

الكرملی وقاموسه المساعد

بقلم الاستاذ

میر بصری

رئیس الطائفة الموسویة (اليهودیة) - بغداد

فيه صیفا وكلمات وامالي ومعاني تختلف اختلافا
بینا عما هو مالوف في عهدنا الحاضر . وكان اهتمام
لیترة منعبا على تتبع معاني الالفاظ والتفیرات
الطارئة علیها من خلال كتب اللغة والادب . وكذلك
فعل مؤلفو (قاموس اكسفورد الانكليزي) فقد راعوا
المراحل التاريخية في نمو اللغة وأشاروا الى تواریخ
استعمال كل كلمة بالمعنى الذى تؤدیه على قدر
الامكان ، وذكروا الكلمات القديمة والمتوسطة
والحدیثة والنادرة والمندثرة والمحدثة . أما الاب
انستاس فقلما عني بهذه الناحية الا استطرادا وفي
احوال معينة ، كما فعل في مادة (الادب) . فقال ان
لفظتي (الادب) و (والاديب) لیستا من كلام العرب
بل هما من الدخیل ، وان لهما معاني قديمة غیر
المعاني التي صارت اليها مع تتابع القرون : فمعنى
الاديب في عصر الجاهلیة وصدر الاسلام الطیب
الحديث ، الحسن الصوت ، المؤنس ، الرقیق .
ومن الاديب اشتقوا الادب . . . ثم تتبع الكرملی
تطور معنى الاديب منذ أقدم العهود واستشهد
على ذلك بالشعر والنثر . ولم يفعل مثل ذلك في
سائر الكلمات التي وردت في معجمه الا قليلا .

وفي مادة (الاستاذ) المع الكرملی الى شیوع
استعمال هذه الكلمة في العصر الحاضر الى حد
الابتذال ، ومع ذلك لا اثر لها في المعاجم العربية
المعتمدة كالقاموس وتاج العروس ولسان العرب
والجمهرة وغيرها . وليس في لساننا كلمة تقوم مقام
هذا الحرف الفارسی الذى شاع في عهد العباسیین
وأُمويي الاندلس والفاطمیین . وعرف ابن العمید
المتوفى سنة ٩٧٠ م بالاستاذ الرئیس ، وكذلك عرف
أبو نصر الحسین بن الحسن بالاستاذ الفاضل . . .
أما اليوم فكل من سطر حرفا او نظم بیتا او تقلد
عملا نعت بالاستاذ اذا لم ينعت بالعلامة الفهامة .

لو هیء للاب انستاس ماری الكرملی ان يعود
الى الحياة بعد ربع قرن ، لسه ، وأیم الحق ، ان
یرى قاموسه (المساعد) الذى أفنى معظم سنی
عمره الطویل في تحبیره والذى احبه محبة الاب
لولده ، وقد صدر الجزء الاول منه في طبعة متقنة
انیقة برعاية من وزارة الاعلام وعناية المحققین العالمین
الاستاذین کورکس عواد وعبد الحمید العلوجی .
ان هذه المأثرة التي اسدتها وزارة الاعلام قد حققت ،
ولا ریب ، حلما من احلام العلامة الراحل الذى لم
یکن لیظن ان (مساعده) الاثر سوف یرج في يوم
من الايام الى عالم النور بهذه الحلة القشیبة .

ان (المساعد) في الحقيقة قاموس القاموسیین
فلیس هو بالمعجم الاعتیادي الذى یفید منه القارئ
والمتعلم والادیب ، بل هو ثبت للكلمات الغریبة
والاصول اللغویة وقیاس اللغات واللهجات مع
جولات في الجغرافیة والتاریخ واساطیر الامم
وتتبعات في الكتب القديمة والحديثة ومناقشات
للآراء والاسماء والاقوال والافعال ، واستطرادات
ادبیة وعلمیة وفکرية وشعبیة عامیة . . .

ولقد شبّهت (مساعده) الاب الكرملی فیما
مضى بقاموس امیل لیتره الفرنسی (١٨٠١-١٨٨١)
الذى جد في تحقیق عروق الكلمات وتطور معانیها
وسرد ما تنظر اليه في اللغات الاجنبیة . والحقیقة
ان منهج الكرملی في (مساعده) یختلف اختلافا
واضحا عن منهج اللغوی الفرنسی : فهذا قد اهتم
كثیرا في تتبع استعمال كلمات اللغة وتطور معانیها
على مر الاجیال . واللغة كائن حی تنمو الفاظه
وتتغیر وقد تندثر وتموت وتتجدد . واذا قرانا كتابا
فرنسیا مثلا من كتب القرون الوسطی ، وحتى من
تالیف القرنین السادس عشر والسابع عشر ، وجدنا

فلا بد اذن من الاعتراف بان معاني الكلمات تتطور وتتحور وجوه استعمالها بمرور الازمان : مثال ذلك ان (القهوة) في اللغة العربية كانت تطلق على البن المحض والخمر ثم اتخذها المولدون علما للبن . و (القرن) يعنى حقبة من الزمن ثم اختص بمائة سنة فقيل : القرن التاسع والعاشر بمعنى المائة التاسعة والعاشر . و (الوجدان) مصدر للوجود ثم اطلق خصيصا على الضمير والنفس . و (المقارنة) في الاصل المصاحبة والاقتران والجمع ثم اخرجت الى معنى المقايسة والمفاضلة . . . و (الثقافة) انت بمعنى التقويم والحدق فصرفت الى معناها الحاضر وهو الحضارة الفكرية وتهذيب العقول والاخلاق ، لتنظر الى معنى كلمة (كولتور) الالمانية والفرنسية و (كلشر) الانكليزية . وهذه الكلمة الغربية نفسها (كولتور) كانت تعني في بادىء الامر الزراعة والعبادة والتحسين ولم تطلق على مفهوم الثقافة الحاضر الا في اوائل القرن التاسع عشر .

ولا يزال الكتاب والمتكلمون يخرجون للكلمة معنى جديدا على صواب او على خطأ فيشيع ويعم استعماله ويعسر على الفصحاء استئصاله . وليس ذلك بدعا في العربية : فقد نبه الدكتور مصطفى جواد على كلمة (الصمود) وقال ان العرب لم تعرف الصمود مصدرا وانما المصدر (الصمد) كالقصد وزنا ومعنى . فاذا كان العرب قد استعملوا الصمد في حروبهم للقصد والسر الى العدو ، فكيف يستعمل للثبات والقرار وهو عكس معناه ؟

ونبه الدكتور جواد ايضا على كلمة (الاستهتار) فقال ان معناها الغرام والولوع بالشيء وخطا المحدثون في استعمالها بمعنى التهاون بالشيء والاستهانة به كان يقال : (فلان مستهتر بالقانون) . وقالوا (الهاوي) وجمعها (الهواة) بمعنى المحب وغير المحترف كالموسيقي الهاوي والمصارع الهاوي وهواة الطوايع وفصيحتها (الهوي) بلا الف ، اذ معنى الهاوي لفة : الساقط والجراد الخ . وكرر الدكتور تنبيهه وبع صوته في (قل ولا تقل) ، لكن جمهور الكتاب والقراء لم يبالوا بذلك التنبيه واستمروا على اخطائهم لا يرضون عنها بديلا .

قال الدكتور جواد في كتابه « المباحث اللغوية في العراق » وهي المحاضرات التي القاها في قسم الدراسات الادبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة سنة ١٩٥٤ : « ومشكلة التعبير بالعربية في هذا العصر مشكلة عويصة : فان كتاب العرب في القرن العشرين الميلادي واواخر القرن التاسع عشر يختلفون اختلافا غير قليل عن القدماء

في التعبير بالعربية لان التعابير المترجمة من اللغات الاعجمية قد تسربت في العربية بوساطة الصحافة ، فهي التي طورت اللغة العربية ، ولان العربية قد نضأت بكثرة اللهجات العامية وتطاول الازمان عليها واستفحالها . . . فكلما امتد الزمان بالعرب زاد كون العربية صناعة وتقليدا . ولكن الذي يبعث على السرور والابتهاج هو الاجتهاد في نشر اللغة الفصيحة ، وازالة الامية ، والتربية النسوية . فالعامية في الاقطار التي استروحت رائحة العروبة يميلون كل الميل الى تقليد الكتاب والخطباء نسي عباراتهم ومفرداتهم حتى ارتقت لفتهم . والتعليم النسوي لم يبلغ في عصر من عصور الاسلام ما هو عليه اليوم ، مع انه في اول النهوض . . . »

ولا مندوحة اليوم عن قبول الكلمات والصيغ التي شاعت على الالسن في البلاد العربية على ان تكون مطابقة لروح اللغة وان تقرها المجامع اللغوية فتدخلها في معجماتها وتنص على معانيها الحديثة . على ان هناك اغلاطا فاشية لا سبيل الى قبولها ، كان يقال : (كم هو جميل هذا الصباح) وهو ترجمة حرفية لصيغة التفضيل الانكليزية والفرنسية ، بينما قالت العرب منذ القديم : (ما اجمل هذا الصباح) ، وهلم جرا .

ولكن لنعد الى معجم المساعد الذي صدر الجزء الاول منه مقتصرا على حرف الهمزة ، (حتى الالف واللام) وقد وطأ له المحققان بمقدمات وافية تناولت سيرة المؤلف وآثاره ومركزه اللغوي وما كتب عنه وقاموسه المساعد ومنهج الناشرين في التحقيق . وذيل الكتاب بفهارس مفصلة يسهل مراجعته والافادة منه .

ان من اهم مزايا الكرمللي اطلاعه الواسع على المراجع العربية والافرنجية على السواء ، وهي مزينة قلما اجتمعت لمحقق بحاث لغوي وتاريخي . فنراه في مساعده - كما في سائر تصانيفه - يرتفد من ينابيع الثقافات العربية القديمة واللاتينية واليونانية والفرنسية ويرجع بيسر وسهولة الى امهات الكتب والمعجمات في اللغات التي يحسنها . فحينما يعرض لكلمة (ابراكادبرا) وهي من الفاظ الطلاسسم والسحريات يستقي معلوماته من كتاب المحاسن والماوىء للبيهقي ومعجم لاروس والمعجم المدرسي الانكليزي . وهكذا في سائر مواد قاموسه .

وفي المساعد خلاصة كثير من التصانيف التي وضعها او نشرها الكرمللي : فمن ناحية اللغة وفقهاها وقياسها ومعارضتها بالالسن الاعجمية نجد مواد وردت موسعة في كتابه (اغلاط اللغويين الاقدمين)

و (نشوء اللغة العربية ونموها واكتهاؤها) . ومن ناحية المفردات ونظائرها في اللغات الحية نجد المساعد يلخص كثيرا من مواضيع (النقود العربية وعلم النميات) و (نخب الذخائر في احوال الجواهر) ومقالاته العديدة في الصحف والمجلات خلال زهاء نصف قرن .

وعنى الاب العلامة بالاوبد والاساطير العربية والاعجمية ، فمن ذلك ما ذكره عن (الازدهاق) ويسميه العرب (الضحاك) ، فقال ان اهل اليمن يدعون ان الضحاك منهم وانه اول الفراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل . والفرس تذكر انه منهم وتنسبه اليهم ولهم فيه قصص ذكرها ابن الاثير في الكامل ، ولم يشر الى قصص السكرد عن الضحاك او زهاق الملك الطاغية الذي سام آباءهم ذلا حتى قتله كاوا الحداد . ولعل اول مصدر عربي لهذه القصة كتاب (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) للاديب المؤرخ الرحالة ابن عريشاه المتوفي سنة ١٤٥٠م ، ولو انه رواها مبتورة ناقصة . (وتفصيل ذلك في مقال لي عن الملك الضحاك في المراجع العربية القديمة) نشرته جريدة (التأخي) في عددها المؤرخ في ٢٤ حزيران ١٩٧٠ .

وعنى الكرمللي في معجمه بوجه خاص بالميثولوجية اليونانية القديمة التي تزخر بالخرافات والحكايات عن الالهة والابطال . والعلوم ان العرب ، حينما عمدوا الى الترجمة في صدر الدولة العباسية ، اهتموا بكتب العلوم من طب وفلك وهندسة وفلسفة وما الى ذلك واغفلوا الشعر والادب كالاياذة والاوزيسة لما حفلت به من خرافات وثنية مغايرة لروح الاسلام . ومرت اجيال طويلة حتى اقدم سليمان البستاني على نقل الاياذة هوميروس شعرا الى العربية انفق في ذلك اعواما طويلة ومهد لها

بمقدمة ضافية عن الادب والاساطير الاغريقية القديمة مما لم يكن معروفا مثيله في لغة الضاد . وكان العمل الذي نهض به البستاني عملا يرهق كاهل الفرد لولا نبوغ الرجل وعلمه الوافر وجلده الطويل . ومع ذلك انبرى عباس محمود العقاد ، وهو آنذاك فني مطلع شبابه الفوار ، يلوم المترجم ويقول في (خلاصة اليومية) ان البستاني اضاع اعواما في تعريب الاياذة لو قضاه او بعضا منها في نخبة من اسفار الحكمة الغربية لكان ذلك خيرا للعربية وقرائها من نقل كل ملاحم الاقدمين . ثم قال العقاد :

« نقل الينا تلك الملحمة الضخمة التي تشتم عنجهيات البدو وخلافات القبائل في كل قصيدة من قصائدها ، على حين بدا الاوربيون انفسهم يمجونها ويزهدون فيها ... »

ولا يمكن ان نقر العقاد على هذا الرأي فالايادة من عيون الادب العالمي التي نقلت الى اغلب اللغات فكانت العربية فقيرة اليها حتى سد البستاني الخلة وراب الصدع . وقد كنا ، نحن العرب ، نزهد في كتاب (الف ليلة وليلة) ونعده من الحكايات الباطلة البعيدة عن الادب حتى اقدم المستشرقون الغربيون على نقله الى لغاتهم والعناية بأصل قصصه وتحقيق مصادرها وتعيين ازمان تدوينها وبيان ما انطوت عليه من محاسن ادبية ، فاذا بنا نعود الى كنزنا المهمل فننقض عنه الغبار ونوسعه درسا وتمحيصا ، كما فعل احمد حسن الزيات وانداده .

ذلك ما عن لي كتابته لدى صدور الجزء الاول من (المساعد) . واختم كلمتي مكررا ازجاء الشكر الى وزارة الاعلام واضفاء آيات التقدير على الصديقين المحققين الفاضلين كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي آملا ان تظهر بقية اجزاء المعجم في غمد قريب .

ديوان مالك بن الربيب وكتاب الخيل للأصمعي

معرض

طراد الكبيسي

الاهدادية العربية - بغداد

ولكن الذي نلاحظه ، كما قلنا ، أن البعض من العاملين في هذا الحقل لا يميزون بين ما ينبغي أن يتقدم وما لا يمكن أن يقدم (يمكن أن يترك للباحثين والمتخصصين) وإذا ما تقدم فينبغي أن يقوم تقويما علميا يكشف ما فيه من مواطن الخلل .

وفي هذا العدد من « المورد » نعرف بعملين قيمين للدكتور نوري القيسي : ديوان مالك بن الربيب . وكتاب الخيل للأصمعي . في الاول ، مواقف انسانية لا يمكن انكارها ، بالرغم مما احيطت به شخصية مالك من ملاسات . وفي الثاني : مادة لغوية لا يستغني عنها كاتب ، او قارئ جديد للتراث .

١ - ديوان مالك بن الربيب :

تأتي شهرة مالك ، كشاعر وانسان ، من مصدرين : اولهما ، قصيدته البائية الشهيرة التي رثى بها نفسه . لما تعبر عنه من مواقف انسانية . مواقف انسان مشرف على الموت ، بعد حياة شاقة غنية بالتجارب ، فقد « رسم مالك من خلال هذه القصيدة ، الحقيقة التي يحس بها المرء وهو يقابل المأساة . ويشمر بالنهاية ، ويتلمس ابعاد الحياة التي لا بد لها من النهاية المحتومة . وهي حقيقة في الغالب يشوبها الخوف ، ويتناثر في طواياها التفكير المؤلم ، وبتراءى من بين زواياها اليأس المحض » ص ٦٤ .

والمصدر الثاني لشهرة مالك ، هو انه كان خارجا على نظام الدولة ، عابثا بامنها وسلامتها ، متمردا على ولايتها وعمالها . اي انه بلفة المصادر القديمة (كان فاتكا لصا) او صعلوكا من سلالة اولئك الصعاليك الذين نعرفهم في الجاهلية : الشنفرى ، عروة بن الورد ، والسليك بن السلكة .

في حقل المعرفة والادب ، ينبغي في رأينا ، توفر عنصرين أساسيين لا غنى عنهما ، أو عن أحدهما دون الآخر . هما : الوعي الحضاري ، والحاجة الانسانية . ذلك أن أي عمل في هذا الميدان لا يصدر عن وعي حضاري معاصر ، هو عمل خارج حدود المعرفة التاريخية الحقة . وأي عمل لا يسد أو يمس حاجة انسانية : اجتماعية أو قومية ، هو عمل خارج دائرة الجدوى . عمل مجاني . ولا يشترط في العمل هنا ، أن يكون دراسة فقط . بل يشمل حتى الاختيارات والتقديم . ما دام الاختيار والتقديم ، يصدر عن موقف في جوهره .

وفي حركة احياء التراث العربي ، انما تتوخى أولا ، تفضية الوجدان العربي القومي والانساني ، جماليا وفكريا .

ان ابراز القيم الجمالية والثورية لهذا التراث ، هدف يقصد به الى تكوين الشخصية القومية ، ورفدها بالينابيع الاصلية ، وترسيخ الارض التي يقف عليها المواطن اليوم .

على أن الذي نلاحظه في جهود بعض الترائيين - ان جاز التعبير - انهم ابعد ما يكونون عن وعي التراث وعيا حضاريا معاصرا ، باعتباره عاملا اساسي في تكوين الفرد ، وبنية المجتمع الثقافية . ذلك أن في التراث من سقط المتاع او فاسده ، الكثير . بحيث تكون عملية احياؤه عملية مجانية ، بل في احيان ، تكون تخريبا للوجدان القومي المعاصر ، وترسيخا لقيم متخلفة بات من البدهاة ، محقها . . هذا بينما هناك ، في التراث جانب اخر اكثر اشراقا واكثر جمالية وانسانية . هذا الجانب هو في رأينا ، ما ينبغي أن تنصب الجهود لإحيائه ، وتقديمه للقارئ ، اليوم .

وبعبارة أكثر حدائه ، كان مالك ، انسانا مفتربا عن مجتمعه « تنامت في نفسه ، روح التمرد والخروج » على المجتمع « حتى أصبحت قيادته أمرا شاقا » . انه واحد من أولئك الصعاليك الذين دفع بهم المجتمع بنظمه وتقاليده الضاغطة ، لان يخرجوا عليه ، وهم يحملون في جنبهم ، أكثر مافي تلك النظم والتقاليد ، من جمال : الكرم ، العفة ، الشجاعة ، الشجاعة ، الوفاء ، حب الوطن ، والود الصادق له . وأهم من كل ذلك : التوق الحار الى الحرية والتشبث بها ، والموت دونها :

خذاني فجراني بثوبي اليكما

فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

والذي يبدو لي ان سبب خروج مالك على آل مروان لا يعود الى « الحاجة التي اقمده عن مكافأة الاخوان ، والعجز عن المعالي ، ومساواة ذوى المروءات .. » ص ٦١ كما رأى ذلك الدكتور القيسي اعتمادا على رواية الاغاني . وان كانت الحاجة المادية سببا ، دون شك ، أساسيا من اسباب الصعلكة في الجاهلية أو في الاسلام . مع ملاحظة تأثير الاسلام في الصعاليك للاسلاميين ان للصعلكة أسبابا كثيرة ، لعل أقواها : الحاجة المادية والنظم القبلية ، لاجال للتوسع بها هنا (يمكن ملاحظة كتاب الدكتور يوسف خليف القيم (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) .

وأنا أرى ، بالإضافة الى الحاجة المادية والنظم القبلية ، ان حيفا لحق بمالك بن الرب ، من آل مروان ، اعتمادا على بعض الاشارات التي جاءت في شعره ، أو الشعر المنسوب له . كما قال من ذلك في هجاء آل مروان (لا الحجاج باعتبار انه لم يدرك الحجاج) قال :

فان تنصفونا آل مروان تقترب

اليكم والا فاذنوا بتمادي

فان لنا عنكم قراحا ومزحلا

بعيس الى ربح الفلاة صوادي

وفي الارض عن دار المدلة مذهب

وكل بلاد اوطنت كبلادي

وقوله أيضا بهجو مروان :

لممرك ما مروان يقضي امورنا

ولكن ما تقضي لنا بنت جعفر

فياليتها كانت علينا اميرة

وليتك يا مروان امسيت ذاخر

وقوله أيضا :

احقا على السلطان : اما الذي له

فيعطى ، واما ما يراد فيمنع

.....

ولولا رسول الله ان كان منكم

تبين من بالنصف يرضى ويقنع

ان كل هذه الاشارات تؤكد ، ان ثمة ظلما لحق بمالك وقومه من قبل بني أمية أو آل مروان . . لم يصبر عليه ، ولم يطق المقام « بدار المدلة » يدفع ما عليه للسلطان ، بينما لا يدفع السلطان له حقه . هذا فضلا عن الغدر الذي لم يحتمله . ذلك ان آل مروان قد اتخذوا من مالك وقومه ، درعا لهم في الملمات ، لكنهم اذا ما انفرجت الازمة ، غدروا بهم وتنكروا لهم :

نحن الذين اذا خفتم مجلله

قلتم لنا اننا منكم لتعتصموا

حتى اذا انفرجت عنكم دجنتها

صرتكم كجرم فلا آل ولا رحم

ان سياسة بني أمية كانت سببا أساسيا في خروج مالك على الدولة :

لا كنت احدث سوءا في امارتكم الخ
(مقطوعة ٢١)

واذا أضفنا الى هذه السياسة المخاتلة: فساد الحالة الاقتصادية وغياب العدالة الاجتماعية ، وتشبع مالك بالقيم البدوية التي أبرزها ، التمسك الشديد بالحرية وعدم الرضوخ للظلم والحكومة المركزية ، تبين لنا لماذا سلك مالك هذا المسلك ! ومن يدرينا لو لم يكن (رسول الله من آل مروان - كما قال مالك) ولو لم يكن مالك مسلما ، ماذا كان فعل بهم ؟ !

وعلى أية حال ، فقد بدل الدكتور القيسي ، جهودا جديرة بالشناء والتقدير ، في جمع ما تفرق من اشعار مالك بن الرب ، هذا الشاعر الذي يضرب مثلا في الابهاء ، والشجاعة ، والافتراب ازاء الموت والقيم الاضطهادية .

٢ - كتاب الخيل للاصمعي .

« أحب العرب الخيل منذ اقدم العصور ، لما أدته لهم من نفع كثير ، لذلك كانت عنايتهم بها ، واهتمامهم بتربيتها ، عناية تفوق كل شيء . وقد اشتهر الجاهليون بالمحافظة على انسائها ، وعدم

الخلط بين سلالاتها ، فنراهم يخلدون ذكرها وصفاتها في قصائدهم ، ومقطعاتهم وقد عكف فريق من العلماء ، كالاصمعي وأبي عبيدة وغيرهما على تدوينها تدوينا منظما ، ووضعوا في ذلك رسائلهم التي لم يصل اليها منها الا النزر اليسير .

ومن هذا النزر اليسير الذي وصل ، كتاب الخيل للاصمعي الذي حققه مجددا الدكتور القيسي معتمدا على النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبة كوبرلي زاده في استانبول ، ومستعينا بنسخة الاستاذ هافنر المطبوعة سنة ١٨٩٥ للمخطوطة نفسها ، مصححا ما وقع في نسخة هافنر من تحريف وتغيير « موضحا الفروق والاثهام التي تجلت له من خلال العمل . »

وكتاب الخيل ، هو في الحقيقة ، مادة لغوية قيمة لا يستغني عنها كاتب أو قارئ للتراث - كما قلنا سابقا ، فهو يعرض لاسمائها ، وصفاتها ، واحوالها ، والقصص المشهور عنها .. مما لا يمكن التعرض له هنا ، لاننا لو فعلنا ذلك ، لنقلنا الكتاب كاملا .

ان كتاب الخيل اذا دل على شيء ، فانما يدل

على العناية البالغة التي اولاهها العرب للخيل ، بحيث انه يمكن القول « ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الانسان كالخيل .. » على انه « بلغ من تعظيمهم للخيل ، انهم كانوا لا يهثون الا بفلام يولد . أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج . »

اما السر في هذا الاهتمام بالخيل ، فلا بد انه راجع الى الفة هذا الحيوان ورشاقته وجماله ، وسرعته في العدو هذه السرعة التي بها يتنافسون ، « ويطاردون من انهزم من خصومهم ، ويفرون بها من المعركة اذا شعروا بأن بقاءهم في المعركة لا يجدي ، ويقيدون بها الاوابد ، وبصطادون مايعن لهم في هذه المفاوز المقفرة ليتخذوه طعاما يسدون به غائلة الجوع ... » كما ذكر ذلك الدكتور نوري القيسي في المقدمة التي خص بها فاتحة الكتاب .

ان جهودا تبذل لبعث ونشر تراث كهذا ، لهي حقا جهود ذات نفع علمي وعملي . ولكن مع هذا تظل الملاحظة التي ذكرناها في البدء واردة . اقصد ان اعمال اخواننا « الترائيين » ومقدماتهم تظل في حدود الكتابة الوصفية ، اما التدقيق ، والتحليل والكشف على ضوء منهج علمي ، تاريخي ، فلم نجد له لحد الان أثرا .

ديوان ابن وكيع التنيسي

بقلم
هلال ناي

بغداد - الاطمية - شارع الشهيد وجدي ناجي

أو حاجب ذي شـمـط
ظل من التـيـه يمـط
وللسماء وشـمـط
من النجوم وسـمـط
تحكي بسـمـطاً أزرقـمـطاً
فيه من التبر تقـط
حتى إذا الليل بسـمـطاً
فيه من الصبح وخـمـط
وخلت ذا في جـمـط
حين تعرى وانكشـمـط
غلالة فضيـمـط
عن جسم زنجي تمـط
وقد حكى غديـمـط
في زهرد حين اغتمـط
مرآة جـال مـمـط
موضوعة فوق نمـط
ومما يستدرك قوله :

(٢)

طاف بها يجلو ظلام الفهم
كالبدري يمشي في الدجى بكوكب
وقد بدا ضوء هلال احـمـط
يلوح في الجـمـط كقـمـط
كمنـمـط طائر او مـمـط
ومما يستدرك قوله :

(٣)

وليلة احييتها
ما بين عجب وعجب
طار بنا في جنحهم
جنـمـط لهـمـط وطـمـط

هو ابو محمد الحسن بن علي بن احمد بن محمد بن خلف الضبي ، شاعر مجيد بارع من شعراء القرن الرابع الهجري بمصر العربية ، كان شاعراً وصافاً واكثر شعره في الزهريات والخمر والغزل . توفي ودفن في (تنيس) سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة . وكان له ديوان شعر جيد فقد فيما فقد من تراث السلف . وله كتاب سماه - المنصف - صنفه في سرقات المتنبي وصلنا جزء منه . تقضه ابن جني في كتاب سماه « النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته » .

وابن وكيع من شعراء مصر البارزين في عصورها الاسلامية ولذلك كان موضع اهتمام اخواننا الباحثين من أبناء النيل . كتب عنه الاستاذ محمود الحنفي ذهني (رسالة ماجستير) . كما افرد له صديقنا الباحث الكبير الدكتور حسين نصار كتاباً بعنوان - ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر - ترجم له فيه كما عرف بفنونه الشعرية وارادها بمجموع ما وقع عليه من شعره وهو مجهود علمي قيم ، جدير بالتنويه والتقدير وحرى بالاكابر والتجلة وهو ايضا مجهود رائد لم يسبق اليه .

ولقد ظفرت بمجموعة طيبة من شعر ابن وكيع لم يضمها المجموع الذي طبعه الدكتور (حسين نصار) فرايت ان استدركها عليه آملاً ان ينتفع منها الباحثون وسدنة التراث ، وان تكون ذبلاً للديوان وصلة .

استدراكات

(١) فمما يستدرك قول ابن وكيع من قصيدة :
ولاح لي هلالهم
كقوس رام إذ يفسط

(٢) التنبيهات من ١٧ .
(٣) التنبيهات من ٢٥ .

(١) غرائب التنبيهات من ١٤ و ١١ و ٥٦ و ٦٧ .

والبدر قد اهـدى لنا
في ظلمة الليل شهب
وقد دنست جـوزاؤه
اليه تسمى من كـسب
كانها روميـة
في اذنـها شـنف ذهب

(٤) وقوله :

قم يا غلام ادر علي بسـحرة
كأيا كطعم العيش بل هي اطيب
لاسيما والنيل يلمع فوقه
بدر لوقت مغيبه متصوب
وكان صفح الماء درج ابيض
فيه لضؤ البدر سطر مذهب

(٥) وقوله :

ومشمولة من بنات الكـروم
تميت الهموم وتحيي الجـدل
تناولتها وشباب الظـلام
قد شاب من فجره واكتهل
وقد شـاكت في اديم السـماء
نجوم الثريا للحظ المقل
دنائير اعطتكها راحـة
سواد الخضاب بها قد نصل

(٦) وقوله :

اقول لبدري والخمار يكـدني
ولي طرق مجنون واطراق مرعش
الا سقنيها والثريا كأنما
كواكبها في جوها غصن ممش

(٧) وقوله :

مازلت اشربها واسقي صاحبي
والصبح في سربال تبر مشرق
حتى بدت زهر النجوم كأنها
درر نثرن على بساط أزرق

(٨) وقوله :

والفجر قد خالط بالنور الفسق
فجاء في هيئة طرف ذي بلق
تبسم الزنجي عن ثغر يقق

(٩) وقوله :

سقاني كأس الراح شاطيء جدول
تداريجـه يحكين بطنـا معنـا
اذا صافحته راحة الريح خلتها
بتكـيرها اياه ثوبـا مـفـنـا

(١٠) وقوله :

خذها بكفي فاتر الجفون
على خليج املس المتون
امواجه كمكن البطون
ذي زرد كالزرد الموضون
كلخ ايم او كلخ نون

(١١) وقوله :

قم فاسقني قهوة اذا انبعثت
في باخل جاد بالذي ملكه
لو خامرت صخرة بسورتها
لاحدثت في سكونها حركه
على غدير اذا الصبا درجت
في متنه اظهرت لنا جبكه
كان ايدي الرياح قد بسطت
لنا على وجه مائه شبكه

(١٢) وقوله في النرجس :

اشرب فلت على صحو بمعدور
واطرب على صوت نايات وطنبور
اما ترى النرجس الريان يلحظنا
كان اجفانه اجفان مخمور
كان اصفره في وسط ابيضه
قراصة اودعت احشاء بلور
اما تراه ومر الريح يعطفه
كانه زعفران وسط كانور
اذا بدا في اختلاف من تلونه
اراك كيف امتزاج النار بالنور

(١٣) وقوله في زهر الشقائق :

شقيقة جاءتك من روضة
يقصر عنها كل مشوموم
سوادها في صبغ محمرها
كشامة في خد ملطوموم

(٩) التنبيهات ص ٦١ .

(١٠) التنبيهات ص ٦١ والرسالة المصرية لابن ابي الصلت .

(١١) التنبيهات ص ٦٢ .

(١٢) التنبيهات ص ٧٧ .

(١٣) التنبيهات ص ٩٤ .

(٤) التنبيهات ص ٢٨ .

(٥) التنبيهات ص ٣٦ .

(٦) التنبيهات ص ٣٩ .

(٧) التنبيهات ص ٤٤ .

(٨) التنبيهات ص ٥٧ .

(١٤) وقوله :

قم فاسقني يا رفيقي
من السلاف الرجيق
أما ترى الطل يحيكي
على أحرار الشقيق
لأننا ضمننا
مداهن من عقيق

(١٥) وقوله :

طرف الباقلاء فيه بـورد
ناظر اللحظ من عيون الحور
بياض سواده فيه يحيكي
سبجا نابتا على بلور

(١٦) وقوله :

نور الباقلاء نورا طريفا
جل في حسنه عن الاشكال
قد حكى ورده لنا اذ تبدى
سر الروم ضمخت بالفوالي

(١٧) وقوله :

لي نحو ورد الباقلاء
ء ادمان لحظ ولهج
كأنما مبيضه
يلوح في ذاك الدعج
خواتم من فضة
فيها فصوص من سنج

(١٨) وقوله :

ألا سقنيها برغم المدول
تحاكي لنا الذهب الأحمر
فقد نور الروض منشوره
وأحسن بجوهره جوهرا
ونور ورد من الباقلاء
يحاكي لنا الناظر الأحورا
أشبه أسوده في البياض
دراهم قد ضمخت غبيرا

(١٩) وقوله في النارج :

ألا سقني السراج في جنسة
طرائف أثمارها تزهـر

كان تماثيل نارنجها

إذا ما تأمله البصر
دبابيس من ذهب زانها
مقايض كيمحتها أخضر

(٢٠) وقال :

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه
فيا حسنه من منظر حين هتكنا
حكى صدر خود من بني الروم هزها
سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا

(٢١) وقال :

أما ترى النخل حاملات
برا حكى لونه الشقيقا
كأنما خوصه عليه
زبرجد مثمر عقيقا

(٢٢) وقال :

أما ترى البسر الذي
قد حاز كل العجيب
كيف غدا في لونسه
كعاشق مكتسب
مكاحل من فضة
قد طليت بالذهب

(٢٣) وقال :

أشرب فقد زالت المآذير
وساعت بالنبى المقادير
وجاء فصل الربيع ملتصبا
أن ينطق البسم فيه والذير
وهز كتانسه ذوائبه
ففيه جهد الصفات تقصير
كأنه بسط سندس بهج
قد نثرت فوقه الدنانير

(٢٤) وقال :

وافت بكأس الراح تحمل نارها
تحت الظلام براحة من ماء
راح حكى بحبابها شمس الضحى
قد قلدت بكواكب الجوزاء

(١٤) التنبهات ص ٩٦ .

(١٥) التنبهات ص ٩٨ .

(١٦) التنبهات ص ٩٩ .

(١٧) التنبهات ص ٩٩ ونهاية الأرب ٢٢/١١ .

(١٨) التنبهات ص ١٠٠ .

(١٩) التنبهات ص ١٠٢ .

(٢٠) التنبهات ص ١١١ .

(٢١) التنبهات ص ١١٢ .

(٢٢) التنبهات ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢٣) التنبهات ص ١٢٧ .

(٢٤) التنبهات ص ١٢٢ .

(٢٥) وقال :

بدا لنا الراي(*) السدي
تلذ عيني منظـه
في قمص فضيـة
اذبالها معصفـه
عوضه القالي بها
غلانـلا مزعفـه
وافى به فمـا راتـه
به العين حتى لم تـره

(٢٦) وقال :

خروفا لو اشار اليه وهم
تقطر جلده بالشحم يجري
لباطنه قميص من لجين
تربل فوقه بقميص تبر

(٢٧) ومما يستدرك على شعر ابن وكيع قوله :

بينا انزل امرى ان يجي فرج
مقدما فيه بين السوف والبيت
اذا بصرت باب الدار مستلما
فملت مستمعا اصفي الى الصوت
فقلت من جا باب الدار يقرعه
نادى : انا فرج ، زن لي كرى بيتي

(٢٨) وقال :

اعف قلبي من العتاب وسمعي من العذل
فبه عن جميع من لام في لذة ثقل
واسقني اوترى خضاب دجى الليل قد نصل
من سلاف كأنها هي في كاسها زحل
ليس الا بها يتم السرور منها لمن عقل
دولة للسرور ناهيك عن سائر الدول
فاجلها في مورديات وصفر من الحل
انما العيش فرصة فانتهاز فرصة الامل

(٢٩) وقال :

اسقني الراح برغم العاذل
قهوة تفسد عقل العاقل
اسقني حتى تراني جاهلا
ان احلى العيش عيش الجاهل
مسلك الحق شديد فازوني
عنه واسلك بي طريق الباطل

(٣٠) وقال :

هتك الفجر عن سنا الصبح سجفا
بانديمي فسقني الراح صرفا
في رياض ان هب منها نسيم
رشفته القلوب بالسم رثفا
تستفيد القلوب ان هب يوما
قوة منه كلما ازداد ضعفـا

(٣١) وقال :

وشمس سلاف كان العير من ريـ
سح فائحـها استنشقا
تناولها من يدي صاحبـي
وثوب دجا الليل قد اخلقا
فكان له فمـها مغربـها
وكان لها خـده مشرقـا

(٣٢) وقال :

سكران ما انا منهما بمفـيق
ما عشت ، سكر هوى وسكر رحيق
قم يا غلام ادر مدامك بيننا
بالجام والطاسات والابريق
لا سيما والريح تحمل نحونا
انفاس مك في الرياض فتيق
والطل من فوق الشقيق كأنه
درر نثرن على بساط عقيق

(٣٣) وقال :

نادم مدامك دون الناس كلهم
فردا وحيدا ففيها عنهم شغل
مات الذين اذا حدثتهم فرحوا
بما تقول وان خاطبتهم عـقـلوا
لم يبق الا اناس فاض عيـبـهم
فجملة الامر فيهم انهم سـفـل
ان حدثوا كذبوا او حدثوا غرضوا
او موزحوا سخفوا او جـولـسوا ثقلوا

(٣٤) وقال :

اسقني من قهوة مشـمـولة
تخلص النفس بها من همـها
لا تذوقها الماء في كاسـاتها
حسبها ما شربت في كرمـها

(٢٥) التنبيهات ١٥٢ - ١٥٣ .

(*) نوع من السمك .

(٢٦) التنبيهات ص ١٥٦ .

(٢٧) جمع الجواهر في الملح والتوارد ص ٢٢٧ .

(٢٨) قطب السرور ص ٦٦٤ .

(٢٩) قطب السرور ص ٦٦٥ .

(٣٠) قطب السرور ص ٦٤٥ .

(٣١) قطب السرور ص ٦٥٢ .

(٣٢) قطب السرور ص ٦٥٤ .

(٣٣) قطب السرور ص ٦٧١ .

(٣٤) قطب السرور ص ٦٧٦ - ٦٧٧ .

(٣٥) وقال :

خليا عنكما عتاب الزمان
وذرائي من لوميه واعفياني
ان لوم الزمان فيما جنباه
هو عندي ضرب من الهذيان
هو سلطانا المحكم فينا
اي معد يعدي على السلطان
ما اري له عوننا عليه سوى الر
اح فحشا كنوسها واسقياني

(٣٦) وقال :

قم فاسقني الصفو من رحيق
مشمع اللون كـروى

(٣٧) وقال :

قم فاجعل اليوم حنا
ولذة مثل امس
مرة المراء سـعد
والهم طالع نحس
قم ادرهنا علينا
صفراء في ثوب ورس
يحكي الحبيب عليها
غمامة مثل شمس

(٣٨) وقال :

وحديث كانه
أوبة من مسافر
كان اشهى من الرقـ
ساد الى طرف سـاهر
بت الهو بطيبه
في ريباض زواهر
بين سباق وسـامر
ومفنن وزامـر
ليلة غاب شخصها
عن عيون الدوائر
كان ذهبن الزمان
(عندها) غـير حاضر

(٣٩) وقال :

وليلة سـاهرتها
الى طلوع السـحر

(٣٥) قطب السرور ص ٧١١ .

(٣٦) قطب السرور ص ٧٢٣ .

(٣٧) قطب السرور ص ٦٢٠ .

(٣٨) قطب السرور ص ٥٨٦ .

(٣٩) قطب السرور ص ٥٨٦ .

سهرتها من طـرب
ياطيب طعم السـهر
رايت فيها منظرا
يجلو القذى عن بصري
شمسا بكفي قـمر
يديرها في قـمر

(٤٠) وقال :

رايت الدهر حالا بعد حال
كان صروفه فينا قـمار
فلا تسخط على ذنب اتـاه
فليس له من الذنب اعتـذار
وخد كاس العقار قرب جـرم
له عقب مفاتحه العقار
اذا ضاع الرور سلكت منها
اليه مسلكا فيه اختـصار

(٤١) وقال :

ليلة بت في ظلماتها طربا
يسعى الي بشمس القهوة القمر
سهرتها سهرنا من طيب لذته
وددت لو ان عمري كله سهر

(٤٢) وقال :

ليهنك نيروزا اتـاك كانه
رسول حبيب بالامان من الهجر
فبادر الى لذات يوم كانه
من الحسن قرط لاح في افق الدهر
وخلها على رغم الحسود مدامة
أرق من الشكوى واحلى من النصر
لها صورة في الكاس عند اجتلائها
حكّت صورة الاقبال في فسحة العمر

(٤٣) وقال :

وحانة خمار انخت مطيتي
اليه وقد أرخى الظلام له سترا
وقد زهرت وسط السماء نجومها
كدياجة زرقاء قد تقطت تبرا
فأبرز لي صباء يهدي نسيمها
الي اذا ما فاح فائحها عطرا
ودارت لنا كاساتها بمدامنة
تري دهم خيل صرن من نورها غرا

(٤٠) قطب السرور ص ٥٨٧ .

(٤١) قطب السرور ص ٥٨٧ .

(٤٢) قطب السرور ص ٥٨٧ .

(٤٣) قطب السرور ص ٥٨٨ .

تشت شمل الهم حتى كأنها
إذا نزلت بالهم ، طالبة وترا
إذا التقيا في القلب ولت جيوشه
بخللان مهزوم واعطيت النصرا
إذا ضاق صدر المرء بالهم وانثنى
إلى كأسها الفيته يحمده الدهرا
فما زال يثقبني ويشرب مسعدا
عليها غزال طرفه ينفث السحرا
إلى أن رأيت الشمس قد خلعت لنا
على الأفق من أنوارها خلعا خضرا

(٤٤) وقال :

بالأثما يعللني في طسربي
حبك قد أكثرت من هذا الهذر
أعرف فضل العقل إلا أنه
بدل طعم العيش صفوا بالكدر
الجهل ينبوع ممرات الفتى
والعقل ينبوع الهموم والفكر
فاجبر على ما تشتهي جباله
ما ناز باللذة إلا من جسر
واشرب عقارا لو أصابت حجرا
لطار من خفته ذاك الحجير
عدوة الحزن الذي ما فثرت
قط به إلا أساءت في الظفر
لو رام أن يجير من كدها
صرف القضاء الحتم يوما ما قدر
أرقب الدهر إلى أن شاككت
من رقة شعر جميل وعمير
خفية الحيلة في جسم الفتى
تحدث في الجسم ديبا وخدر
كأنما الأوطار فيها جمعت
فليس في العيش لجافينا وطير
لا سيما من كف ظبي لم يشين
بفرط طول لا ولا فرط قصر
له سهام من لحاظ صيب
كأنما يرمين عن قوس القدر
لو لم يكن زماره في وسطه
يمسك ضعف الخصر منه لانبتر
وبان منه نصفه عن نصفه
لكنه جاء له على قدر

(٤٥) قطب الرور ص ٥٨٩ - ٥٩٠ .

يا لك منه منظرا أشهى إلى
قلبي من جنة عدن وأسر
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلة
لو لم تكن نزعج منها بسفر
(٤٥) وقال :

أقول والكأس على خده
تلمع مثل الكوكب الواقد
أكاسه من خده صبغها
أم صبغها من عصفور واحد
(٤٦) وقال :

قم فادرها علي راحا
تطرد طيف الهموم طسردا
تثني رجاء القنوط بسطا
فيما تمنى وكان حقدا
كان أقداحيا بشار
يعود فوق الخدود وردا
(٤٧) وقال :

وكأس كنجج الوعد ممن أحبه
تناولتها منه على غير موعد
(٤٨) وقال :

قد عزل الليل على رغبته
وقد أتننا دولة التبج
فانبض إلى الراح ففقل الأسرى
مالم تدرها عسر النج
واربع على دحرك في شربنا
فلذة المعائل نبي الرب
راح إذا دارت على قاصب
عاد بنا ذا خلق سمج
إذا الفتى أغضبته دهره
فانبضا واسطة النج
(٤٩) وقال :

رفعت كفه إلى شفتيه
كأسه والظلام وحف الجناح
فكان العقار فوق ثنايب
سواه بشار مقبل للأقحاح

(٤٥) قطب الرور ص ٥٦٧ .

(٤٦) قطب الرور ص ٥٦٧ .

(٤٧) قطب الرور ص ٥٦٧ .

(٤٨) قطب الرور ص ٥٦٧ .

(٤٩) قطب الرور ص ٥٥٢ .

(٥٠) وقال :

وبفيض كتب البفض اليه من (كلامه)
لست اسطيع من المقت له رد سلامه
ماله عاجله الله سريعا بحمامه

(٥١) وقال :

هيفاء تبدي طرة في غرة
كسواد غدر في بياض وفاء
بلذابتين على الفلالة حاكنا
الفين وسط صحيفة بضاء
وافت بكأس الراح تحمل نارها
تحت الظلام براحة من مساء
راح حكت بحبابها شمس الضحى
قد قلدت بكواكب الجوزاء

(٥٢) وقال :

قم هاتهما مشمولا
تسرع في نلم الحجبنا
تحكم في الهم كمالنا
يحكم في الصبب الهوى
كانها أهدت لهما
خلعتها شمس الضحى
كانها في كأسها
ذوب عقيق قد جرى
الد من عافية
وافت على طول الضنى
وموعيد طال على
وعيد حبيب فوفى
تسمى بهما وانارة الار
داف هيفاء الحشا

(٥٣) وقال :

ماذا انتظارك بالللات والطرب
قل للسقا صلوا الاقداح بالنجب
وافرغوا الماء في راح معتقة
ما احسن الفضة البيضاء في الذهب

(٥٤) وقال :

أما ترى الليل كيف قد خرفنا
وستر نور الصباح قد كشفنا
وأقبل الفجر في غسناكره
وظل والي الظلام قد صرفنا

فقم بنا نصطبج مشعشعة
تشرد الهم أينما ثقفنا
إذا علت في اللبيب سورتها
أنكر من حكمه الذي عرفنا
كانها في الكئوس اذ جليت
من عسجد رق لونه وصفنا
اغضبها الماء حين خالطها
فازبدت في كئوسها انفسنا
در حباب يهود مبصره
لو كان يوما لأذنه شمسنا

وان سرت والظلام معتكر
كان من الشمس نورها خلفا
مع رشاء تم في ملاحظته
تخاله من رشاقة الفنا
يهز قلبي اهتزازة حذرا
أخاف ينقد قده قصفنا
يزينه في قوامه هيسف
خادع قلبي على النهى فهفنا
خاف احتراقا بنار وجنته
عذاره حين ظل منعطفنا
لا أشرب الراح حين تحضرني
حبي خمر بطرفه وكفى

(٥٥) وقال :

مازج بروحك روح الراح تحيها
فالراح كالروح تجري في مجاريها
وأشرب مقارا تر النفس طلعتها
كانما جمعت فيها أمانها
كأس اذا ما دنيء القوم عل بها
راى الخليفة من اتباعه فيها
اذا تسمجت الدنيا دعوت بها
فحسنتها وكفت عن مساورها

(٥٤) قطب السرور ص ٦٤٠ والبيان الخامس والسادس

موجودان في مجموعة الدكتور حسين نصار ص ٨١

(٥٥) قطب السرور ص ٧١٦ - ٧١٧

(٥٠) قطب السرور ص ٣٦٦

(٥١) قطب السرور ص ٥١٢

(٥٢) قطب السرور ص ٥١٢

(٥٣) قطب السرور ص ٥٢١

وان شكوت من الايام مظلمة
اعدت عليها وكفت من تعديها
وان تقلدت الاحزان قلب فتى
اتاه توقيها في عزل واليهما
ما زال ياكلها طورا وتاكله
عمر الزمان ، وتبليه ويبلها
قد ملّ منها وملت طول صحبتها
حتى اتك وقد رقت حواشيها
فصار موجودها من رقة عدما
فالحس يثبتها والطرف ينفيها
تسمى عليك بها خود منعممة
انفاس خمرتها يصدرن من فيها
مرت بحسن الورى عيني فما نظرت
من منظر حسن في الناس يرضيها
حتى اذا بلغت دونهم وقفت
فاقمت بالهوى الا تعديها

كان قامتها ، والريح تعطفها
تثني القلوب اليها في ثنيها
عجبت من خمرة في صحن وجنتها
يشكو فؤادي احتراقا من تلظيها
لما تنهت رآها الحسن كاملة
فيه فخاف عليها من تنهيتها
واحدث المعجب فيها كي يكون لها
عيبا ، فيصرف عنها عين رائيها

وبعد : فهذه مجموعة الاستدراكات التي
وقعت عليها . وهي لا تقدح بحال من الاحوال في
عمل المحقق الجليل الدكتور حسين نصار ذلك انها
جميعا مما نشر في كتب صدرت بعد صدور الديوان
المذكور ، لكنها ذات نفع في طبعة قابلة .

قراءة ثانية لمقال صاحب الزنج الثائر الشاعر ...

بقلم الدكتور

نوري عمرودي القيسي

واضحاً بشكل لا يقبل الشك ، ومتميزاً بصورة لا تدعو الى الحيرة .. وربما وجدت فيه الحقيقة التي اعتقدها اكثر تجسيدا والوقائع اقرب تناولا .. فقد قدم الدكتور لمقاله بمقدمة مسهبة اضاف فيها الى صاحب الزنج ما يضيفه اليه المحدثون من المؤرخين فهو يفتح مقالته بعبارة « منذ اواخر الاربعينيات والعالم العربي يشهد تطورا متميزا طرا على دراسة موضوع ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد متمثلا بالتركيز على فحواها وابعادها الاجتماعية والاقتصادية ، وبالبحث في دلالاتها ومفازيتها التاريخية على اعتبار ان هذه الثورة ومثيلاتها من الثورات والانتفاضات التي شهدنا تاريخنا العربي تحمل مبادئ وشعارات اصلاحية واجتماعية واقتصادية ، وهي في ذاتها نماذج عاكسة لطبيعة المجتمع العربي الاسلامي آنذاك » (المورد ص ١١) . ثم يقول : « فمن المؤسف الا نجد له (التطور) صدى وتأثيرا في المجالات والجوانب الادبية والفنية مع شدة اتصال هذه الجوانب وارتباطها بالتطورات الثقافية عموما .. » (المورد ص ١١) . ثم يقول : « ليس المقصود من كتابة هذه الصفحات اعادة ما كتبه الباحثون في طبيعة ثورة الزنج وبرنامجه السياسي او مبادئها الاجتماعية ، ولا التعرض الى التوسعات العسكرية الناجحة التي خطط لها قائد الثورة » (المورد ص ١٢) . ثم يقول « والحديث عن شاعرية هذا الثائر يفرض سؤالا متصلا بمستواه الثقافي ، ومدى معرفته . والمأمه بالتيارات والاتجاهات المختلفة من دينية وثقافية وادبية السائدة (كذا) في عصره ، وذلك لما له من صلة وثيقة بشخصيته كثنائر وبالنجاحات الواسعة التي امتازت بها ثورته » (المورد ص ١٣) . وينقل الدكتور عبد الجبار عن الاستاذ احمد علي رايه في هذا الموضوع فيقول : « وقد ادلى الاستاذ احمد علي برايه في كتابه

تابعت حركة الزنج منذ فترة طويلة ، وعلى وجه التحديد منذ فترة الدراسة ، وقرأت بعض ما كتب عنها ، موزعا بين كتب مخصصة وفصول من كتب ومقالات وابحاث ، وكنت اجد فيها من التشويق ما يدفع لقراءة الكثير عنها ، ومن الاندفاع ما يحمل على المتابعة . وكل هذه الكتب الحديثة تشير الى قائدنا وتضفي عليه من الصفات ما يجعله في مصاف القادة . ومعظم الكتب القديمة تضفي عليه من النعوت ما يجعله في مصاف الفسدة المارقين الخبيثين . كنت اقرا هذا واقف بين ما يقال حائرا لا اعرف الدوافع التي تدفع اولئك على الهجوم ، وتحمل هؤلاء على الدفاع والتعظيم . ورجعت الى الشعر استنطقه ، والمقطعات استبطنها ، لعلي تسعف . ولعلها تنقذني من الحيرة التي يقع فيها المرء في مثل هذه الاحوال فيجدتها مليئة بما يؤيد وجهة نظر القدامى ، زاخرة بالخراب الذي عم البصرة بعد دخول اصحاب قائد الزنج ، فقد نهبت البيوت وقتل الناس في المساجد ، واستبيحت الاعراض وهتكت الحرم ، وسالت الدماء كالانهار ... ومن يرجع الى قصيدة ابن الرومي يجد فيها من العور ما يؤلم ، ومن الفضائح ما تدمى له القلوب .. وعادت الحيرة تملكني وعدت الى نفسي اسألها لانني اجد اليون واسما بين الكتابتين .. والتقويم لشخصية صاحب الزنج غير عادل . فمن السبب في هذا؟؟ وابن اجد الحقيقة التاريخية؟؟ وفي اي مرجع تلوح بوارق المعالجة العلمية؟؟

كنت اتحدث مع نفسي هذا الحديث .. ويلوح لي اكثر من وجه للمقارنة وانا اقرا مقال الدكتور عبد الجبار ناجي في مجلة المورد ، العدد (٣ ، ٤) ، ١٣٩٢ / ١٩٧٢ . وكنت اظن ان فيه شيئا جديدا . ولكنني وجدت ما كنت اعتقده

ثورة الزنج ، ومقالته ثورة العبيد في البصرة ونصه « انه ليس بالرجل المفكر والحاكم المثقف بل هو داهية طموح ذو شخصية جذابة » (المورد ص ١٢) . ثم يستشهد بقول الدكتور الفاضل فيصل السامر ونصه « كان علي بن محمد رجلا مثقفا بمفهوم عصره ، وانه كان ذكيا قسوى الارادة ، طموحا ذا نفس وثابة نازعة نحو الامال الكبار » ، ويعلق عليها الدكتور عبد الجبار . . « وهذه الصفات اراها فعلا متوفرة في قائد الزنج مع العلم بان هناك امرا مهما له علاقة بالموضوع ، وهو ان المعلومات التي خلفها المؤرخون عن ثورة الزنج لا تسمح بابداء رأي قاطع عن مقدرة صاحب الزنج في الحكم وقابلياته السياسية وبرنامجه الاجتماعي والاقتصادي . غير انه من الراجح الاستنتاج بان قيادته كانت سليمة ، ثم حنكته سواء اكانت في تخطيطاته العسكرية واختياره القواد الكفاء ، واتخاذ الحصون والقلاع نقاطا عسكرية » (المورد ص ١٢) .

وفي مجال الحديث عن شخصيته الادبية يقول الدكتور عبد الجبار . . . « فالنماذج المدونة ادناه وبعضها اجزاء من قصائد هي اشعار تمتاز بالمتانة والقوة وهي ايضا تعبيرات صريحة عن ثورته وعقيدته الدينية واتجاهه السياسي » (المورد ص ١٤) .

وعدت الى نص الصفدي استوضحه واستعيده . ولم اجد نفسي بحاجة الى مشقة فهو واضح العبارة ، بين الفكرة واطن ان المحقق الفاضل طابق بينه وبين ما كان يجد له مثيلا عند الطبري والمسمودي وابن ابي الحديد (وكان يشير الى ذلك في الهوامش) وكان الصفدي يعيد الحقيقة التي اثبتتها القدامى من المؤرخين ، الحقيقة التي تحمل الفصص والالم ، وتجري بين سطورها روافد الدم والعبرات ، وتفوح من كلماتها روائح الفدر وحب القتل واستباحة المحرمات .

ويمكن ان تمثل الجوانب الانسانية والاقتصادية والروحية التي سلكها صاحب الزنج والمتمثلة في نص الصفدي في ثلاثة اتجاهات يمكن استخلاصها من خلال النص الذي نشره الدكتور جبار ناجي وسوف احاول اثبات تلك النصوص بحرفيتها والتي نشرت في مجلة المورد .

١ - الجانب الانساني واعني به الاعمال المتعلقة بمعاملة الناس . . قال الصفدي :

١ - .. وقال « صاحب الزنج » اني كنت

رايت في المنام اني بلت بولة احرق نصف الدنيا (ص ١٧)

ب - وقال علي صاحب الزنج : « اعتلت علة غليظة وانا صغير فجاء ابي يعودني فوجد امي قاعدة عند راسي فقالت له ، انه يموت ، فقال : اذا مات هذا من يخرب البصرة . قال : فما زال في قلبي ذلك الى ان خرجت بها (ص ١٨) .

ج - अगर (صاحب الزنج) بمن تابعه على فريضة (تعني محط السفن) من نرض البحرين فنهبها واخذ اموالها وخرابها (ص ١٨) .

د - رجع (صاحب الزنج) الى البصرة واستولى على غلمان الناس من الزوج يذل لهم الاموال ويطمعهم في النهب (ص ١٩) .

هـ - ثم انه (صاحب الزنج) قود قوادا ورتب اصحابه ولم يزل ينهب ويقتل (ص ١٩) .

و - وجمع له اهل البصرة ووقع القتال بينهم فهزمهم وقتل خلقا كثيرا فوقع له الرعب في القلوب ، ولم يزل في العيث والفساد الى ان استولى على الابل ، واضرموا فيها النار فاحترقت باجمعها . وقتل خلقا كثيرا وغرق خلق كثير وحوى الاسلاب . . . هذا وسراياه في القرى تعبت وتفسد فترك اهل البصرة المقام بها وهربوا الى سائر النواحي . ثم انه دخل البصرة سنة سبع وخمسين ومائتين وقت صلاة الجمعة فقتل واحرق الى يوم السبت ثم عاد يوم الاثنين فتفرق الجند ونادى اهل البصرة بامان فآمنهم ولما ظهر الناس قتلهم فلم يسل الا الشاذ ، واحرق الجامع ومن كان فيه فعم الحريق الناس والدواب والمتاع وغير ذلك ، واستخرج الاموال من اربابها وقتل الفقراء (ص ١٩-٢٠) .

ز - وكانت سرايا (الخبيث) تصل الى واسط ودخلوها سنة اربع وستين ومائتين ، وقتلوا من بها ، واحرقوها ، واستولى على نواحيها ولم تزل عاكر الزنج تعبت وتفسد ، وتغير في اعمال الاهواز ، وعسكر مكرم وتتر ومسا صاقب هذه النواحي . يقتلون الرجال ، ويسبون النساء والاولاد وينهبون الاموال (ص ٢٠) .

٢ - الجانب الاقتصادي واعني به الامور المتعلقة بالاوضاع الاقتصادية :

١ - فحصل الخبيث على اموال وجواهر استأثروها واعطاها نساءه واولاده فانكر ذلك عليه جماعة منهم فقال نائي ليس كناتكم (ص ٢٠) .

ب - فلما كثرت حاشيته (صاحب الزنج)
كف ايدي الزنج عن النخل والمزارع ، وجبى
الخراج منهم ، والصدقة ، وصرفه الى اصحابه ،
فتفشت قلوب الزنج ، فسأت احوالهم وهموا
بالوثوب عليه (ص ٢١) .

٣ - الجانب الديني ..

١ - حدث في نفسه الكفر والخبث ودعوى
الامامة وعلم الغيب والخروج على الائمة (المورد
ص ١٨) .

ب - كانوا (اهل الاحساء) لا يدعون شيئا
من فضلاته يسقط الى الارض ، وياخذونه
تبركا به (المورد ص ١٨) .

ج - وجال في البادية واستغوى ممن
لقبه من الاعراب ، واوهمهم انه يعلم منطق
الطير (المورد ص ١٨)

د - ادعى ان قوله تعالى « انه استمع نفر
من الجن » قد انزلت فيه وانا عبدالله الذي
قام بدعوة (المورد ص ٢١) .

هـ - وادعى انه الرجل الذي جاء من اقصى
المدينة يسمى (المورد ص ٢١) .

و - وقال انزل في سورة من القرآن مجردة

ليس فيها ذكر غيري وهي (لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب) (المورد ص ٢١) .

ز - وادعى انه تكلم في المهدي صيا . وانه
صيح به : يا علي فقال : لبيك (المورد ص ٢١) .

انني لا ازال حائرا بين المؤرخين القدامى
والمحدثين ، لكنني اعود لاشكر الدكتور عبدالجبار
لانه هيا لنا اجتماع الظاهرتين في مقاله ونصه
المحقق . ظاهرة المؤرخين المحدثين الذين يضعون
صاحب الزنج في المكان الذي يؤهله للقيادة
ويمنحه صفات المصلح الاجتماعي ، والثائر
المخلص لاتباعه . (مقدمة الدكتور) . وطريقة
القدامى من المؤرخين الذين يضعون صاحب الزنج
في مقام آخر يخالف هذا المقام من حيث التأهيل
والقيادة والاصلاح (نص الصفدي) .

ومع عودتي للشكر اعود مرة ثالثة لاجد
نفسى في الحيرة الكبيرة التي تلف المتابع لاحداث
التاريخ ليرى التاريخ كيف يكتب ؟؟ والاحداث
كيف تؤرخ ؟؟ والرجال كيف يعاملون ؟؟ ولكن
الامانة العلمية وحدها هي التي تطوق اعناق
المخلصين لكتابة التاريخ ليضعوا ايديهم على
افئدتهم وهم يكتبون لان امانة الاجيال ثقيلة ،
والف شكر .

المحتوى

دعوة ... وبرنامج عبدالحميد العلوجي ٨-٧

الابحاث والدراسات

- اغربة العرب الدكتور محمد باقر علوان ١٣-١١
دراسة تحليلية للعناصر المعمارية والزخرفية
والكتابية لمحراب المصلى في الجامع
النوري بمدينة الموصل نجاة الحاج يونس التوتونجي ١٧-١٤
الوجدان العربي في شعر الفتوح الاموية عبدالجبار داود البصري ٢٢-١٨
في تاريخ تطور اللغة العربية الفصحى ف. م. بيلكين
ترجمة الدكتور جليل كمال الدين ٢٩-٢٢
ايام العرب في الجاهلية منذر الجبوري ٥٢-٤٠
البريدون الدكتورة جليلة ناجي الباشمي ٦٢-٥٤
الاجماع في الشريعة الاسلامية الدكتور رشدي محمد عرسان عليان ٨٦-٦٢
البيروني : حياته وفكره صالح مهدي العزاوي ٩٤-٨٧
التاثير الاكدي للغة العربية سلمان التكريتي ١٠٤-٩٥

النصوص المحققة

- الفتح على فتح ابي الفتح ابن نورجة البروجردي
تحقيق الدكتور محسن غياثي ١٢٠-١٠٧
المخبل السعدي : حياته وما تبقى من شعره صنعة : حاتم الضامن ١٢٦-١٢١
مقدمة في كلمات اتفقت فيها الدال والذال خطأ
واختلفت معنى ابن ام قاسم المرادي
تحقيق طه محسن ١٤٦-١٢٧

فهارس المخطوطات والبليوغرافيات

- فهرست وصفی لمخطوطات مكتبة كلية البنات اعداد الدكتور رزق فرج رزق ١٥٢-١٤٩
فهرست مخطوطات دير الآباء الكرملين ببغداد اعداد حكمت رحمانی ١٦٨-١٥٤

العرض والنقد والتعريف

- المساعد الدكتور ابراهيم السامرائي ١٨٣-١٧١
ملاحظات واستدراكات على « تاريخ التراث العربي » اكرم العمري ١٩١-١٨٤
الكرملي وقاموسه المساعد مير بصري ١٩٤-١٩٢
ديوان مالك بن الربيع وكتاب الخيل للاصمعي طراد الكبسي ١٩٧-١٩٥
ديوان ابن وكيع التبيي هلال ناجي ٢٠٥-١٩٨
قراءة ثانية لمقال « صاحب الزنج » الدكتور نوري حمودي القيسي ٢٠٨-٢٠٦

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد

« ١٧١ لسنة ١٩٧٣ »

CONTENTS

I. INTRODUCTION

Invitation and Programme. By Abdul Hameed AL-Âlouchi	...	7— 8
--	-----	------

II. RESEARCHES AND STUDIES

The Crows of the Arabs. By Dr. Muhammed Baqir Alwan	...	11— 13
An Analytic Study of the architectural and Ornamental Elements and the Decorative Writing on the Sanctuary at "Al-Noori" Mosque in Mosul. By Najat Al-Haj Younis Al-Totonchi	...	14— 17
The Arab Consciousness in the Poetry of the Omayyade Conquests. By Abdul Jabbar Al-Basri	...	18— 32
In the History of the development of the Eloquent Arab Language. By V.M. Bilkin. Trans. By Dr. Jaleel Kamal Al-Din	...	33— 39
The Days of the Arabs in the Pre-Islam Period. By Mundher Al-Joboory	...	40— 53
Al-Bareediyoon. By Dr. Jaleela Naji Al-Hashimi	...	54— 62
The Unanimity in the Islamic Law. By Dr. Rushdi Muhammed Irsan Olayyan	...	63— 86
Life and Thoughts of Al-Biruni. By Salih Mahdi Al-Azzawi	...	87— 94
The Akkadian effect on the Arab Language. By Salman Al-Tikriti	...	95—104

III. HERITAGE TEXTS

Kitab ALFath Ala Fath Abi Al-Fath. Edited. by Dr. Muhsin Ghayyadh	107—120
The life and remains of Al-Mukhabbal Al-Sa'ady Poetry. Compiled and edited Hatim Al-Dhamin	121—136
An Introduction to the works with the Similarity of the letters Dal and Thal written with difference of meaning. Edited by Taha Muhsin	137—146

IV. MANUSCRIPT CATALOGUES AND BIBLIOGRAPHIES

A Descriptive index to the Manuscripts of the College of Girls at the University of Baghdad. Compiled by Dr. Razzok Faraj Razzok	149—153
Manuscripts of the Karmelite Fathers Convent in Baghdad. Compiled by Hikmat Rahmani	154—168

V. REVIEW, CRITICISM AND INTRODUCTION

ALMusa'id. By Dr. Ibraheem Al-Samarrai	171—183
Notes and Supplements of the History of Arab Heritage. Compiled by Akram Al- Omary	184—191
Al-Karmeli and his "Al-Musa'id" Dictionary. By Meer Basri	192—194
Diwan of Malik Ibn Al-Raib and Book of the horses. By Tarrad Al-Kubaisi	195—197
Diwan Ibn Wakee's ALTinnisi. Compiled by Hilal Naji	198—205
A Second reading of Salib Al-Zinj. By Dr. Noori Hammoodi Al-Qaisi	206—208

*Rending a Nation Service is a Result of
the Profit Gained from Books that Preserve
the National Heritage and Procreate our
Ancestors Glories.*

Ahmed Hasan Al-Bakr

SUBSCRIPTIONS

I.D. 1/— 20 Shillings - in Iraq

I.D. 2/— 40 Shillings-outside Iraq

Price per Single Copy

I.D. —/250 . 5 Shillings-in Iraq

I.D. —/500 10 Shillings-outside

Correspondence should be Addressed to

AL-MAWRID

Ministry of Information

Baghdad - IRAQ

AL-MAWRID

A QUARTERLY JOURNAL OF CULTURE AND HERITAGE

ISSUED BY MINISTRY OF INFORMATION

Baghdad – IRAQ

Editor-In-Chief

Abdul Hameed Al-Alouchi

**Al-Hurria's House For Printing
Government Press - Baghdad
1973**